سورة النبأ

سورة النبأ مكيّة
وآياتها أربعون
بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1-5

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{عَمّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ النّبَـإِ الْعَظِيـمِ * الّـذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلاّ سَيَعْلَمُونَ * ثُمّ كَلاّ سَيَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: عن أيّ شيء يتساءل هؤلاء المشركون بالله ورسوله من قريش يا محمد؟ وقيل ذلك له صلى الله عليه وسـلم, وذلـك أن قريشـا جعلت فيما ذُكر عنها تختصم وتتجـادل, فـي الـذي دعـاهم إليـه رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم من الإقرار بنبوّته, والتصديق بما جاء به من عنـد اللـه, والإيمان بالبعث, فقال الله لنبيه: فيم يتساءل هـؤلاء القـوم ويختصـمون؟ و «في» و «عن» في هذا الموضع بمعنى واحد. ذكر من قال ما ذكرت:

27827ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع بن الجراح, عـن مِسـعر, عـن محمد بن جحادة, عن الحسن, قال: لما بُعِث النبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم جعلوا يتساءلون بينهم, فأنزل الله: عَمّ يَتَسـاءَلُونَ عَـنِ النّبَـأ العَظِيـم يعنـي: الخبر العظيم.

قال أبو جعفر: ثم أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن الذي يتساءلونه, فقال: يتساءلون عن النبأ العظيم: يعني: عن الخبر العظيم.

واختلف أهل التأويل في المعنـيّ بالنبـأ العظيـم, فقـال بعضـهم: أريـد بـه القرآن. ذكر من قال ذلك:

27828ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد في قول الله: عَن النّبَأ الْعَظِيمِ قال: القرآن.

وقال آخرون: عُنِي به البعث. ذكر من قال ذلك:

27829ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة, فـي قوله: عَنِ النّبَأ الْعَظِيمِ وهو البعث بعد الموت.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن سعيد, عن قتادة عَنِ النّبَأ الْعَظِيمِ قال: النبأ العظيم: البعث بعد الموت.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: عَـمّ يَتَساءَلُونَ عَنِ النّبَأ الْعَظِيمِ الّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ قـال: يـوم القيامـة قـال: قالوا هذا اليوم الذي تزعمون أنا نحيا فيه وآباؤنا, قال: فهم فيه مختلفون, لا يؤمنون به, فقال الله: بل هو نبأ عظيم أنتم عنـه معرضـون, يـوم القيامـة لا يؤمنون به.

وكان بعض أهل العربية يقول: معنـى ذلـك: عـمّ يتحـدّث بـه قريـش فـي القرآن, ثم أجاب فصارت عـمّ كأنهـا فـي معنـى: لأيّ شـيء يتسـاءلون عـن القرآن, ثم أخبر فقال: الّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ بين مصـدق ومكـذّب, فـذلك إخلافهم, وقوله: الّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ يقول تعالى ذكره: الذي صـاروا هـم فيه مختلفون فريقين: فريق بـه مصـدّق, وفريـق بـه مكـذّب. يقـول تعـالى

ذكره: فتساؤلهم بينهم في النبأ الذي هذه صفته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

27830ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سعيد, عن قتادة عن النبأ الّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفونَ البعث بعد الموت, فصار الناس فيه فريقين: مصدّق ومكذّب, فأما الموت فقد أقرّوا به لمعاينتهم إياه, واختلفوا في البعث بعد الموت.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة الّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ: صار الناس فيه رجلين: مصدّق, ومكذّب, فأما الموت فإنهم أقروا به كلهم, لمعاينتهم إياه, واختلفوا في البعث بعد الموت.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة الّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ قال: مصدّق ومكذّب.

وقوله: كَلاّ يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون الذين ينكرون بعث الله إياهم أحياء بعد مماتهم, وتوعدهم جلّ ثناؤه على هذا القول منهم, فقال: سَيَعْلَمُونَ يقول: سيعلم هؤلاء الكفار المُنكرون وعيد الله أعداءه, ما الله فاعل بهم يوم القيامة, ثم أكد الوعيد بتكرير آخر, فقال: ما الأمر كما يزعمون من أن الله غير محييهم بعد مماتهم, ولا معاقبهم على كفرهم به, سيعلمون أن القول غير ما قالوا إذا لقُوا الله, وأفضوا إلى ما قدّموا من سيىء أعمالهم. وذكر عن الضحاك بن مزاحم في ذلك ما:

27831ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي سنان, عن ثابت, عن الضحاك كَلاّ سَيَعْلَمُونَ الكفار ثُمّ كَلاّ سَيَعْلَمُونَ المؤمنون, وكذلك كان يقرؤها.

الآية : 6-11

القول في تأويل قوله تعالى:{أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ مِهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً * وَجَعَلْنَا اللّيْلَ لِبَاساً * وَجَعَلْنَا النّهَارَ مَعَاشاً }.

يقول تعالى ذكره معدّدا على هؤلاء المشركين نِعَمه وأياديه عندهم, وإحسانه إليهم, وكفرانهم ما أنعم به عليهم, ومتوعدهم بما أعدّ لهم عند ورودهم عليه, من صنوف عقابه, وأليم عذابه, فقال لهم: أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ لكم مِهادا تمتهدونها وتفترشونها.

27832ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سعيد, عن قتادة أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ مِهادا: أي بساطا والجِبالَ أوْتادا يقول: والجبال للأرض أوتادا أن تميد بكم وَخَلَقْناكُمْ أزْوَاجا ذُكرانا وإناثا, وطوالاً وقصارا, أو ذوي دَمامة وجمال, مثل قوله: الّذِينَ ظَلَموا وَأزْوَاجَهُمْ يعني به: صيرناهم. وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتا يقول: وجعلنا نومكم لكم راحة ودَعة, تهدؤن به وتسكنون, كأنكم أموات لا تشعرون, وأنتم أحياء لم تفارقكم الأرواح والسبت والسبات: هو السكون, ولذلك سمي السبت سبتا, لأنه يوم راحة ودعة. وَجَعَلْنا اللّيْلَ لِباسا يقول تعالى ذكره: وجعلنا الليل لكم غِشاء يتغشاكم سواده, وتغطيكم ظلمته, كما يغطي الثوبُ لابسَه, لتسكنوا فيه عن التصرّف لما كنتم تتصرّفون له نهارا ومنه قول الشاعر:

فلمّا لَبِسْن اللّيْلَ أوْ حِينَ نَصّبَتْله مِنْ خَذا آذانِها وَهْوَ دَالِجُ

يعني بقوله «لبسن الليل»: أدخلن في سواده فاستترن بـه. وبنحـو الـذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
27833ـ حدثنا ابن حميد, قـال: حـدثنا مهـران, عـن سـفيان, عـن قتـادة وَجَعَلْنا اللَّيْلَ لِباسا قال: سكنا.
وقوله: وَجَعَلْنا النّهارَ مَعاشا يقول: وجعلنا النهار لكم ضـياء لتنتشـروا فيـه لمعاشكم, وتتصرّفوا فيه لمصالح دنياكم, وابتغاء فضل الله فيه, وجعل جـلّ ثناؤه النهار إذ كان سببا لتصرّف عباده لطلب المعاش فيه معاشـا, كمـا فـي قول الشاعر:
وأخُو الهُموم إذا الهُمُوم تَحَصّرَتْجُنْحَ الظّلامِ وِسادُهُ لا يَرْقُدُ
فجعل الوساد هو الذي لا يرقد, والمعنى لصاحب الوساد.
27834ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: النّهارَ مَعاشا قال: يبتغون فيه من فضل الله.

الآية : 12-14

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً * وَجَعَلْنَا سِـرَاجاً وَهّاجاً * وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَآءً ثَجّاجاً }.
يقول تعالى ذكره: وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ: وسقفنا فوقكم, فجعل السقف بناء, إذ كانت العرب تسمي سـقوف الـبيوت, وهـي سـماؤها بنـاءً, وكـانت السـماء للأرض سقفا, فخـاطبهم بلسـانهم, إذ كـان التنزيـل بلسـانهم, وقـال: سَـبْعا شِدَادا إذ كانت وثاقا محكمة الخلق, لا صدوع فيهنّ ولا فطور, ولا يبليهن مـرّ الليالي والأيام.
وقوله: وَجَعَلْنا سِرَاجا وَهّاجـا يقـول تعـالى ذكـره: وجعلنـا سـراجا, يعنـي بالسراج: الشمس. وقوله وَهّاجا يعني: وقادا مضيئا. وبنحـو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
27835ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـي, عن ابن عباس, في قوله: وَجَعَلْنا سِرَاجا وَهّاجا يقول: مضيئا.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَجَعَلْنَا سِرَاجا وهّاجا يقول: سراجا منيرا.
27836ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: سِرَاجا وَهّاجا قال: يتلألأ.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة سِـرَاجا وَهّاجا قال: الوهاج: المنير.
27837ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سـفيان سِـرَاجا وَهّاجـا قال: يتلألأ ضوءه.
وقوله: وأنْزَلْنا مِنَ المُعْصِرَاتِ اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالمعصِرات, فقال بعضهم: عُنِي بها الرياح التي تعصر في هبوبها. ذكر من قال ذلك:
27838ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَأنْزَلْنـا مِـنَ المُعْصِـرَاتِ فالمعصـرات: الريح.

27839ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن يزيد, عن عكرِمة, أنه كان يقرأ: «وَأَنْزَلْنا بالمُعْصِرَاتِ» يعني: الرياح.
27840ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى: عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: مِنَ المُعْصِرَاتِ قال: الريح.
وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
27841ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: هي في بعض القراءات: «وَأَنْزَلْنا بالمُعْصِرَاتِ»: الرياح.
27842ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَأَنْزَلْنا مِنَ المُعْصِراتِ قال: المعصرات: الرياح, وقرأ قول الله: الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحَابا... إلى آخر الآية.
وقال آخرون: بل هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولمّا تمطر, كالمرأة المعصر التي قد دنا أوان حيضها ولم تحض. ذكر من قال ذلك:
27843ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان مِنَ المُعْصِرَاتِ قال: المعصرات: السحاب.
27844ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله وأَنْزَلْنا مِنَ المُعْصِراتِ يقول: من السحاب.
27845ـ قال: ثنا مهران, عن أبي جعفر, عن الربيع المُعْصِراتِ: السحاب.
وقال آخرون: بل هي السماء. ذكر من قال ذلك:
27846ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, قال: سمعت الحسن يقول: وَأَنْزَلْنا مِنَ المُعْصِرَاتِ قال: من السماء.
27847ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَأَنْزَلْنا مِنَ المُعْصِرَاتِ قال: من السموات.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قوله: وأَنْزَلْنا مِنَ المُعْصِراتِ قال: من السماء.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أنزل من المعصِرات, وهي التي قد تحلبت بالماء من السحاب ماء.
وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب, لأن القول في ذلك على أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرت, والرياح لا ماء فيها, فينزل منها, وإنما ينزل بها, وكان يصحّ أن تكون الرياح, ولو كانت القراءة: «وَأَنْزَلْنا بالمُعْصِرَاتِ» فلما كانت القراءة: مِنَ المُعْصِرَاتِ علم أن المعنيّ بذلك ما وصفت.
فإن ظنّ ظانّ أن الباء قد تعقب في مثل هذا الموضع من قيل ذلك, وإن كان كذلك, فالأغلب من معنى «من» غير ذلك, والتأويل على الأغلب من معنى الكلام. فإن قال: فإن السماء قد يجوز أن تكون مرادا بها. قيل: إن ذلك وإن كان كذلك, فإن الأغلب من نزول الغيث من السحاب دون غيره.
وأما قوله: مَاءً ثَجّاجا يقول: ماء منصبا يتبع بعضه بعضا, كثجّ دماء البدن, وذلك سفكها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
27848ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس ماءً ثَجّاجا قال: منصبا.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس ماءً ثَجّاجا ماء من السماء منصبا.

27849ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: ماءً ثَجّاجا قال: منصبا.
27850ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: ماءً ثَجّاجا قال: الثجاج: المنصب.
27851ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي جعفر, عن الربيـع: مَاءً ثَجّاجا قال: منصبا.
27852ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان ماءً ثَجّاجا قال: متتابعا.
وقال بعضهم: عُنِي بالثجّاج: الكثير. ذكر من قال ذلك:
27853ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب ماءً ثَجّاجا قال: كثيرا.
ولا يُعرف في كلام العرب من صفة الكثرة الثجّ, وإنما الثجّ: الصبّ المتتابع. ومنه قول النبيّ صلى الله عليه وسـلم: «أفْضَـلُ الحَـجّ العَـجّ والثّـجّ»: يعنـي بالثجّ: صبّ دماء الهدايا والبُدن بذبحها, يقال منه: ثَجَجت دمه, فأنا أثجّه ثجا, وقد ثَجّ الدم, فهو يثجّ ثجوجا.

الآية : 15-20

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{لّنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتـاً * وَجَنّـاتٍ أَلْفَافـاً * إِنّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً * يَوْمَ يُنفَـخُ فِـي الصّـورِ فَتَـأْتُونَ أَفْوَاجـاً * وَفُتِحَـتِ السّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً * وَسُيّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً }.
يقول تعالى ذكره: لنخرج بالماء الذي ننزله من المعصِرات إلى الأرض حبا والحب كلّ ما تضمنه كمام الزرع التي تحصد, وهي جمع حبـة, كمـا الشـعير جمع شعيرة, وكما التمر جمع تمرة. وأما النبات فهو الكلأ الـذي يُرْعَـى, مـن الحشيش والزروع.
وقوله: وَجَنّاتٍ أَلْفافا يقول: ولنخرج بـذلك الغيـث جنـات وهـي البسـاتين وقال: وجنات, والمعنى: وثمر جنات, فترك ذكر الثمر استغناء بدلالـة الكلام عليه من ذكره. وقوله: أَلْفافا يعني: ملتفـة مجتمعـة. وبنحـو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
27854ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: وجَنّاتٍ أَلْفافا قال: مجتمعة.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَجَنّاتٍ أَلْفافا يقول: وجنات التفّ بعضها ببعض.
27855ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد وَجَنّاتٍ أَلْفافا قال: ملتفة.
27856ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَجَنّاتٍ أَلْفافا قال: التفّ بعضها إلى بعض.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله وَجَنّاتٍ أَلْفافا قال: التفّ بعضها إلى بعض.
27857ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سـفيان وَجَنّـاتٍ أَلْفافـا قال: ملتفة.
27858ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَجَنّاتٍ أَلْفافا قال: هي الملتفة, بعضها فوق بعض.

واختلف أهل العربية في واحد الألفاف, فكان بعض نحويّي البصرة يقول: واحدها: لَفّ. وقال بعض نحويّي الكوفة: واحدها: لَفّ ولفيف قال: وإن شئت كان الألفاف جمعا, واحده جمع أيضا, فتقول: جنة لفّاء, وجنات لَفّ, ثم يجمع اللّفّ ألفافا.

وقال آخر منهم: لم نسمع شجرة لفة, ولكن واحدها لفاء, وجمعها لفّ, وجمع لفّ: ألفاف, فهو جمع الجمع.

والصواب من القول في ذلك أن الألفاف جمع لَفّ أو لفيف, وذلك أن أهل التأويل مجمعون على أن معناه: ملتفة, واللُّفاء: هي الغليظة, وليس الالتفاف من الغلظ في شيء, إلاّ أن يوجه إلى أنه غلظ الالتفاف, فيكون ذلك حينئذٍ وجها.

وقوله: إنّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتا يقول تعالى ذكره: إن يوم يفصل الله فيه بين خلقه, فيأخذ فيه من بعضهم لبع ض, كان ميقاتا لما أنفذ الله لهؤلاء المكذّبين بالبعث, ولضربائهم من الخلق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

27859ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتا وهو يوم عظّمه الله, يفصِل الله فيه بين الأوّلين والآخرين بأعمالهم.

وقوله: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصّورِ تَرْجَم بيوم ينفخ, عن يوم الفصل, فكأنه قيل: يوم الفصل كان أجلاً لما وعدنا هؤلاء القوم, يوم ينفخ في الصور. وقد بيّنت معنى الصور فيما مضى قبل, وذكرت اختلاف أهل التأويل فيه, فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع, وهو قَرْن يُنْفَخ فيه عندنا, كما:

27860ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن سليمان التيميّ, عن أسلم, عن بشر بن شغاف, عن عبد الله بن عمرو, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «الصّور: قَرْن».

27861ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصّورِ والصّور: الخَلْق.

وقوله: فَتأْتُونَ أفْوَاجا يقول: فيجيئون زمرا زمرا, وجماعة جماعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

27862ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أفْوَاجا قال: زُمَرا زُمَرا.

وإنما قيل: فَتأْتُونَ أفْوَاجا لأن كلّ أمة أرسل الله إليها رسولاً تأتي مع الذي أرسل إليها, كما قال: يَوْمَ نَدْعُو كُلّ أُناسٍ بإمامِهِمْ.

وقوله: وَفُتِحَتِ السّماءُ فَكانَتْ أبْوَابا يقول تعالى ذكره: وشققت السماء فصدّعت, فكانت طُرُقا, وكانت من قبل شِدادا لا فُطُور فيها ولا صدوع. وقيل: معنى ذلك: وفُتحت السماء فكانت قِطعا كقطع الخشب المشقّقة لأبواب الدور والمساكن. قالوا: ومعنى الكلام: وفُتحت السماء فكانت قِطعا كالأبواب, فلما أسقطت الكاف صارت الأبواب الخبر, كما يقال في الكلام: كان عبد الله أسدا, يعني: كالأسد.

وقوله: وَسُيّرَتِ الجِبالُ فَكانَتْ سَرَابا يقول: ونُسفت الجبال فاجْتُثت من أصولها, فصيرت هباء منبثا, لعين الناظر, كالسراب الذي يظنّ من يراه من بُعد ماء, وهو في الحقيقة هبَاء.

الآية : 21-25

القول في تأويل قوله تعالى:{إِنّ جَهَنّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً * لّلطّاغِينَ مَآباً * لاّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَاباً * لاّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَاباً * إِلاّ حَمِيماً وَغَسّاقاً }.

يعني تعالى ذكره بقوله: إن جهنم كانت ذات رَصْد لأهلها, الذين كانوا يكذّبون في الدنيا بها, وبالمعاد إلى الله في الآخرة, ولغيرهم من المصدّقين بها. ومعنى الكلام: إن جهنم كانت ذات ارتقاب, ترقب من يجتازها وترصُدهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

27863ـ حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم, عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المازنيّ, قال: كان الحسن إذا تلا هذه الآية: إنّ جَهَنّمَ كانَتْ مرْصَادا قال: ألا إنّ على الباب الرّصَد, فمن جاء بجواز جاز, ومن لم يجىء بجواز احتبس.

27864ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا إسماعيل بن عُلَية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله إنّ جَهَنّمَ كانَتْ مِرْصَادا قال: لا يدخل الجنة أحد حتى يجتاز النار.

27865ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ جَهَنّمَ كانَتْ مِرْصَادا يُعْلِمُنا أنه لا سبيل إلى الجنة حتى يَقطَع النار.

27866ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان إنّ جَهَنّمَ كانَتْ مِرْصَادا قال: عليها ثلاث قناطر.

وقوله: للطّاغِينَ مآبا يقول تعالى ذكره: إن جهنم للذين طَغَوا في الدنيا, فتجاوزوا حدود الله, استكبارا على ربهم, كانت منزلاً ومرجعا يرجعون إليه, ومصيرا يصيرون إليه يسكنونه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

27867ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة للطّاغِينَ مآبا: أي منزلاً ومأوًى.

27868ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران عن سفيان مآبا يقول: مرجعا ومنزلاً.

وقوله: لابِثِينَ فِيها أحْقابا يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الطاغين في الدنيا لابثون في جهنم, فماكثون فيها أحقابا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: لابِثِينَ, فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة: لابِثِينَ بالألف. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «لَبِثِينَ» بغير ألف وأفصح القراءتين وأصحهما مخرجا في العربية, قراءة من قرأ ذلك بالألف وذلك أن العرب لا تكاد توقع الصفة إذا جاءت على فَعيل, فتعملها في شيء, وتنصبه بها, لا يكادون أن يقولوا: هذا رجل بَخِل بماله, ولا عَسِر علينا, ولا هو خَصِم لنا, لأن فَعِل لا يأتي صفة إلاّ مدحا أو ذما, فلا يعمل المدح والذمّ في غيره, وإذا أرادوا إعمال ذلك في الاسم أو غيره جعلوه فاعلاً, فقالوا: هو باخل بماله, وهو طامع فيما عندنا, فلذلك قلت: إن لابِثِينَ أصحّ مخرجا في العربية وأفصح, ولم أحِلّ قراءة من قرأ: «لَبِثِينَ» وإن كان غيرُها أفصح, لأن العرب ربما أعملت المدح في الأسماء, وقد يُنشد بيت لبيد:

أوْ مِسْحَلٌ عَمِلٌ عِضَادَةَ سَمْحَجٍ بِسَرَاتِها نَدَبٌ لَهُ وكُلُومُ

فأعمل «عَمِلٌ» في عِضادة, ولو كانت عاملاً كانت أفصح, ويُنشد أيضا:

وبالفأسِ ضَرّابٌ رُؤُوسَ الكَرَانِفِ

ومنه قول عباس بن مِرداس:
أكَرّ وأحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُوأضْرَبَ مِنّا بالسّيُوفِ الْقَوَانِسا
وأما الأحقاب فجمع حُقْب, والحِقَب: جمع حِقْبة, كما قال الشاعر:
عِشْنا كَنَدْمانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةًمِنَ الدّهْرِ حتى قيلَ لَنْ تَتَصَدّعا
فهذه جمعها حِقَب, ومن الأحقاب التي جمعها حُقُب قول اللـه: أوْ أمْضِـيَ حُقُبا فهذا واحد الأحقاب.
وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ مدة الحُقُب, فقال بعضهم: مدة ثلاث مئة سنة. ذكر من قال ذلك:
27869ـ حدثنا عمران بن موسـى القـزاز, قـال: حـدثنا عبـد الـوارث بـن سعيد, قال: حدثنا إسحاق بن سُويد, عن بشير بن كعـب, فـي قـوله: لابِثِيـنَ فِيها أحْقابا قال: بلغني أن الحُقُب ثلاث مئة سنة, كلّ سنة ثلاث مئة وسـتون يوما, كل يوم ألف سنة.
وقال آخرون: بل مدة الحُقْب الواحد: ثمانون سنة. ذكر من قال ذلك:
27870ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, قال: ثني عمار الدّهْنيّ, عن سالم بن أبي الجعد, قال: قال عليّ بن أبي طـالب رضـي اللـه عنه لهلال الهجَرِيّ: ما تجدون الحُقُب فـي كتـاب اللـه المنـزل؟ قـال: نجـده ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا, كل شـهر ثلاثـون يومـا, كـل يـوم ألـف سنة.
27871ـ حدثنا تميم بن المنتصر, قال: أخبرنا إسحاق, عـن شـريك, عـن عاصم بن أبي النّجود, عن أبي صـالح, عـن أبـي هريـرة: أنـه قـال: الحُقُـب: ثمانون سنة, والسنة: ستون وثلاث مئة يوم, واليوم: ألف سنة.
27872ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عـن أبـي سـنان, عـن ابـن عباس, قال: الحُقْب: ثمانون سنة.
27873ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, قال: حدثنا الأعمـش, عن سعيد, بن جُبير, في قوله: لابِثِينَ فِيها أحْقابا قال: الحقب: ثمانون سنة, السنة: ثلاث مئة وستون يوما, اليوم: سنة أو ألف سنة «الطبري يشكّ».
27874ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قـال الله: لابِثِينَ فِيها أحْقابا وهو ما لا انقطاع لـه, كلمـا مضـى حُقُـبٌ جـاء حُقُـب بعده. وذُكر لنا أن الحُقُبَ ثمانون سنة.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمـر, عـن قتـادة, فـي قوله: أحْقابا قال: بلغنا أن الحُقب ثمانون سنة من سِني الآخرة.
27875ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس لابِثِينَ فِيها أحْقابا لا يعلـم عـدّة هـذه الأحقـاب إلاّ اللـه, ولكـن الحُقُـبَ الواحد: ثمانون سنة, والسنة: ثلاث مئة وستون يوما, كلّ يوم من ذلك ألــف سنة.
وقال آخرون: الحُقُب الواحد: سبعون ألف سنة. ذكر من قال ذلك:
27876ـ حدثني ابن عبد الرحيم البرقي, قال: ثني عمرو بن أبـي سـلمة, عن زهير, عن سالم, قال: سمعت الحسن يُسْألُ عن قول الله: لابِثِيـنَ فِيهـا أحْقابا قال: أما الأحقاب فليس لها عدّة إلاّ الخلود في النـار ولكـن ذكـروا أن الحُقُب الواحد سبعون ألف سنة, كلّ يوم من تلك الأيام السبعين ألفا, كألف سنة مما تَعُدّون.

27877ـ حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُلِيّ, قال: حدثنا أبو أُسامة, عن هشام, عن الحسن, في قوله: لابِثِينَ فِيها أحْقابا قال: أما الأحقاب, فلا يَدرِي أحد ما هي, وأما الحُقُب الواحد: فسبعون ألف سنة, كلّ يوم كألف سنة.

ورُوي عن خالد بن معدان في هذه الآية, أنها في أهل القِبلة. ذكر من قال ذلك:

27878ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عامر بن جشب, عن خالد بن معدان في قوله: لابِثِينَ فِيها أحْقابا, وقوله: إلا ما شاءَ رَبّكَ إنهما في أهل التوحيد من أهل القبلة.

فإن قال قائل: فما أنت قائل في هذا الحديث؟ قيل: الذي قاله قتادة عن الربيع بن أنس في ذلك أصحّ.

فإن قال: فما للكفار عند الله عذابٌ إلاّ أحقابا قيل: إن الربيع وقتادة قد قالا: إن هذه الأحقاب لا انقضاء لها ولا انقطاع. وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك: لابثين فيها أحقابا, في هذا النوع من العذاب, هو أنهم: لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْدا وَلا شَرَابا إلاّ حَمِيما وغَسّاقا فإذا انقضت تلك الأحقاب, صار لهم من العذاب أنواع غير ذلك, كما قال جلّ ثناؤه في كتابه: وَإنّ للطّاغِينَ لَشَرّ مآبٍ جَهَنّمَ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ المِهادُ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَميمٌ وغَسّاقٌ وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ وهذا القول عندي أشبه بمعنى الآية. وقد رُوي عن مقاتل بن حيان في ذلك ما:

27879ـ حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقيّ, قال: حدثنا عمرو بن أبي سَلَمة, قال: سألت أبا معاذ الخراسانيّ, عن قول الله: لابِثِينَ فِيها أحْقابا فأخبرنا عن مقاتل بن حيَان, قال: منسوخة, نسختها: فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلاّ عَذَابا ولا معنى لهذا القول, لأن قوله: لابِثِينَ فِيها أحْقابا خبر, والأخبار لا يكون فيها نسخ, وإنما النسخ يكون في الأمر والنهي.

وقوله: لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْدا وَلا شَرَابا يقول: لا يَطْعَمون فيها بردا يُبَرّد حرّ السعير عنهم, إلاّ الغساق, ولا شرابا يَرْوِيهم من شدّة العطش الذي بهم, إلاّ الحميم. وقد زعم بعض أهل العلم بكلام العرب أن البرد في هذا الموضع النوم, وأن معنى الكلام: لا يذوقون فيها نوما ولا شرابا, واستشهد لقيله ذلك بقول الكنديّ:

بَرَدَتْ مَرَاشِفُها عَليّ فَصَدّنيعَنْها وَعَنْ قُبُلاتِها البَرْدُ

يعني بالبرد: النّعاس والنوم إن كان يُبرد غليلَ العَطَش, فقيل له من أجل ذلك البرد, فليس هو باسمه المعروف, وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب, دون غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

27880ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي جعفر, عن الربيع لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْدا وَلا شَرَابا إلاّ حَمِيما وَغَسّاقا فاستثنى من الشراب الحميم, ومن البَرْد: الغَسّاق.

وقوله: إلاّ حَمِيما وغَسّاقا يقول تعالى ذكره: لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلاّ حميما قد أغلي حتى انتهى حرّه, فهو كالمُهْل يَشْوِي الوجوه, ولا برد إلاّ غَسّاقا.

واختلف أهل التأويل في معنى الغَسّاق, فقال بعضهم: هو ما سال من صديد أهل جهنم. ذكر من قال ذلك:

27881ـ حدثنا أبو كريب ومحمد بن المثنى, قالا: حدثنا ابن إدريس, عن أبيه, عن عطية بن سعد, في قوله: حَمِيما وَغَسّاقا قال: هو الذي يَسيل من جلودهم.
27882ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, عن أبيه, قال: حدثنا أبو عمرو, قال: زعم عكرِمة أنه حدثهم في قوله: وَغَسّاقا قال: ما يخرج من أبصارهم من القيح والدم.
27883ـ حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالا: حدثنا عبد الرحمن قال: حدثنا سفيان, عن منصور عن إبراهيم وأبي رَزِين إلاّ حَمِيما وَغَسّاقا قالا: غُسالة أهل النار لفظ ابن بشار وأما ابن المثنى فقال في حديثه: ما يسيل من صديدهم.
وحدثنا ابن بشار مرّة أخرى عن عبد الرحمن, فقال كما قال ابن المثني.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن أبي رَزين وَغَسّاقا قال: ما يَسِيل من صديدهم.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن منصور وأبي رَزِين, عن إبراهيم مثله.
27884ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: غَسّاقا كنا نحدّث أن الغَسّاق: ما يسيل من بين جلده ولحمه.
27885ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا الضحاك بن مخلد, عن سفيان, أنه قال: بلغني أنه ما يسيل من دموعهم.
27886ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن إبراهيم وَغَسّاقا قال: ما يسيل من صديدهم من البرد, قال سفيان وقال غيره: الدموع.
27887ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إلاّ حَمِيما وغَسّاقا قال: الحميم: دموع أعينهم في النار, يجتمع في خنادق النار فيُسْقَونه, والغساق: الصديد الذي يخرج من جلودهم, مما تصهرهم النار في حياض يجتمع فيها فيسقونه.
27888ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيم إلاّ حَمِيما وَغَسّاقا قال: الغساق: ما يقطر من جلودهم, وما يسيل من نتنهم.
وقال آخرون: الغساق: الزمهرير. ذكر من قال ذلك:
27889ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس إلاّ حَمِيما وَغَسّاقا يقول: الزمهرير.
27890ـ حدثنا أبو كريب وأبو السائب وابن المثنى, قالوا: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت ليثا, عن مجاهد, في قوله: إلاّ حَمِيما وَغَسّاقا قال: الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من برده.
قال: ثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ليث, عن مجاهد إلاّ حَمِيما وَغَسّاقا قال: الذي لا يستطيعونه من برده.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ليث, عن مجاهد: الغساق: الذي لا يستطاع من برده.
27891ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي جعفر, عن الربيع قال: الغساق: الزمهرير.
27892ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, قال: الغساق: الزمهرير.

وقال آخرون: هو المُنْتِن, وهو بالطّخارية. ذكر من قال ذلك:
27893ـ حُدثت عن المسيب بن شريك, عن صالح بن حيان, عن عبد الله بن بُرَيدة, قال: الغساق: بالطّخارية: هو المنتن.
والغساق عندي: هو الفعال, من قولهم: غَسَقت عين فلان: إذا سالت دموعها, وغَسَق الجرح: إذا سال صديده, ومنه قول الله: وَمِنْ شَرّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ يعني بالغاسق: الليل إذا لَبس الأشياء وغطاها وإنما أريد بذلكَ هجومه على الأشياء, هجوم السيل السائل فإذا كان الغسّاق هو ما وصفت من الشيء السائل, فالواجب أن يقال: الذي وعد الله هؤلاء القوم, وأخبر أنهم يذوقونه في الآخرة من الشراب, هو السائل من الزمهرير في جهنم, الجامع مع شدّة برده النتن, كما:
27894ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يعمر بن بشر, قال: حدثنا ابن المبارك, قال: حدثنا رشدين بن سعد, قال: حدثنا عمرو بن الحرث, عن أبي السمح, عن أبي الهيثم, عن أبي سعيد الخُدْرِيّ, عن النبِيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «لَوْ أن دَلْوا مِنْ غَسّاقٍ يُهْرَاقُ إلَى الدّنْيا, لأنْتَنَ أهْلَ الدّنْيا».
27895ـ حُدثت عن محمد بن حرب, قال: حدثنا ابن لَهِيعة, عن أبي قبيل, عن أبي مالك, عن عبد الله بن عمرو, أنه قال: «أتدرون أيّ شيء الغسّاق؟ قالوا: الله أعلم, قال: «هو القيح الغليظ, لو أن قطرة منه تهراق بالمغرب, لأنتن أهل المشرق, ولو تهراق بالمشرق, لأنتن أهل المغرب».
فإن قال قائل: فإنك قد قلت: إن الغَسّاق: هو الزمهرير, والزمهرير: هو غاية البرد, فكيف يكون الزمهرير سائلاً؟ قيل: إن البرد الذي لا يُستطاع ولا يُطاق, يكون في صفة السائل من أجساد القوم من القيح والصديد.

الآية : 26-30

القول في تأويل قوله تعالى:{جَزَآءً وِفَاقاً * إِنّهُمْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ حِسَاباً * وَكَذّبُواْ بِآيَاتِنَا كِذّاباً * وَكُلّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً * فَذُوقُواْ فَلَن نّزِيدَكُمْ إِلاّ عَذَاباً }.
يقول تعالى ذكره: هذا العقاب الذي عُوقِب به هؤلاء الكفار في الآخرة, فعلَه بهم ربهم جزاء, يعني: ثوابا لهم على أفعالهم وأقوالهم الرديئة التي كانوا يعملونها في الدنيا, وهو مصدر من قول القائل: وافق هذا العقاب هذا العلم وِفاقا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
27896ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: جَزَاءً وِفاقا يقول: وافق أعمالهم.
27897ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: جَزَاءً وِفاقا وافق الجزاء أعمال القوم أعمال السوء.
27898ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي جعفر, عن الربيع جَزَاءً وِفاقا قال: بحسب أعمالهم.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, قال: حدثنا حكام, عن أبي جعفر, عن الربيع, في قوله: جَزَاءً وِفاقا قال: ثواب وافَق أعمالهم.
27899ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: جَزَاءً وِفاقا قال: عملوا شرّا, فجزوا شرّا, وعملوا حسنا, فجزوا حسنا, ثم قرأ قول الله: ثُمّ كانَ عاقِبَةَ الّذِينَ أساءُوا السّوأى.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: جَزَاءً وِفاقا قال: جزاء وافق أعمال القوم.

27900ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد جَزَاءً وِفاقا قال: وافق الجزاء العمل.

وقوله: إنّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِسابا يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الكفار كانوا في الدنيا لا يخافون محاسبة الله إياهم في الآخرة على نعمه عليهم, وإحسانه إليهم, وسوء شكرهم له على ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

27901ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: لا يَرْجُونَ حِسابا قال: لا يبالون فيصدّقون بالغيب.

27902ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِسابا أي لا يخافون حسابا.

27903ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِسابا قال: لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب, وكيف يرجو الحساب من لا يُوقن أنه يحيا, ولا يوقن بالبعث وقرأ قول الله: بَلْ قالُوا مِثْلَ ما قالَ الأوّلُونَ قالُوا أئِذَا مِتْنا وكُنّا تُرَابا... إلى قوله أساطِيرُ الأوّلِينَ, وقرأ: هَلْ نَدُلّكُمْ عَلى رَجُلٍ يُنَبّئُكُمْ إذَا مُزّقْتُمْ كُلّ مُمَزّق... إلى قوله جَدِيدٍ فقال بعضهم لبعض: ماله أفْترَى عَلى اللّهِ كَذِبا أمْ بِه جِنّةٌ الرجل مجنون حين يخبرنا بهذا.

وقوله: وكَذّبُوا بآياتِنا كِذّابا يقول تعالى ذكره: وكذّب هؤلاء الكفار بحُجَجِنا وأدلتنا تكذيبا. وقيل: كِذّابا, ولم يقل تكذيبا, تصديرا على فعله.

وكان بعض نحويّي البصرة يقول: قيل ذلك لأن فعل منه على أربعة, فأراد أن يجعله مثل باب أفعلت, ومصدر أفعلت إفعالاً, فقال: كذّابا, فجعله على عدد مصدره, قال: وعلى هذا القياس تقول: قاتل قتالاً, قال: وهو من كلام العرب. وقال بعض نحويّي الكوفة: هذه لغة يمانية فصيحة, يقولون: كذّبت به كذّابا, وخَرّقت القميص خِرّاقا, وكلّ فَعّلْت, فمصدرها فِعّال بلغتهم مشدّدة. قال: وقال لي أعرابي مرّة على المروة يستفتيني: أالحلق أحبّ إليك أم القِصّار؟ قال: وأنشدني بعض بني كلاب:

لَقَدْ طالَ ما ثَبّطَتْنِي عَنْ صَحَابَتِيوَعَنْ حِوَجٍ قِصّاؤُها مِنْ شَفائِيَا

وأجمعت القرّاء على تشديد الذال من الكِذّاب في هذا الموضع. وكان الكسائي خاصة يخفّف الثانية, وذلك في قوله: لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْوا وَلا كِذّابا ويقول: وهو من قولهم: كاذبته كِذّابا ومكاذبة, ويشدّد هذه, ويقول قوله كَذّبوا يقيد الكِذّاب بالمصدر.

وقوله: وكُلّ شَيْءٍ أحْصَيْناه كِتابا يقول تعالى ذكره: وكلّ شيء أحصيناه فكتبناه كتابا, كتبنا عدده ومبلغه وقدره, فلا يغرُب عنا علم شيء منه ونصب كتابا, لأن في قوله: أحْصَيْناهُ مصدر أثبتناه وكتبناه, كأنه قيل: وكلّ شيء كتبناه كتابا.

وقوله: فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلاّ عَذَابا يقول جلّ ثناؤه: يقال هؤلاء الكفار في جهنم إذا شربوا الحميم والغَسّاق: ذوقوا أيها القوم من عذاب الله الذي

كنتم به في الدنيا تكذّبون, فلن نزيدكم إلاّ عذابا على العذاب الذي أنتم فيه لا تخفيفا منه, ولا ترفّها. وقد:
27904ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن سعيد, عن قتادة, عن أبي أيوب الأزديّ, عن عبد الله بن عمرو, قال: لم تنزل على أهل النار آية أشدّ من هذه: فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلاّ عَذَابا قال: فهم في مزيد من العذاب أبدا.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَذُوقُوا فلَنْ نَزِيدَكُمْ إلاّ عَذَابا: ذُكر لنا أن عبد الله بن عمرو كان يقول: ما نزلت على أهل النار آية أشدّ منها فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُم إلاّ عَذابا فهم في مزيد من الله أبدا.

الآية : 31-35

القول في تأويل قوله تعالى:{إنّ لِلْمُتّقِينَ مَفَازاً * حَدَآئِقَ وَأَعْنَاباً * وَكَوَاعِبَ أتْرَاباً * وَكَأساً دِهَاقاً * لاّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذّاباً }.
يقول: إن للمتقين مَنجًى من النار إلى الجنة, ومخلصا منهم لهم إليها, وظفرا بما طلبوا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
27905ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد إنّ لِلْمُتّقِينَ مَفازا قال: فازوا بأن نَجَوا من النار.
27906ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّ لِلْمُتقِينَ مَفازا: إي والله مفازا من النار إلى الجنة, ومن عذاب الله إلى رحمته.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: إنّ لِلْمُتّقِينَ مَفازا قال: مفازا من النار إلى الجنة.
27907ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّ لِلْمُتّقِينَ مَفازا يقول: مُنْتَزها.
وقوله: حَدَائِقَ والحدائق: ترجمة وبيان عن المفاز, وجاز أن يترجم بها عنه, لأن المفاز مصدر من قول القائل: فاز فلان بهذا الشيء: إذا طلبه فظفر به, فكأنه قيل: إن للمتقين ظفرا بما طلبوا من حدائق وأعناب والحدائق: جمع حديقة, وهي البساتين من النخل والأعناب والأشجار المُحَوّط عليها الحيطان المحدقة بها, لإحداق الحيطان بها تسمى الحديقة, فإن لم تكن الحيطان بها محدقة, لم يُقُل لها حديقة, وإحداقها بها: اشتمالها عليها.
وقوله: وأعْنابا يعني: وكرومٍ أعناب, واستغنى بذكر الأعناب عن ذكر الكروم.
وقوله: وكَوَاعِبَ أتْرَابا يقول: ونواهد في سنّ واحدة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
27908ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ عن ابن عباس, قوله: وكَوَاعِبَ يقول: ونواهد. وقوله: أتْرَابا يقول: مُسْتَوِيات.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله وكَوَاعِبَ أتْرَابا يعني: النساء المستويات.

27909ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وكَوَاعِبَ أتْرَابا قال: نواهد أترابا, يقول: لسنَ واحدة.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, ثم وصف ما في الجنة قال: حَدَائقَ وأعْنابا وكَوَاعِبَ أتْرَابا يعني بذلك النساء, أترابا: لسنَ واحدة.
27910ـ حدثني عباس بن محمد, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جرَيج, قال: الكواعب: النواهد.
27911ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وكَوَاعِبَ أتْرَابا قال: الكواعب: التي قد نهدت وكَعّب ثديها, وقال: أترابا: مستويات, فلانة تربة فلانة, قال: الأتراب: اللّدات.
27912ـ حدثنا نصر بن عليّ, قال: حدثنا يحيى بن سليمان, عن ابن جريج, عن مجاهد وكَوَاعِبَ أتْرَابا لِدَات.
وقوله: وكأسا دِهاقا يقول: وكأسا ملأى متتابعة على شاربيها بكثرة وامتلاء وأصله من الدّهْق: وهو متابعة الضغط على الإنسان بشدّة وعنف, وكذلك الكأس الدهاق: متابعتها على شاربيها بكثرة وامتلاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
27913ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا مروان, قال: حدثنا أبو يزيد يحيى بن ميسرة, عن مسلم بن نَسْطاس, قال: قال ابن عباس لغلامه: اسقني دِهاقا, قال: فجاء بها الغلام ملأى, فقال ابن عباس: هذا الدّهاق.
حدثني محمد بن عبيد المحاربي, قال: حدثنا موسى بن عمير, عن أبي صالح, عن ابن عباس, قوله: كأسا دِهاقا قال: ملأى.
27914ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: أخبرني سليمان بن بلال, عن جعفر بن محمد, عن عمرو بن دينار, قال: سمعت ابن عباس يُسئل عن كأسا دِهاقا قال: داركا, قال يونس, قال ابن وهب: الذي يَتْبع بعضهُ بعضا.
حدثني عليّ,قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وكأسا دِهاقا يقول: ممتلئا.
27915ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا حميد الطويل, عن ثابت البُنَانيّ, عن أبي رافع, عن أبي هريرة, في قوله: كأسا دِهاقا قال: دمادم.
27916ـ قال: ثنا ابن علية, قال: حدثنا أبو رجاء, عن الحسن, في قوله: وكأسا دِهاقا قال: مَلأى.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن يونس, عن الحسن وكأسا دِهاقا قال: المَلأى.
27917ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد وكأسا دِهاقا قال: مَلأى.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبي عديّ, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, عن مجاهد, مثله.
27918ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن سعيد بن أبي عَرُوبة, عن قتادة, في قوله: وكأسا دِهاقا قال: مُتْرَعةَ مْلأى.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وكأسا دِهاقا قال: الدهاق: المَلأى المُتْرَعة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: كأْسا دِهاقا قال: الدهاق: الممتلئة.
27919ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: كأْسا دِهاقا قال: الدّهاق المملوءة.
وقال آخرون: الدّهاق: الصافية. ذكر من قال ذلك:
27920ـ حدثنا محمد بن يحيى الأزديّ وعباس بن محمد, قالا: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, قال: حدثنا عمر بن عطاء, عن عكرِمة, في قوله: وكأْسا دِهاقا قال: صافية.
وقال آخرون: بل هي المتتابعة. ذكر من قال ذلك:
27921ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: قال سعيد بن جُبير في قوله: وكأْسا دِهاقا دهاقا: المتتابعة.
27922ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وكأْسا دِهاقا قال: المتتابع.
27923ـ حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا جرير, عن حصين, عن عكرِمة, عن ابن عباس, في قوله: وكأْسا دِهاقا قال: الملأى المتتابعة.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, في قوله: وكأْسا دِهاقا قال: المتتابعة.
وقوله: لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْوا وَلا كِذّابا يقول تعالى ذكره: لا يسمعون في الجنة لغوا, يعني باطلاً من القول, ولا كذّابا, يقول: ولا مكاذبة, أي لا يكذب بعضهم بعضا. وقرأت القرّاء في الأمصار بتشديد الذال على ما بيّنت في قوله: وكَذّبُوا بآياتِنا كِذّابا سوى الكسائي فإنه خفّفها لما وصفت قبل, والتشديد أحبّ إليّ من التخفيف, وبالتشديد القراءة, ولا أرى قراءة ذلك بالتخفيف لإجماع الحجة من القرّاء على خلافه ومن التخفيف قول الأعشى:
فَصَدَقْتُها وكَذَبْتُهاوالمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهْ
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
27924ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة لَغْوا وَلا كَذّابا قال: باطلاً وإثما.
27925ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْوا وَلا كِذّابا قال: وهي كذلك ليس فيها لغوٌ ولا كذّابٌ.

الآية : 36-38

القول في تأويل قوله تعالى:{جَزَآءً مّن رّبّكَ عَطَآءً حِسَاباً * رّبّ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرّحْمَنِ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً * يَوْمَ يَقُومُ الرّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفّاً لاّ يَتَكَلّمُونَ إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً }.
يعني بقوله جلّ ثناؤه: جَزَاءً مِنْ رَبكَ عَطاءً أعطى الله هؤلاء المتقين ما وصف في هذه الآيات ثوابا من ربك بأعمالهم, على طاعتهم إياه في الدنيا.
وقوله: عَطاءً يقول: تفضلاً من الله عليهم بذلك الجزاء, وذلك أنه جزاهم بالواحد عشرا في بعض, وفي بعض بالواحد سبع مِئَة, فهذه الزيادة وإن كانت جزاء فعطاء من الله.

وقوله: حِسابا يقول: محاسبة لهم بأعمالهم لله في الدنيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

27926ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: جَزَاءً مِنْ رَبّكَ عَطاءً حسِابا قال: عطاء منـه حسـابا لما عملوا.

27927ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة جَـزَاءً مِنْ رَبّـكَ عَطـاءً حِسـابا: أي عطـاء كـثيرا, فجزاهـم بالعمـل اليسـير, الخيـر الجسيم, الذي لا انقطاع له.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن مَعْمـر, عـن قتـادة, فـي قوله: عَطاءً حِسابا قال: عطاء كثيرا وقـال مجاهـد: عطـاء مـن اللـه حسـابا بأعمالهم.

27928ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: سمعت ابن زيد يقول في قول الله: جَزَاءً مِنْ رَبّكَ عَطاءً حسابا فقـرأ: إنّ لِلْمُتّقِيـنَ مَفـازا حَـدَائِقَ وأعْنابا وكَوَاعِبَ أتْرَابا... إلى عَطاءً حسابا قال: فهذه جزاء بأعمـالهم عطـاء الذي أعطاهم, عملوا له واحدة, فجزاهم عشرا, وقـرأ قـول اللـه: مَـنْ جـاءَ بالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا, وقرأ قول الله: مَثَلُ الّذِينَ يُنْفِقُـونَ أمْـوَالَهُمْ فِـي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبّةٍ أنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ قال: يزيد من يشاء, كان هذا كله عطاء, ولم يكن أعمـالاً يحسـبه لهم, فجزاهم به حتى كأنهم عملوا له, قال: ولم يعملـوا إنمـا عملـوا عشـرا, فأعطاهم مئة, وعملوا مئة, فأعطاهم ألفا, هـذا كلـه عطـاء, والعمـل الأوّل, ثم حَسَب ذلك حتى كأنهم عملوا, فجزاهم كما جزاهم بالذي عملوا.

وقوله: رَبّ السّمَواتِ والأرْضِ وَما بَيْنَهُما الرّحْمَنِ يقول جلّ ثنـاؤه: جـزاء من ربك ربّ السموات السبع والأرض وما بينهما من الخلق.

واختلف القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة: «رَبّ السّمَوَاتِ والأرْضِ وَما بَيْنَهُما الرّحْمَنُ» بالرفع في كليهما. وقرأ ذلك بعضُ أهل البصرة وبعضُ الكوفيين: رَبّ خفضا «والرّحْمَنُ» رفعا ولكلّ ذلك عندنا وجه صـحيح, فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب, غير أن الخفض في الربّ, لقربه مـن قـوله جَزَاءً مِنْ رَبّكَ: أعجب إليّ, وأما الرّحْمَـنُ بـالرفع, فـإنه أحسـن, لبعـده مـن ذلك.

وقوله: الرّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطابا يقول تعالى ذكره: الرحمـن لا يقـدر أحد من خلقه خطابه يوم القيامة, إلا من أذن له منهم, وقـال صـوابا. وبنحـو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

27929ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خطابا قال: كلاما.

27930ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لا يَمْلِكُونَ مِنْه خِطابا: أي كلاما.

27931ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطابا قال: لا يملكـون أن يخـاطبوا اللـه, والمخـاطِب: المخاصم الذي يخاصم صاحبه.

وقوله: يَوْمَ يَقُومُ الرّوحُ اختلف أهل العلم في معنى الروح في هذا الموضع, فقال بعضهم: هو مَلك من أعظم الملائكة خَلْقا. ذكر من قال ذلك:

27932ـ حدثني محمد بن خلف العَسْقَلانيّ, قال: حدثنا روّاد بن الجرّاح, عن أبي حمزة, عن الشعبيّ, عن علقمة, عن ابن مسعود, قال: الرّوح ملك في السماء الرابعة, هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة, يسبح الله كلّ يوم اثني عشر ألف تسبيحة, يخلق الله من كلّ تسبيحة مَلَكا من الملائكة, يجيء يوم القيامة صفّا وحده.

27933ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يَوْمَ يَقُومُ الرّوحُ والمَلائِكَةُ قال: هو ملك أعظم الملائكة خَلْقا.

وقال آخرون: هو جبريل عليه السلام. ذكر من قال ذلك:

27934ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي سنان, عن ثابت, عن الضحاك يَوْمَ يَقُومُ الرّوحُ قال جبريل عليه السلام.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الضحاك يَوْمَ يَقُومُ الرّوح قال: الروح: جبريل عليه السلام.

27935ـ حدثنا محمد بن خَلَف العَسْقَلانيّ, قال: حدثنا روّاد بن الجرّاح, عن أبي حمزة عن الشعبيّ يَوْمَ يَقُومُ الرّوحُ قال: الروح جبريل عليه السلام.

وقال آخرون: خَلْق من خلق الله في صورة بني آدم. ذكر من قال ذلك:

27936ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال الرّوحُ خَلْقٌ على صورة بني آدم, يأكلون ويشربون.

27937ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن مسلم, عن مجاهد, قال الرّوح: خلق لهم أيد وأرجل وأراه قال: ورؤوس يأكلون الطعام, ليسوا ملائكة.

27938ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا سفيان, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح, قال: يشبهون الناس, وليسوا بالناس.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن سليمان, عن مجاهد, قال الرّوحُ: خَلْق كخلق آدم.

27939ـ حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جدّه, عن الأعمش, في قوله: يَوْمَ يَقُومُ الرّوحُ وَالمَلائِكَةُ صَفّا قال: الروح خلق من خلق الله يُضْعِفون على الملائكة أضعافا, لهم أيد وأرجل.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا معتمر بن سليمان, عن إسماعيل, عن أبي صالح مولى أم هانىء يَوْمَ يَقُومُ الرّوحُ وَالمَلائِكَةُ قال: الروح: خلق كالناس, وليسوا بالناس.

وقال آخرون: هم بنو آدم. ذكر من قال ذلك:

27940ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يَوْمَ يَقُومُ الرّوح قال: هم بنو آدم, وهو قول الحسن.

27941ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن, في قوله: يَوْمَ يَقُومُ الرّوحُ: قال: الروح بنو آدم. وقال قتادة: هذا مما كان يكتمه ابن عباس.

وقال آخرون: قيل: ذلك أرواح بني آدم. ذكر من قال ذلك:

27942ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابـن عبـاس, قـوله: يَـوْمَ يَقُـومُ الـرّوحُ وَالمَلائِكَـةُ صَـفّا لا يَتَكَلّمُونَ قال: يعني حين تقوم أرواح الناس مع الملائكة, فيما بين النفخـتين, قبل أن تردّ الأرواح إلى الأجساد.

وقال آخرون: هو القرآن. ذكر من قال ذلك:

27943ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, كان أبي يقول: الروح: القرآن, وقرأ وكَذَلِكَ أَوْحَيْنا إلَيْكَ رُوحا مِنْ أمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي ما الْكِتابُ وَلا الإيمَانُ.

والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنّ خَلْقه لا يملكون منه خطابا, يوم يقوم الرّوح, والرّوح: خَلْق من خلقه. وجائز أن يكـون بعـض هذه الأشياء التي ذكرت, والله أعلم أيّ ذلك هو؟ ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعنيّ به دون غيره, يجـب التسـليم لـه, ولا حجـة تـدلّ عليـه, وغيـر ضـائر الجهل به.

وقيل: إنه يقول: سِمَاطان. ذكر من قال ذلك:

27944ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: أخبرنا منصور بن عبد الرحمن, عن الشعبيّ, في قوله: يَوْمَ يَقُومُ الرّوحُ وَالمَلائِكَةُ صَفّا لا يَتَكَلّمُـونَ إلاّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرّحْمَنُ قـال: همـا سِـماطان لـربّ العـالمين, يـوم القيامـة: سِماط من الروح, وسِماط من الملائكة.

وقوله: لا يَتَكَلّمُونَ إلاّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرّحْمَنُ قيل: إنهم يُؤْذَن لهم في الكلام, حين يُؤْمَر بأهل النار إلى النار, وبأهل الجنة إلى الجنة.

27945ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن أبيه, قال: حدثنا أبو عمرو, الذي يقصّ في طيء عن عكرمة, وقرأ هـذه الآيـة: إلا مَنْ أذِنَ لَهُ الرّحْمَنُ وَقالَ صَوَابا قال: يمرّ بأناس من أهل النار علـى ملائكـة, فيقولون: أيـن تـذهبون بهـؤلاء؟ فيقـال: إلـى النـار, فيقولـون: بمـا كَسَـبت أيديهم, وما ظلمهم الله, ويمرّ بأناس من أهـل الجنـة علـى ملائكـة, فيقـال: أين تذهبون بهـؤلاء؟ فيقولـون: إلـى الجنـة, فيقولـون: برحمـة اللـه دخلتـم الجنة, قال: فيُؤذَن لهم في الكلام, أو نحو ذلك.

وقال آخرون: إلاّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرّحمنُ بالتوحيد وَقالَ صَوَابا في الدنيا, فوحّد الله. ذكر من قال ذلك:

27946ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, في قوله: إلاّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرّحْمَنُ وَقالَ صَوَابا يقـول: إلا مـن أذن له الربّ بشهادة أن لا إله إلا الله, وهي منتهى الصواب.

27947ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد وَقالَ صَوَابا قال حقا في الدنيا, وعمل به.

27948ـ حـدثنا عمـرو بـن علـيّ, قـال: حـدثنا أبـو معاويـة, قـال: حـدثنا إسماعيل, عن أبي صالح في قـوله: إلاّ مَـنْ أذِنَ لَـهُ الرّحْمَـنُ, وَقـالَ صَـوَابا قال: لا إله إلا الله.

قال أبو حفص: فحدثت به يحيى بن سعيد, فقال: أنا كتبته عن عبد الرحمن بن مهديّ, عن أبي معاوية.

27949ـ حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حـدثنا حفـص بـن عمر العَدَنيّ, قال: حدثنا الحكم بن أبان, عن عكرِمة في قـوله: إلاّ مَـنْ أذِنَ لَهُ الرّحْمَنُ وَقالَ صَوَابا قال: لا إله إلا الله.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن خلقه أنهم لا يتكلمون يوم يقوم الروح والملائكـة صـفا, إلا مـن أذن لـه منهـم فـي الكلام الرحمن, وقال صوابا, فالواجب أن يقال كما أخـبر إذ لـم يخبرنـا فـي كتـابه, ولا علـى لسـان رسـوله, أنـه عَنَـى بـذلك نوعـا مـن أنـواع الصـواب, والظاهر محتمل جميعه.

الآية : 39-40

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقّ فَمَن شَآءَ اتّخَذَ إِلَىَ رَبّهِ مَآباً * إِنّآ أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنظُرُ الْمَـرْءُ مَـا قَـدّمَتْ يَـدَاهُ وَيَقُـولُ الْكَـافِرُ يَلَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً }.

يقول تعالى ذكره: ذلكَ اليَوْمُ يعني: يوم القيامة, وهو يـوم يقـوم الـروح والملائكة صفا الْحَقّ: يقول: إنه حقّ كائن, لا شكّ فيه.

وقوله: فَمَنْ شاءَ اتّخَذَ إلى رَبّـهِ مآبـا يقـول: فمـن شـاء مـن عبـاده اتخـذ بالتصديق بهذا اليوم الحقّ, والاستعداد له, والعمـل بمـا فيـه النجـاة لـه مـن أهواله مآبا, يعني: مرجعا وهو مَفْعَل, من قولهم: آب فلان من سـفره, كمـا قال عُبَيد:

وكُلّ ذِي غَيْبَةٍ يَؤُبُوغائِبُ المَوْت لا يَؤُبُ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

27950ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَمَـنْ شاءَ اتّخَذَ إلى رَبّهِ مآبا قال: اتخذوا إلى الله مآبا بطاعته, وما يقرّبهم إليه.

27951ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة إلى رَبّهِ مآبا قال: سبيلاً.

27952ـ حدثنا ابن حميد, قـال: حـدثنا مهـران, عـن سـفيان مآبـا يقـول: مرجعا منزلاً.

وقوله: إنّا أنْذَرْناكُمْ عَذَابا قَرِيبا يقول: إنا حذْرناكم أيها الناس عذابا قد دنـا منكم وقرُب, وذلك يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ المؤمن ما قَدّمَتْ يَدَاهُ من خيـر اكتسـبه في الدنيا, أو شرك سَلَفَ, فيرجـو ثـواب اللـه علـى صـالح أعمـاله, ويخـاف عقابه على سيئها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكـر مـن قـال ذلك:

27953ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن مبارك, عن الحسـن يَـوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ ما قَـدّمَتْ يَـدَاهُ قـال: المـرء المـؤمن يحـذَر الصـغيرة, ويخـاف الكبيرة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن محمد بـن جَحّـادة, عن الحسن يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ ما قَدّمَتْ يَدَاهُ قال: المرء المؤمن.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن محمد بن جحادة, عن الحسن, في قوله: يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ ما قَدّمَتْ يَـدَاهُ قـال: المـرء المؤمن.

وقوله: وَيَقُولُ الكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابا يقول تعالى ذكره: ويقول الكـافر يومئذٍ تمنيا لما يلقى من عذاب اللـه الـذي أعـدّه لأصـحابه الكـافرين بـه: يـا

ليتني كنت ترابا, كالبهائم التي جُعِلت تُرابا. وبنحو الـذي قلنـا فـي ذلـك قـال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
27954ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر وابن أبي عديّ, قالا: حدثنا عوف, عن أبي المغيرة, عن عبد اللـه بـن عمـرو, قـال: إذا كـان يـوم القيامـة, مـدّ الأديـم, وحشـر الـدوابّ والبهـائم والـوحش, ثـم يحصـل القصاص بين الدوابّ, يقتصّ للشاة الجَمّاء من الشاة القَرْنـاء نَطْحَتهـا, فـإذا فُرِغ من القِصاص بين الدوابّ, قال لها: كوني ترابا, قـال: فعنـد ذلـك يقـول الكَافر: يا ليتني كنت ترابا.
27955ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قـال: حـدثنا ابـن ثـور, عـن معمـر قـال: وحدثني جعفر بن بُرْقان, عن يزيد بن الأصمّ, عن أبي هريرة, قـال: إن اللـه يحشرُ الخلق كلهم, كل دابـة وطـائر وإنس ان, يقـول للبهـائم والطيـر كونـوا ترابا, فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابا.
27956ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا المحاربيّ عبدُ الرحمـن بـن محمـد, عن إسماعيل بن رافـع المـدَنيّ, عـن يزيـد بـن زيـاد, عـن محمـد بـن كعـب القُرَظِيّ, عن رجل من الأنصار, عن أبي هريرة, أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم قال: «يَقْضِي اللّهُ بَينَ خَلْقِهِ الجِنّ والإنْس والبَهـائِم, وإنّـهُ لَيَقِيـدُ يَوْمَئِذٍ الجَمّاءِ مِنَ القَرْناءِ, حتى إذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لأُخْرَى, قالَ اللّـهُ: كُونُوا تُرَابا, فَعِنْدَ ذلكَ يَقُولُ الكافِرُ: يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابا».
27957ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ ما قَدّمَتْ يَداهُ وَيَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابا وهـو الهالـك المُفْرِط العاجز, وما يمنعه أن يقول ذلك وقد راج عليه عَـوْراتُ عملـه, وقـد استقبل الرحمن وهو عليه غضبان, فتمنى الموت يومئذٍ, ولم يكن في الـدنيا شيء أكره عنده من الموت.
27958ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن أبـي الزّنـاد عبد الله بن ذَكْوان, قال: إذا قُضِي بين الناس, وأمر بأهل النار إلى النار قيل لمؤمني الجنّ ولسائر الأمم سوى ولـد آدم: عُـودُوا ترابـا, فـإذا نظـر الكفـار إليهم قد عادوا ترابا, قال الكافر: يا ليتني كنت ترابا.
27959ـ حدثنا ابن حميد, قـال: حـدثنا مهـران, عـن سـفيان, فـي قـوله: وَيَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابـا: قـال: إذا قيـل للبهـائم: كونـوا ترابـا, قـال الكافر: يا ليتني كنت ترابا.

سورة النازعات

سورة النازعات مكية
وآياتها ست وأربعون
بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1-9

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَالنّازِعَـاتِ غَرْقـاً * وَالنّاشِـطَاتِ نَشْـطاً * وَالسّابِحَاتِ سَبْحاً * فَالسّابِقَاتِ سَـبْقاً * فَالْمُـدَبّرَاتِ أَمْـراً * يَـوْمَ تَرْجُـفُ الرّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ }.

أقسم ربنا جلّ جلاله بالنازعات, واختلف أهل التأويل فيها, وما هي؟ وما تنزع؟ فقال بعضهم: هم الملائكة التي تنزع نفوس بني آدم, والمنزوع نفوس الآدميين. ذكر من قال ذلك:

27960ـ حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل, قال: حدثنا النضّر بن شُمَيل, قال: أخبرنا شُعبة, عن سليمان, قال: سمعت أبا الضّحى, عن مسروق, عن عبد الله والنّازِعاتِ غَرْقا قال: الملائكة.

27961ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن مسلم, عن مسروق: أنه كان يقول في النازعات: هي الملائكة.

27962ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يوسف بن يعقوب, قال: حدثنا شعبة, عن السديّ, عن أبي صالح, عن ابن عباس, في النازعات, قال: حين تنزع نفسه.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: والنّازِعاتِ غَرْقا قال: تَنْزِع الأنفس.

27963ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد, في قوله: والنّازِعاتِ غَرْقا قال: نزعت أرواحهم, ثم غرقت, ثم قذف بها في النار.

وقال آخرون: بل هو الموت يَنْزِع النفوس. ذكر من قال ذلك:

27964ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد والنّازِعاتِ غَرْقا قال: الموت.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عبد الله بن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

وقال آخرون: هي النجوم تَنْزِع من أُفق إلى أفق.

27965ـ حدثنا الفضل بن إسحاق, قال: حدثنا أبو قُتَيبة, قال: حدثنا أبو العوّام, أنه سمع الحسن في النّازِعاتِ غَرْقا قال: النجوم.

27966ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: والنّازِعاتِ غَرْقا قال: النجوم.

وقال آخرون: هي القِسِيّ تَنزِع بالسهم. ذكر من قال ذلك:

27967ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن واصل بن السائب, عن عطاء والنّازِعاتِ غَرْقا قال القِسِيّ.

وقال آخرون: هي النفس حين تنزع. ذكر من قال ذلك:

27968ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن السديّ والنّازِعاتِ غَرْقا قال: النفس حين تغرق في الصدر.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالنازعات غرقا, ولم يخصُصْ نازعة دون نازعة, فكلّ نازعة غَرْقا, فداخلة في قَسَمه, مَلَكا كان أو موتا, أو نجما, أو قوسا, أو غير ذلك. والمعنى: والنازعات إغراقا, كما يغرق النازع في القوس.

وقوله: والنّاشِطاتِ نَشْطا اختلف أهل التأويل أيضا فيهنّ, وما هنّ, وما الذي يَنْشِط, فقال بعضهم: هم الملائكة, تَنْشِط نفس المؤمن فتقبضها, كما يُنْشَط العِقال من البعير إذا حُلّ عنه. ذكر من قال ذلك:

27969ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: والنّاشِطاتِ نَشْطا قال: الملائكة.
وكان الفرّاء يقول: الذي سمعت من العرب أن يقولوا: أنْشَطْت, وكأنما أُنْشط من عِقال, ورَبْطُها: نشطها, والرابط: الناشِط قال: وإذا ربطت الحبل في يد البعير فقد نَشَطته تَنْشِطهُ, وأنت ناشِط, وإذا حللته فقد أنشطته.
وقال آخرون: النّاشِطاتِ نَشْطا هو الموت يَنْشِط نفسَ الإنسان. ذكر من قال ذلك:
27970ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد والنّاشِطاتِ نَشْطا قال: الموت.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الله بن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
27971ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يوسف بن يعقوب, قال: حدثنا شعبة عن السديّ, عن أبي صالح, عن ابن عباس والنّاشِطاتِ نَشْطا قال: حين تَنْشِط نفسَه.
27972ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن السديّ والنّاشِطاتِ نَشْطا قال: نَشْطُها: حين تُنْشَط من القدمين.
وقال آخرون: هي النجوم تَنْشِط من أفق إلى أفق. ذكر من قال ذلك:
27973ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قوله: والنّاشِطاتِ نَشْطا قال: النجوم.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة والنّاشِطاتِ نَشْطا قال: هنّ النجوم.
وقال آخرون: هي الأوهاق. ذكر من قال ذلك:
27974ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن واصل بن السائب, عن عطاء والنّاشِطاتِ نَشْطا قال: الأوهاق.
والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أقسم بالناشطات نَشْطا, وهي التي تَنْشُط من موضع إلى موضع, فتذهب إليه, ولم يخصص الله بذلك شيئا دون شيء, بل عَمّ القَسَم بجميع الناشطات, والملائكة تَنْشُط من موضع إلى موضع, وكذلك الموت, وكذلك النجوم والأوهاق وبقر الوحش أيضا تَنْشُط, كما قال الطّرِمّاح:
وَهَلْ بِحَلِيفِ الخَيْلِ مِمّنْ عَهِدْتُهُبِهِ غَيْرُ أَحْدانَ النّوَاشِطِ رُوْعُ
يعني بالنواشط: بقر الوحش, لأنها تنشَط من بلدة إلى بلدة, كما قال رُؤْبة بن العجّاج:
تَنَشّطَتْه كُلّ مِغْلاةِ الّوَهَقْ
والهموم تَنْشُط صاحبها, كما قال هِمْيان بن قُحافة:
أمْستْ هُمُومي تَنْشِطُ المَناشِطَاالشّامَ بي طَوْرا وَطَوْرا وَاسِطَا
فكلّ ناشط فداخل فيما أقسم به, إلا أن تقوم حجة يجب التسليم لها, بأن المعنيّ بالقسم من ذلك, بعض دون بعض.
وقوله: والسّابِحاتِ سَبْحا يقول تعالى ذكره: واللواتي تسبحُ سَبْحا.

واختلف أهل التأويل في التي أقسم بها جلّ ثناؤه من السابحات, فقال بعضهم: هي الموت تسبح في نفس ابن آدم. ذكر من قال ذلك:
27975ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد والسّابِحاتِ سَبْحا قال: الموت, هكذا وجدته في كتابي وقد:
حدثنا به ابن حميد, قال: حدثنا مهران, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الله بن أبي نجيح, عن مجاهد والسّابِحاتِ سَبْحا قال: الملائكة, وهكذا وجدت هذا أيضا في كتابي.
فإن يكن ما ذكرنا عن ابن حميد صحيحا, فإن مجاهدا كان يرى أن نزول الملائكة من السماء سباحة, كما يقال للفرس الجواد: إنه لسابح إذا مرّ يُسرع.
وقال آخرون: هي النجوم تَسْبح في فلكها. ذكر من قال ذلك:
27976ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة والسّابِحاتِ سَبْحا قال: هي النجوم.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.
وقال آخرون: هي السّفُن. ذكر من قال ذلك:
27977ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن واصل بن السائب, عن عطاء والسّابِحاتِ سَبْحا قال: السفن.
والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أقسم بالسابحات سَبْحا من خلقه, ولم يخصص من ذلك بعضا دون بعض, فذلك كل سابح, لما وصفنا قبلُ في «النازعات».
وقوله: فالسّابِقاتِ سَبْقا اختلف أهل التأويل فيها, فقال بعضهم: هي الملائكة. ذكر من قال ذلك:
27978ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عبد الله بن أبي نجيح, عن مجاهد فالسّابِقاتِ سَبْقا قال: الملائكة. وقد:
27979ـ حدثنا بهذا الحديث أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فالسّابقاتِ سَبْقا قال: الموت.
وقال آخرون: بل هي الخيل السابقة. ذكر من قال ذلك:
27980ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن واصل بن السائب, عن عطاء فالسّابقاتِ سَبْقا. قال: الخيل.
وقال آخرون: بل هي النجوم يَسبق بعضها بعضا في السير. ذكر من قال ذلك:
27981ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فالسّابِقاتِ سَبْقا قال: هي النجوم.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.
والقول عندنا في هذه, مثل القول في سائر الأحرف الماضية.
وقوله: فالمُدَبّراتِ أمْرا يقول: فالملائكة المدبرة ما أُمِرَت به من أمر الله, وكذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
27982ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فالمُدَبّراتِ أمْرا قال: هي الملائكة.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.

وقوله: يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ يقول تعالى ذكره: يَوْمَ تَرْجُفُ الأرْضُ وَالجِبَالُ للنفخة الأولى تَتْبَعُهاالرّادِفَةُ تتبعها أخرى بعدها, وهي النفخة الثانية التي رَدِفَتِ الأولى, لبعث يوم القيامة. ذكر من قال ذلك:

27983ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ يقول: النفخة الأولى. وقوله: تَتْبَعُها الرّادِفَةُ يقول: النفخة الثانية.

حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرّادِفَةُ يقول: تتبع الآخرةُ الأولى, والراجفة: النفخةُ الأولى, والرادفة: النفخة الأخرة.

27984ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, عن الحسن, قوله: يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرّادِفَةُ قال: هما النفختان: أما الأولى فتَميت الأحياء, وأما الثانية فتُحيي الموتى ثم تلا الحسن: ونُفِخَ فِي الصّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ ثُمّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ.

27985ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرّادِفَةُ قال: هما الصّيْحتان, أما الأولى فتُميت كلّ شيء بإذن الله, وأما الأخرى فتُحيي كل شيء بإذن الله إن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «بَيْنَهُما أرْبَعُونَ» قال أصحابه: والله ما زادنا على ذلك. وذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «يُبْعَثُ فِي تِلْك الأرْبَعِينَ مَطَرٌ يُقالُ لَهُ الْحَياةُ, حتى تَطِيبَ الأرْضُ وتَهْتَزّ, وتَنْبُتَ أجْسادُ النّاس نَباتَ البَقْل, ثُمّ تُنْفَخُ النّفْخَةُ الثّانِيَةُ, فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ».

27986ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المُحَاربيّ, عن إسماعيل بن رافع المَدَنِيّ, عن يزيدبن أبي زياد, عن رجل, عن محمد بن كعب القُرَظِيّ, عن رجل من الأنصار, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم, وذكر الصّور, فقال أبو هريرة: يا رسول الله, وما الصّور؟ قال: «قَرْنٌ», قال: فكيف هو؟ قال: «قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ: الأُولى نَفْخَةُ الفَزَع, والثّانِيَةُ نَفْخَةُ الصّعْق, والثّالِثَةُ نَفْخَةُ القِيام, فَيَفْزَعُ أهْلُ السّمَوَاتِ والأرْض إلاّ مَنْ شاء الله, ويأمر الله فيدِيمُها, ويطوّلها, ولا يَفْتُر, وهي التي تقول: ما ينظر هؤلاء إلاّ صيحة واحدة مالها من فَوَاق, فيسيّر الله الجبال, فتكون سَرابا, وتُرَجّ الأرض بأهلها رجّا, وهي التي يقول: يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ».

27987ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن عبد الله بن محمد بن عقيل, عن الطّفيل بن أبيّ, عن أبيه, قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرّادِفَةُ فقال: «جاءت الراجفة تتبعها الرادفة, جاء الموت بما فيه».

27988ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ: النفخة الأولى, تَتْبَعُها الرّادِفَةُ: النفخة الأخرى.

وقال آخرون في ذلك ما:

27989ـ حدثني به محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ قال: ترجف

الأرض والجبال, وهي الزلزلة. وقوله: الرّادِفَـةُ قـال: هـو قـوله: إذَا السّـماءُ انْشَقّتْ فدُكتا دَكةً واحدة.
وقال آخرون: ترجف الأرض, والرادفة: الساعة. ذكر من قال ذلك:
27990ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجفَةُ الأرض, وفي قوله: تَتْبَعُها الرّادِفَةُ قـال: الرادفـة: الساعة.
واختلف أهل العربية في موضع جواب قوله: والنّازِعات غَرْقا فقال بعـضُ نحويّي البصرة: قوله والنّازِعاتِ غَرْقا: قسم والله أعلـم علـى إنّ فـي ذَلِـكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى وإن شئت جعلتها على يَوْم تَرْجُفُ الرّاجِفَـةُ قُلُـوبٌ يَوْمَئِـذٍ وَاجِفَةٌ وهو كما قال الله وشاء أن يكون في كل هذا, وفي كلّ الأمـور. وقـال بعـض نحـويّي الكُوفـة: جـواب القسـم فـي النازعـات: مـا تُـرِك, لمعرفـة السامعين بالمعنى, كأنه لو ظهر كان لَتُبْعَثُنّ ولتحاسبنّ قال: ويدل على ذلك أئِذَا كُنّا عِظاما نَخِرَةً ألا ترى أنـه كـالجواب لقـوله: لَتُبْعَثُـنّ إذ قـال: أئِـذَا كُنّـا عِظاما نَخِرَةً. وقال آخر منهم نحو هذا, غير أنه قال: لا يجوز حذف اللام فـي جواب اليمين, لأنها إذا حذفت لم يُعرف موضعها, وذلك أنها تلي كلّ كلام.
والصواب من القول في ذلك عندنا: أن جواب القسم في هذا الموضع, مما استغني عنه بدلالة الكلام, فتُرك ذكره.
وقوله: قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ يقول تعالى ذكره: قلوب خَلْقٍ من خلقه يومئذٍ خائفة من عظيم الهول النازل. ذكر من قال ذلك:
27991ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ يقول: خائفة.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: واجفة: خائفة.
27992ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في «واجفة», قال: خائفة.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قـوله قُلُـوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ يقول: خائفة, وجَفَت مما عاينت يومئذٍ.
27993ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ قال: الواجفة: الخائفة.
وقوله: أبْصَارُها خاشِعَةٌ يقول: أبصار أصحابها ذليلة مما قد علاها من الكآبة والحزن من الخوف والرعب الذي قد نزل بهم, من عظيم هول ذلـك اليـوم, كما:
27994ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: أبْصَارُها خاشِعَةٌ قال: خاشعة للذلّ الذي قد نزل بها.
27995ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أبْصَارُها خاشِعَةٌ يقول: ذليلة.

الآية : 10-14

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{يَقُولُونَ أَإِنّـا لَمَـرْدُودُونَ فِـي الْحَـافِرَةِ * أَإِذَا كُنّا عِظَاماً نّخِرَةً * قَالُواْ تِلْكَ إِذاً كَرّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنّمَا هِـيَ زَجْـرَةٌ وَاحِـدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسّاهِرَةِ }.
يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المكذّبون بالبعث من مشركي قريش إذا قيل لهم: إنكم مبعوثون من بعد الموت: أئنا لمردودون إلى حالنا الأولى قبل

الممات, فراجعون أحياء كما كنا قبل هلاكنا, وقبل مماتنا؟ وهو من قولهم: رجع فلان على حافرته: إذا رجع من حيث جاء ومنه قول الشاعر:

أحافِرَةٌ عَلى صَلَعٍ وشَيْبٍمَعاذَ اللّهِ مِنْ سَفَهٍ وطَيْشِ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

27996ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: الْحافِرَةُ: يقول: الحياة.

27997ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله أَئِنّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ يقول: أئنا لنحيا بعد موتنا, ونُبعث من مكاننا هذا؟

27998ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يقول: أَئِنّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ: أَئِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقا جَدِيدا؟

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فِي الْحافِرةِ قال: أي مردودون خَلقا جديدا.

27999ـ حدثنا أبو كُريب, قال: حدثنا وكيع, عن أبي معشر, عن محمد بن قيس أو محمد بن كعب القُرَظيّ أَئِنّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ قال: في الحياة.

28000ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن السديّ أَئِنّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ قال: في الحياة.

وقال آخرون: الحافرة: الأرض المحفورة التي حُفرت فيها قبورهم, فجعلوا ذلك نظير قوله: مِنْ ماءٍ دَافِقٍ يعني مدفوق, وقالوا: الحافرة بمعنى المحفورة, ومعنى الكلام عندهم: أئنا لمردودون في قبورنا أمواتا؟

28001ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: الْحافِرَةِ قال: الأرض, نُبعث خلقا جديدا, قال: البعث.

حدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أَئِنّا لَمَرْدُودونَ فِي الْحافِرَةِ قال: الأرض, نُبعث خلقا جديدا.

وقال آخرون: الحافرة: النار. ذكر من قال ذلك:

28002ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: سمعت ابن زيد يقول في قول الله: أَئِنّا لَمَرْدُودونَ فِي الْحافِرَةِ: قال: الحافرة: النار, وقرأ قول الله: تِلكَ إذا كَرّةٌ خاسِرَةٌ قال: ما أكثر أسماءها, هي النار, وهي الجحيم, وهي سَقَرُ, وهي جَهَنم, وهي الهاوية, وهي الحافرة, وهي لَظَى, وهي الحُطَمة.

وقوله: أَئِذَا كُنّا عِظاما نَخِرَةً اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والحجاز والبصرة نَخِرَةً بمعنى: بالية. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «ناخِرَةً» بألف, بمعنى: أنها مجوّفة, تنخَر الرياح في جوفها إذا مرّت بها. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول: الناخرة والنّخِرة: سواء في المعنى, بمنزلة الطامع والطمع, والباخل والبَخِل وأفصح اللغتين عندنا وأشهرهما عندنا: نَخِرَةً, بغير ألف, بمعنى: بالية, غير أن رؤوس الآي قبلها وبعدها جاءت بالألف, فأعْجَبُ إليّ لذلك أن تُلْحَق ناخرة بها, ليتفق هو وسائر رؤوس الآيات, لولا ذلك كان أعجب القراءتين إليّ حذف الألف منها. ذكر من قال نَخِرَةً: بالية:

28003ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس أئِذَا كُنّا عِظاما نَخِرَةً فالنخرة: الفانية البالية.
28004ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد عِظاما نَخِرَةً قال: مَرْفوتة.
28005ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أئِذَا كُنّا عِظاما: تكذيبا بالبعث, ناخرة: بالية.
قالوا تِلكَ إذا كَرّةٌ خاسِرَةٌ يقول جلّ ثناؤه عن قيل هؤلاء المكذّبين بالبعث, قالوا: تلك, يعنون تلـك الرجعـة, أحيـاء بعـد الممـات, إذا: يعنـون الآن كـرّة, يعنون رَجْعة خاسـرة, يعنـون غابنـة. وبنحـو الـذي قلنـا فـي ذلـك قـال أهـل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28006ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إذا كَرّةٌ خاسِرَةٌ: أي رَجْعة خاسرة.
28007ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: تِلكَ إذا كَرّةٌ خاسِرَةٌ. قال: وأيّ كرّة أخسر منها, أحيوا ثم صـاروا إلـى النار, فكانت كرّة سوء.
وقوله: فإنّمَا هيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ يقول تعالى ذكره: فإنما هي صَيْحة واحدة, ونفخة تُنفَخ في الصّور, وذلك هو الزّجْرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28008ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ قال: صيحة.
28009ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ قال: الزّجرة: النفخة في الصور.
وقوله: فإذَا هُمْ بالسّاهرَةِ يقول تعالى ذكره: فإذا هؤلاء المكذّبون بالبعث, المتعجبـون مـن إحيـاء اللـه إيـاهم مـن بعـد ممـاتهم, تكـذيبا منهـم بـذلك, بالساهرة, يعني بظهر الأرض. والعرب تسمي الفلاة ووجه الأرض: سـاهرة, وأراهم سموا ذلك بها, لأن فيه نوم الحيوان وسَهَرها, فوصف بصفة مـا فيـه ومنه قول أميّة بن الصّلْت:
وفِيها لَحْمُ ساهِرَةٍ وبَحْرٍوَما فاهُوا بِهِ لَهُمُ مُقِيمُ
ومنه قول أخي نهم يوم ذي قار لفرسه:
أَقْدِمْ «مِحاجُ» إنها الأساوِرَهْوَلا يَهُولَنّكَ رِجْلٌ نادِرَه
فإنّمَا قَصْرُكَ تُرْبُ السّاهِرَهْثُمّ تَعُودُ بَعْدَها فِي الْحافِرَهْ
مِنْ بَعْدِ ما كُنْتَ عِظاما ناخِرَهْ
واختلف أهل التأويل في معناها, فقال بعضهم مثل الذي قلنا. ذكر من قال ذلك:
28010ـ حدثني يعقوب بـن إبراهيـم, قـال: حـدثنا هشـيم, قـال: أخبرنـا حصين, عن عكرِمة, عن ابن عباس, في قوله: فإذَا هُمْ بالسّاهِرَةِ قال: على الأرض, قال: فذكر شعرا قاله أمية بن أبي الصلت, فقال:
عِنْدَنا صَيْدُ بَحْرِ وَصَيْدُ ساهِرَةٍ

28011ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن بَزِيع, قال: حـدثنا أبـو محصـن, عـن حصين, عن عكرِمة, في قوله: فإذَا هُـمْ بالسّـاهِرَة قـال: السـاهرة: الأرض, أما سمعت: لهم صيد بحر, وصيد ساهرة.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله فإذَا هُمْ بالسّاهِرَةِ يعني: الأرض.
حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا عُمارة بن أبي حفصـة, عن عكرِمة, في قوله فإذَا هِمْ بالسّاهرَةِ قـال: فـإذا هـم علـى وجـه الأرض, قال: أوَ لم تسمعوا ما قال أُمية بن أبي الصلت لهم:
وفِيها لَحْمُ ساهِرَةٍ وبَحْرٍ
حدثنا عمارة بن موسى, قال: حدثنا عبد الوارث بن سـعيد, قـال: حـدثنا عمارة, عن عكرمة, في قوله: فإذَا هُمْ بالسّاهِرةِ قال: فـإذا هـم علـى وجـه الأرض, قال أمية:
وفِيها لَحْمُ ساهِرَةٍ وبَحْرٍ
28012ـ حدثنا يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, عن الحسـن فإذَا هُمْ بالسّاهِرَةِ فإذا هم على وجه الأرض.
28013ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن. قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: بالسّاهِرَةِ قال: المكان المستوي.
28014ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة, لمـا تباعد البعث في أعين القـوم, قـال اللـه فإنّمَـا هِـيَ زَجْـرَةٌ وَاحِـدَةٌ فـإذَا هُـمْ بالسّاهِرَةِ يقول: فإذا هم بأعلى الأرض, بعد ما كانوا في جوفها.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة بالسّاهِرَةِ قال: فإذا هم يخرجون من قبـورهم فـوق الأرض, والأرض: السـاهرة, قـال: فإذا هم يخرجون.
28015ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سـفيان, عـن خَصِـيف, عن عكرِمة وأبي الهيثم, عن سعيد بن جُبير فإذَا هُمْ بالسّاهِرَةِ قال: بالأرض.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبي الهيثم, عن سعيد بن جُبير, مثله.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن حصين, عن عكرمة, مثله.
28016ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فإذَا هُمْ بالسّاهِرَة: وجه الأرض.
28017ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: فإذَا هُمْ بالسّاهِرَةِ قال: الساهرة: ظهر الأرض فوق ظهرها.
وقال آخرون: الساهرة: اسم مكان من الأرض بعينه معروف. ذكر من قال ذلك:
28018ـ حدثني عليّ بن سهل, قال: ثني الوليد بن مسلم, عن عثمان بن أبي العاتكة, قوله: فإنّمَا هيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فإذَا هُمْ بالسّـاهِرَةِ قـال: بالصّـقْع الذي بين جبل حَسّان, وجبل أرِيحاء, يمدّه الله كيف يشاء.
28019ـ حـدثنا ابـن حميـد, قـال: حـدثنا مهـران, عـن سـفيان فـإذَا هُـمْ بالسّاهِرَةِ قال: أرض بالشام.
وقال آخرون: هو جبل بعينه معروف. ذكر من قال ذلك:

28020ـ حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا الحسن بن بلال, قال: حدثنا حماد, قال: أخبرنا أبو سنان, عن وهب ابن منبه, قال في قول الله: فإذَا هُمْ بالسّاهِرَةِ قال: الساهرة: جبل إلى جنب بيت المقدس.
وقال آخرون: هي جهنم. ذكر من قال ذلك:
28021ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن مروان العقيلي, قال: ثني سعيد بن أبي عَرُوبة, عن قتادة فإذَا هُمْ بالسّاهِرَةِ قال: في جهنم.

الآية : 15-18

القول في تأويل قوله تعالى:{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىَ * إِذْ نَادَاهُ رَبّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَىَ فِرْعَوْنَ إِنّهُ طَغَىَ * فَقُلْ هَل لّكَ إِلَىَ أَن تَزَكّىَ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: هل أتاك يا محمد حديث موسى بن عمران, وهل سمعت خبره حين ناجاه ربه بالواد المقدّس, يعني بالمقدّس: المطهّر المبارك. وقد ذكرنا أقوال أهل العلم في ذلك فيما مضى, فأغنى عن إعادته في هذا الموضع, وكذلك بيّنا معنى قوله: طُوًى وما قال فيه أهل التأويل, غير أنا نذكر بعض ذلك ها هنا.
وقد اختلف أهل التأويل في قوله: طُوًى فقال بعضهم: هو اسم الوادي. ذكر من قال ذلك:
28022ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: طُوًى اسم الوادي.
28023ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّكَ بالْوَادِ المُقَدّسِ طُوًى قال: اسم المقدّس طُوًى.
28024ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إذْ نادَاهُ رَبّهُ بالْوَادِ المُقَدّسِ طُوًى كنا نحدّث أنه قدّس مرّتين, واسم الوادي طُوًى.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: طَأ الأرض حافيا. ذكر بعض من قال ذلك:
28025ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد إنّكَ بالْوَاد المُقَدّسِ طُوًى قال: طَأ الأرض بقدمك.
وقال آخرون: بل معنى ذلك أن الوادي قُدّس طُوًى: أي مرّتين, وقد بيّنا ذلك كله ووجوهه, فيما مضى بما أغني عن إعادته في هذا الموضع. وقرأ ذلك الحسن بكسر الطاء, وقال: بُثّتْ فيه البركة والتقديس مرّتين.
28026ـ حدثنا بذلك أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا هشيم, عن عوف, عن الحسن.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة «طُوَى» بالضمّ ولم يُجْرُوه وقرأ ذلك بعض أهل الشأم والكوفة: طُوًى بضمّ الطاء والتنوين.
وقوله: اذْهَبْ إلى فِرْعَوْنَ إنّهُ طَغَى يقول تعالى ذكره: نادى موسى ربّه: أنِ اذهب إلى فرعون, فحذفت «أن», إذ كان النداء قولاً, فكأنه قيل لموسى قال ربه: اذهب إلى فرعون. وقوله: إنّهُ طَغَى يقول: عتا وتجاوز حدّه في العدوان, والتكبر على ربه.
وقوله: فَقُلْ هَلْ لَكَ إلى أنْ تَزَكّى يقول: فقل له: هل لك إلى أن تتطهّر من دنس الكفر, وتؤمَنَ بربك؟ كما:

28027ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: هَلْ لَكَ إلى أنْ تَزَكّى قال: إلى أن تسلم. قال: والتزكّي في القرآن كله: الإسلام وقرأ قول الله وَذَلَكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكّى قال: من أسلم, وقرأ: وَما يُدْرِيكَ لَعَلّهُ يَزّكّى قال: يسلم, وقرأ: وَما عَلَيْكَ ألاّ يَزّكّى أن لا يسلم.

28028ـ حدثني سعيد بن عبد الله بن عبد الحَكَم, قال: حدثنا حفص بن عُمَرَ العَدَنِيّ, عن الحكيم بن أبان, عن عكرِمة, قول موسى لفرعون: هَلْ لَكَ إلى أنْ تَزّكّى هل لك إلى أن تقول لا إلهَ إلا الله.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: تَزَكّى فقرأته عامة قرّاء المدينة: «تزّكّى» بتشديد الزاي, وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة: إلى أنْ تَزَكّى بتخفيف الزاي. وكان أبو عمرو يقول, فيما ذُكر عنه: «تَزّكّى» بتشديد الزاي, بمعنى: تتصدّق بالزكاة, فتقول: تتزكى, ثم تدغم وموسى لم يدع فرعون إلى أن يتصدّق وهو كافر, إنما دعاه إلى الإسلام, فقال: تزكى: أي تكون زاكيا مؤمنا, والتخفيف في الزاي هو أفصح القراءتين في العربية.

الآية : 19-24

القول في تأويل قوله تعالى:{وَأَهْدِيَكَ إِلَىَ رَبّكَ فَتَخْشَىَ * فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَىَ * فَكَذّبَ وَعَصَىَ * ثُمّ أَدْبَرَ يَسْعَىَ * فَحَشَرَ فَنَادَىَ * فَقَالَ أَنَاْ رَبّكُمُ الأعْلَىَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه موسى: قل لفرعون: هل لك إلى أن أرشدك إلى ما يرضي ربك عنك, وذلك الدين القيّم فتخشى يقول: فتخشى عقابه بأداء ما ألزمك من فرائضه, واجتناب ما نهاك عنه من معاصيه.

وقوله: فأرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى يقول تعالى ذكره: فأرى موسى فرعونَ الآية الكبرى, يعني الدلالة الكبرى على أنه لله رسول أرسله إليه, فكانت تلك الآية يد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين, وعصاه إذا تحوّلت ثعبانا مبينا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28029ـ حدثني أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم, عن محمد بن سيف أبي رجاء, هكذا هو في كتابي, وأظنه عن نوح بن قيس, عن محمد بن سيف, قال: سمعت الحسن يقول في هذه الآية: فأرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى قال: يده وعصاه.

28030ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فأرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى قال: عصاه ويده.

28031ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فأرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى قال: رأى يد موسى وعصاه, وهما آيتان.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة الآيَةَ الكُبْرَى قال: عصاه ويده.

28032ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد, في قوله: فأرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى قال: العصا والحية.

وقوله: فَكَذّبَ وَعَصى يقول: فكذّب فرعون موسى فيما أتاه من الآيات المعجزة, وعصاه فيما أمره به من طاعته ربه, وخَشيته إياه.

وقوله: ثُمّ أدْبَرَ يَسْعَى يقول: ثم ولى مُعرضا عما دعاه إليه موسى من طاعته ربه, وخشيته وتوحيده يسعى يقول: يعمل في معصية الله, وفيما يُسخطه عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28033ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد. قوله: ثُمّ أدْبَرَ يَسْعَى قال: يعمل بالفساد.

وقوله: فَحَشَرَ فَنادَى يقول: فجمع قومه وأتباعه. فنادى فيهم فَقالَ لهـم: أنا رَبّكُمُ الأعْلَى الذي كلّ ربّ دوني, وكذَبَ الأحمـقُ. وبمثـل الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28034ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: فَحَشَرَ فَنادَى قال: صرخ وحشر قـومه, فنـادى فيهـم, فلمـا اجتمعـوا قال: أنا ربكم الأعلى, فأخذه الله نَكالَ الآخرةِ والأولى.

الآية : 25-28

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{فَأَخَذَهُ اللّهُ نَكَالَ الآخِـرَةِ وَالأُوْلَـى * إِنّ فِـي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لّمَن يَخْشَى * أأَنتُمْ أَشَدّ خَلْقاً أَمِ السّـمَآءُ بَنَاهَـا * رَفَـعَ سَـمْكَهَا فَسَوّاهَا }.

يعني تعالى ذكره بقوله: فأخَذَهُ اللّهُ فعاقبه الله نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى يقول عُقوبة الآخرة من كلمتيه, وهي قوله: أنـا رَبّكُـمُ الأعْلَـى, والأولـى قـوله: مـا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قـال أهـل التأويـل. ذكـر من قال ذلك:

28035ـ حدثنا أبو كريب, قال: سمعت أبا بكر, وسُئل عن هذا, فقال: كان بينهما أربعون سنة, بين قوله: ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيرِي, وقوله: أنا رَبّكُـمُ الأعْلَى, قال: هما كلمتاه, فأخَذَهُ اللّـهُ نَكـالَ الآخِـرَةِ والأُولـى قيـل لـه: مـن ذَكَرَه؟ قال: أبو حُصَين, فقيل له: عن أبي الضّحَى, عـن ابـن عبـاس؟ قـال: نعم.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فأخَذَهُ اللّهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى قال: أما الأولـى فحين قال: ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِن إلَهٍ غَيرِي, وأما الآخرة فحيـن قـال: أنـا رَبّكُـمُ الأعْلَى.

28036ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا محمد بـن أبي الوضّاح, عن عبد الكريم الجَزَريّ, عن مجاهـد, فـي قـوله: فأخَـذَهُ اللّـهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى قال: هو قوله: ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِي, وقوله: أنـا رَبّكُمُ الأعْلَى, وكان بينهما أربعون سنة.

28037ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا أبو عَوانة, عن إسماعيل الأسديّ, عن الشعبيّ, بمثله.

28038ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن زكريـا, عـن عـامر نَكـالَ الآخِرَةِ والأُولى قال: هما كلمتاه: ما عَلِمْـتُ لَكُـمْ مِـنْ إلَـهٍ غَيـري وأنـا رَبّكُـمُ الأعْلَى.

حدثني محمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسـى: وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى: فذلك قوله: مـا عَلِمْـتُ لَكُـمْ مِنْ إلَهٍ غَيري, والآخرة في قوله: أنا رَبّكُمُ الأعْلَى.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثَوْر, عن معمر, قال: أخبرني مـن سمع مجاهدا يقول: كان بين قول فرعون: مـا عَلِمْـتُ لَكُـمْ مِـنْ إلَـهٍ غَيـرِي, وبين قوله: أنا رَبّكُمُ الأعْلَى أربعون سنة.

28039ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: نَكالَ الآخِرَةِ والأولى أما الأولى فحين قال فرعون: ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيرِي, وأما الآخرة فحين قال: أنا رَبّكُمُ الأعْلَى, فأخذه الله بكلمتيه كلتيهما, فأغرقه في اليم.

28040ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فأخَذَهُ اللّهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى قال: اختلفوا فيها, فمنهم من قال: نكال الآخرة من كلمتيه, والأولى قوله: ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِي, وقوله: أنا رَبّكُمُ الأعْلَى.

وقال آخرون: عذاب الدنيا, وعذاب الآخرة, عجّل الله له الغرق, مع ما أعدّ له من العذاب في الآخرة.

28041ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الأعمش, عن خيثمة الجُعْفيّ, قال: كان بين كلمتي فرعون أربعون سنة, قوله: أنا رَبكُمُ الأعْلَى, وقوله: ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيرِي.

28042ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن ثُوير, عن مجاهد, قال: مكث فرعون في قومه بعدما قال: أنا رَبّكُمُ الأعْلَى أربعين سنة.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك: فأخذه الله نكال الدنيا والآخرة. ذكر من قال ذلك:

28043ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هَوْذَة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: فأخَذَهُ اللّهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى قال: الدنيا والآخرة.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن فأَخَذَهُ اللّهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى قال: عقوبة الدنيا والآخرة, وهو قول قتادة.

وقال آخرون: الأولى عصيانه ربه وكفره به, والآخرة قوله: أنا رَبّكُمُ الأعْلَى. ذكر من قال ذلك:

28044ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن إسماعيل بن سميع, عن أبي رَزِين فأخَذَهُ اللّهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى قال: الأولى تكذيبه وعصيانه, والآخرة قوله: أنّا رَبّكُمُ الأعْلَى, ثم قرأ: فَكَذّبَ وَعَصَى ثُمّ أدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنادَى فَقالَ أنا رَبّكُمُ الأعْلَى, فهي الكلمة الآخرة.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك أنه أخذه بأوّل عمله وآخره. ذكر من قال ذلك:

28045ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد فأخَذَهُ اللّهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى قال: أوّل عمله وآخره.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد فأخَذَهُ اللّهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى قال: أول أعماله وآخرها.

28046ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور. عن معمر, عن الكلبيّ: أخَذَهُ اللّهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى قال: نكال الآخرة من المعصية والأولى.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, قوله: نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى قال: عمله للآخرة والأولى.

وقوله: إنّ فِي ذلكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى يقول تعالى ذكره: إن في العقوبة التي عاقب الله بها فرعون في عاجل الدنيا, وفي أخذه إياه, نكالَ الآخرة والأولى: عظة ومعتبرا لمن يخاف الله. ويخشى عقابه, وأخرج نكالَ الآخرة

مصدرا من قوله فأَخَذَهُ اللّـهُ لأن قـوله: فأَخَـذَهُ اللّـهُ نَكّـل بـه, فجعـل نَكـالَ الآخِرَةِ مصدرا من معناه, لا من لفظه.
وقوله: أأَنْتُمْ أشَدّ خَلْقا أم السّماءُ بَناها يقول تعالى ذكره للمكذّبين بالبعث من قريش, القائلين أئِذَا كُنّا عِظاما نَخِرَةً قالُوا تِلـكَ إذًا كَـرّةٌ خاسِـرَةٌ: أأنتـم أيها الناس أشدّ خلقا, أم السماء بناها ربكم؟ فإن مـن بنـى السـماء فرفعهـا سقفا, هَيّـن عليـه خلقكـم وخلـق أمثـالكم, وإحيـاؤكم بعـد ممـاتكم. وليـس خلقكم بعد مماتكم بأشـدّ مـن خلـق السـماء. وعُنـي بقـوله: بَناهـا: رَفَعهـا, فجعلها للأرض سقفا.
وقوله: رَفَعَ سَمْكَها فَسَوّاها يقول تعالى ذكره: فسوّى السماء, فلا شـيء أرفع من شيء, ولا شيء أخفض من شيء, ولكن جميعها مسـتوي الارتفـاع والامتداد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28047ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: رَفَعَ سَمْكَها فَسَوّاها يقول: رفع بناءها فسوّاها.
28048ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: رَفَعَ سَمْكَها فَسَوّاها قال: رفع بناءها بغير عمد.
28049ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: رَفَعَ سَمْكَها يقول: بُنيانها.

الآية : 29-32

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالأرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا }.
وقوله: وأغْطَشَ لَيْلَها يقول تعالى ذكره: وأظلـم ليـل السـماء, فأضـاف الليـل إلـى المسـاء, لأن الليـل غـروب الشـمس, وغروبهـا وطلوعهـا فيهـا, فأضـيف إليهـا لَمّـا كـان فيهـا, كمـا قيـل نجـوم الليـل, إذ كـان فيـه الطلـوع والغروب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28050ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: وأغْطَش لَيْلَها يقول: أظلم ليلها.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وأغْطَشَ لَيْلَها يقول: أظلم ليلها.
28051ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: وأغْطَشَ لَيْلَها قال: أظلم.
28052ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأغْطَشَ لَيْلَها قال: أظلم ليلَها.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وأغْطَشَ لَيْلَها قال: أظلم.
28053ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وأغْطَشَ لَيْلَها قال: الظّلمة.
28054ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وأغْطَشَ لَيْلَها يقول: أظلم ليلَها.
28055ـ حدثنا محمد بن سِنانٍ القزّاز, قال: حدثنا حفص بن عمـر, قـال: حدثنا الحكم عن عكرِمة وأغْطَشَ لَيْلَها قال: أظلم ليلها.

وقوله: وأخْرَجَ ضُحاها يقول: وأخرج ضياءها, يعني: أبرز نهارها فـأظهره, ونوّر ضحاها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28056ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد وأخْرَجَ ضُحاها نوّرها.
28057ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأخْرَجَ ضُحاها يقول: نوّر ضياءها.
28058ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وأخْرَجَ ضُحاها قال: نهارَها.
28059ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وأخْرَجَ ضُحاها قال: ضوء النهار.
وقوله: والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها: اختلف أهل التأويل في معنـى قـوله بَعْـدَ ذلكَ فقال بعضهم: دُحِيت الأرض من بعد خَلق السماء. ذكر من قال ذلك:
28060ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله حيث ذكر خلق الأرض قبـل السـماء, ثـم ذكـر السـماء قبل الأرض, وذلـك أن اللـه خَلـق الأرض بأقواتهـا مـن غيـر أن يـدحوها قبـل السماء, ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات, ثـم دحـا الأرض بعـد ذلك, فذلك قوله: والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها.
28061ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عـن ابـن عبـاس والأرْضَ بَعْـدَ ذلـكَ دَحاها أخْـرَجَ مِنْهـا ماءَهـا وَمَرْعاها والجِبالَ أرْساها يعني: أن الله خلق السـموات والأرض, فلمـا فـرغ من السموات قبل أن يخلق أقوات الأرض فيها, بعد خلـق السـماء, وأرسـى الجبال, يعني بذلك دَحْوها الأقوات, ولم تكنِ تصلح أقـوات الأرض ونباتهـا إلاّ بالليل والنهار, فذلك قوله: والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها ألم تسمع أنه قال: أخْرَجَ مِنْها ماءَها وَمَرعَاها.
28062ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن حفص, عن عكرِمة, عن ابن عباس, قال: وضع البيت علـى المـاء علـى أربعـة أركـان قبـل أن يخلـق الدنيا بألفي عام, ثم دُحيت الأرض من تحت البيت.
28063ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الأعمـش, عن بكير بن الأخنس, عن مجاهد, عن عبد الله بـن عمـرو, قـال: خلـق اللـه البيت قبل الأرض بألفي سنة, ومنه دُحِيت الأرض.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: والأرض مع ذلك دحاها, وقالوا: الأرض خُلِقت ودحيت قبل السماء, وذلك أن الله قال: هُوَ الّذِي خَلَـقَ لَكُـمْ مـا فِـي الأَرْضِ جَمِيعا ثُمّ اسْتَوَى إلى السّماءِ فَسَوّاهُنّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ قـالوا: فـأخبر اللـه أنـه سَوّى السموات بعد أن خلق ما في الأرض جميعا, قالوا فإذا كان ذلك كذلك, فلا وجه لقوله: والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها إلاّ ما ذكرنا, من أنه مع ذلـك دحاهـا, قالوا: وذلك كقول الله عزّ وجلّ: عُتُلّ بَعْدَ ذَلكَ زنِيمٌ بمعنى: مـع ذلـك زنيـم, وكما يقال للرجل: أنت أحمق, وأنت بعد هذا لئيم الحسب, بمعنى: مع هـذا, وكما قال جلّ ثناؤه: وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذّكْرِ: أي من قبل الـذكر, واستشهد بقول الهُذَليّ:
حَمِدْتُ إلَهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إذْ نَجَاخِراشٌ وبَعْضُ الشّرّ أهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
وزعموا أن خراشا نجا قبل عُرْوة.

28064ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن خَصِيف, عن مجاهد والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها قال: مع ذلك دحاها.
28065ـ حدثني ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سـفيان, عن الأعمش, عن مجاهد, أنه قال: «والأرْضَ عِنْدَ ذلكَ دَحاها».
حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا عليّ بن معبد, قال: حدثنا محمد بن سلمة, عن خصيف, عن مجاهد والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها قال: مع ذلك دحاها.
28066ـ حدثني محمد بن خلف العَسْقلانيّ, قال: حدثنا روّاد بن الجـرّاح, عن أبي حمزة, عن السديّ, في قوله: والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها قال: مع ذلك دحاها.
والقول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن الله تعالى خلق الأرض, وقـدّر فيها أقواتها, ولم يَدْحُها, ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سـموات, ثـم دحا الأرض بعد ذلك, فأخرج منها ماءها ومرعاها, وأرسى جبالهـا, أشـبه بمـا دلّ عليـه ظـاهر التنزيـل, لأنـه جـلّ ثنـاؤه قـال: والأرْضَ بَعْـدَ ذلـكَ دَحاهـا, والمعروف من معنى «بَعْد» أنه خلاف معنى «قَبْل», وليـس فـي دحـو اللـه الأرض بعد تسويته السموات السبع, وإغطاشه ليلهـا, وإخراجـه ضـحاها, مـا يوجب أن تكون الأرض خُلقت بعد خلق السموات لأن الدحو إنما هـو البسـط في كلام العرب, والمدّ يقال منه: دحا يدحو دَحْوا, ودَحَيْتُ أَدْحِي دَحْيا لغتـان ومنه قول أُمّية بن أبي الصلت:
دَارٌ دَحاها ثُمّ أعْمَرَنا بِهاوأقامَ بالأخْرَى التي هيَ أمْجَدُ
وقول أوس بن حجر في نعت غيث:
يَنْفِي الحصَى عن جديد الأرْضِ مُبْتَرِكٌكأنّه فاحِصٌ أو لاعبٌ داحِي
وبنحو الذي قلنا في ذلك قالَ أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28067ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها: أي بسطها.
28068ـ حدثني محمد بن خلف, قال: حدثنا رَوّاد, عـن أبـي حمـزة, عـن السديّ دَحاها قال: بسطها.
28069ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قـال: حـدثنا سـفيان: دحاها: بسطها.
وقال ابن زيد في ذلك ما:
28070ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: دَحاها قال: حرثها شقّها وقال: أَخْرَجَ مِنْها ماءَه ا وَمَرْعاهـا, وقـرأ: ثُـمّ شَقَقْنا الأرْضَ شَقّا... حتى بلغ وَفاكِهَةً وأبّا, وقال حين شقّها أنبتَ هـذا منهـا, وقرأ: والأرْضِ ذاتِ الصّدْعِ.
وقوله: أَخْرَجَ مِنْها ماءَها يقول: فجّر فيهـا الأنهـار. وَمَرْعاهـا يقـول: أنبـت نباتَها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28071ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَمَرْعاها ما خلق الله فيها من النبات, وماءَها: ما فجّر فيها من الأنهار.
وقوله: والجِبالَ أرْساها يقول: والجبـال أثبتهـا فيهـا, وفـي الكلام مـتروك استغني بدلالـة الكلام عليـه مـن ذكـره, وهـو فيهـا, وذلـك أن معنـى الكلام: والجبال أرساها فيها.

28072ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة والجِبالَ أرْساها: أي أثبتها لا تَمِيد بأهلها.
28073ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن أبي عبد الرحمن السّلَمِيّ, عن عليّ قال: لما خلق الله الأرض قَمَصَت وقالت: تَخْلُق عليّ آدمَ وذرّيته يُلقون عليّ نَتْنهم, ويعملون عليّ بالخطايا فأرساها الله, فمنها ما ترون, ومنها ما لا ترون, فكان أوّل قرار الأرض كلحم الجزور إذا نُخِر يختلج لحمها.

الآية : 33-36

القول في تأويل قوله تعالى:{مَتَاعاً لّكُمْ وَلأنْعَامِكُمْ * فَإِذَا جَآءَتِ الطّآمّةُ الْكُبْرَىَ * يَوْمَ يَتَذَكّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىَ * وَبُرّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىَ }.
يعني تعالى ذكره بقوله: مَتاعا لَكُمْ ولأنْعامِكُمْ أنه خلق هذه الأشياء, وأخرج من الأرض ماءها ومرعاها, منفعة لنا, ومتاعا إلى حين.
وقوله: فإذَا جاءَتِ الطّامّةُ الكُبْرَى يقول تعالى ذكره: فإذا جاءت التي تطمّ على كل هائلة من الأمور, فتغمر ما سواها بعظيم هولها, وقيل: إنها اسم من أسماء يوم القيامة. ذكر من قال ذلك:
28074ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فإذَا جاءَتِ الطّامّةُ الكُبْرَى من أسماء يوم القيامة, عظمه الله وحذّره عباده.
28075ـ حدثني محمد بن عُمَارة, قال: حدثنا سهل بن عامر, قال: حدثنا مالك بن مِغْوَل, عن القاسم بن الوليد, في قوله: فإذَا جاءَتِ الطّامّةُ الْكُبْرَى قال: سيق أهل الجنة إلى الجنة, وأهل النار إلى النار.
وقوله: يَوْمَ يَتَذَكّرُ الإنْسانُ ما سَعَى يقول: إذا جاءت الطامّة يوم يتذكّر الإنسان ما عَمِل في الدنيا من خير وشرّ, وذلك سعيه وَبُرّزَتِ الجَحِيمُ يقول: وأُظْهِرت الجحيم, وهي نار الله لمن يراها. يقول: لأبصار الناظرين.

الآية : 37-41

القول في تأويل قوله تعالى:{فَأَمّا مَن طَغَىَ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدّنْيَا * فَإِنّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىَ * وَأَمّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبّهِ وَنَهَى النّفْسَ عَنِ الْهَوَىَ * فَإِنّ الْجَنّةَ هِيَ الْمَأْوَىَ }.
يقول تعالى ذكره: فأما من عتا على ربّه, وعصاه واستكبر عن عبادته.
28076ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: طَغَى قال: عصى.
قوله: وآثَرَ الْحَياةَ الدّنْيا يقول: وآثر متاع الحياة الدنيا على كرامة الآخرة, وما أعدّ الله فيها لأوليائه, فعمل للدنيا, وسعى لها, وترك العمل للآخرة فإنّ الجَحِيمَ هيَ المأوَى يقول: فإن نار الله التي اسمها الجحيم, هي منزلُهُ ومَأْواه, ومصيُره الذي يصير إليه يوم القيامة.
وقوله: وأمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبّهِ ونَهَى النّفْسَ عَنِ الهَوَى يقول: وأما من خاف مسألة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه, فاتقاه, بأداء فرائضه, واجتناب معاصيه ونَهَى النّفْسَ عَنِ الهَوَى يقول: ونهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله, ولا يرضاه منها, فزجرها عن ذلك, وخالف هواها إلى

ما أمره به ربه فإنّ الجَنّةَ هِيَ المَأْوَى يقول: فإن الجنة هي مأواه ومنزله يوم القيامة.

وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل في معنى قوله: ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبّـهِ فيما مضى, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 42-46

القول في تأويل قوله تعالى:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ أَيّـانَ مُرْسَـاهَا * فِيـمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا * إِلَىَ رَبّكَ مُنتَهَاهَآ * إِنّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَـن يَخْشَـاهَا * كَـأَنّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوَاْ إِلاّ عَشِيّةً أَوْ ضُحَاهَا }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يسألك يا محمد هؤلاء المكذّبون بالبعث عن السـاعة الـتي تبعـث فيهـا المـوتَى مـن قبـورهم أيـانَ مرساها, متى قيامهـا وظهورهـا؟ وكـان الفـرّاء يقـول: إن قـال قائـل: إنمـا الإرساء للسـفينة, والجبـال الراسـية ومـا أشـبههنّ, فكيـف وصَـفَ السـاعة بالإرساء؟ قلـت: هـي بمنزلـة السـفينة إذا كـانت جاريـة فرسـت, ورسـوّها: قيامها قال: وليس قيامها كقيام القائم, إنمـا هـي كقولـك: قـد قـام العـدل, وقام الحقّ: أي ظهر وثبت.

قال أبو جعفر رحمه الله: يقول الله لنبيه: فِيمَ أنْتَ مِنْ ذِكْراها يقول: في أيّ شيء أنت من ذكر الساعة والبحث عن شأنها. وذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُكثر ذكر الساعة, حتى نزلت هذه الآية.

28077ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حـدثنا سـفيان بـن عيينـة, عـن الزهريّ, عن عُروة, عن عائشة, قالت: لم يزلِ النبيّ صلى الله عليه وسـلم يَسأل عن الساعة, حتى أنزل الله عزّ وجلّ: فِيمَ أنْتَ مِنْ ذِكْراها؟ إلـى رَبّـكَ مُنْتَهاها.

28078ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن إسماعيل, عن طارق بـن شهاب, قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسـلم لا يـزال يَـذكر شـأن السـاعة حتى نزلت يَسْئَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ أيّانَ مُرْساها؟... إلى مَنْ يَخْشاها.

28079ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: فيمَ أنْتَ مِنْ ذِكْراها قال: الساعة.

وقوله: إلى رَبّكَ مُنْتَهاها يقول: إلى ربك منتهى علمها, أي إليه ينتهي علـم الساعة, لا يعلم وقت قيامها غيره.

وقوله: إنّمَا أنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها يقـول تعـالى ذكـره لمحمـد: إنمـا أنـت رسول مبعوث بإنذار الساعة من يخاف عقاب الله فيهـا علـى إجرامـه, ولـم تكلّف علمَ وقت قيامها, يقول: فدع ما لم تكلف علمَه, واعمل بما أُمرت به, من إنذار من أُمرت بإنذاره.

واختلف القرّاء في قراءة قوله: مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها فكان أبو جعفر القارىء وابن محيصن يقرآن: «مُنْذِرٌ» بالتنوين, بمعنى: أنه منذرٌ مَـنْ يَخشـاها وقـرأ ذلك سائر قرّاء المدينة ومكة والكوفة والبصرة بإضافة مُنْذِرِ إلى من.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهم قراءتان معروفتان, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: كأنّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إلاّ عَشِيّةً أوْ ضُحاها يقول جلّ ثناؤه: كأن هؤلاء المكذّبين بالساعة, يوم يرون أن الساعة قد قامت, من عظيم هولهـا,

لم يلبثوا في الدنيا إلا عشية يوم, أو ضحا تلك العشية والعـرب تقـول: آتيـك العشية أو غدَاتَها, وآتيك الغداةَ أو عشيتها, فيجعلـون معنـى الغـداة, بمعنـى أوّل النهار, والعشية: آخـر النهـار, فكـذلك قـوله: إلاّ عَشِـيّةً أوْ ضُـحاها إنمـا معناها إلا آخر يوم أو أوّله, وينشد هذا البيت:

نَحْنُ صَبَحْنا عامِرا فِي دَارِها عَشِيّةَ الهِلالِ أوْ سِرَارِها

يعني: عشية الهلال, أو عشية سرار العشية.

28080ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: كأنّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثوا إلاّ عَشِيّةً أوْ ضُحاها وقت الـدنيا فـي أعيـن القـوم حين عاينوا الآخرة.

سورة عبس

سورة عبس مكية
وآياتها ثنتان وأربعون

بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1-4

القول فـي تأويـل قولـه تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلّىَ * أَن جَـآءَهُ الأعْمَـىَ * وَمَـا يُدْرِيكَ لَعَلّهُ يَزّكّىَ * أَوْ يَذّكّرُ فَتَنفَعَهُ الذّكْرَىَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: عَبَسَ: قَبَضَ وجهه تكرّها, وَتَوَلّى يقول: وأعرض أنْ جاءَهُ الأعْمَى يقول: لأن جاءه الأعمى. وقد ذُكر عن بعض القرّاء أنه كـان يطوّل الألف ويمدّها من أنْ جاءَهُ فيقـول: «آنْ جـاءَهُ», وكـأنّ معنـى الكلام كان عنده: أأن جاءه الأعمى عبس وتولى؟ كما قرأ من قرأ: أنْ كـانَ ذَا مـال وَبَنِينَ بمدّ الألف من «أنْ» وقصرها.

وذُكر أن الأعمى الذي ذكره الله في هذه الآية, هو ابن أمّ مكتـوم, عـوتب النبيّ صلى الله عليه وسلم بسببه. ذكر الأخبار الواردة بذلك:

28081ـ حدثنا سعيد بن يحيى الأمويّ, قال: حـدثنا أبـي, عـن هشـام بـن عُروة مما عرضه عليه عُروة, عن عائشة قالت: أنزلـت عَبَسَـى وَتَـوَلّى فـي ابن أمّ مكتوم, قالت: أتى إلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فجعـل يقول: أرشدني, قالت: وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم مـن عظمـاء المشركين, قالت: فجعل النبيّ صلى الله عليـه وسـلم يُعْـرِض عنـه, ويُقْبِـل على الآخر, ويقول: «أتَرَى بِما أقُولُهُ بأسـا؟» فيقـول: لا ففـي هـذا أُنزلـت: عَبَسَ وتَوَلّى.

28082ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: عَبَسَ وَتَوّلى أنْ جاءَهُ الأعْمَى قـال: بينـا رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجي عُتبة بن ربيعة وأبا جهـل بـن هشـام والعباس بن عبـد المطلـب, وكـان يتصـدّى لهـم كـثيرا, ويَحـرِص عليهـم أن يؤمنوا, فأقبل إليه رجل أعمى, يقال له عبد الله بن أم مكتوم, يمشـي وهـو يناجيهم, فجعل عبد الله يسـتقرىء النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم آيـة مـن القرآن, وقال: يا رسول الله, عَلّمني مما علّمك الله, فـأعرض عنـه رسـول الله صلى الله عليه وسلم, وعَبَس فـي وجهـه وتـوّلى, وكـرِه كلامـه, وأقبـل على الآخرين فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأخذ ينقلب إلـى أهله, أمسك الله بعض بصره, ثم خَفَق برأسه, ثم أنزل اللـه: عَبَـسَ وَتَـوَلّى

أنْ جاءَهُ الأعْمَى وَما يُدْرِيكَ لَعَلّهُ يَزّكّى أوْ يَـذّكّرُ فَتَنْفَعَـهُ الـذّكْرَى, فلمـا نـزل فيه أكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلّمه, وقال لـه: «مـا حاجَتُـك, هَلْ تُرِيدُ مِنْ شَيْءٍ؟» وإذا ذهـب مـن عنـده قـال لـه: «هَـلْ لَـكَ حاجَـةٌ فِـي شَيْءٍ؟» وذلك لما أنزل الله: أمّا مَنِ اسْتَغْنَى فأنْتَ لَهُ تَصَـدّى وَمـا عَلَيْـكَ ألاّ يَزّكّى.

28083ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن هشـام, عـن أبيـه, قـال: نزلت في ابن أمّ مكتوم عَبَسَ وَتَوّلَى أنْ جاءَهُ الأعْمَى.

28084ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قول الله أنْ جاءَهُ الأعْمَى قال: رجـل مـن بنـي فهـر, يقال له ابن أمّ مكتوم.

28085ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة عَبَسَ وَتَوَلّى أنْ جاءَهُ الأعْمَى: عبـد اللـه بـن زائـدة, وهـو ابـن أمّ مكتـوم, وجـاءه يستقرِئه, وهو يناجي أُميّة بن خَلَف, رجلٌ من عِلْية قريش, فأعرض عنه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, فأنزل الله فيه ما تسمعون عَبَسَ وَتَوَلّى أنْ جاءَهُ الأعْمَى إلى قوله: فأنْتَ عَنْهُ تَلَهّـى «ذُكـر لنـا أن نـبيّ اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم استخلفه بعد ذلك مرّتين علـى المدينـة, فـي غزوتيـن غزاهمـا يصّـلي بأهلها».

28086ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة, عـن أنس بن مالك, أنه رآه يوم القادسية معه راية سوداء, وعليه درع له.

28087ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة قال: جاء ابن أمّ مكتوم إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهـو يكلـم أبـيّ بـن خَلَف, فأعرض عنه, فأنزل الله عليه: عَبَس وَتَوَلّى, فكان النـبيّ صـلى اللـه عليه وسلم بعد ذلك يُكرمه. قال أنس: فرأيته يوم القادسية عليه دِرْع, ومعه راية سوداء.

28088ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: عَبَسَ وتوّلى تصدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من مشركي قريش كثير المال, ورجا أن يُؤْمن, وجاء رجل من الأنصار أعمى, يقال له عبد الله بن أمّ مكتـوم, فجعـل يسـأل نـبيّ الله صلى الله عليه وسلم, فكرهه نبيّ اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وتـوّلى عنه, وأقبل على الغنيّ, فوعظ الله نبيّه, فأكرمه نبيّ اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم, واستخلفه على المدينة مرّتين, في غزوتين غزاهما.

28089ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, وسألته عن قول الله عزّ وجـلّ: عَبَـسَ وَتَـوَلّى أنْ جـاءَهُ الأعْمَـى قـال: جـاء ابـن أمّ مكتوم إلى رسول الله صلى الله عليـه وسـلم وقائـده يُبْصـر, وهـو لا يبصـر, قال: ورسول الله صلى الله عليـه وسـلم يشـير إلـى قائـده يَكُـفّ, وابـن أمّ مكتوم يدفعه ولا يُبصر قال: حّتى عَبَس رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم, فعاتبه الله في ذلك, فقال: عَبَسَ وَتَوَلّى أنْ جاءَهُ الأعْمَـى وَمـا يُـدْرِيكَ لَعَلّـهُ يَزّكّى... إلى قوله: فأنْتَ عَنْهُ تَلَهّى قال ابن زيـد: كـان يقـال: لـو أنَ رسـول الله صلى الله عليه وسلم كَتَمَ من الوحي شـيئا, كتـم هـذا عـن نفسـه قـال: وكان يتصدّى لهذا الشـريفِ فـي جـاهليته, رجـاء أن يسـلم, وكـان عـن هـذا يتلهّى.

وقوله: وَما يُدْرِيكَ لَعَلّهُ يَزّكّى يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما يدريك يا محمد, لعلّ هذا الأعمى الذي عَبَست في وجهه يَزّكّى: يقول: يتطهّر من ذنوبه. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

28090ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَعَلّهُ يَزّكّى: يُسْلِم.

وقوله: أوْ يَذّكّرُ فَتَنْفَعَهُ الذّكْرَى يقول: أو يتذكّر فتنفعَه الذكرى: يعني يعتبر فينفعه الاعتبار والاتعاظ, والقراءة على رفع: «فتَنْفَعُهُ» عطفا به على قوله: يَذّكّرُ, وقد رُوي عن عاصم النصبُ فيه والرفعُ, والنصب على أن تجعله جوابا بالفاء للعلّ, كما قال الشاعر:

عَلّ صُرُوفَ الدّهْرِ أوْ دُولاتِها يُدِلْنَنَا اللّمّةَ مِنْ لَمّاتِها

فَتَسْتَرِيحَ النّفْسُ مِنْ زَفْراتِها وتُنْقَعَ الغُلّةُ مِنْ غُلاّتِها

«وتنقع» يُروى بالرفع والنصب.

الآية : 5-10

القول في تأويل قوله تعالى:{أَمّا مَنِ اسْتَغْنَىَ * فَأَنتَ لَهُ تَصَدّىَ * وَمَا عَلَيْكَ أَلاّ يَزّكّىَ * وَأَمّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىَ * وَهُوَ يَخْشَىَ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهّىَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أما من استغنى بماله, فأنت له تتعرّض, رجاء أن يُسلِم.

28091ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان أمّا مَنِ اسْتَغْنَى فأنْتَ لَهُ تَصَدّى قال: نزلت في العباس.

28092ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أمّا مَنِ اسْتَغْنَى قال: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وَما عَلَيْكَ ألاّ يَزّكّى يقول: وأيّ شيء عليك أن لا يتطهّر من كفره فيُسلم؟ وأمّا مَنْ جاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى يقول: وأما هذا الأعمى الذي جاءك سعيا, وهو يخشى الله ويتقيه, فأنْتَ عَنْهُ تَلَهّى يقول: فأنت عنه تُعْرِض, وَتَشاغَلُ عنه بغيره وتَغَافَل.

الآية : 11-17

القول في تأويل قوله تعالى:{كَلاّ إِنّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مّكَرّمَةٍ * مّرْفُوعَةٍ مّطَهّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ * قُتِلَ الإِنسَانُ مَآ أَكْفَرَهُ }.

يقول تعالى ذكره: كَلاّ ما الأمر كما تفعل يا محمد, من أن تعبِس في وجه من جاءك يسعى وهو يخشى, وتتصدّى لمن استغنى إنّها تَذْكِرَةٌ يقول: إن هذه العظة وهذه السورة تذكرة يقول: عظة وعبرة فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ يقول: فمن شاء من عباد الله ذكره, يقول: ذكر تنزيل الله ووحيه, والهاء في قوله «إنّها» للسورة, وفي قوله «ذَكَرَهُ» للتنزيل والوحي في صحف يقول إنها تذكرة فِي صُحُفٍ مُكَرّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهّرَةٍ يعني في اللوح المحفوظ, وهو المرفوع المطهّر عند الله.

وقوله: بِأيْدِي سَفَرةٍ يقول: الصحف المكرّمة بأيدي سَفَرة, جمع سافر.

واختلف أهل التأويل فيهم ما هم؟ فقال بعضهم: هم كَتَبة. ذكر من قال ذلك:

28093ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, في قوله: بِأيْدِي سَفَرَةٍ يقول: كَتَبة.
28094ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: بِأيْدِي سَفَرةٍ قال: الكَتَبة.
وقال آخرون: هم القُرّاء. ذكر من قال ذلك:
28095ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرّمَةٍ مَرْفُوَعَةٍ مُطَهّرَةٍ بِأيْدِي سَـفَرةٍ قـال: هـم القرّاء.
وقال آخرون: هم الملائكة. ذكر من قال ذلك:
28096ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس بِأيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ يعني الملائكة.
28097ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهـب, قـال: قـال ابـن زيـد فـي قوله: بِأيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ قال: السّفَرة: الذين يُحْصون الأعمال.
وأولى الأقوال فـي ذلـك بالصـواب: قـول مـن قـال: هـم الملائكـة الـذين يَسْفِرون بين الله ورسله بالوحي. وسفير القوم: الذي يسعى بينهم بالصلح, يقال: سَفَرت بين القوم: إذا أصلحت بينهم ومنه قول الشاعر:
وَما أدَعُ السّفارَةَ بَينَ قَوْميوَما أمْشِي بِغِشَ إنْ مَشَيْتُ
وإذا وُجّه التأويل إلى ما قلنا, احتمل الوجه الذي قاله القائلون هم الكَتَبـة, والذي قاله القائلون هم القُرّاء, لأن الملائكة هي التي تقـرأ الكتـب, وتَسْـفِر بين الله وبين رسله.
وقوله: كِرَامٍ بَرَرَةٍ والبَرَرة: جمع بارّ, كما الكَفَـرة جمـع كـافر, والسّـحَرة جمع ساحر, غير أن المعروف من كلام العرب إذا نطقوا بواحـدة أن يقولـوا: رجل بَرّ, وامرأة برّة, وإذا جمعـوا ردّوه إلـى جمـع فاعـل, كمـا قـالوا: رجـل سَرِيّ, ثم قالوا في جمعه: قوم سَراة, وكان القيـاس فـي واحـده أن يكـون سارِيا. وقد حُكي سماعا من بعض العرب: قوم خِيَرَة بَرَرَة, وواحـد الخَيـرة: خَيْر, والبَرَرَة: برّ.
وقوله: قُتِلَ الإنْسانُ ما أكْفَرَهُ يقول تعالى ذكره: لعن الإنسانُ الكـافر مـا أكفره وبنحو الذي قلنا في ذلك قال مجاهد.
28098ـ حدثني موسى بن عبـد الرحمـن المسـروقي, قـال: حـدثنا عبـد الحميد الحِمّانيّ, عن الأعمش, عن مجاهد, قال: مـا كـان فـي القـرآن قُتِـلَ الإنْسانُ أو فُعل بالإنسان, فإنما عني به الكافر.
28099ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان قُتِلَ الإنْسانُ ما أكْفَرَهُ بلغني أنه الكافر.
وفي قوله: أكْفَرَهُ وجهان. أحدهما: التعجب من كفـره, مـع إحسـان اللـه إليه, وأياديه عنده. والآخر: ما الذي أكفره, أي أيّ شيء أكفَره؟

الآية : 18-23

القول فـي تأويــل قـوله تعـالى:{مِـنْ أَيّ شَـيءٍ خَلَقَـهُ * مِـن نّطْفَـةٍ خَلَقَـهُ فَقَدّرَهُ * ثُمّ السّبِيلَ يَسّرَهُ * ثُمّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمّ إِذَا شَـآءَ أَنشَـرَهُ * كَلاّ لَمّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُ }.
يقول تعالى ذكره: من أيّ شيء خلق الإنسـانَ الكـافرَ ربّـه حـتي يَتَكَبّـرَ. ويتعظّم عن طاعة ربه, والإقرار بتوحيده ثم بين جلّ ثناؤه الـذي منـه خلقـه,

فقال: مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدّرَهُ أحوالاً: نطفة تارة, ثم عَلَقة أخرى, ثم مُضْغة, إلى أن أتت عليه أحواله, وهو في رحم أمه ثُمّ السّبِيلَ يَسّرَهُ يقول: ثم يسّره للسبيل, يعني للطريق.

واختلف أهل التأويل في السبيل الذي يسّره لها, فقال بعضهم: هو خروجه من بطن أمه. ذكر من قال ذلك:

28100ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, ثُمّ السّبِيلَ يَسّرَهُ يعني بذلك: خروجه من بطن أمه يسّره له.

28101ـ حدثني ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن إسماعيل, عن أبي صالح ثُمّ السّبِيلَ يَسّرَهُ قال: سبيل الرّحِم.

28102ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن السديّ ثُمّ السّبِيلَ يَسّرَهُ قال: خروجه من بطن أمه.

28103ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة ثُمّ السَبِيلَ يَسّرَهُ قال: خروجه من بطن أمه.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ثُمّ السّبِيلَ يَسّرَهُ قال: أخرجه من بطن أمه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: طريق الحقّ والباطل, بيّناه له وأعملناه, وسهلنا له العمل به. ذكر من قال ذلك:

28104ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد ثُمّ السّبِيلَ يَسّرَهُ قال: هو كقوله: إنّا هَدَيْناهُ السّبِيلَ إمّا شاكِرا وَإمّا كَفُورا.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ثُمّ السّبِيلَ يَسّرَهُ قال: على نحو إنّا هَدَيْناهُ السّبِيلَ.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: سبيل الشقاء والسعادة, وهو كقوله: إنّا هَدَيْناهُ السّبِيلَ.

28105ـ حدثنا ابن عبدالأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: قال الحسن, في قوله: ثُمّ السّبِيلَ يَسّرَهُ قال: سبيل الخير.

28106ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ثُمّ السّبِيلَ يَسّرَهُ قال: هداه للإسلام الذي يسّره له, وأعلمه به, والسبيل سبيل الإسلام.

وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب. قول من قال: ثم الطريق, وهو الخروج من بطن أمه يسّره.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب, لأنه أشبههما بظاهر الآية, وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته خلقه, وتدبيره جسمه, وتصريفه إياه في الأحوال, فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وبعده.

وقوله: ثُمّ أماتَهُ فأقْبَرَهُ يقول: ثم قَبَضَ رُوحه, فأماته بعد ذلك. يعني بقوله: أقْبَرَهُ: صيره ذا قبر, والقابر: هو الدافن المَيْتَ بيده, كما قال الأعشى:

لَوْ أسْنَدَتْ مَيْتا إلى نَحْرِهاعاشَ ولَمْ يُنْقَلْ إلى قابِرِ

والمُقْبِر: هو الله, الذي أمر عباده أن يقبروه بعد وفاته, فصيره ذا قبر. والعرب تقول فيما ذُكر لي: بَتَرْت ذنب البعير, والله أبتره وعَضَبْت قَرنَ الثور والله أعضبه وطردت عني فلانا, والله أطْرَدَه, صَيّره طريدا.

وقوله: ثُمّ إذَا شاءَ أنْشَرَهُ يقول: ثم إذا شاء الله أنشره بعد مماته وأحياه, يقال: أنْشَرَ الله الميت, بمعنى: أحياه, ونَشَرَ الميتُ بمعنى حيي هو بنفسه ومنه قول الأعشى:

حتى يَقُولَ النّاسُ مِمّا رأَوْا يا عَجَبَا لِلْمَيّتِ النّاشِرِ

وقوله: كَلاّ لَمّا يَقْضِ ما أمَرَهُ يقول تعالى ذكره: كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر, من أنه قد أدّى حقّ الله عليه, في نفسه وماله, لمّا يَقْضِ ما أمَرَهُ: لم يؤدّ ما فرض عليه من الفرائض ربّه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28107ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: لَمّا يَقْضِ ما أمَرَهُ قال: لا يقضي أحد أبدا ما افْتِرض عليه. وقال الحرث: كلّ ما افترض عليه.

الآية : 24-30

القول في تأويل قوله تعالى:{فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ إِلَىَ طَعَامِهِ * أَنّا صَبَبْنَا الْمَآءَ صَبّاً * ثُمّ شَقَقْنَا الأرْضَ شَقّاً * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَآئِقَ غُلْباً }.

يقول تعالى ذكره: فلينظر هذا الإنسان الكافر المُنكر توحيد الله إلى طعامه كيف دبّره؟ كما:

28108ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ إلى طَعامِهِ وشرابه, قال: إلى مأكله ومشربه.

28109ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ إلى طَعامِهِ: آية لهم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: أنّا صَبَبْنا المَاءَ صَبّا فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة بكسر الألف من «أنّا», على وجه الاستئناف, وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة «أنّا» بفتح الألف, بمعنى: فلينظر الإنسان إلى أنا, فيجعل «أنّا» في موضع خفض, على نية تكرير الخافض, وقد يجوز أن يكون رفعا إذا فُتحت, بنية طعامه أنّا صببنا الماء صبا.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان معروفتان: فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: أنّا صَبَبْنا الماءَ صَبّا يقول: أنا أنزلنا الغيث من السماء إنزالاً, وصببناه عليها صبا ثُمّ شَقَقْنا الأرْضَ شَقّا يقول: ثم فتقنا الأرض, فصدّعناها بالنبات فأنْبَتْنا فِيها حَبا: يعني حبّ الزرع, وهو كلّ ما أخرجته الأرض من الحبوب, كالحنطة والشعير وغير ذلك وَعِنَبا يقول: وكرم عنب. وَقَضْبا يعني بالقَضْب: الرّطْبة, وأهل مكة يسمون القَتّ القَضْب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28110ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَقَضْبا يقول: الفِصفِصة.

28111ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَقَضْبا قال: والقضب: الفَصافِص. قال أبو جعفر رحمه الله: الفِصفصة: الرّطبة.
28112ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَقَضْبا يعني الرطبة.
28113ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد, قال: حدثنا يونس, عن الحسن, في قوله: وَقَضْبا قال: القضب: العَلَف.
وقوله: وَزَيْتُونا وهو الزيتون الذي منه الزيت وَنَخْلاً وَحَدَائِقَ غُلْبا وقد بيّنا أن الحديقة البستان المحوّط عليه. وقوله: غُلْبا يعني: غِلاظا. ويعني بقوله: غُلْبا أشجارا في بساتين غلاظ. والغلب: جمع أغلب, وهو الغليظ الرقبة من الرجال ومنه قول الفرزدق:
عَوَى فأثارَ أغْلَبَ ضَيْغَمِيّافَوَيْلَ ابْنِ المَراغَةِ ما اسْتَثارَا؟
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, على اختلاف منهم في البيان عنه, فقال بعضهم: هو ما التفّ من الشجر واجتمع. ذكر من قال ذلك:
28114ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن عاصم بن كُلَيب, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: وَحَدَائِقَ غُلْبا قال: الحدائق: ما التفّ واجتمع.
28115ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَحَدَائِقَ غُلْبا قال: طيبة.
وقال آخرون: الحدائق: نبت الشجر كله. ذكر من قال ذلك:
28116ـ حدثنا أبو هشام, قال: حدثنا ابن فضيل, قال: حدثنا عصام, عن أبيه: الحدائق: نبت الشجر كلها.
28117ـ حدثني محمد بن سنان القزّاز, قال: حدثنا أبو عاصم, عن شبيب, عن عكرمة, عن ابن عباس: وَحَدَائِقَ غُلْبا قال: الشجر يُستظلّ به في الجنة.
وقال آخرون: بل الغُلب: الطِّوال. ذكر من قال ذلك:
28118ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس وَحَدَائِقَ غُلْبا يقول: طوالاً.
وقال آخرون: هو النخل الكرام. ذكر من قال ذلك:
28119ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: وَحَدَائِقَ غُلْبا والغلب: النخل الكرام.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَحَدَائِقَ غُلْبا قال: النخل الكرام.
28120ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَحَدَائِقَ غُلْبا: عظام النخل العظيمة الجِذْع, قال: والغلب من الرجال: العظام الرقاب, يقال: هو أغلب الرقبة: عظيمها.
28121ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبيه, عن عكرِمة حَدَائِقَ غُلْبا قال: عظام الأوساط.

الآية : 31-42

القول في تأويل قوله تعالى:{وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مّتَاعاً لّكُمْ وَلأنْعَامِكُمْ * فَإِذَا جَآءَتِ الصّآخّةُ * يَوْمَ يَفِرّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهُ وَبَنِيهِ * لِكُلّ امْرِىءٍ مّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ

مّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ }.

يقول تعالى ذكره: وفاكهة: ما يأكله الناس من ثمار الأشجار, والأبّ: ما تأكله البهائم من العُشب والنبات. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28122ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن مبارك, عن الحسن وَفاكِهَةً قال: ما يأكل ابن آدم.

28123ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَفاكِهَةً قال: ما أكل الناس.

28124ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَفاكِهَةً قال: أما الفاكهة فلكم.

28125ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَفاكِهَةً قال: الفاكهة لنا.

28126ـ حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا حميد, قال: قال أنس بن مالك: قرأ عمر: عَبَسَ وَتَوَلّى حتى أتى على هذه الآية: وَفاكِهَةً وأبّا قال: قد علمنا ما الفاكهة, فما الأبّ؟ ثم أحسبه «شكّ الطبريّ» قال: إن هذا لهو التكلف.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن حميد, عن أنس, قال: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه عَبَسَ وَتَوَلّى فلما أتى على هذه الآية وَفاكِهَةً وأبّا قال: قد عرفنا الفاكهة, فما الأبّ؟ قال: لعمرك يا بن الخطاب إن هذا لهو التكلف.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن موسى بن أنس, عن أنس, قال: قرأ عمر: وَفاكِهَةً وأبّا قال: قد عرفنا الفاكهة, فما الأبّ؟ ثم قال: بحسبنا ما قد علمنا, وألقى العصا من يده.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن خليد بن جعفر, عن أبي إياس معاوية بن قُرة, عن أنس, عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إن هذا هو التكلف.

قال: وحدثني قتادة, عن أنس, عن عمر بنحو هذا الحديث كله.

28127ـ حدثنا أبو كريب وأبو السائب ويعقوب, قالوا: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت عاصم بن كُلَيب, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: عدّ سبعا, جعل رزقه في سبعة, وجعله من سبعة, وقال في آخر ذلك: الأبّ ما أنبتت الأرض, مما لا يأكل الناس.

حدثنا أبو هشام, قال: حدثنا ابن فضيل, قال: حدثنا عاصم, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: الأبّ: نبت الأرض مما تأكله الدوابّ, ولا يأكله الناس.

28128ـ حدثنا أبو كرب وأبو السائب, قالا: حدثنا ابن إدريس, قال: حدثنا عبد الملك, عن سعيد بن جُبَير, قال: عدّ ابن عباس, وقال: الأبّ: ما أنبتت الأرض للأنعام, وهذا لفظ حديث أبي كريب. وقال أبو السائب في حديثه, قال: ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام.

28129ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: الأبّ: الكلأ والمرعى كله.

28130ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن أبي رَزِين, قال: الأبّ النبات.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن أبي رَزين, مثله.
28131ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش أو غيره, عن مجاهد, قال: الأبّ: المرعى.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, قال: قال مجاهد وأبّا: المرعى.
28132ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن مبارك, عن الحسن وأبّا قال: الأبّ: ما تأكل الأنعام.
28133ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وأبّا قال: الأبّ: ما أكلت الأنعام.
28134ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: أما الأبّ: فلأنعامكم نعم من الله متظاهرة.
28135ـ حدثنا ابن بشر, قال: حدثنا عبد الواحد, قال: حدثنا يونس, عن الحسن, في قوله: وأبّا قال: الأبّ: العشب.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن, وقتادة, في قوله: وأبّا قال: هو ما تأكله الدوابّ.
28136ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وأبّا يعني: المرعى.
28137ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأبّا قال: الأبّ لأنعامنا, قال: والأبّ: ما ترعى. وقرأ: مَتاعا لَكُمْ ولأنْعامِكُمْ.
قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس وعمرو بن الحرث, عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: قال الله: وَفَصْبا وَزَيْتُونا وَنَخْلاً وَحَدائِقَ غُلْبا وَفاكِهَةً وأبّا كل هذا قد علمناه, فما الأبّ؟ ثم ضرب بيده, ثم قال: لعمُرك إن هذا لهو التكلف, واتبعوا ما يتبين لكم في هذا الكتاب. قال عمر: وما يتبين فعليكم به, وما لا فدعوه.
وقال آخرون: الأبّ: الثمار الرّطبة. ذكر من قال ذلك:
28138ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وأبّا يقول: الثمار الرطبة.
وقوله: مَتاعا لَكُمْ يقول: أنبتنا هذه الأشياء التي يأكلها بنو آدم متاعا لكم أيها الناس, ومنفعة تتمتعون بها, وتنتفعون, والتي يأكلها الأنعام لأنعامكم, وأصل الأنعام الإبل, ثم تستعمل في كلّ راعية. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28139ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن, في قوله: مَتاعا لَكُمْ وَلأنْعامِكُمْ قال: متاعا لكم الفاكهة, ولأنعامكم العشب.
وقوله: فَإذَا جاءَتِ الصّاخّةُ ذُكر أنها من أسماء القيامة, وأحسبها مأخوذة من قولهم: صاخ فلان لصوت فلان: إذا استمع له, إلاّ أن هذا يقال

منه: هو مُصِيخ له, ولعلّ الصوت هو الصاخ, فإن يكون ذلـك كـذلك, فينبغـي أن يكون قيل ذلك لنفخة الصور. ذكر من قال: هو اسم من أسماء القيامة:

28140ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, في قـوله فَـإذا جـاءَتِ الصّـاخّةُ قـال: هـذا مـن أسـماء يـوم القيامة عظّمه الله, وحذّره عباده.

وقوله: يَوْمَ يَفِرّ المَرْءُ مِنْ أخِيهِ يقول: فإذا جاءت الصاخة, في هـذا اليوم الذي يفرّ فيه المرء من أخيه. ويعني بقوله: يفرّ من أخيه: يفرّ عن أخيه وأمّهِ وأبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ يعني زوجتـه الـتي كـانت زوجتـه فـي الـدنيا وَبَنِيـهِ حَـذِرا مـن مطالبتهم إياه, بما بينه وبينهم من التّبعات والمظالم.

وقال بعضهم: معنى قوله: يَفِرّ المَرْءُ مِنْ أخِيهِ: يفرّ عن أخيه لئلا يراه, وما ينزل به, لكُلّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يعين من الرجل وأخيـه وأمـه وأبيـه, وسـائر مـن ذُكر في هذه الآية يَوْمَئِذٍ يعني يـوم القيامـة إذا جـاءت الصـاخّة يـوم القيامـة شأنٌ يُغْنِيهِ يقول: أمر يغنيه, ويُشغله عن شأن غيره, كما:

28141ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لِكُلّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شأنٌ يُغْنِيهِ أفضـي إلـى كـلّ إنسـان مـا يشـغله عـن الناس.

28142ـ حدثنا أبو عمارة المَرْوَزِيّ الحسين بن حُريث, قال: حدثنا الفضل بن موسى, عن عائذ بن شريح, عن أنس قـال: سـألت عائشـة رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي, إني سائلتك عـن حديث أخبرني أنت به, قال: «إنْ كانَ عِنْدي مِنْهُ عِلْمٌ» قـالت: يـا نـبيّ اللـه, كيف يُحْشرُ الرجالُ؟ قال: «حُفاةً عُرَاةً». ثم انتظرت ساعة فقالت: يـا نـبيّ الله كيف يُحْشر النساء؟ قال: «كَذلكَ حُفاةً عُـرَاةً». قـالت: واسـوءَتاه مـن يوم القيامة قال: «وَعَنْ ذلكَ تسألِينِي, إنّهُ قَدْ نَزَلَتْ عليّ آيَـةٌ لا يَضُـرّكِ كـانَ عَلَيْكِ ثِيابٌ أمْ لا», قالت: أيّ آية هي يا نبيّ اللـه؟ قـال: لِكُـلّ امْرِىءٍ مِنْهُـمْ يَوْمَئِذٍ شأنٌ يُغْنِيهِ.

28143ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قول الله: لِكُلّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شأنٌ يُغْنِيهِ قال: شأن قد شغله عن صاحبه.

وقوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْـفِرَةٌ يقـول تعـالى ذكـره: وجـوه يومئـذٍ مشـرقة مضيئة, وهي وجوه المؤمنين الذين قد رضي الله عنهـم. يقـال: أسـفر وجـه فلان: إذا حَسُن, ومنه أسفر الصبح: إذا أضاء, وكلّ مضيء فهو مُسْـفِر وأمـا سَفَر بغير ألف, فإنما يقـال للمـرأة إذا ألقـت نقابهـا عـن وجههـا أو برقعهـا, يقال: قد سَفَرت المرأة عن وجهها, إذا فعلت ذلك, فهـي سـافر ومنـه قـول تَوْبَةَ بن الحُمَيّر:

وكُنْتُ إذا ما زُرْتُ لَيْلَى تَبرْقَعَتْفَقَدْ رَابَنِي مِنْها الغَدَاةَ سُفُورُها

يعني بقوله «سفورُها»: إلقاءها برقعها عن وجهها.

ضَاحِكَةٌ يقول: ضاحكة من السرور بما أعطاها الله مـن النعيـم والكرامـة مُسْتَبْشِرَةٌ لما ترجو من الزيادة. وبنحو الذي قلنـا فـي معنـى قـوله مُسْـفِرَةٌ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28144ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: مُسْفِرَةٌ يقول: مشرقة.

28145ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ قال: هؤلاء أهل الجنة.

وقوله: وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ يقول تعالى ذكـره: ووجـوه وهـي وجـوه الكفار يومئذٍ عليها غبرة. ذُكر أن البهائم التي يصـيرها اللـه ترابـا يومئـذٍ بعـد القضاء بينها, يحوّل ذلك التراب غَبَـرة فـي وجـوه أهـل الكفـر تَرْهَقُهـا قَـترَةٌ يقول: يغشى تلك الوجوه قَتَرة, وهي الغَبَرة. وبنحو الذي قلنا في ذلـك قـال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28146ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: تَرْهَقُها قَتَرَةٌ يقول: تغشاها ذلة.

28147ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: تَرْهَقُها قَتَرَةٌ قال: هذه وجوه أهل النار قال: والقَتَرة من الغَبَرة, قال: وهما واحد قال: فأمـا فـي الـدنيا فـإن القـترة: مـا ارتفـع, فلحـق بالسـماء, ورفعته الريح, تسميه العرب القترة, وما كان أسفل في الأرض فهو الغبرة.

وقوله: أُولَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ يقـول تعـالى ذكـره: هـؤلاء الـذين هـذه صفتهم يوم القيامة هم الكفرة بالله, كانوا في الـدنيا الفجـرة فـي دينهـم, لا يبالون ما أتوا به من معاصي الله, وركبوا من محارمه, فجزاهـم اللـه بسـوء أعمالهم ما أخبر به عباده.

سورة التكوير

بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1-4

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {إِذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ * وَإِذَا النّجُومُ انكَـدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطّلَتْ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: إذَا الشّـمْسُ كُوّرَتْ فقـال بعضـهم: معنى ذلك: إذا الشمس ذهب ضوؤُها. ذكر من قال ذلك:

28148ـ حدثنا الحسين بن الحريث, قال: حدثنا الفضل بن موسـى, عـن الحسين بن واقد, عن الربيع بن أنس, عن أبـي العاليـة, قـال: ثنـي أبـيّ بـن كعب, قال: ستّ آيات قبل يوم القيامة: بينا النـاس فـي أسـواقهم, إذ ذهـب ضوء الشمس, فبينما هـم كـذلك, إذ تنـاثرت النجـوم, فبينمـا هـم كـذلك, إذ وقعت الجبال على وجـه الأرض, فتحرّكـت واضـطربت واحـترقت, وفزَعـت الجنّ إلى الإنس, والإنس إلى الجنّ, واختلطـت الـدوابّ والطيـر والـوحش, وماجوا بعضهم في بعض وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ قـال: اختلطـت وَإِذَا الْعِشـارُ عُطّلَتْ قال: أهملها أهلها وَإِذَا الْبِحارُ سُجّرَتْ قال: قالت الجنّ للإنـس: نحـن نأتيكم بالخبر قال: فانطلقوا إلى البحار, فإذا هي نار تأجّـج قـال: فبينمـا هـم كذلك إذ تصدّعت الأرض صدعة واحدة, إلى الأرض السابعة السـفلى, وإلـى السماء السابعة العليا قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم.

28149ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ يقول: أظلمت.

28150ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ يعني: ذهبت.

28151ـ حدثني محمد بن عُمارة, حدثني عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ قال: اضمحلت وذهبت.
28152ـ حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالا: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة, في قوله: إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ قال: ذهب ضوءُها فلا ضوء لها.
28153ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القمي, عن جعفر, عن سعيد, في قوله: إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ قال: غُوّرت, وهي بالفارسية, كور تكور.
28154ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ أما تكوير الشمس: فذهابها.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد, في قوله إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ قال: كوّرت كورا بالفارسية.
وقال آخرون: معنى ذلك: رُمي بها. ذكر من قال ذلك:
28155ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثام بن عليّ, قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح, في قوله: إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ قال: نُكّست.
حدثني محمد بن عبد الرحمن المسروقي, قال: حدثنا محمد بن بشر, قال: حدثنا إسماعيل, عن أبي صالح مثله.
28156ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا بدل بن المحبر, قال: حدثنا شعبة, قال: سمعت إسماعيل, سمع أبا صالح في قوله إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ قال: أُلقيت.
28157ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي يَعْلَى, عن ربيع بن خيثم إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ قال: رُمِي بها.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي يعلى, عن الربيع بن خيثم, مثله.
والصواب من القول في ذلك عندنا: أن يقال كُوّرَتْ كما قال الله جلّ ثناؤه والتكوير في كلام العرب: جمع بعض الشيء إلى بعض, وذلك كتكوير العمامة, وهو لفها على الرأس, وكتكوير الكارة, وهي جمع الثياب بعضها إلى بعض, ولفها, وكذلك قوله: إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ إنما معناه: جمع بعضها إلى بعض, ثم لفت فرمي بها, وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءُها. فعلى التأويل الذي تأوّلناه وبيّناه لكلا القولين اللذين ذكرت عن أهل التأويل, وجه صحيح, وذلك أنها إذا كُوّرت ورُمي بها, ذهب ضوءُها.
وقوله: وَإذَا النّجُومُ انْكَدَرَتْ يقول: وإذا النجوم تناثرت من السماء فتساقطت, وأصل الانكدار: الانصباب, كما قال العجاج:
أبْصَرَ خِرْبانَ فَضَاءٍ فانْكَدَرْ
يعني بقوله: انكدر: انصبّ. ذكر من قال ذلك:
28158ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي يعلى, عن الربيع بن خيثم وَإذَا النّجُومُ انْكَدَرَتْ قال: تناثرت.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي يعلى, عن الربيع بن خيثم, مثله.

28159ـ حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله, قال: أخبرنا إسرائيل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَإذَا النّجُومُ انْكَدَرَتْ قال: تناثرت.
28160ـ حدثني محمد بن موسى بن عبد الرحمن المسروقي, قال: حدثنا محمد بن بشر, قال: حدثنا إسماعيل, عن أبي صالح, في قوله وَإذَا النّجُومُ انْكَدَرَتْ قال: انتثرت.
28161ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإذَا النّجُومُ انْكَدَرَتْ قال: تساقطت وتهافتت.
28162ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإذَا النّجُومُ انْكَدَرَتْ قال: رمي بها من السماء إلى الأرض.
وقال آخرون: انكدرت: تغيرت. ذكر من قال ذلك:
28163ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس وَإذَا النّجُومُ انْكَدَرَتْ يقول: تغيرت.
وقوله: وَإذَا الجَبالُ سُيّرَتْ يقول: وإذا الجبال سيرها الله, فكانت سرابا, وهباء منبثا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28164ـ حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد وَإذَا الجِبالُ سُيّرَتْ قال: ذهبت.
قوله: وَإذَا الْعِشارُ عُطّلَتْ والعشار: جمع عشراء, وهي التي قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها. يقول تعالى ذكره: وإذا هذه الحوامل التي يَتنافس أهلها فيها أهملت فتركت, من شدّة الهول النازل بهم, فكيف بغيرها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28165ـ حدثنا الحسين بن الحريث, قال: حدثنا الفضل بن موسى, عن الحسين بن واقد, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, قال: ثني أبيّ بن كعب وَإذَا الْعِشارُ عُطّلَتْ قال: إذا أهملها أهلها.
28166ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي يعلى, عن الربيع بن خيثم وَإذَا الْعِشارُ عُطّلَتْ قال: خلا منه أهلها لم تُحلَب ولم تُصَرّ.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي يعلى, عن الربيع بن خيثم وَإذَا الْعِشارُ عُطّلَتْ قال: لم تحلب ولم تُصَرّ, وتخلى منها أربابها.
28167ـ حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد, في قول الله: وَإذَا الْعِشارُ عُطّلَتْ قال: سُيّبت: تُرِكت.
28168ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَإذَا الْعِشارُ عُطّلَتْ قال: عِشار الإبل.
28169ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوذة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن وَإذَا الْعِشارُ عُطّلَتْ قال: سيبها أهلها فلم تصر, ولم تحلب, ولم يكن في الدنيا مال أعجب إليهم منها.
28170ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَإذَا الْعِشارُ عُطّلَتْ قال: عشار الإبل سُيّبت.

28171ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَـتْ يقـول: لا راعـيَ لها.

الآية : 5-10

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَـوْءُودَةُ سُـئِلَتْ * بِـأَيّ ذَنـبٍ قُتِلَـتْ * وَإِذَا الصّحُفُ نُشِرَتْ }.

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ فقال بعضهم: معنى ذلك: ماتت. ذكر من قال ذلك:

28172ـ حدثني عليّ بن مسلم الطوسي, قال: حـدثنا عبـاد بـن العـوّام, قـال: أخبرنـا حصـين, عـن عكرِمـة, عـن ابـن عبـاس, فـي قـول اللـه: وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ قال: حَشْرُ البهائم: موتها, وحشر كل شيء: الموت, غيـر الجنّ والإنس, فإنهما يوقفان يوم القيامة.

28173ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي يعلى, عن ربيع بن خيثم وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ قال: أتى عليها أمر الله, قال سفيان, قال أبي, فذكرته لعكرِمة, فقال: قال ابن عباس: حَشْرُها: موتها.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي يعلى, عن الربيع بن خيثم, بنحوه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وإذا الوُحوش اختلطت. ذكر من قال ذلك:

28174ـ حدثنا الحسين بن حريث, قال: حدثنا الفضـل بـن موسـى, عـن الحسين بن واقد, عن الربيع بن أنس عـن أبـي العاليـة, قـال: ثنـي أُبـيّ بـن كعب وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ قال: اختلطت.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: جُمعت. ذكر من قال ذلك:

28175ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سـعيد, عـن قتـادة وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ إن هذه الخلائق موافية يوم القيامة, فيقضي اللـه فيهـا مـا يشاء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنـى حشـرت: جمعـت, فأميتت لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر: الجمـع ومنـه قـول الله والطّيْرَ مَحْشُورَةً يعني: مجموعة.

وقوله: فَحَشَرَ فَنادَى وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلـب الظـاهر مـن تأويله, لا على الأنكر المجهول.

وقوله: وَإِذَا الْبِحارُ سُجّرَتْ اختلـف أهـل التأويـل فـي معنـى ذلـك, فقـال بعضهم: معنى ذلك: وإذا البحار اشتعلت نارا وحَمِيت. ذكر من قال ذلك:

28176ـ حدثنا الحسين بن حريث, قال: حدثنا الفضل بـن موسـى, قال: حدثنا الحسين بن واقد, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, قال: ثنـي أُبـيّ بن كعب وَإِذَا الْبِحارُ سُجّرَتْ قال: قالت الجـنّ للإنـس: نحـن نـأتيكم بـالخبر, فانطلقوا إلى البحار, فإذا هي تأجّج نارا.

28177ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عـن داود, عـن سـعيد بـن المسيب, قال: قال عليّ رضي الله عنه لرجل من اليهود: أين جهنم؟ فقال: البحـر, فقـال: مـا أراه إلا صـادقا والْبَحْـرِ المَسَـجْورِ «وَإِذَا الْبِحـارُ سُـجِرَتْ» مخففة.

28178ـ حدثني حوثرة بن محمد المنِقريّ, قال: حدثنا أبو أسـامة, قـال: حدثنا مجالد, قال: أخبرني شيخ من بجيلـة عـن ابـن عبـاس, فـي قـوله: إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ قال: كوّر الله الشمس والقمر والنجوم فـي البحـر, فيبعـث عليها ريحا دبورا, فتنفخه حتى يصير نارا, فذلك قوله: وَإذَا الْبِحارُ سُجّرَتْ.

28179ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَإذَا الْبِحارُ سُجرَتْ قال: إنها توقد يوم القيامة, زعمـوا ذلـك التسـجير في كلام العرب.

28180ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن حفص بـن حميـد, عـن شمر بن عطية, في قوله: والْبَحْر المَسْجُور قـال: بمنزلـة التنـور المسـجور وَإذَا الْبِحارُ سُجّرَتْ مثله.

28181ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان وَإذَا الْبِحارُ سُجّرَتْ قال: أُوقدت.

وقال آخرون: معنى ذلك: فاضت. ذكر من قال ذلك:

28182ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي يعلى, عن ربيع بن خيثم وَإذَا الْبحارُ سُجّرَتْ قال: فاضت.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي يعلى, عن ربيع, مثله.

28183ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قـال: حـدثنا ابـن ثـور, عـن معمـر, عـن الكلبي, في قوله: وَإذَا الّبِحارُ سُجّرَتْ قال: مُلئت, ألا ترى أنه قـال: وَالبَحْـرِ المَسْجُورِ.

28184ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَإذَا الْبِحارُ سُجّرَتْ يقول: فُجّرت.

وقال آخرون: بل عني بذلك أنه ذهب ماؤها. ذكر من قال ذلك:

28185ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سـعيد, عـن قتـادة وإذا الْبِحارَ سُجّرَتْ قال: ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَإذَا الْبِحارُ سُجّرَتْ قال: غار ماؤها فذهب.

28186ـ حـدثني الحسـين بـن محمـد الـذارع, قـال: حـدثنا المعتمـر بـن سليمان, عن أبيه, عن الحسين, في هذا الحـرف وَإذَا الْبحـارُ سُـجّرَتْ قـال: يبست.

28187ـ حدثنا الحسين بن محمد, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قـال: حـدثنا أبو رجاء, عن الحسن, بمثله.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجـاء, عـن الحسـن, فـي قوله: وَإذَا الْبِحارُ سُجّرَتْ قال: يبَست.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: مُلئـت حـتى فاضت, فانفجرت وسالت كما وصفها الله به في الموضع الآخر, فقـال: وإذا البحار فجّرت والعرب تقول للنهر أو للرّكيّ المملوء: ماء مسجور ومنه قول لبيد:

فَتَوَسّطا عُرْضَ السّرِى وَصَدّعامَسْجُورَةً مُتَجاوِرا قُلاّمُها

ويعني بالمسجورة: المملوءة ماء.

واختلفت القرّاء في قـراءة ذلـك, فقرأتـه عامـة قـرّاء المدينـة والكوفـة: سُجّرَتْ: بتشـديد الجيـم. وقـرأ ذلـك بعـض قـرّاء البصـرة: بتخفيـف الجيـم.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: وَإذَا النّفُوسُ زُوّجَتْ اختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: ألحق كلّ إنسان بشكله, وقرن بين الضّرَباء والأمثال. ذكر من قال ذلك:

28188ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن سماك, عن النعمان بن بشير, عن عمر رضي الله عنه وَإذَا النّفُوسُ زُوّجَتْ قال: هما الرجلان يعملان العمل الواحد يدخلان به الجنة, ويدخلان به النار.

28189ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن سماك بن حرب, عن النعمان بن بشير, عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وَإذَا النّفُوسُ زُوّجَتْ قال: هما الرجلان يعملان العمل, فيدخلان به الجنة, وقال: احْشُرُوا الّذِينَ ظَلَمُوا وَأزْوَاجَهُمْ, قال: ضرباءهم.

حدثنا ابن حميد, قال:ثنا مهران, عن سفيان, عن سماك بن حرب, عن النعمان بن بشير, عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وَإذَا النّفُوسُ زُوّجَتْ قال: هما الرجلان يعملان العمل, يدخلان به الجنة أو النار.

28190ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن سماك بن حرب أنه سمع النعمان بن بشير يقول: سمعت عمر بن الخطاب وهو يخطب, قال: وكُنْتُمْ أزْوَاجا ثَلاثَةً فأصحَابُ المَيْمَنَةِ ما أصحَابُ المَيْمَنَةِ وأصحَابُ المَشأمَةِ ما أصحَابُ المَشأمَةِ والسّابِقُونَ السّابِقُونَ أولَئِكَ المُقَرّبُونَ ثم قال: وَإذَا النّفُوسُ زُوّجَتْ قال: أزواج في الجنة, وأزواج في النار.

28191ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن النعمان بن بشير, قال: سُئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه, عن قول الله: وَإذَا النّفُوسُ زُوّجَتْ قال: يُقْرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة, وبين الرجل السّوء مع الرجل السّوء في النار.

28192ـ حدثني محمد بن خلف, قال: حدثنا محمد بن الصباح الدّولابيّ, عن الوليد, عن سماك, عن النعمان بن بشير, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم والنعمان عن عمر قال: وَإذَا النّفُوسُ زُوّجَتْ قال: الضّرَباء كلّ رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله, وذلك أن الله يقول: وكُنْتُمْ أزْوَاجا ثَلاثَةً فأصحَابُ المَيْمَنَةِ ما أصحَابُ المَيْمَنَةِ وأصحَابُ المَشأمَةِ ما أصحَابُ المَشأمَةِ والسّابِقُونَ السّابِقُونَ قال: هم الضّرَباء.

28193ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَإذَا النّفُوسُ زُوّجَتْ قال: ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة.

28194ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا هوذة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: وَإذَا النّفُوسُ زُوّجَتْ قال: ألحق كلّ أمرىء بشيعته.

28195ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَإذَا النّفُوسُ زوّجَتْ قال: الأمثالُ من الناسُ جُمع بَينهم.

28196ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإذَا النّفُوسُ زُوّجَتْ قال: لحق كلّ إنسان بشيعته, اليهود باليهود, والنصارى بالنصارى.

28197ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي يعلى, عن الربيع بن خيثم وَإِذَا النّفُوسُ زُوّجَتْ قال: يحشر المرء مع صاحب عمله.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي يعلى, عن الربيع, قال: يجيء المرء مع صاحب عمله.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك أن الأرواح ردّت إلى الأجساد فزوّجت بها: أي جعلت لها زوجا. ذكر من قال ذلك:

28198ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, عن أبيه, عن أبي عمرو, عن عكرِمة وَإِذَا النّفُوسُ زُوّجَتْ قال: الأرواح تَرجع إلى الأجساد.

28199ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, عن الشعبيّ أنه قال في هذه الآية: وَإِذَا النّفُوسُ زُوّجَتْ قال: زوّجت الأجساد فرُدّت الأرواح في الأجساد.

حدثني عبيد بن أسباط بن محمد, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن عكرِمة وَإِذَا النّفُوسُ زُوّجَتْ قال: ردّت الأرواح في الأجساد.

حدثني الحسن بن زريق الطهوي, قال: حدثنا أسباط, عن أبيه, عن عكرِمة, مثله.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: أخبرنا داود, عن الشعبيّ, في قوله: وَإِذَ النّفُوسُ زُوّجَتْ قال: زوّجت الأرواح الأجساد.

وأولى التأويلين في ذلك بالصحة, الذي تأوّله عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعلة التي اعتلّ بها, وذلك قول الله تعالى ذكره: وكنْتُمْ أزْوَاجا ثَلاثَةً, وقوله: احْشُرُوا الّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْ وذلك لا شكّ الأمثال والأشكال, في الخير والشرّ, وكذلك قوله: وَإِذَا النّفُوسُ زُوّجَتْ بالقُرَناء والأمثال في الخير والشرّ.

28200ـ وحدثني مطر بن محمد الضبي, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهديّ, قال: حدثنا عبد العزيز بن مسلم القسملي عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية في قوله: إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ قال: سيأتي أوّلها والناس ينظرون, وسيأتي آخرها إذا النفوس زوّجت.

وقوله: وَإِذَا المَوْءُودةُ سُئِلَتْ بأيّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟: اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه أبو الضّحى مسلم بن صبيح: «وَإِذَا المَوْءُودَةُ سألَتْ بأيّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ»؟ بمعنى: سألت الموءودة الوائدين: بأيّ ذنب قتلوها. ذكر الرواية بذلك:

28201ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن مسلم, في قوله: وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ؟ قال: طلبت بدمائها.

حدثنا سوّار بن عبد الله العنبري, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن الأعمش, قال: قال أبو الضحى: «وَإِذَا المَوْءُودَةُ سألَتْ»؟ قال: سألت قتلتها.

ولو قرأ قارىء ممن قرأ «سألَتْ بِأيّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» كان له وجه, وكان يكون معنى ذلك معنى من قرأ بِأيّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ غير أنه إذا كان حكاية جاز فيه الوجهان, كما يقال: قال عبد الله بأيّ ذنب ضُرب كما قال عَنترة:

الشّاتِمَيْ عِرْضِي ولم أشْتُمْهُماوالنّاذِرَيْن إذَا لَقِيتُهُما دَمي

وذلك أنهما كانا يقولان: إذا لقينا عنترة لنقتلنّه. فحكى عنترة قولهما في شعره وكذلك قول الآخر:

رَجُلانِ مِنْ ضَبّةَ أخْبَرَانا إنّا رأيْنا رَجُلاً عُرْيانا

بمعنى: أخبرانا أنهما, ولكنه جرى الكلام على مذهب الحكاية. وقـرأ ذلـك بعض عامة قرّاء الأمصار: وإذَا المَوْءدَةُ سُئِلَتْ بِأيّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ بمعنى: سُئلت الموءودة بأيّ ذنب قُتلت, ومعنى قُتلت: قتلت, غيـر أنّ ذلـك ردّ إلـى الخـبر على وجه الحكاية على نحو القول الماضي قبل, وقد يتوجه معنى ذلـك إلـى أن يكون: وإذا الموءودة سئلت قَتَلتُها ووائدوها, بأيّ ذنب قتلوها؟ ثم ردّ ذلك إلى ما لم يسمّ فاعله, فقيل: بأيّ ذنب قُتِلَت.

وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب: قراءة من قرأ ذلك سُئِلَتْ بضم السين بِأيّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ على وجه الخبر, لإجماع الحجة من القرّاء عليه. والموءودة: المدفونة حية, وكذلك كانت العرب تفعل ببناتها ومنه قول الفرزدق بن غالب:

ومِنّا الّذي أحْيا الوَئِيدَ وَغائِبُوعَمْرٍو, ومنّا حامِلونَ وَدافِعُ

يقال: وأده فهو يئده وأدا, ووأدة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28202ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ: هي في بعض القراءات: «سألَتْ بأيّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟» لا بذنب, كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته, ويغذو كلبه, فعاب الله ذلك عليهم.

28203ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: جاء قيس بن عاصم التميميّ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: إني وَأدت ثماني بنات في الجاهلية, قال: «فأعْتِقْ عَنْ كُلّ وَاحِدَةٍ بَدَنَةً».

28204ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي يَعلى, عن الربيع بن خيثم وَإذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ قال: كانت العرب من أفعل الناس لذلك.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي يعَلى, عن ربيع بن خيثم بمثله.

28205ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ قال: البنات التي كانت طوائف العرب يقتلونهنّ, وقرأ: بأيّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ.

وقوله: وَإذَا الصّحُفُ نُشِرَتْ يقول تعالى ذكره: وإذا صحف أعمال العباد نُشرت لهم, بعد أن كانت مطوية على ما فيها مكتوب, من الحسنات والسيئات. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28206ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإذَا الصّحُفُ نُشِرَتْ صحيفتك يا بن آدم, تملى ما فيها, ثم تُطَوى, ثم تُنشَر عليك يوم القيامة.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة نُشِرَتْ بتخفيف الشين, وكذلك قرأه أيضا بعض الكوفيين, وقرأ ذلك بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء الكوفة, بتشديد الشين. واعتلّ من اعتلّ منهم لقراءته ذلك كذلك, بقول الله: أنْ يُؤْتَى صُحُفا مُنَشّرَةً ولم يقل منشورة, وإنما حسن التشديد فيه, لأنه خبر عن جماعة, كما يقال: هذه كِباش مُذَبّحة, ولو أخبر عن الواحد بذلك كانت مخففة, فقيل مذبوحة, فكذلك قوله منشورة.

الآية : 11-16

القول في تأويل قوله تعالى:{وَإِذَا السّمَآءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعّرَتْ * وَإِذَا الْجَنّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مّآ أَحْضَرَتْ * فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنّسِ * الْجَوَارِ الْكُنّسِ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا السماء نُزعت وجُذبت, ثم طُويت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28207ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: كُشِطَتْ قال: جُذبت.

وذُكر في قراءة عبد الله: «قُشِطَتْ» بالقاف, والقَشْط والكَشْط: بمعنى واحد, وذلك تحويل من العرب الكاف قافا, لتقارب مخرجيهما, كما قيل للكافور قافور, وللقُسط: كُسْط, وذلك كثير في كلامهم, إذا تقارب مخرج الحرفين, أبدلوا من كلّ واحد منهما صاحبه, كقولهم للأثافي: أثاثي, وثوب فُرْقُبيّ وثُرْقُبِيّ.

وقوله وَإِذَا الجَحِيمُ سُعّرَتْ يقول تعالى ذكره: وإذا الجحيم أُوقد عليها فأُحميت.

28208ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإِذَا الجَحِيمُ سُعّرَتْ: سعرها غضب الله, وخطايا بني آدم.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة سُعّرَتْ بتشديد عينها, بمعنى أوقد عليها مرّة بعد مرّة, وقرأته عامة قرّاء الكوفة بالتخفيف. والقول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: وَإِذَا الجَنّةُ أُزْلِفَتْ يقول تعالى ذكره: وإذا الجنة قرّبت وأُدنيت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28209ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي يعلى, عن الربيع بن خيثم: وَإِذَا الجَحِيمُ سُعّرَتْ وَإِذَا الجَنّةُ أُزْلِفَتْ قال: إلى هذين ما جرى الحديث: فريق في الجنة, وفريق في السعير.

حدثني ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي يعلَى, عن الربيع وَإِذَا الجَحِيمُ سُعّرَتْ وَإِذَا الجَنّةُ أُزْلِفَتْ قال: إلى هذين ما جرى الحديث: فريق إلى الجنة, وفريق إلى النار. يعني الربيع بقوله: إلى هذين ما جرى الحديث أن ابتداء الخبر إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ... إلى قوله: وَإِذَا الجَحِيمُ سُعّرَتْ إنما عُددت الأمور الكائنة التي نهايتها أحد هذين الأمرين, وذلك المصير إما إلى الجنة, وإما إلى النار.

وقوله: عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ يقول تعالى ذكره: علمت نفس عند ذلك ما أحضرت من خير, فتصير به إلى الجنة, أو شرّ فتصير به إلى النار, يقول: يتبين له عند ذلك ما كان جاهلاً به, وما الذي كان فيه صلاحه من غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28210ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ من عمل, قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وإلى هذا جرى الحديث.

وقوله: عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ جواب لقوله: إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ وما بعدها, كما يقال: إذا قام عبد الله قعد عمرو.

وقوله: فَلا أُقْسِمُ بالخُنّسِ الجَوَارِ الكُنّسِ. اختلف أهل التأويل في الخُنّس الجوار الكُنّس. فقال بعضهم: هي النجوم الدراريّ الخمسة, تخنِس في

مجراها فترجع, وتكنس فتستتر في بيوتها, كما تكنِس الظباء في المغار, والنجوم الخمسة: بَهْرام, وزُحَل, وعُطارد, والزّهَرَة, والمُشْتَري. ذكر من قال ذلك:

28211ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن خالد بن عُرْعُرة, أن رجلاً قام إلى عليّ رضي الله عنه, فقال: ما الجَوَارِ الْكُنّسِ؟ قال: هي الكواكب.

28212ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن سِماك بن حرب, قال: سمعت خالد بن عُرْعُرة, قال: سمعت عليا عليه السلام, وسُئل عن لا أُقْسِمُ بالخُنّسِ الجَوَارِ الْكُنّسِ قال: هي النجوم تخنس بالنهار, وتكنِس بالليل.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سماك, عن خالد بن عرعرة, عن عليّ رضي الله عنه, قال: النجوم.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن رجل من مُراد, عن عليّ: أنه قال: هل تدرون ما الخنس؟ هي النجوم تجري بالليل, وتخنس بالنهار.

28213ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني جرير بن حازم, أنه سمع الحسن يُسْأل, فقيل: يا أبا سعيد ما الجواري الْكُنّس؟ قال: النجوم.

28214ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا هوذة بن خليفة, قال: حدثنا عوف, عن بكر بن عبد الله, في قوله: فَلا أُقْسِمُ بالخُنّس الجَوَارِ الْكُنّسِ قال: هي النجوم الدراريّ, التي تجري تستقبل المشرق.

28215ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن مجاهد, قال: هي النجوم.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن رجل من مراد, عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فَلا أُقْسِمُ بالخُنّسِ الجِوَارِ الْكُنّسِ قال: يعني النجوم, تكنس بالنهار, وتبدو بالليل.

28216ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَلا أُقْسِمُ بالخُنّسِ الجِوَارِ الْكُنّسِ قال: هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار.

28217ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن, في قوله فَلا أُقْسِمُ بالخُنّسِ الجَوَارِ الْكُنّسِ قال: هي النجوم تخنس بالنهار, والجوار الكنس: سيرهنّ إذا غبن.

28218ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: الخُنّسِ الجَوَارِ الكُنّسِ قال: الخنس والجواري الكنس: النجوم الخنس, إنها تخنِس تتأخر عن مطلعها, هي تتأخر كلّ عام لها في كلّ عام تأخر عن تعجيل ذلك الطلوع تخنس عنه. والكنس: تكنس بالنهار فلا تُرَى. قال: والجواري تجري بعد, فهذا الخنس الجواري الكنس.

وقال آخرون: هي بقر الوحش التي تكنس في كناسها. ذكر من قال ذلك:

28219ـ حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا هشيم بن بشير, عن زكريا بن أبي زائدة, عن أبي إسحاق السّبيعيّ, عن أبي ميسرة, عن عبد الله بن مسعود أنه قال لأبي ميسرة: ما الجواري الكنس؟ قال: فقال بقر الوحش قال: فقال: وأنا أرى ذلك.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي ميسرة, عن عبد الله, في قوله الجِوَارِي الْكُنّسِ: قال: بقر الوحش.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن عمرو ابن شرحبيل, قال: قال ابن مسعود: يا عمرو ما الجواري الكنس, أو ما تراها؟ قال عمرو: أراها البقر, قال عبد الله: وأنا أراها البقر.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي ميسرة, قال: سألت عنها عبد الله, فذكر نحوه.

28220ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني جرير بن حازم, قال: ثني الحجاج بن المنذر, قال: سألت أبا الشّعثاء جابر بن زيد, عن الجواري الكنس, قال: هي البقر إذا كَنَست كوانسها.

قال يونس: قال لي عبد الله بن وهب: هي البقر إذا فرّت من الذئاب, فذلك الذي أراد بقوله: كنست كوانسها.

28221ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال جرير, وحدثني الصلت بن راشد, عن مجاهد مثل ذلك.

28222ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن إبراهيم, في قوله: الجَوَارِ الكُنّسِ قال: هي بقر الوحش.

28223ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, قال: سُئل مجاهد ونحن عند إبراهيم, عن قوله الجَوَارِ الْكُنّسِ قال: لا أدري, فانتهره إبراهيم وقال: لِمَ لا تدري؟ فقال: إنهم يروُون عن عليّ رضي الله عنه, وكنا نسمع أنها البقر, فقال إبراهيم: هي البقر. الجواري الكنس: جِحَرة بقر الوحش التي تأوي إليها, والخنس الجواري: البقر.

28224ـ حدثنا يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية فَلا أُقْسِمُ بالخُنّسِ الجَوَارِ الْكُنّسِ فقال إبراهيم لمجاهد: قل فيها ما سمعت, قال: فقال مجاهد: كنا نسمع فيها شيئا, وناس يقولون: إنها النجوم قال: فقال إبراهيم: إنهم يكذبون على عليّ رضي الله عنه, هذا كما رَوَوا عن عليّ رضي الله عنه, أنه ضمن الأسفل الأعلى, والأعلى الأسفل.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران,عن سفيان, عن المغيرة, قال: سُئل مجاهد عن الجواري الكنس قال: لا أدري, يزعمون أنها البقر قال: فقال إبراهيم: ما لا تدري هي البقر قال: يذكرون عن عليّ رضي الله عنه أنها النجوم, قال: يكذبون على عليّ عليه السلام.

وقال آخرون: هي الظباء. ذكر من قال ذلك:

28225ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: فَلا أُقْسِمُ بالخُنّسِ الجَوَارِ الْكُنّسِ يعني: الظباء.

28226ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث بن إسحاق, عن جعفر, عن سعيد بن جُبَير فَلا أُقْسِمُ بالخُنّسِ قال: الظباء.

28227ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: فَلا أُقْسِمُ بالخُنّسِ الجَوَارِ الْكُنّسِ قال: كنا نقول: «أظنه قال»: الظباء, حتى زعم سعيد بن جُبير أنه سأل ابن عباس عنها, فأعاد عليه قراءتها.

28228ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: الخُنّسِ الجَوَارِ الْكُنّسِ يعني الظباء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بأشياء تخنس أحيانا: أي تغيب, وتجري أحيانا وتكنس أخرى, وكنوسها: أن تأوي في مكانسها, والمكانِس عند العرب, هي المواضع التي تأوي إليها بقر الوحش والظباء, واحدها مَكْنِس وكِناس, كما قال الأعشى:

فلَمّا لَحِقْنا الْحَيّ أَبْلَعَ أَنّسُكمَا أَبْلَعَتْ تَحْتَ المَكانِسِ رَبْرَبُ

فهذه جمع مَكْنِس, وكما قال في الكِناس طَرَفة بن العبد:

كأنّ كِناسَيْ ضَالَةٍ يَكْنُفانِهَا وأطْرَ قِسِيَ تَحْتَ صُلْبٍ مؤَيّدِ

وأما الدلالة على أن الكِناس قد يكون للظباء, فقول أوس بن حَجَر:

أَلَمْ تَرَ أنّ اللّهَ أنْزَلَ مُزْنَةً وعُفْرُ الظّباءِ فِي الْكِناسِ تَقَمّعُ

فالكِناس في كلام العرب ما وصفت, وغير مُنكر أن يُستعار ذلك في المواضع التي تكون بها النجوم من السماء, فإذا كان ذلك كذلك, ولم يكن في الآية دلالة على أن المراد بذلك النجوم دون البقر, ولا البقر دون الظباء, فالصواب أن يُعَمّ بذلك كلّ ما كانت صفته الخنوس أحيانا, والجري أخرى, والكنوس بآنات على ما وصف جلّ ثناؤه من صفتها.

الآية : 17-20

القول في تأويل قوله تعالى:{وَاللّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصّبْحِ إِذَا تَنَفّسَ * إِنّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ }.

أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالليل إذا عسعس, يقول: وأقسم بالليل إذا عسعس.

واختلف أهل التأويل في قوله وَاللّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ فقال بعضهم: عنى بقوله: إِذَا عَسْعَس: إذا أدبر. ذكر من قال ذلك:

28229ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَاللّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ يقول: إذا أدبر.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَاللّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ يعني: إذا أدبر.

28230ـ حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكريّ, قال: حدثنا محمد بن يزيد, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن رجل عن أبي ظَبيان, قال: كنت أتبع عليّ بن أبي طالب, رضي الله عنه, وهو خارج نحو المشرق, فاستقبل الفجر, فقرأ هذه الآية وَاللّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ.

28231ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن الحسن بن عبيد الله, عن سعد بن عبيدة, عن أبي عبد الرحمن, قال: خرج عليّ عليه السلام مما يلي باب السوق, وقد طلع الصبح أو الفجر, فقرأ: وَاللّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصّبْحِ إِذَا تَنَفّسَ أين السائل عن الوتر؟ نعم ساعة الوتر هذه.

28232ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَاللّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ قال: إقباله, ويقال: إدباره.

28233ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله وَاللّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ: إذا أدبر.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة إِذَا عَسْعَسَ قال: إذا أدبر.

28234ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: إذَا عَسْعَسَ: إذا أدبر.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن مسعر, عن أبي حصين, عن أبـي عبد الرحمن, قال: خـرج علـيّ عليـه السـلام بعـد مـا أذّن المـؤذّن بالصـبح, فقال: واللّيْلِ إذَا عَسْعَسَ والصّبْحِ إذَا تَنَفّسَ أين السائل عن الوتر؟ قال: نعم ساعة الوتر هذه.

28235ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَاللّيْلِ إذَا عَسْعَسَ قال: عسـعس: تـولى, وقـال: تنفـس الصـبح مـن هاهنا, وأشار إلى المشرق اطلاع الفجر.

وقال آخرون: عنى بقوله: إذَا عَسْعَسَ: إذا أقبـل بظلامـه. ذكـر مـن قـال ذلك:

28236ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قـال: حـدثنا ابـن ثـور, عـن معمـر, عـن الحسن وَاللّيْلِ إذَا عَسْعَسَ قال: إذا غَشِي الناس.

28237ـ حدثنا الحسين بن عليّ الصدائي, قال: ثني أبـي, عـن الفضـيل, عن عطية وَاللّيْلِ إذَا عَسْعَسَ قال: أشار بيده إلى المغرب.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي: قول من قـال: معنـى ذلـك: إذا أدبر, وذلـك بقـوله: وَالصّـبْحِ إذَا تَنَفّـسَ فـدلّ بـذلك علـى أن القسـم بالليـل مدبرا, وبالنهار مقبلاً, والعـرب تقـول: عسـعس الليـل, وسَعْسَـع الليـل: إذا أدبر, ولم يبق منه إلا اليسير ومن ذلك قول رُؤْبة بن العجاج:

يا هِنْدُ ما أسْرَعَ ما تَسَعْسَعاوَلَوْ رَجا تَبْعَ الصّبا تَتَبّعا

فهذه لغة من قال: سعسع وأما لغة من قال: عسعس, فقول علقمـة بـن قُرط:

حتى إذَا الصّبْحُ لَهَا تَنَفّساوانْجابَ عَنْها لَيْلُها وَعَسْعَسا

يعني أدبر. وقد كان بعض أهل المعرفة بكلام العرب, يزعم أن عسـعس: دنا من أوّله وأظلم. وقال الفراء: كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتا:

عَسْعَسَ حتى لَوْ يَشاءُ إدّناكانَ لَهُ مِنْ ضَوْئِهِ مَقْبَسُ

يقول: لو يشاء إذ دنا, ولكنه أدغم الذال فـي الـدال, قـال الفـرّاء: فكـانوا يرون أن هذا البيت مصنوع.

وقوله: وَالصّبْحِ إذَا تَنَفّسَ يقول: وضوء النهار إذا أقبل وتبين. وبنحو الـذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28238ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشـعث, عـن جعفـر, عن سعيد, في قوله: والصّبْحِ إذَا تَنَفّسَ قال: إذا نشأ.

28239ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة والصّبْحِ إذَا تَنَفّسَ: إذا أضاء وأقبل.

وقوله: إنّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ يقول تعالى ذكره: إن هـذا القـرآن لتنزيـل رسول كريم, يعني جبريل, نزله على محمد بن عبد اللـه. وبنحـو الـذي قلنـا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28240ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة, أنـه كان يقول: إنّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ يعني: جبريل.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدّثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, أنه كان يقول إنّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ قال: هو جبريل.

وقوله: ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ يقول تعالى ذكره: ذي قـوّة, يعنـي جبرائيل على ما كلف من أمر غير عاجز عْنـدَ ذِي العَـرْشِ مَكِيـنٍ يقـول: هـو مكينٌ عند ربّ العرش العظيم.

الآية : 21-26

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{مّطَاعٍ ثَمّ أَمِيـنٍ * وَمَـا صَـاحِبُكُمْ بِمَجْنُـونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِـالأُفُقِ الْمُبِيـنِ * وَمَـا هُـوَ عَلَـى الْغَيْـبِ بِضَـنِينٍ * وَمَـا هُـوَ بِقَـوْلِ شَيْطَانٍ رّجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: مُطاعٍ ثَمّ يعني جبريل صلى الله عليه وسلم, مطاع في السماء تطيعه الملائكة أمِينٍ يقول: أمين عند الله على وحيه ورسالته, وغير ذلك مما ائتمنه عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قـال أهـل التأويـل. ذكـر مـن قال ذلك:

28241ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا عمر بـن شـبيب المسـلي, عـن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح: مُطـاعٍ ثَـمّ أمِيـنٍ قـال: جبريـل عليـه السلام, أمين على أن يدخل سبعين سُرادقا من نور بغير إذن.

حدثنا محمد بن منصور الطوسيّ, قال: حدثنا عمر بن شبيب, قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد, قال: لا أعلمه إلا عن أبي صالح, مثله.

28242ـ حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الأقطع, قال: ثني أبي عمـر بن خالد, عن معقل بن عبيد الله الجَـزَريّ, قـال: قـال ميمـون بـن مهْـران فـي قوله: مُطاعٍ ثَمّ أمِينٍ قال: ذاكم جبريل عليه السلام.

28243ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, فـي قـوله: ذِي قُـوّةٍ عِنْـدَ ذِي الْعَـرْشِ مَكِيـنٍ مُطاعٍ ثَمّ أمِينٍ قال: يعني جبريل.

28244ـ حدّثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ذِي قُوّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطاعٍ مطاع عند الله ثَمّ أمِينٍ.

28245ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قـوله: مُطّاعٍ ثَـمّ أمِيـنٍ يعنـي جبريـل عليـه السلام.

وقوله: وَما صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ يقول تعالى ذكره: وما صاحبكم أيهـا النـاس محمد بمجنون, فيتكلم عن جِنّة, ويهـذي هـذيان المجـانين, بـل جـاء بـالحقّ, وصدّق المرسلين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر مـن قـال ذلك:

28246ـ حدثنا سليمان بن عمر بن خالد البرقي, قال: حدثنا أبي عمرو بن خالد, عن مَعْقل بن عبد الله الجَـزَريّ, قـال: قـال ميمـون بـن مهـران: وَمـا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ قال: ذاكم محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله: وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ يقـول تعـالى ذكـره: ولقـد رآه أي محمـد جبريلَ صلى الله عليه وسلم في صورته بالناحية الـتي تـبين الأشـياء, فـترى من قبلها, وذلك من ناحية مطلع الشمس من قِبَل المشرق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28247ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: بالأُفُقِ المُبِينِ الأعلى. قال: بأفق من نحو «أجياد».

28248ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة بالأُفُقِ المُبِينِ قال: كنا نحدّث أن الأفق حيث تطلع الشمس.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ كنا نحدّث أنه الأفق الذي يجيء منه النهار.
28249ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ قال: رأى جبريل بالأفق المبين.
28250ـ حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرمليّ, قال: حدثنا يحيى بن عيسى, عن الأعمش, عن الوليد بن العيزار, قال: سمعت أبا الأحوص يقول من قول الله: وَلَقَدْ رَآهُ بالأُفُقِ المُبِينِ قال: رأى جبريل له ستّ مئة جناح في صورته.
28251ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن عامر, قال: ما رأى جبريل النبيّ صلى الله عليه وسلم في صورته إلا مرّة واحدة, وكان يأتيه في صورة رجل يقال له دَحْية, فأتاه يوم رآه في صورته قد سدّ الأفق كله عليه سندس أخضر معلق الدرّ, فذلك قول الله: وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ وذُكر أن هذه الآية في: إذَا الشّمْسُ كُوّرَتْ إنّه لَقَوْلُ رَسُولِ كَرِيمٍ في جبريل, إلى قوله: وَما هُوَ عَلى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ يعني النبيّ صلى الله عليه وسلم.
وقوله: وَما هُوَ عَلى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة بِضَنِينٍ بالضاد, بمعنى أنه غير بخيل عليهم بتعليمهم ما علّمه الله, وأنزل إليه من كتابه. وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين وبعض الكوفيين: «بِظَنِينٍ» بالظاء, بمعنى أنه غير متهم فيما يخبرهم عن الله من الأنباء. ذكر من قال ذلك بالضاد, وتأوّله على ما وصفنا من التأويل من أهل التأويل:
28252ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عاصم, عن زِرّ «وَما هُوَ عَلى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» قال: الظّنين: المتهم. وفي قراءتكم: بِضَنِينٍ والضنين: البخيل, والغيب: القرآن.
28253ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا خالد بن عبد الله الواسطي, قال: حدثنا مغيرة, عن إبراهيم وَما هُوَ عَلى الْغَيْب بِضَنِينٍ ببخيل.
28254ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى: وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَما هُوَ عَلى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ قال: ما يضِنّ عليكم بما يعلم.
28255ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما هُوَ عَلى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ قال: إن هذا القرآن غيب, فأعطاه الله محمدا, فبذله وعلّمه ودعا إليه, والله ما ضنّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عاصم, عن زرّ «وَما هُوَ عَلى الْغَيْبِ بِظَنين» قال: في قراءتنا بمتهم, ومن قرأها بِضَنِينٍ يقول: ببخيل.
28256ـ حدثنا مهران, عن سفيان وَما هُوَ على الْغَيْبِ بِضَنِينٍ قال: ببخيل.
28257ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَما هُوَ عَلى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ الغيب: القرآن, لم يضنّ به على أحد من الناس أدّاه وبلّغه, بعث الله به الروح الأمين جبريل إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم, فأدّى جبريل ما استودعه الله إلـى محمـد, وأدّى محمـد مـا استودعه الله وجبريل إلى العباد, ليس أحد منهمّ ضَنّ, ولا كَتَم, ولا تَخَرّص.

28258ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن عامر وَما هُـوَ عَلى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ يعني النبيّ صلى اللـه عليـه وسـلم. ذكـر مـن قـال ذلـك بالظاء, وتأوّله على ما ذكرنا من أهل التأويل:

28259ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا المحاربي, عن جُويبر, عن الضحاك, عن ابن عباس, أنه قرأ: «بِظَنِينٍ» قال: ليس بمتهم.

28260ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي المعلّى, عن سعيد بن جُبير: أنه كان يقرأ هذا الحرف «وَما هُوَ عَلـى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» فقلت لسعيد بن جُبير: ما الظنين؟ قال: ليس بمتهم.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي المعلى, عن سعيد بن جُبير أنه قرأ «وَما هُوَ عَلى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» قلت: وما الظنين: قال المتهم.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: «وَما هُوَ عَلى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» يقول: ليس بمتهـم على ما جاء به, وليس يظنّ بما أوتي.

28261ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا خالد بن عبد الله الواسطيّ, قال: حـدثنا المغيرة, عن إبراهيم «وَما هُوَ عَلى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» قال: بمتهم.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيانَ, عن عاصم, عن زرّ: «وَما هُوَ عَلى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» قال: الغيب: القرآن... وفي قراءتنا «بِظَنِينٍ» متهم.

28262ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدّثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «بِظَنِينٍ» قال: ليـس علـى مـا أنـزل الله بمتهم.

وقد تأوّل ذلك بعض أهل العربية أن معناه: وما هو علـى الغيـب بضـعيف, ولكنه محتَمِل لـه مطيـق, ووجهـه إلـى قـول العـرب للرجـل الضـعيف: هـو ظَنُون.

وأولى القراءتين فـي ذلـك عنـدي بالصـواب: مـا عليـه خطـوط مصـاحف المسلمين متفقة, وإن اختلفت قراءتهم به, وذلك بضَـنِينٍ بالضـاد, لأن ذلـك كله كذلك في خطوطها.

فإذا كان ذلك كذلك, فأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويـل مـن تـ أوّله: وما محمد على ما علّمه الله من وحيه وتنزيله ببخيل بتعليمكموه أيها الناس, بل هو حريص على أن تؤمنوا به وتتعلّموه.

وقوله: وَما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ يقول تعـالى ذكـره: ومـا هـذا القـرآن بقول شيطان ملعون مطرود, ولكنه كلام الله ووحيه.

وقوله: فأيْنَ تَذْهَبُونَ يقول تعالى ذكره: فـأين تـذهبون عـن هـذا القـرآن, وتعدلون عنه؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28263ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فـأيْنَ تَذْهَبُونَ يقول: فأين تعدلون عن كتابي وطاعتي.

وقيل: فَأيْنَ تَذْهَبُونَ ولم يقل: فإلى أين تذهبون, كما يقال: ذهبت الشأم, وذهبت السوق. وحُكي عن العرب سماعا: انطلق به الغَوْرَ, على معنى إلغاء الصفة, وقد ينشد لبعض بني عُقَيل:

تَصِحُ بِنا حَنِيفَةُ إذْ رأتْنا وأيّ الأرْضِ تَذْهَبُ للصّياحِ

بمعنى: إلى أيّ الأرض تذهب؟ واستُجيز إلغَاء الصفة في ذلك للاستعمال.

الآية : 27-29

القول في تأويل قوله تعالى:{إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَآءُونَ إِلاّ أَن يَشَآءَ اللّهُ رَبّ الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: إنْ هذا القرآن, وقوله: هُوَ من ذكر القرآن إلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ يقول: إلا تذكرة وعظة للعالَمين من الجنّ والإنس لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ فجعل ذلك تعالى ذكره, ذكرا لمن شاء من العالَمِين أن يستقيم, ولم يجعله ذكرا لجميعهم, فاللام في قوله: لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ إبدال من اللام في للعالمَين. وكان معنى الكلام: إن هو إلا ذكر لمن شاء منكم أن يستقيم على سبيل الحقّ فيتبعه, ويؤمن به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28264ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ قال: يتبع الحقّ.

وقوله: وَما تَشاءُونَ إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهَ رَبّ العالَمِينَ يقول تعالى ذكره: وما تشاءون أيها الناس الاستقامة على الحقّ, إلا أن يشاء الله ذلك لكم. وذُكر أن السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية ما:

28265ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن سعيد بن عبد العزيز, عن سليمان بن موسى, لما نزلت لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ قال أبو جهل: ذلك إلينا, إن شئنا استقمنا, فنزلت: وَما تَشاءُونَ إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ رَب العَالَمِينَ.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن سعيد بن عبد العزيز, عن سليمان بن موسى, قال: لما نزلت هذه الآية: لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ قال أبو جهل: الأمر إلينا, إن شئنا استقمنا, وإن شئنا لم نستقم, فأنزل الله: وَما تَشاءُونَ إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ رَبّ العالَمِينَ.

حدثني ابن البَرْقيّ, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, عن سعيد, عن سليمان بن موسى, قال: لما نزلت هذه الآية: لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ قال أبو جهل: ذلك إلينا, إن شئنا استقمنا, وإن شئنا لم نستقم, فأنزل الله: وَما تَشاءُونَ إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ رَبّ العالَمِينَ.

سورة الإنفطار

سورة الانفطار مكيّة
وآياتها تسع عشرة
بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-5

القول في تأويل قوله تعالى:{إِذَا السّمَآءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مّا قَدّمَتْ وَأَخّرَتْ }.

يقول تعالى ذكره: إذَا السّماءُ انْفَطَرَتْ: انشقّت, وإذا كواكبها انتثرت منها فتساقطت, وَإذَا الْبِحارُ فُجّرَتْ يقول: فجّر الله بعضها في بعض, فملأ جميعها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في بعض ذلك. ذكر من قال ذلك:

28266ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, في قوله: وَإذَا الْبِحارُ فُجّرَتْ يقول: بعضها في بعض.
28267ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإذَا الْبِحارُ فُجّرَتْ فُجر عذبها في مالحها, ومالحها في عذبها.
28268ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قـال: حـدثنا ابـن ثـور, عـن معمـر, عـن الحسن وَإذَا الْبِحارُ فُجّرَتْ قال: فجّر بعضها في بعض, فـذهب ماؤهـا. وقـال الكلبي: ملئت.
وقوله: وَإذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ يقول: وإذا القبور أُثيرت, فاستخرج من فيها من الموتى أحياء. يقال: بعـثر فلان حـوض فلان: إذا جعـل أسـفله أعلاه, يقـال: بعثره وبحثره: لغتان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهـل التأويـل. ذكـر مـن قال ذلك:
28269ـ حدثني علي, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, في قوله: وَإذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ يقول: بُحثت.
وقوله: عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدّمَتْ وأخّرَتْ يقول تعالى ذكره: علمت كلّ نفس ما قدّمت لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه, وأخـرت وراءه مـن شـيء سـنّه فعمل به.
واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك. ذكر من قال ذلك:
28270ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن أبيه, قال: ثني عن القُرَظِيّ, أنه قال في: عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدّمَتْ وَأخّرَتْ قال: ما قدّمت مما عملت, وأما ما أخّرت فالسنة يَسُنّها الرجل, يعمل بها من بعده.
وقال آخرون: عُنِي بذلك: ما قدّمت من الفرائض التي أدتها, وما أخرّت من الفرائض التي ضيعتها. ذكر من قال ذلك:
28271ـ حدثنا أبو كريـب, قـال: حـدثنا وكيـع, عـن أبيـه, عـن سـعيد بـن مسروق, عن عكرِمة عَلِمَتْ نَفْـسٌ مـا قَـدّمَتْ وَ ال: مـا افـترض عليهـا وَمـا أخّرَتْ قال: مما افترض عليها.
28272ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدّمَتْ وَأخّرَتْ قـال: تعلـم مـا قدّمت من طاعة الله, وما أخرت مما أُمِرَت به من حقّ للـه عليـه لـم تعمـل به.
28273ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: عَلمَتْ نَفْسٌ ما قَدّمَتْ وأخّرَتْ قال: ما قدّمت من خير, وأخّرت من حق الله عليها لم تعمل به.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثـور, عـن معمـر, عـن قتـادة, مـا قَدّمَتْ وأخّرَتْ قال: ما قدمت من طاعة الله وما أخرت من حق الله.
28274ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهـب, قـال: قـال ابـن زيـد فـي قوله: عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدّمَتْ وأخّرَتْ قال: ما قـدّمت: عملـت, ومـا أخـرت: تركت وضيّعت, وأخرت من العمل الصالح الذي دعاها الله إليه.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: ما قدّمت من خير أو شرّ, وأخّرت من خير أو شرّ. ذكر من قال ذلك:

28275ـ حدثني يعقوب, قال: حـدثنا هشـيم, قـال: أخبرنـا العـوّام, عـن إبراهيم التيميّ, قال: ذكروا عنده هذه الآية عَلِمَتْ نَفْسٌ مـا قَـدّمَتْ وَأَخّـرَتْ قال: أنا مما أخّر الحَجاج.

وإنما اخترنا القول الذي ذكرناه, لأن كلّ ما عمل العبد من خير أو شرّ فهو مما قدّمه, وأن ما ضيّع من حقّ الله عليه وفرّط فيه فلم يعمله, فهو مما قـد قدّم من شرّ, وليس ذلك مما أخّر من العمل, لأن العمل هو مـا عملـه, فأمـا ما لم يعمله فإنما هو سيئة قدّمها, فلذلك قلنا: ما أخر: هو ما سنه مـن سـنة حسنة وسيئة, مما إذا عمل به العامل كان له مثل أجر العامل بها أو وزره.

الآية : 6-8

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{يَأَيّهَا الإنسَانُ مَا غَرّكَ بِرَبّكَ الْكَرِيـمِ * الّـذِي خَلَقَكَ فَسَوّاكَ فَعَدَلَكَ * فِيَ أيّ صُورَةٍ مّا شَآءَ رَكّبَكَ }.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الإنسان الكافر, أيّ شيء غرّك بربك الكريم, غرّ الإنسانَ به عدوّه المسلّط عليه, كما:

28276ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة مـا غَرّكَ بِرَبّكَ الكَرِيمِ شيء مّا غرّ ابنَ آدم هذا العدوّ الشيطان.

وقولـه: الّذِي خَلَقَكَ فَسَوّاكَ يقول: الذي خلقك أيها الإنسان فسوّى خلقك فَعَدَلكَ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والشـام والبصرة: «فَعَدّلكَ» بتشديد الدال, وقرأ ذلك عامـة قـرّاء الكوفـة بتخفيفهـا وكأن من قرأ ذلك بالتشديد, وجّه معنى الكلام إلى أنه جعلـك معتـدلاً معـدّل الخلـق مقوّمـا, وكـأنّ الـذين قـرؤوه بـالتخفيف, وجّهـوا معنـى الكلام إلـى صرفك, وأمالك إلى أيّ صورة شاء, إما إلى صورة حسنة, وإمـا إلـى صـورة قبيحة, أو إلى صورة بعض قراباته.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان في قَرَأة الأمصار, صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القـارىء فمصـيب, غيـر أن أعجبهما إليّ أن أقرأ به, قراءة مـن قـرأ ذلـك بالتشـديد, لأن دخـول «فـي» للتعديل أحسن في العربية من دخولها للعدل, ألا ترى أنك تقول: عدّلتك في كذا, وصرفتك إليه, ولا تكاد تقول: عـدلتك إلـى كـذا وصـرفتك فيـه, فلـذلك اخترت التشديد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك وذكرنا أن قارئي ذلك تأوّلوه, جاءت الرواية عـن أهل التأويل أنهم قالوه. ذكر الرواية بذلك:

28277ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: فِي أيّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكّبَـكَ قـال: فـي أيّ شبه أب أو أم أو خال أو عمّ.

28278ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سـفيان, عـن إسـماعيل, في قوله: ما شاءَ رَكّبَكَ قال: إن شاء في صورة كلب, وإن شاء فـي صـورة حمار.

28279ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن إسماعيل, عن أبي صالح فِي أيّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكّبَكَ قال: خنزيرا أو حمارا.

28280ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, عن عكرِمة, في قوله: فِي أيّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكّبَكَ قال: إن شاء في صورة قرد, وإن شاء في صورة خنزير.
28281ـ حدثني محمد بن سنان القزّاز, قال: حدثنا مطهر بن الهيثم, قال: حدثنا موسى بن عليّ بن أبي رباح اللّخمي, قال: ثني أبي, عن جدي, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال له: «ما وُلِدَ لَكَ؟» قال: يا رسول الله, ما عسى أن يولد لي, إما غلام, وإما جارية, قال: «فَمَنْ يُشْبِهُ؟» قال: يا رسول الله من عسى أن يشبه؟ إما أباه, وإما أمه فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم عندها: «مَهْ, لا تَقُولَنّ هَكَذَا, إنّ النّطْفَةَ إذا اسْتَقَرّتْ فِي الرّحِمِ أحْضَرَ اللّهُ كُلّ نَسَبٍ بَيْنَها وَبَينَ آدَمَ, أما قَرأتَ هَذِهِ الآيَةَ فِي كِتابِ اللّهِ فِي أيّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكّبَكَ قال: سَلَكَكَ».

الآية : 9-13

القول في تأويل قوله تعالى:{كَلاّ بَلْ تُكَذّبُونَ بِالدّينِ * وَإنّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ * إنّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ }.
يقول تعالى ذكره: ليس الأمر أيّها الكافرون كما تقولون, من أنكم على الحقّ في عبادتكم غير الله, ولكنكم تكذّبون بالثواب والعقاب والجزاء والحساب. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله بَلْ تُكَذّبُونَ بِالدّينِ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28282ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: بَلْ تُكَذّبُونَ بِالدّينِ قال: بالحساب.
حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: تُكَذّبُونَ بِالدّينِ قال: بيوم الحساب.
28283ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قوله: بَلْ تُكَذّبُونَ بالدّينِ قال: يوم شدّة, يوم يدين الله العباد بأعمالهم.
وقوله: وَإنّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ يقول: وإن عليكم رُقَباء حافظين يحفظون أعمالكم, ويُحْصونها عليكم كِرَاما كاتِبِينَ يقول: كرام ا عل ى الله كاتبين, يكتبون أعمالكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28284ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: قال بعض أصحابنا, عن أيوب, في قوله: وَإنّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِرَاما كاتِبِينَ قال: يكتبون ما تقولون وما تَعْنُون.
وقوله: يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ يقول: يعلم هؤلاء الحافظون ما تفعلون من خير أو شرّ, يحصون ذلك عليكم.
وقوله: إنّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ يقول جلّ ثناؤه: إن الذين برّوا بأداء فرائض الله, واجتناب معاصيه لفي نعيم الجنان ينعمون فيها.

الآية : 14-19

القول في تأويل قوله تعالى:{وَإنّ الْفُجّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدّينِ * وَمَا هُمَ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ * وَمَآ أدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدّينِ * ثُمّ مَآ أدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدّينِ * يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ }.
يقول تعالى ذكره: وَإنّ الفُجّارَ الذين كفروا بربهم لَفِي جَحِيمٍ.

وقوله: يَصْلَوْنَها يَوْمَ الدّينِ يقول جلّ ثناؤه: يَصْلَى هؤلاء الفجار الجحيم يوم القيامة, يوم يُدان العباد بالأعمال, فيُجازَوْنَ بها. وبنحو الـذي قلنـا فـي ذلـك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28285ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: يَوْمَ الدّينِ من أسماء يوم القيامة, عظّمه الله, وحذّره عباده.

وقوله: وَما هُمْ عَنْها بِغائِبِينَ يقـول تعـالى ذكـره: ومـا هـؤلاء الفجـار مـن الجحيم بخارجين أبدا فغائبين عنها, ولكنهم فيهـا مخلّـدون مـاكثون, وكـذلك الأبرار في النعيم, وذلك نحو قوله: وَما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ.

وقوله: وَما أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الدّينِ يقول تعالى ذكره لنبيه محمـد صـلى اللـه عليه وسلم: وما أدراك يا محمد, أي وما أشْعرك مـا يـوم الـدين؟ يقـول: أيّ شيء يومُ الحساب والمجازاة, معظما شأنه جلّ ذكـره, بقيلـه ذلـك. وبنحـو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28286ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الدينِ تعظيما ليوم القيامة, يوم تدان فيه الناس بأعمالهم.

وقوله: ثُمّ ما أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الدّينِ؟ يقول: ثم أيّ شيء أشـعرك أيّ شـيء يوم المجازاة والحساب يا محمد, تعظيما لأمـره ثـم فسّـر جـلّ ثنـاؤه بعـض شأنه فقال: يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئا: يقول: ذلك اليـوم, يـوم لا تملـك نفس, يقول: يوم لا تُغني نفس عن نفس شيئا, فتدفع عنها بليّـة نزلـت بهـا, ولا تنفعها بنافعة, وقد كانت في الدنيا تحميها, وتدفع عنها مـن بغاهـا سـوءا, فبطل ذلك يومئذٍ, لأن الأمر صار لله الذي لا يغلبـه غـالب, ولا يقهـره قـاهر, واضمحلت هنالك الممالك, وذهبت الرياسات, وحصل الملك للملـك الجبـار, وذلك قوله: وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ يقول: والأمر كله يومئذٍ, يعنـي الـدين للـه دون سائر خلقه, ليس لأحد من خلقه معه يومئذٍ أمـر ولا نهـي. وبنحـو الـذي قلنـا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28287ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ قال: ليس ثم أحد يومئذٍ يقضي شيئا, ولا يصنع شيئا إلاّ ربّ العالمين.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قـوله يَـوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ والأمر والله اليوم لله, ولكنه يومئـذٍ لا ينازعه أحد.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: يَوْمَ لا تَمْلِـكُ نَفْـسٌ فقرأتـه عامـة قـرّاء الحجاز والكوفة بنصب يَوْمَ إذ كانت إضافته غير محضـة. وقـرأه بعـض قـرّاء البصرة بضم «يَوْمُ» ورفعه ردّا على اليوم الأوّل, والرفع فيه أفصح في كلام العرب, وذلك أن اليوم مضاف إلـى يفعـل, والعـرب إذا أضـافت اليـوم إلـى تفعل أو يفعل أو أفعل رفعوه فقالوا: هذا يـوم أفعـل كـذا, وإذا أضـافته إلـى فعل ماضٍ نصبوه ومنه قول الشاعر:

عَلى حِينَ عاتَبْتُ المَشِيبَ عَلى الصّبا وقُلْتُ أَلَمّا تَصْحُ والشّيْبُ وَازِعُ؟

سورة المطففين

سورة المطففين مكيّة
وآياتها ست وثلاثون
بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1-6

القول فـي تأويـل قوله تعـالى:{وَيْـلٌ لّلْمُطَفّفِيـنَ * الّـذِينَ إِذَا اكْتَـالُواْ عَلَـى النّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلا يَظُنّ أُوْلَـئِكَ أَنّهُمْ مّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم فـي أسـفلها للذين يُطَفّفون, يعنـي: للـذين ينقصـون النـاس, ويَبْخَسـونهم حقـوقهم فـي مكاييلهم إذا كالوهم, أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهـم مـن الوفـاء وأصل ذلك من الشيء الطفيف, وهو القليل النّزْر, والمطفّف: المقلّل حـقّ صاحب الحقّ عما له من الوفاء والتمـام فـي كيـل أو وزن ومنـه قيـل للقـوم الذين يكونون سواء في حسبة أو عدد: هم سواء كطَفّ الصاع, يعنـي بـذلك: كقرب الممتلىء منه ناقص عن الملء. وبنحو الذي قلنا فـي ذلـك قـال أهـل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28288ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن ضِرار, عن عبـد الله, قال: قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن, إن أهل المدينـة لَيوفـون الكيـل, قال: وما يمنعهم من أن يوفوا الكيل, وقد قـال اللـه: وَيْـلٌ لّلْمُطَفّفِيـنَ حـتى بلغ: يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ الْعالَمِينَ.

28289ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين بن واقد, عن يزيد, عن عكرِمة, عن ابن عباس, قال: لما قَـدِم النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم المدينـة كـانوا مـن أخبـث النـاس كيلاً, فـأنزل اللـه: وَيْـلٌ لِلْمُطَفّفِينَ فأحسنوا الكيل.

28290ـ حدثني محمد بن خالد بن خداش, قال: حدثنا سلم بن قتيبة, عن قسام الصيرفي, عن عكرِمة قال: أشهد أن كلّ كيال ووزّان في النار, فقيـل له في ذلك, فقال: إنه ليس منهم أحد يزن كما يـتزن, ولا يكيـل كمـا يكتـال, وقد قال الله: وَيْلٌ لِلْمُطَفّفِينَ.

وقوله: الّذِينَ إذَا اكْتالُوا عَلى النّاسِ يَسْتَوفُونَ يقول تعالى ذكره: الذين إذا اكتالوا من الناس ما لهم قبلهم من حَقّ, يستوفون لأنفسهم فيكتالونه منهـم وافيا و«على» و«من» في هذا الموضـع يتعاقبـان غيـر أنـه إذا قيـل: اكتلـت منك, يراد: استوفيت منك.

وقوله: وَإذَا كالُوهُمْ أوْ وَزَنُوهُمْ يقول: وإذا هم كالوا للناس أو وزنـوا لهـم. ومن لغة أهل الحجاز أن يقولوا: وزنتك حقك, وكلتك طعامك, بمعنى: وزنت لك وكلت لك. ومن وجّه الكلام إلـى هـذا المعنـى, جعـل الوقـف علـى هـم, وجعل هم في موضع نصب. وكان عيسى بـن عمـر فيمـا ذُكـر عنـه يجعلهمـا حرفين, ويقف على كالوا, وعلى وزنوا, ثم يبتدىء: هم يُخسرون. فمن وجّه الكلام إلـى هـذا المعنـى, جعـل هـم فـي موضـع رفـع, وجعـل كـالوا ووزنـوا مكتفيين بأنفسهما.

والصواب في ذلـك عنـدي: الوقـف علـى هـم, لأن كـالوا ووزنـوا لـو كانـا مكتفيين, وكانت هم كلاما مستأنفا, كانت كتابـة كـالوا ووزنـوا بـألف فاصـلة بينها وبين هم مع كل واحد منهما, إذ كان بذلك جرى الكتاب في نظائر ذلـك,

إذا لم يكن متصلاً بـه شـيء مـن كنايـات المفعـول, فكتـابهم ذلـك فـي هـذا الموضع بغير ألف أوضح الـدليل علـى أن قـوله: هُـمْ إنمـا هـو كنايـة أسـماء المفعول بهم. فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا, على ما بيّنا.

وقوله: يُخْسِرُونَ يقول: ينقصونهم. وقوله: ألا يَظُنّ أُولَئِكَ أنّهُـمْ مَبْعُوثُـونَ لِيَـوْمٍ عَظِيـمٍ يقـول تعـالى ذكـره: ألا يظـنّ هـؤلاء المطففـون النـاس فـي مكاييلهم وموازينهم, أنهم مبعوثون من قبـورهم بعـد ممـاتهم, ليـوم عظيـم شأنه, هائل أمره, فظيع هوله؟.

وقوله: يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ الْعالَمِينَ فيوم يقوم تفسير عن اليـوم الأوّل المخفوض, ولكنه لما لم يعد عليـه اللام, ردّ إلـى مبعوثـون, فكـأنه قـال: ألا يظنّ أولئك أنهم مبعوثون يوم يقـوم النـاس؟ وقـد يجـوز نصـبه وهـو بمعنـى الخفض, لأنها إضافة غير محضة, ولو خفـض ردّا علـى اليـوم الأوّل لـم يكـن لحنا, ولو رفع جاز, كما قال الشاعر:

وكُنْتُ كَذي رِجْلَينِ: رِجلٍ صَحِيحةٍوَرِجْلٍ رَمى فِيها الزّمانُ فَشُلّتِ

وذُكر أن الناس يقومون لربّ العالمين يوم القيامة, حتى يُلْجِمَهم العـرق, فبعض يقول: مقدار ثلاث مئة عام, وبعض يقول: مقدار أربعيـن عامـا. ذكـر من قال ذلك:

28291ـ حدثني عليّ بن سعيد الكنديّ, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن ابن عون, عن نافع, عن ابن عمر, عـن النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم, فـي قوله: يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ الْعالَمِينَ قال: «يقـوم أحـدكم فـي رَشْـحِه إلـى أنصاف أذنيه».

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد الأحمر, عن ابن عون, عن نافع, عن ابن عمر, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ يَقُـومُ النّـاسُ لِـرَبّ الْعـالَمِينَ قال: يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه.

حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا ابن عـون, عن نافع, قال: قال ابن عمر: يَوْمَ يَقُـومُ النّـاسُ لِـرَبّ الْعـالَمِينَ حـتى يقـوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه.

28292ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن محمـد بـن إسـحاق, عـن نافع, عن ابن عمر, قـال: قـال النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم: «إنّ النّـاسَ يُوقَفُونَ يَـوْمَ الْقِيامَـةِ لِعَظَمَـةِ اللّـهِ, حـتى إنّ الْعَـرَقَ لَيُلْجِمُهُـمْ إلـى أنْصَـافِ آذَانِهِمْ».

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يونس بن بكير, عن محمد بن إسـحاق, عـن نافع, عن ابن عمر, قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وسـلم يقـول: «يَـوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ الْعالَمِينَ يَوْمَ الْقِيامَةِ لِعَظَمَةِ الرّحْمَنِ», ثم ذكر مثله.

حدثني محمد بن خَلَف العَسقلاني, قال: حدثنا آدم, قال: حدثنا حماد بن سلمة, عن أيوب, عن نافع, عن ابن عمر, قـال: تلا رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم هذه الآية يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ الْعـالَمِينَ قـال: «يَقُومُـونَ حـتى يَبْلُغَ الرّشْحُ إلى أنْصَافِ آذانِهِمْ».

حدثنا أحمد بن محمد بن حبيب, قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا أبي, عن صالح, قال: حدثنا نافع, عن ابن عمر, قال: قال رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم: «يَوْمَ يَقُومُ النّـاسُ لِـرَبّ الْعـالَمِينَ»: «يَـومَ الْقِيامَـةِ, حـتى يَغِيبَ أحَدهُمُ إلى أنْصَافِ أُذُنَيْهِ فِي رَشْحِهِ».

28293ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة بن سعيد, عن محارب بن دِثار, عن ابن عمر, في قوله: يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ الْعَالَمِينَ قال: يقومون مئة سنة.

حدثنا تميم بن المنتصر, قال: أخبرنا يزيد, قال: أخبرنا محمد بن إسحاق, عن نافع, عن ابن عمر, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: «يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ الْعالَمِينَ يَوْمَ الْقِيامَةِ, حتّى إنّ الْعَرَقَ لَيُلْجِمُ الرّجُلَ إلى أنْصَافِ أُذُنَيْهِ».

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن نافع, عن ابن عمر, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, بنحوه.

حدثنا ابن المثنى وابن وكيع, قالا: حدثنا يحيى, عن عبد الله, عن نافع, عن ابن عمر, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ الْعالَمِينَ حتّى يَقُومَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إلى أنْصَافِ أُذُنَيْهِ».

28294ـ حدثني محمد بن إبراهيم السّلِيْميّ المعروف بابن صدران, قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق, قال: حدثنا عبد السلام بن عجلان, قال: حدثنا يزيد المدني, عن أبي هريرة, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبشير الغِفَاريّ: «كَيْفَ أنْتَ صَانِعٌ فِي يَوْمٍ يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ الْعالَمِينَ مِقْدَارَ ثَلاثِ مِئَةِ سَنَةٍ مِنْ أيّامِ الدّنيْا, لا يأتِيهِمْ خَبرٌ مِنَ السّماءِ, وَلا يُؤْمَرُ فِيهِمْ بأمْرٍ؟» قال بشير: المستعان الله يا رسول الله, قال: «إذَا أنْتَ أوَيْتَ إلَى فِرَاشِكَ فَتَعَوّذْ باللّهِ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ, وَسُوءِ الْحِسابِ».

28295ـ حدثني يحيى بن طلحة اليربوعيّ, قال: حدثنا شريك, عن الأعمش, عن المنهال بن عمرو, عن عبد الله بن مسعود في قوله: يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ الْعالَمِينَ قال: يمكثون أربعين عاما رافعي رؤوسهم إلى السماء, لا يكلمهم أحد, قد ألجم العرق كلّ برّ وفاجر, قال: فينادي منادٍ: أليس عدلاً من ربكم أن خلقكم ثم صوّركم, ثم رزقكم, ثم توليتم غيره, أن يولّي كلّ عبد منكم ما تولى في الدنيا؟ قالوا: بلى. ثم ذكر الحديث بطوله.

28296ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكر, عن الأعمش, عن المنهال بن عمرو, عن قيس بن سكْن, قال: حدث عبد الله, وهو عند عمر يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ الْعالَمِينَ قال: إذا كان يوم القيامة يقوم الناس بين يدي ربّ العالمين أربعين عاما, شاخصة أبصارهم إلى السماء, حفاة عراة يلجمهم العرق, ولا يكلّمهم بشر أربعين عاما, ثم ذكر نحوه.

28297ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ العالَمِينَ قال: ذُكر لنا أن كعبا كان يقول: يقومون ثلاث مئة سنة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران وسعيد, عن قتادة يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ الْعالَمِينَ قال: كان كعب يقول: يقومون مقدار ثلاث مئة سنة.

28298ـ قال: قتادة: وحدثنا العلاء بن زياد العدويّ, قال: بلغني أن يوم القيامة يَقْصُر على المؤمن, حتى يكون كإحدى صلاته المكتوبة.

قال: ثنا مهران, قال: حدثنا العمريّ, عن نافع, عن ابن عمر, قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: «يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ الْعالَمِينَ قال: «يَقُومُ الرّجُلُ فِي رَشْحِهِ إلى أنْصافِ أُذُنَيهِ».

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن ابن عون, عن نـافع, عـن ابـن عمر, قال: يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ الْعالَمِينَ حـتى يقـوم أحـدهم فـي رشـحه إلـى أنصاف أذنيه.

28299ـ قال يعقوب, قال إسماعيل: قلت لابن عون: ذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث؟ قال: نَعَمْ إنْ شاءَ اللّهُ.

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن, قال: ثني عمي, قال: أخبرني مالك بن أنس, عن نافع, عن ابن عمر, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُـومُ النّـاسُ لِرَبّ الْعالَمِينَ, حتى إنّ أحَدَهُمْ لَيَغِيبُ فِي رَشْحِهِ إلى نِصْفِ أُذُنَيْهِ».

الآية : 7-11

القول في تأويـل قـوله تعالى:{كَلاّ إنّ كِتَـابَ الْفُجّـارِ لَفِـي سِـجّينٍ * وَمَـآ أَدْرَاكَ مَا سِجّينٌ * كِتَابٌ مّرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِـذٍ لّلْمُكَـذّبِينَ * الّـذِينَ يُكَـذّبُونَ بِيَوْمِ الدّينِ }.

يقول تعالى ذكره: كلا, أي ليس الأمر كما يظنّ هؤلاء الكفـار, أنهـم غيـر مبعوثين ولا معذّبين, إن كتابهم الذي كتب فيه أعمالهم الـتي كـانوا يعملونهـا في الدنيا لَفِـي سِـجّينٍ وهـي الأرض السـابعة السـفلى, وهـو «فعّيـلٌ» مـن السّجن, كما قيل: رجل سِكّير من السكر, وفِسيق من الفسق.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: مثل الذي قلنا فـي ذلك. ذكر من قال ذلك:

28300ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حـدثنا سـفيان, عـن منصور, عن مجاهد, عن مغيث بن سميّ: إنّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِي سِجّينٍ قـال: في الأرض السابعة.

28301ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد, عن مغيث بن سميّ, قال: إنّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِي سِجّينٍ قال: الأرض السفلى, قال: إبليس مُوثَق بالحديد والسلاسل في الأرض السفلى.

28302ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهـب, قـال: أخـبرني جريـر بـن حازم, عن سليمان الأعمش, عن شمر بن عطية, عن هلال بن يساف, قال: كنا جلوسـا إلـى كعـب أنـا وربيـع بـن خيثـم وخالـد بـن عُرْعُـرة, ورهـط مـن أصحابنا, فأقبل ابن عباس, فجلس إلى جنب كعب, فقال: يا كعب, أخـبرني عن سجّين, فقال كعب: أما سجّين: فإنهـا الأرض السـابعة السـفلى, وفيهـا أرواح الكفار تحت حدّ إبليس.

28303ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِي سِجّينٍ: ذُكر أن عبـد اللـه بـن عمـرو كـان يقـول: هـي الأرض السفلى, فيها أرواحُ الكفار, وأعمالهم أعمال السّوء.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عـن معمـر, عـن قتـادة فِـي سِجّينٍ قال: في أسفل الأرض السابعة.

28304ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: إنّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِي سِجّينٍ يقـول: أعمالهم في كتاب في الأرض السفلى.

28305ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيـح, عـن مجاهـد, فـي قـول اللـه: فِـي سِـجّينٍ قـال: عملهـم فـي الأرض السابعة لا يصعد.

حدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد, قال: حدثنا مطرّف بن مازن: قاضي اليمن, عن معمر, عن قتادة قال: سِجّينٍ: الأرض السابعة.
28306ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لَفِي سِجّينٍ يقول: في الأرض السفلى.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا سليمان, قال: حدثنا أبو هلال, قال: حدثنا قتادة, في قوله: إنّ كِتابَ الفُجّار لَفِي سِجّينٍ قال: الأرض السابعة السفلى.
28307ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: كَلاّ إنّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِي سِجّينٍ قال: يقال سجين: الأرض السافلة, وسجين: بالسماء الدنيا.
وقال آخرون: بل ذلك حدّ إبليس. ذكر من قال ذلك:
28308ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القُمّي, عن حفص بن حميد, عن شمر, قال: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار, فقال له ابن عباس: حدّثني عن قول الله: إنّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِي سِجّينٍ... الآية, قال كعب: إن روح الفاجر يُصْعد بها إلى السماء, فتأبى السماء أن تقبلها, ويُهبط بها إلى الأرض, فتأبى الأرض أن تقبلها, فتهبط فتدخل تحت سبع أرضين, حتى ينتهي بها إلى سجين, وهو حدّ إبليس, فيخرج لها من سجين من تحت حدّ إبليس رَقّ, فيرقم ويختم, يوضع تحت حدّ إبليس بمعرفتها الهلاك إلى يوم القيامة.
28309ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد, في قوله: إنّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِي سِجّينٍ قال: تحت حدّ إبليس.
وقال آخرون: هو جبّ في جهنم مفتوح, ورووا في ذلك خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
28310ـ حدثنا به إسحاق بن وهب الواسطيّ, قال: حدثنا مسعود بن موسى بن مسكان الواسطيّ, قال: حدثنا نضر بن خُزيمة الواسطي, عن شعيب بن صفوان, عن محمد بن كعب القُرَظي, عن أبي هريرة, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قوله: قال: «الفَلَقُ جُبّ فِي جَهَنّمَ مُغَطّى, وأمّا سِجّينٌ فَمَفْتُوحٌ».
وقال بعض أهل العربية: ذكروا أن سجين: الصخرة التي تحت الأرض, قال: ويُرَى أن سجين صفة من صفاتها, لأنه لو كان لها اسما لم يجرّ, قال: وإن قلت أجريته لأني ذهبت بالصخرة إلى أنها الحجر الذي فيه الكتاب كان وجها.
وإنما اخترت القول الذي اخترت في معنى قوله: سِجّينٍ لما:
28311ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, قال: حدثنا الأعمش, قال: حدثنا المنهال بن عمرو, عن زاذان أبي عمرو, عن البراء, قال: سِجّينٍ: الأرض السفلى.
28312ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكر, عن الأعمش, عن المنهال, عن زاذان, عن البراء, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: «وذكر نفس الفاجر, وأنّهُ يُصْعَدُ بها إلى السّماءِ, قال: فَيَصْعَدُونَ بِها فَلا يَمُرّونَ بِها عَلى مَلإٍ مِنَ المَلائِكَةِ إلاّ قالُوا: ما هَذَا الرّوحُ الخَبِيثُ؟ قال: فَيَقُولُونَ فُلانٌ

بأقْبَحِ أسمَائِهِ التي كانَ يُسَمّى بِهـا فِـي الـدنْيا حـتى يَنْتَهُـوا بِهـا إلـى السّـماءِ الدّنيَّا, فَيسْتَفْتِحُونَ لَهُ, فَلا يُفْتَحُ لَـهُ» ثـم قـرأ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم: لا تُفَتّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السّماءِ ولاَ يَدْخُلُونَ الجّنَةَ حتى تَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمّ الخِياطِ فَيَقُولُ اللّهُ: اكْتُبُوا كِتَـابَهُ فِـي أسْـفَلِ الأرْضِ فِـي سِـجّينٍ فِـي الأرْضِ السّفْلَى».

28313ـ حدثنا نصر بن عليّ, قال: حدثنا يحيى بن سليم, قال: حدثنا ابـن أبي نجيح, عن مجاهد, فـي قـوله: كَلاّ إنّ كِتـابَ الفُجّـارِ لَفِـي سِـجّينٍ قـال: سجين: صخرة في الأرض السابعة, فيجعل كتاب الفجار تحتها.

وقوله: وَما أدْرَاكَ ما سِجّينٌ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليـه وسلم: وأيّ شيء أدراك يا محمد, أيّ شيء ذلك الكتاب ثم بيـن ذلـك تعـالى ذكره, فقال: هُوَ كِتابٌ مَرْقُومٌ, وعنى بالمرقوم: المكتوب. وبنحو الذي قلنـا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28314ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فِي كِتابٍ مَرْقُومٍ قال: كتاب مكتوب.

28315ـ حدثنَا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة وَمـا أدْرَاكَ ما سِجّينٌ كِتابٌ مَرْقومٌ قال: رقم لهم بشر.

28316ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ابن زيد, فـي قـوله: كِتابٌ مَرْقومٌ قال: المرقوم: المكتوب.

وقوله: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذّبِينَ يقول تعالى ذكره: ويل يومئذٍ للمكذّبين بهذه الآيات, الـذين يكـذّبون بيـوم الـدين, يقـول: الـذين يكـذّبون بيـوم الحسـاب والمجازاة.

28317ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: الّذِينَ يُكَذّبُونَ بِيَوْمِ الـدّينِ قـال أهـل الشـرك يكـذّبون بالـدين, وقـرأ: وَقالَ الّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبّئُكُمْ... إلى آخر الآية.

الآية : 12-14

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{وَمَا يُكَذّبُ بِهِ إلاّ كُـلّ مُعْتَـدٍ أَثِيـمٍ * إذَا تُتْلَـىَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأوّلِينَ * كَلاّ بَلْ رَانَ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ مّا كَانُواْ يَكْسِـبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وما يكذّب بيوم الدين إلاّ كُلّ مُعْتَدٍ اعتدى على الله في قوله, فخالف أمره, أثِيمٍ بربه, كما:

28318ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة وَيْـلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذّبِينَ قال الله: وَما يُكَذّبُ بِهِ إلاّ كُلّ مُعْتَدٍ أثِيمٍ: أي بيوم الدين, إلاّ كلّ معتد في قوله, أثيـم بربـه. إذَا تُتْلَـى عَلَيْـهِ آياتُنـا يقـول تعـالى ذكـره: إذا قُرِىء عليه حججنا وأدلتنا التي بيّنّاها في كتابنا الذي أنزلناه إلى محمد صـلى اللّه عليه وسلم, قالَ أساطِيرُ الأوّلِينَ يقول: قـال: هـذا مـا سـطّره الأوّلـون فكتبوه, من الأحاديث والأخبار.

وقوله: كَلاّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ يقول تعالى ذكره مكـذّبا لهـم فـي قيلهـم ذلك: كلا, ما ذلك كذلك, ولكنه رَان على قلوبهم يقـول: غلـب علـى قلـوبهم وغَمَرها, وأحاطت بها الذنوب فغطتها يقال منـه: رانـت الخمـر علـى عقلـه, فهي تَرِين عليه رَيْنا, وذلك إذا سكر, فغلبت على عقله ومنه قـول أبـي زُبيـد الطائي:

ثُمّ لَمّا رآهُ رَانَتْ بِهِ الخَمرُ وأنْ لا تَرِينَهُ باتّقاءِ
يعني ترينه بمخافة, يقول: سكر فهو لا ينتبه ومنه قول الراجز:
لمْ تَرْوَ حتى هَجّرَتْ وَرِينَ بِيوَرِينَ بالسّاقي الّذي أمْسَى مَعِي
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, وجاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:
28319ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو خالد, عن ابن عجلان, عن القَعْقاع بن حكيم, عن أبي صالح, عن أبي هُرَيرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذَا أذْنَبَ العَبْدُ نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ, فإنْ تابَ صُقِلَ مِنْها, فإنْ عادَ عادَتْ حتى تَعْظُمْ فِي قَلْبِهِ, فَذلكَ الرّانُ الّذي قالَ اللّهُ كَلاّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ».
حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا صفوان بن عيسى, قال: حدثنا ابن عَجلان, عن القَعقاع, عن أبي صالح, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ المُؤْمِنَ إذَا أذْنَبَ ذَنْبا كانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ, فإن تابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صَقَلَتْ قَلْبَهُ, فإنْ زَادَ زادَتْ حتى تَعْلُوَ قَلْبَهُ, فَذَلكَ الرّانُ الّذي قالَ اللّهُ: كَلاّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ».
حدثني عليّ بن سهيل, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, عن محمد بن عَجْلان, عن القَعقاع بن حكيم, عن أبي صالح, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «إنّ الْعَبْدَ إذَا أذْنَبَ ذَنْبا كانَتْ نُكْتَةٌ سَوْداءُ فِي قَلْبِهِ, فإنْ تابَ مِنْها صُقِلَ قَلْبُهُ, فإنْ زَادَ زَادَتْ, فَذلكَ قَوْلُ اللّهِ: كَلاّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ».
حدثني أبو صالح الصّراري محمد بن إسماعيل, قال: أخبرني طارق بن عبد العزيز, عن ابن عجلان, عن القعقاع, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الْعَبْدَ إذَا أخْطأ خَطِيئَةً كانَتْ نُكْتَةٌ فِي قَلْبِهِ, فإنْ تابَ واسْتَغْفَرَ وَنَزَعَ صَقَلَتْ قَلْبَهُ, وَذَلكَ الرّانُ الّذِي ذَكَرَ اللّهُ كَلاّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ قال أبو صالح: كذا قال: صقلت, وقال غيره: سَقَلت.
28320ـ حدثني علي بن سهل الرمليّ, قال: حدثنا الوليد, عن خُلَيد, عن الحسن, قال: وقرأ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ قال: الذنب على الذنب حتى يموت قلبه.
حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: كَلاّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ قال: الذنب على الذنب حتى يعمَى القلب فيموت.
28321ـ حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: حدثنا فضيل بن عياض, عن منصور, عن مجاهد كَلاّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانوا يَكْسِبُونَ قال: العبد يعمل بالذنوب, فتحيط بالقلب, ثم ترتفع, حتى تغشى القلب.
28322ـ حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرمليّ, قال: حدثنا يحيى بن عيسى, عن الأعمش, قال: أرانا مجاهد بيده, قال, كانوا يرون القلب في مثل هذا, يعني الكفّ, فإذا أذنب العبد ذنبا ضمّ منه, وقال بأصبعه الخنصر هكذا, فإذا أذنب ضمّ أصبعا أخرى, فإذا أذنب ضمّ أصبعا أخرى, حتى ضمّ أصابعه كلها, ثم يطبع عليه بطابع, قال مجاهد: وكانوا يرون أن ذلك الرّيْن.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن الأعمش, عن مجاهد, قال: القلب مثل الكفّ, فإذا أذنب الـذنب قبـض أصـبعا, حـتى يقبـض أصـابعه كلها, وإن أصحابنا يرون أنه الران.

حدثنا أبو كريب مرّة أخرى بإسناده عن مجاهد, قال: القلب مثل الكـفّ, وإذا أذنب انقبض, وقَبَض أصبعه, فإذا أذنب انقبـض, حـتى ينقبـض كلـه, ثـم يطبع عليه, فكانوا يرون أن ذلك هو الران كَلاّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ مـا كـانُوا يَكْسِبُونَ.

حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ قال: الخطايا حـتى غمرته.

حدثنا الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ انبثت على قلبه الخطايا حتى غمرته.

28323ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: كَلاّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ يقول: يطبع.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله كَلاّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ مـا كـانُوا يَكْسِـبُونَ قـال: طبع على قلوبهم ما كسبوا.

28324ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن طلحة, عن عطاء كَلاّ بَلْ رَانَ عَلَى قِلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ قال: غَشِـيت علـى قلـوبهم فهوت بها, فلا يفزعون, ولا يتحاشَون.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الحسن كَلاّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ قال: هو الذنب حتى يموت القلب.

قال: ثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهـد كَلاّ بَـلْ رَانَ عَلـى قُلُوبِهِمْ قال: الران: الطبع يطبع القلب مثل الراحة, فيـذنب الـذنب, فيصـير هكذا, وعقد سفيان الخنصر, ثم يذنب الذنب فيصـير هكـذا, وقَبـض سـفيان كفه, فيُطْبَعَ عليه.

28325ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: كَلاّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ أعمال السوء, إي والله ذنب علـى ذنب, وذنب على ذنب حتى مات قلبه واسودّ.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله كَلاّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ قال: هذا الذنب على الذنب, حتى يَرِين على القلب فيسودّ.

28326ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: كَلاّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ قال: غلب علـى قلـوبهم ذُنُـوبهم, فلا يَخْلُـص إليها معها خير.

28327ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, في قوله كَلاّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ قـال: الرجـل يـذنب الـذنب, فيحيط الذنب بقلبه, حتى تَغْشَى الذنوب عليه. قال مجاهد: وهي مثـل الآيـة التي في سورة البقرة بَلى مَـنْ كَسَـبَ سَـيِّئَةً وأحـاطَتْ بـهِ خَطيئَتُـهُ فأُولَئِـكَ أصحَابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ.

الآية : 15-17

القول في تأويل قوله تعالى:{كَلاّ إِنّهُمْ عَن رّبّهِمْ يَوْمَئِذٍ لّمَحْجُوبُونَ * ثُمّ إِنّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ * ثُمّ يُقَالُ هَـَذَا الّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذّبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يقول هؤلاء المكذّبون بيوم الدين, من أن لهم عند الله زُلْفة, إنهم يومئذٍ عن ربهم لمحجوبون, فلا يرونه, ولا يرون شيئا من كرامته يصل إليهم.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: إنّهُمْ عَنْ رَبّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ فقال بعضهم: معنى ذلك: إنهم محجوبون عن كرامته. ذكر من قال ذلك:

28328ـ حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا الوليد مسلم, عن خليد, عن قتادة كَلاّ إنّهُمْ عَنْ رَبّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ هو لا ينظر إليهم, ولا يزكيهم, ولهم عذاب أليم.

28329ـ حدثني سعيد بن عمرو السكونيّ, قال: حدثنا بقية بن الوليد, قال: حدثنا جرير, قال: ثني نمران أبو الحسن الذماري, عن ابن أبي مليكة أنه كان يقول في هذه الآية إنّهُم عَنْ رَبّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ قال: المنّان, والمختال, والذي يقتطع أموال الناس بيمينه بالباطل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنهم محجوبون عن رؤية ربهم. ذكر من قال ذلك:

28330ـ حدثني محمد بن عمار الرازيّ, قال: حدثنا أبو معمر المنقريّ, قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد, عن عمرو بن عبيد, عن الحسن في قوله: كَلاّ إنّهُمْ عَنْ رَبّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ قال: يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون كلّ يوم غُدْوة وعشية, أو كلاما هذا معناه.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم أنهم عن رؤيته محجوبون. ويُحتمل أن يكون مرادا به الحجاب عن كرامته, وأن يكون مرادا به الحجاب عن ذلك كله, ولا دلالة في الآية تدلّ على أنه مراد بذلك الحجاب عن معنى منه دون معنى, ولا خبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت حجته. فالصواب أن يقال: هم محجوبون عن رؤيته, وعن كرامته, إذ كان الخبر عاما, لا دلالة على خصوصه.

وقوله: إنّهُمْ لَصَالُوا الجَحِيمِ يقول تعالى ذكره: ثم إنهم لوارِدُو الجحيم, فمشويّون فيها, ثم يُقَالُ هَذَا الّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذّبُونَ يقول جلّ ثناؤه: ثم يقال لهؤلاء المكذّبين بيوم الدين: هذا العذاب الذي أنتم فيه اليوم, هو العذاب الذي كنتم في الدنيا تخبرون أنكم ذائقوه, فتكذّبون به, وتنكرونه, فذوقوه الآن, فقد صَلِيتم به.

الآية : 18-22

القول في تأويل قوله تعالى: {كَلاّ إِنّ كِتَابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلّيّينَ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا عِلّيّونَ * كِتَابٌ مّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرّبُونَ * إِنّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: كَلاّ إنّ كتابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلّيّينَ والأبرار: جمع برّ, وهم الذين برّوا الله بأداء فرائضه, واجتناب محارمه. وقد كان الحسن يقول: هم الذين لايؤذون شيئا حتى الذّرّ.

28331ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا هشام, عن شيخ, عن الحسن, قال: سُئل عن الأبرار, قال: الذين لا يؤذون الذرّ.

حدثنا إسحاق بن زيد الخطابيّ, قال: حـدثنا الفِريـابيّ, عـن السـريّ بـن يحيى, عن الحسن, قال: الأبرار: هم الذين لا يؤذون الذرّ.
وقوله: لَفِي عِلّيّينَ اختلف أهل التأويل في معنى عليين, فقال بعضهم: هي السماء السابعة. ذكر من قال ذلك:
28332ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهـب, قـال: أخـبرني جريـر بـن حازم, عن الأعمش, عن شمر بن عطية, عن هلال بـن يِسـاف, قـال: سـأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر عن العِليين, فقـال كعـب: هـي السـماء السـابعة, وفيها أرواح المؤمنين.
28333ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضـح, قـال: حـدثنا عبيـد الله, يعني العَتَكِي, عن قتادة, في قوله إنّ كِتـابَ الأبْـرَارِ لَفِـي عِلّيّيـنَ قـال: في السماء العليا.
28334ـ حدثني عليّ بن الحسين الأزديّ, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن أُسامة بن زيد, عن أبيه, في قوله: إنّ كِتـابَ الأبْـرَارِ لَفِـي عِلّيّيـنَ قـال: فـي السماء السابعة.
28335ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: عِلّيّونَ قال: السماء السابعة.
28336ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لَفِي عِلّيّينَ: في السماء عند الله.
وقال آخرون: بل العِلّيون: قائمة العرش اليمنى. ذكر من قال ذلك:
28337ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة كَلاّ إنّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِـي عِلّيّيـنَ ذُكـر لنـا أن كعبـا كـان يقـول: هـي قائمـة العـرش اليمنى.
حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد, قال: حدثنا مُطَرّف بن مازن, قاضي اليمن, عن معمر, عن قتادة, في قوله: إنّ كِتـابَ الأبْـرَارِ لَفِـي عِلّيّيـنَ قـال: عِلّيون: قائمة العرش اليمنى.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فِي عِلّيّينَ قال: فوق السماء السابعة, عند قائمة العرش اليمنى.
28338ـ حدثنا ابن حميد, قال: حـدثنا يعقـوب القُمّـي, عـن حفـص, عـن شمر, عن عطية, قال: جاء ابن عبـاس إلـى كعـب الأحبـار, فسـأله, فقـال: حدثني عن قول الله إنّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِـي عِلّيّيـنَ... الآيـة, فقـال كعـب: إن الروح المؤمنة إذا قُبِضـت, صُـعد بهـا, ففُتحـت لهـا أبـواب السـماء, وتلقّتهـا الملائكة بالبُشرَى, ثم عَرَجوا معها حتى ينتهوا إلى العـرش, فيخـرج لها مـن عند العرش رَقّ, فيُرقَم, ثـم يختـم بمعرفتهـا النجـاة بحسـاب يـوم القيامـة, وتشهد الملائكة المقرّبون.
وقال آخرون: بل عُنِيَ بالعليين: الجَنّة. ذكر من قال ذلك:
28339ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله إنّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلّيّينَ قال: الجنة.
وقال آخرون: عند سِدْرة المنتهى. ذكر من قال ذلك:
28340ـ حدثني جعفر بن محمد البزوريّ مـن أهـل الكوفـة, قـال: حـدثنا يعلى بن عبيد, عن الأجلح, عن الضحاك قـال: إذا قبـض رُوح العبـد المـؤمن عُرج به إلى السماء, فتنطلق معه المقرّبون إلى السماء الثانية, قال الأجلح:

قلت: وما المقرّبون؟ قال: أقربهم إلى السماء الثانية, فتنطلق معه المقرّبون إلى السماء الثالثة, ثم الرابعة, ثم الخامسة, ثم السادسة, ثم السابعة, حتى تنتهي به إلى سِدْرة المنتهى. قال الأجلح: قلت للضحاك: لِمَ تسمى سِدْرة المنتهى؟ قال: لأنه يَنْتهي إليها كلّ شيء من أمر الله لا يعدوها, فتقول: ربّ عبدك فلان, وهو أعلم به منهم, فيبعث الله إليهم بصَكّ مختوم يؤمّنه من العذاب, فذلك قول الله: كَلاّ إنّ كِتاب الأبْرَارِ لَفِي عِلّيّينَ وَما أَدْرَاكَ ما عِلّيّونَ كِتابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ المُقَرّبُونَ.

وقال آخرون: بل عُنِي بالعِلّيين: في السماء عند الله. ذكر من قال ذلك:

28341ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: إنّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلّيّينَ يقول: أعمالُهم في كتاب عند الله في السماء.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن كتاب الأبرار في عِليين والعليون: جمع, معناه: شيء فوق شيء, وعلوّ فوق علوّ, وارتفاع بعد ارتفاع, فلذلك جُمعت بالياء والنون, كجمع الرجال, إذا لم يكن له بناء من واحده واثنيه, كما حُكِي عن بعض العرب سماعا: أطْعَمَنا مَرَقَة مَرَقَينِ: يعني اللحم المطبوخ كما قال الشاعر:

قَدْ رَوِيَتْ إلاّ الدّهَيْدِ هِيناقُلَيّصَاتٍ وأُبَيْكِرِينَا

فقال: وأبيكرينا, فجمعها بالنون إذ لم يقصد عددا معلوما من البكارة, بل أراد عددا لا يحدّ آخره, وكما قال الآخر:

فأصْبَحَتِ المَذَاهِبُ قَد أذَاعَتْبِها الإعْصَارُ بَعْدُ الْوَابِلِينا

يعني: مطرا بعد مطر غير محدود العدد, وكذلك تفعل العرب في كلّ جمع لم يكن بناء له من واحده واثنيه, فجمعه في جميع الإناث, والذكران بالنون على ما قد بيّنا, ومن ذلك قولهم للرجال والنساء: عشرون وثلاثون. فإذا كان ذلك كالذي ذكرنا, فبّينٌ أن قوله: لَفِي عِلّيّينَ معناه: في علوّ وارتفاع, في سماء فوق سماء, وعلوّ فوق علوّ, وجائز أن يكون ذلك إلى السماء السابعة, وإلى سدرة المنتَهى, وإلى قائمة العرش, ولا خبر يقطع العذر بأنه معنيّ به بعضُ ذلك دون بعض.

والصواب أن يقال في ذلك, كما قال جلّ ثناؤه: إن كتاب أعمال الأبرار لفي ارتفاع إلى حدّ قد علم الله جلّ وعزّ منتهاه, ولا علم عندنا بغايته, غير أن ذلك لا يَقْصُر عن السماء السابعة, لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك.

وقوله: وَما أَدْرَاكَ ما عِلّيُونَ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد الله, مُعَجّبه من علّيين: وأيّ شيء أشعرك يا محمد ما عليون؟.

وقوله: كِتابٌ مَرْقُومٌ يقول جلّ ثناؤه: إن كتاب الأبرار لفي عِلّيين, كتاب مرقوم: أي مكتوب بأمان من الله إياه من النار يوم القيامة, والفوز بالجنة, كما قد ذكرناه قبل عن كعب الأحبار والضحاك بن مُزَاحم, وكما:

28342ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة كِتاب مَرْقُومٌ رُقِمَ.

وقوله: يَشْهَدُهُ المُقَرّبُونَ يقول: يشهد ذلك الكتاب المكتوب بأمان الله للبَرّ من عباده من النار, وفوزه بالجنة, المقرّبون من ملائكته من كلّ سماء من السموات السبع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28343ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس يَشْهَدُهُ المُقَرّبُونَ قال: كلّ أهل السماء.
28344ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَشْهَدُهُ المُقَرّبُونَ من ملائكة الله.
28345ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَشْهَدُهُ المُقَرّبُونَ قال: يشهده مقربّو أهل كلّ سماء.
28346ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يَشْهَدهُ المُقَرّبُونَ قال: الملائكة.
وقوله: إنّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ يقول تعالى ذكره: إن الأبرار الذين بَرّوا باتقاء الله, وأداء فرائضه, لفي نعيم دائم, لا يزول يوم القيامة, وذلك نعيمهم في الجنان.

الآية : 23-26

القول في تأويل قوله تعالى:{عَلَى الأرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رّحِيقٍ مّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ }.
يعني تعالى ذكره بقوله: عَلى الارَائِكِ يَنْظُرُونَ: على السرر في الحِجال, من اللؤلؤ والياقوت, ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم, والحَبْرة في الجنان.
28347ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: عَلى الأرَائِكِ قال: من اللؤلؤ والياقوت.
28348ـ قال: ثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن حُصَين, عن مجاهد, عن ابن عباس الأرَائِكِ: السّرُر في الحَجال.
وقوله: تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النّعِيمِ يقول تعالى ذكره: تعرف في الأبرار الذين وصف الله صفتهم نَضْرة النعيم, يعني حُسنه وبريقه وتلألؤه.
واختلفت القرّاء في قراءة قوله: تَعْرِفُ فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى أبي جعفر القارىء تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ بفتح التاء من تعرف على وجه الخطاب نَضْرَةَ النّعِيمِ بنصب نضرة. وقرأ ذلك أبو جعفر: «يُعْرَفُ» بضم التاء على وجه ما لم يسمّ فاعله, في وجوههم نضرةُ النعيم, برفع نضرة.
والصواب من القراءة في ذلك عندنا: ما عليه قرّاء الأمصار, وذلك فتح التاء من تَعْرِفُ, ونصب نَضْرَةَ.
وقوله: يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ يقول: يُسقى هؤلاء الأبرار من خمر صِرف لا غشّ فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28349ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ قال: من الخمر.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ يعني بالرحيق: الخمر.

28350ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ قال: خمر.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد, قال: الرحيق: الخمر.
28351ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثَور, عن معمر, عن قتادة رَحِيقٍ قال: هو الخمر.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ يقول: الخمر.
28352ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ الرحيق المختوم: الخمر قال حسان:
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عَلَيهِمُبَرَدَى يُصَفّقُ بالرّحِيقِ السّلْسَلِ
28353ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ قال: هو الخمر.
28354ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن الأعمش, عن عبد الله بن مرّة, عن مسروق, عن عبد الله قال: الرحيق: الخمر.
وأما قوله: مَخْتُومٍ خِتامُهُ مِسْكٌ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله, فقال بعضهم: معنى ذلك: ممزوج مخلوط, مِزاجه وخِلطـه مِسـك. ذكـر مـن قـال ذلك:
28355ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أشعث بـن أبي الشعثاء, عن يزيد بن معاوية, وعلقمة عن عبد اللـه بـن مسـعود خِتـامُهُ مِسْكٌ قال: ليس بخاتم, ولكن خلط.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد وعبـد الرحمـن, قـالا: حـدثنا سفيان, عن أشعث بن سليم, عن يزيد بن معاوية, عن علقمة, عن عبد الله بن مسعود خِتامُهُ مِسْكٌ قال: أما إنه ليس بالخاتم الـذي يختـم, أمـا سـمعتم المرأة من نسائكم تقول: طيب كذا وكذا خِلطه مسك.
28356ـ حدثني محمد بن عُبيد المحاربيّ, قال: حدثنا أيوب, عـن أشـعث بن أبي الشعثاء, عمن ذكـره, عـن علقمـة, فـي قـوله: خِتـامُهُ مِسْـكٌ قـال: خِلطه مسك.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن الأعمش, عن عبد الله بن مرّة, عن مسروق, عن عبد الله مختوم قال: ممزوج خِتامُهُ مِسْكٌ قال: طعمه وريحه.
قال: ثنا وكيع, عن أبيه, عن أشعث بن أبي الشعثاء, عن يزيد بن معاوية, عن علقمة خِتامُهُ مِسْكٌ قال: طعمه وريحه مسك.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن آخر شرابهم يُخْتم بمسك يجعل فيه. ذكر من قال ذلك:
28357ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابـن عبـاس, قـوله: رَحِيـقٍ مَخْتُـومٍ خِتـامُهُ مِسْـكٌ يقـول: الخمـر: خُتِـم بالمسك.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس خِتامُهُ مِسْكٌ قـال: طيّـب اللـه لهـم الخمـر, فكـان آخـر شيء جعل فيها حتى تختم, المسك.

28358ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة خِتامُهُ مِسْكٌ قال: عاقبته مسك, قوم تُمزَج لهم بالكافور, وتختم بالمسك.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة خِتامُهُ مِسْكٌ قال: عاقبته مِسك.
28359ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: خِتامُهُ مِسْكٌ قال طيّب الله لهم الخمر, فوجدوا فيها في آخر شيء منها, ريح المسك.
28360ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا حاتم بن وردان, قال: حدثنا أبو حمزة, عن إبراهيم والحسن في هذه الآية: خِتامُهُ مِسْكٌ قال: عاقبته مسك.
28361ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا أبو حمزة, عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط, عن أبي الدرداء خِتامُهُ مِسْكٌ فالشراب أبيض مثل الفضة, يختمون به شرابهم, ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها, لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها.
وقال آخرون: عُنِي بقوله: مَخْتُومٍ مُطَيّن خِتامُهُ مِسْكٌ طينه مسك. ذكر من قال ذلك:
28362ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: مَخْتُومٍ خِتامُهُ مِسْكٌ قال: طينه مسك.
28363ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: مَخْتُومٍ الخمر خِتامُهُ مِسْكٌ: ختامه عند الله مسك, وختامها اليوم في الدنيا طين.
وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: آخره وعاقبته مسك: أي هي طيبة الريح, إن ريحها في آخر شربهم, يختم لها بريح المسك.
وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصحة, لأنه لا وجه للختم في كلام العرب إلا الطبع, والفراغ كقولهم: ختم فلان القرآن: إذا أتى على آخره, فإذا كان لا وجه للطبع على شراب أهل الجنة, يفهم إذا كان شرابهم جاريا جري الماء في الأنهار, ولم يكن مُعتقا في الدنان, فيُطَيّن عليها وتختم, تعين أن الصحيح من ذلك الوجه الآخر, وهو العاقبة والمشروب آخرا, وهو الذي ختم به الشراب. وأما الختم بمعنى المزج, فلا نعلمه مسموعا من كلام العرب.
وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار: خِتامُهُ مِسْكٌ سوى الكسائيّ, فإنه كان يقرؤه: «خاتَمَهُ مِسْكٌ».
والصواب من القول عندنا في ذلك: ما عليه قَرَأَة الأمصار, وهو خِتامُهُ, لإجماع الحجة من القرّاء عليه, والختام والخاتم, وإن اختلفا في اللفظ, فإنهما متقاربان في المعنى, غير أن الخاتم اسم, والختام مصدر ومنه قول الفرزدق:
فَبِتْنَ بِجانِبَيّ مُصَرّع اتِوَبِتّ أفُضّ أغْلاقَ الخَتامِ
ونظير ذلك قولهم: هو كريم الطبائع والطباعَ.
وقوله: وفِي ذَلكَ فَلْيَتَنافَسِ المُتَنافِسُونَ يقول تعالى ذكره: وفي هذا النعيم الذي وصف جلّ ثناؤه أنه أعطى هؤلاء الأبرار في القيامة, فلينتافس المتنافسون. والتنافس: أن ينَفِس الرجل على الرجل بالشيء يكون له,

ويتمنى أن يكون له دونه, وهو مأخوذ من الشيء النفيس, وهو الذي تحـرص عليه نفوس الناس, وتطلبه وتشتهيه, وكان معنـاه فـي ذلـك: فليجـدّ النـاس فيه, وإليه فليستبقوا في طلبه, ولتحرص عليه نفوسهم.

الآية : 27-29

القول فـي تأويــل قـولـه تعـالى:{وَمِزَاجُـهُ مِـنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنـاً يَشْـرَبُ بِهَـا الْمُقَرّبُونَ * إنّ الّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ الّذِينَ آمَنُواْ يَضْحَكُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ومِزاج هذا الرحيق من تسنيم والتسنيم: التفعيل مـن قول القائل: سنمتهم العين تسـنيما: إذا أجريتهـا عليهـم مـن فـوقهم, فكـان معناه في هذا الموضع: ومِزاجه مـن مـاء ينـزل عليهـم مـن فـوقهم فينحـدر عليهم. وقد كان مجاهد والكلبيّ يقولان في ذلك كذلك.

28364ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: تَسْنِيمٍ قال: تسنيم: يعلو.

28365ـ حدثنا ابن عبد الأعلَى, قـال: حـدثنا ابـن ثـور, عـن معمـر, عـن الكلبيّ, في قوله: تَسْنِيمٍ قال: تسنيم ينصبّ عليهم من فوقهم, وهو شراب المقرّبين.

وأما سائر أهل التأويل, فقالوا: هو عين يمزج بها الرحيق لأصحاب اليمين, وأما المقرّبون, فيشربونها صِرْفا. ذكر من قال ذلك:

28366ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن الأعمش, عن عبد الله بن مُرّة, عن مسروق, عن عبد الله في قوله: مِنْ تَسْنِيمٍ قال: عين فـي الجنـة يشربها المقرّبون, وتُمزج لأصحاب اليمين.

حدثنا ابن بشار, قـال: حـدثنا عبـد الرحمـن, قـال: حـدثنا سـفيان, عـن الأعمش, عن عبد الله بن مُرّة, عـن مسـروق, عـن عبـد اللـه وَمِزَاجُـهُ مِـنْ تَسْنِيمٍ قال: يشربه المقرّبون صِرفا, ويمزج لأصحاب اليمين.

28367ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن مالك بن الحرث, عن مسروق, وَمِزَاجُهُ مِـنْ تَسْـنِيمٍ قـال: عيـن فـي الجنـة يشربها المقرّبون صِرفا, وتُمزج لأصحاب اليمين.

قال: ثنا مهران, عن سفيان, عن الأعمش, عن عبد اللـه بـن مـرّة, عـن مسروق عَيْنا يَشْرَبُ بِها المُقَرّبُونَ قال: يشرب بها المقرّبون صِرفا, وتمـزج لأصحاب اليمين.

28368ـ حدثني طلحة بن يحيى اليربوعيّ, قال: حدثنا فضيل بن عيـاض, عن منصور, عن مالك بن الحرث, في قوله: وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْـنِيمٍ قـال: فـي الجنة عين يشرب منها المقرّبون صِرفا, وتمزج لسائر أهل الجنة.

28369ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيـى بـن واضـح, قـال: حـدثنا أبـو حمزة, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُـبير, عـن ابـن عبـاس, قـوله: وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنا يَشْرَبُ بِها المُقَرّبُونَ صِرفا, ويمزج فيها لمن دونهم.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مالك بن الحارث, في قوله: وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ قال: التسنيم: عين في الجنـة يشـربها المقرّبـون صرفا, وتمزج لسائر أهل الجنة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا أبو حمزة, عـن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبير, عن ابـن عبـاس, قـوله وَمِزَاجُـهُ مِـنْ تَسْنِيمٍ قال: عين يشرب بها المقرّبون, ويمزج فيها لمن دونهم.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنا يَشْرَبُ بِها المُقَرّبُونَ عينا من ماء الجنة, تُمزج به الخمر.

28370ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ قال: خفايا أخفاها الله لأهل الجنة.

28371ـ حدثنا ابن عبدً الأعلى, قال: حدثنا عمران بن عيينة, عن إسماعيل, عن أبي صالح, في قوله: وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ قال: هو أشرف شراب في الجنة, هو للمقرّبين صِرف, وهو لأهل الجنة مِزاج.

28372ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ شراب شريف, عين في الجنة يشربها المقرّبون صرفا, وتُمزج لسائر أهل الجنة.

28373ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنا يَشْرَبُ بِها المُقَرّبُونَ قال: بلغنا أنها عين تخرج من تحت العرش, وهي مِزاج هذه الخمر: يعني مِزاج الرحيق.

28374ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: مِنْ تَسْنِيمٍ شراب اسمه تسنيم, وهو من أشرف الشراب.

فتأويل الكلام: ومزاج الرحيق من عين تُسَنّم عليهم من فوقهم, فتنصبّ عليهم يَشْرَبُ بِها المُقَرّبُونَ من الله صرفا, وتمزج لأهل الجنة.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: عَيْنا فقال بعض نحويّي البصرة: إن شئت جعلت نصبه على يُسْقون عينا, وإن شئت جعلته مدحا, فيُقطع من أوّل الكلام, فكأنك تقول: أعني عينا.

وقال بعض نحويّي الكوفة: نصب العين على وجهين: أحدهما: أن يُنْوَى من تسنِيم عَيْن, فإذا نوّنت نصبت, كما قال: أوْ إطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيما, وكما قال: ألَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ كِفاتا أحْياءً. والوجه الآخر: أن ينوى من ماء سُنّم عينا, كقولك: رفع عينا يشرب بها. قال: وإن لم يكن التسنيم اسما للماء, فالعين نكرة, والتسنيم معرفة, وإن كان اسما للماء, فالعين نكرة فخرجت نصبا. وقال آخر من البصريين: مِنْ تَسْنِيمٍ معرفة, ثم قال عَيْنا فجاءت نكرة, فنصبتها صفة لها. وقال آخر نُصبت بمعنى: من ماء يَتَسَنّم عينا.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن التسنيم اسم معرفة, والعين نكرة, فنصبت لذلك إذ كانت صفة له. وإنما قلنا: ذلك هو الصواب لما قد قدّمنا من الرواية عن أهل التأويل, أن التسنيم هو العين, فكان معلوما بذلك أن العين إذ كانت منصوبة وهي نكرة, أن التسنيم معرفة.

وقوله: إنّ الّذِينَ أجْرَمُوا كانُوا منَ الّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ يقول تعالى ذكره: إن الذين اكتسبوا المآثم, فكفروا بالله في الدنيا, كانوا فيها من الذين أقرّوا بوحدانية الله, وصدّقوا به, يضحكون, استهزاء منهم بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28375ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ الّذِينَ أجْرَمُوا كانُوا مِن الّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ في الدنيا, يقولون: والله إن هؤلاء لكذَبة, وما هم على شيء, استهزاء بهم.

الآية : 30-33

القول في تأويل قوله تعالى:{وَإِذَا مَرّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوَاْ إِلَىَ أَهْلِهِمْ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوَاْ إِنَّ هَـَؤُلاَءِ لَضَـالّونَ * وَمَـآ أُرْسِـلُواْ عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وكان هـؤلاء الـذين أجرمـوا إذا مـرّ الـذين آمنـوا بهـم يتغامزون يقول: كان بعضهم يغمز بعضا بالمؤمن, استهزاء به وسخرية.

وقوله: وَإِذَا انْقَلَبُوا إلى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فاكِهِينَ يقول: وكان هؤلاء المجرمون إذا انصرفوا إلى أهلهم من مجالسهم انصرفوا ناعمين معجبين. وبنحو الـذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28376ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس انْقَلَبُوا فاكِهِينَ قال: معجبين.

28377ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَإِذَا انْقَلَبُوا إلى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فاكِهِينَ قال: انقلب ناعما, قال: هذا في الدنيا, ثم أعقب النار في الآخرة.

وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يفرّق بين معنى فـاكهين وفكهيـن, فيقول: معنى فاكهين ناعمين, وفكهيـن: مَرِحيـن. وكـان غيـره يقـول: ذلـك بمعنى واحد, وإنما هو بمنزلة طامع وطَمِع, وباخل وبخل.

وقوله: وَإِذَا رأَوْهُمْ قالُوا إنّ هَـؤُلاءِ لَضَـالّونَ يقـول تعـالى ذكـره: وإذا رأى المجرمون المؤمنين قالوا لهم: إن هؤلاء لضالون, عن محجة الحقّ, وسـبيل القصد ومَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حافِظِينَ يقول جلّ ثناؤه: ومـا بُعـث هـؤلاء الكفـار القائلون للمؤمنين إن هؤلاء لضالون, حافظين عليهـم أعمـالهم يقـول: إنمـا كُلّفوا الإيمان بالله, والعمل بطاعته, ولم يُجعلوا رُقباء على غيرهم يحفظون عليهم, أعمالهم ويتفقدونها.

الآية : 34-36

القول في تأويـل قوله تعالى:{فَالْيَوْمَ الّذِينَ آمَنُـواْ مِـنَ الْكُفّـارِ يَضْـحَكُونَ * عَلَى الأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوّبَ الْكُفّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فالْيَوْمَ وذلك يوم القيامة الّذِينَ آمَنُوا بالله في الدنيا مِنَ الكُفّارِ فيها يَضْحَكُونَ على الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ يقـول: علـى سـررهم الـتي فـي الحِجالَ ينظرون إليهم, وهم في الجنـة, والكفـار فـي النـار يُعَـذّبون. وبنحـو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28378ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فالْيَوْمَ الّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفّارِ يَضْحَكُونَ عَلى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ قال: يعني السّرر المرفوعة عليها الحِجال. وكـان ابـن عباس يقول: إن السور الذي بين الجنة والنار يُفتح لهـم فيـه أبـواب, فينظـر المؤمنون إلى أهل النار, والمؤمنـون علـى السـرر ينظـرون كيـف يعـذّبون, فيضحكون منهم, فيكون ذلك مما أقرّ الله به أعينهم, كيف ينتقم الله منهم.

28379ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فالْيَوْمَ الّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفّارِ يَضْحَكُونَ ذُكر لنا أن كعبـا كـان يقـول: إن بيـن الجنـة والنار كُوًى, فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوّ كان له في الدنيا, اطلـع مـن بعض الكُوى, قال الله جلّ ثناؤه: فـاطّلَعَ فَـرآهُ فِـي سَـوَاءِ الجَحِيـمِ: أي فـي وسط النار. وذُكر لنا أنه رأى جماجم القوم تغلي.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عـن قتـادة, قـال كعب: إن بين أهل الجنة وبين أهل النار كُوًى, لا يشاء رجل من أهل الجنة أن ينظر إلى غيره من أهل النار إلاّ فعل.

حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قـوله: فـالْيَوْمَ الّـذِينَ آمَنُـوا مِـنَ الكُفّـارِ يَضْـحَكُونَ عَلـى الأرَائِكِ يَنْظُرُونَ كان ابن عباس يقول: السّور بين أهل الجنـة والنـار, فيفتـح لأهل الجنة أبواب, فينظرون وهم على السّرر إلى أهل النـار كيـف يعـذّبون, فيضحكون منهم, ويكون ذلك مما يقرّ الله به أعينهم أن ينظروا إلى عـدوّهم كيف ينتقم الله منهم.

28380ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عـن سـفيان فـالْيَوْمَ الّـذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفّارِ يَضْحَكُونَ قال: يُجاء بالكفار, حتى ينظـروا إلـى أهـل الجنـة في الجنة, على سُرر, فحين ينظرون إليهم تغلـق دونهـم الأبـواب, ويضـحك أهل الجنة منهم, فهو قوله: فالْيَوْمَ الّذِينَ آمَنُـوا مِـنَ الكُفّـارِ يَضْـحَكُونَ عَلـى الأرَائِكِ يَنْظُرُونَ.

وقوله: هَلْ ثُوّبَ الكُفّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ يقول تعالى ذكره: هل أثيب الكفار وجُزُوا ثواب مـا كـانوا فـي الـدنيا يفعلـون بـالمؤمنين مـن سـخريتهم منهـم, وضحكهم بهم, بضحك المؤمنين منهم في الآخرة, والمؤمنون علـى الأرائـك ينظرون, وهم في النار يعذّبون.

و ثُوّب فعل من الثواب والجزاء, يقال منه: ثوّب فلان فلانـا علـى صـنيعه, وأثابه منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28381ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد هَلْ ثُوّبَ الكُفّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ قال: جُزي.

28382ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان: هَلْ ثُوّبَ الكُفّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ حين كانوا يسخرون.

سورة الانشقاق

سورة الانشقاق مكيّة
وآياتها خمس وعشرون
بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1-5

القول فـي تأويـل قولـه تعالى:{إِذَا السّمَآءُ انشَقّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبّهَا وَحُقّـتْ * وَإِذَا الأرْضُ مُدّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبّهَا وَحُقّتْ }.

يقول تعالى ذكره: إذا السماء تصدّعت وتقطّعت فكانت أبوابا.

وقـوله: وأَذِنَـتْ لِرَبّهـا وَحُقّـتْ يقـول: وسـمعت السـموات فـي تصـدّعها وتشققها لربها, وأطاعت له في أمره إياها. والعرب تقول: أذِنَ لك فـي هـذا الأمر أذَنا بمعنى: استمع لك, ومنه الخبر الذي رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما أذِنَ اللّهُ لِشَـيْءٍ كـأذَنِهِ لِنَبِـيّ يَتَغَنّـى بـالقُرآنِ» يعنـي بـذلك: مـا استمع الله لشيء كاستماعه لنبيّ يتغنى بالقرآن ومنه قول الشاعر:

صُمّ إذَا سَمِعُوا خَيْرا ذُكِرْتُ بِهِوإنْ ذُكِرْتُ بسُوءٍ عنْدَهُمْ أَذِنوا

وأصل قولهم في الطاعة: سمع له من الاستماع, يقال منه: سـمعت لـك, بمعنى سمعت قولك وأطعت, فيما قلتَ وأمرت. وبنحو الذي قلنا في معنـى قوله: وَأَذِنَتْ لِرَبّها قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28383ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَأَذِنَتْ لِرَبّها وَحُقّتْ قال: سمعت لربها.

28384ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشـعث, عـن جعفـر, عن سعيد, في قوله: وَأَذِنَتْ لِرَبّها وَحُقّتْ قال: سمعت أوطاعت.

28385ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وأَذِنَتْ لِرَبّها وَحُقّتْ قال: سمعت.

حدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

28386ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله وَأَذِنَتْ لِرَبّها وَحُقّتْ قال: سمعت وأطاعت.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قـوله وَأَذِنَـتْ لِرَبّها وحُقّتْ: أي سمعت وأطاعت.

28387ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قـوله: وَأَذِنَـتْ لِرَبّهـا وَحُقّـتْ قـال: سـمعت وأطاعت.

وقوله: وحُقّتْ يقول: وحَقّق الله عليها الاستماع بالانشقاق, والانتهاء إلـى طاعته في ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهـل التأويـل. ذكـر مـن قـال ذلك:

28388ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله وَحُقّتْ قال: حُقّقَت لطاعة ربها.

28389ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن أشعث بن إسـحاق, عـن جعفر, عن سعيد بن جُبير وَحُقّتْ وحُقّ لها.

وقوله: وَإِذَا الأَرْضُ مُدّتْ يقول تعالى ذكره: وإذا الأرض بُسِطت, فزيد في سعتها كالذي:

28390ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قـال: حـدثنا ابـن ثـور, عـن معمـر, عـن الزهريّ, عن عليّ بن حسين, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «إذَا كـانَ يَوْمِ الْقِيامَةِ مَدّ اللّهُ الأَرْضَ حتى لا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النّاسِ إلاّ مَوْضِـعُ قَـدَمَيْهِ, فـأكُونَ أوّلَ مَـنْ يُـدْعَى, وَجِبْرِيـلُ عَـنْ يمِيـنِ الرّحْمَـنِ, وَاللّـهِ مـا رَآهُ قَبْلَهـا, فأقُولُ: يا رَبّ إنّ هَذَا أخْبَرَنِي أنّكَ أرْسَـلْتَهُ إلَـيّ, فَيَقُـولُ: صَـدَقَ, ثُـمّ أشْـفَعُ فـأقولُ: يـا رَبّ عِبـادُكَ عَبَـدُوكَ فِـي أطْـرَافِ الأرْضِ, قـال: وهُـوَ المَقـامُ المَحْمُودِ».

28391ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: مُدّتْ قال: يوم القيامة.

وقوله: وَأَلْقَتْ ما فِيها وتَخَلّتْ يقول جلّ ثناؤه: وألقت الأرض ما في بطنها من الموتى إلى ظهرها وتخلّت منهم إلى الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قـال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28392ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَأَلْقَتْ ما فِيها وتَخَلّتْ قـال: أخرجـت مـا فيهـا مـن الموتى.

28393ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَأَلْقَتْ ما فِيها وتَخَلّتْ قال: أخرجت أثقالها وما فيها.

وقوله: وَأَذِنَتْ لِرَبّها وَحُقّتْ يقول: وسمعت الأرضُ في لقائها ما في بطنها من الموتى إلى ظهرها أحياء, أمرَ ربها وأطاعت وحُقّتْ يقول: وحقّقهـا اللـه للاستماع لأمره في ذلك, والانتهاء إلى طاعته.

واختلف أهل العربية في موقع جواب قوله: إذَا السّـماءُ انْشَـقّتْ, وقـوله: وَإذَا الأرْضُ مُدّتْ, فقال بعض نحويّي البصرة: إذَا السّماءُ انْشَقّتْ على معنى قوله: يا أيّها الإنْسانُ إنّكَ كادِحٌ إلى رَبّكَ كَـدْحا فَمُلاقِيـهِ إذا السـماء انشـقت, على التقديم والتأخير.

وقال بعـض نَحـويّي الكوفـة: قـال بعـض المفسـرين: جـواب إذَا السّـماءُ انْشّقّتْ قوله: وَأذِنَتْ قال: ونرى أنه رأي ارتآه المفسر, وشـبّهه بقـول اللـه تعالى: حتى إذَا جاءُوها وَفُتِحَـتْ أبْوَابُهـا لأنـا لـم نسـمع جوابـا بـالواو فـي إذا مبتدأة, ولا كلام قبلها, ولا في إذا, إذا ابتدئت قال: وإنما تجيب العرب بـالواو في قوله: حتى إذا كان, وفلما أن كان, لم يجاوزوا ذلك قـال: والجـواب فـي إذَا السّماءُ انْشَقّتْ وفي إذَا الأرْضُ مُدّتْ كالمتروك, لأن المعنى معروف قـد تردّد في القرآن معناه, فعُرِف, وإن شئت كان جوابه: يا أيها الإنسان, كقول القائل: إذا كان كذا وكذا, فيا أيها الناس تَـرَون مـا عملتـم مـن خيـر أو شـرّ, تجعل يا أيها الإنسان هو الجـواب, وتضـمر فيـه الفـاء, وقـد فسّـر جـواب إذَا السّماءُ انْشَقّتْ فيما يلقَى الإنسان من ثواب وعقـاب, فكـأن المعنـى: تـرى الثواب والعقاب إذا السماء انشقّت.

والصواب من القول في ذلـك عنـدنا: أن جـوابه محـذوف, تـرك اسـتغناء بمعرفـة المخـاطبين بـه بمعنـاه. ومعنـى الكلام: إذا السـماء انشـقت رأى الإنسان ما قدّم من خير أو شرّ, وقد بين ذلك قوله: يا أيّها الإنْسانُ إنّكَ كادِحٌ إلى رَبّكَ كَدْحا فَمُلاقِيهِ والآياتُ بعدها.

الآية : 6-9

القول فـي تأويـل قـوله تعـالى:{يَأَيّهَـا الإنسَـانُ إنّـكَ كَـادِحٌ إِلَـىَ رَبّـكَ كَـدْحاً فَمُلاَقِيهِ * فَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِـهِ * فَسَـوْفَ يُحَاسَـبُ حِسَـاباً يَسِـيراً * وَيَنقَلِبُ إِلَىَ أَهْلِهِ مَسْرُوراً }.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الإنسان إنك عامل إلى ربك عملاً فملاقيـه بـه: خيرا كان عملُك ذلك أو شرّا يقول: فليكن عملُـك ممـا يُنجيـك مـن سُـخْطه, ويوجب لك رضاه, ولا يكن مما يُسخطه عليك فتهلك. وبنحو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28394ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس يا أيّها الإنْسانُ إنّـكَ كـادحٌ إلـى رَبّـك كَـدْحا فَمُلاقِيهِ يقول: تعمل عملاً تلقى الله به خيرا كان أو شرّا.

28395ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الإنْسـانُ إنّـكَ كـادحٌ إلـى رَبّـكَ كَـدْحا فَمُلاقِيـهِ إن كـدحك يـا ابن آدم

لضعيف, فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل, ولا قوّة إلا بالله.
28396ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: إنّكَ كادحٌ إلى رَبّكَ كَدْحا قال: عامل له عملاً.
28397ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: وسمعته يقول في ذلك إنّكَ كادحُ إلى رَبّكَ كَدْحا قال: عامل إلى ربك عملاً, قال: كدحا: العمل.
وقوله: فَأمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ يقول تعالى ذكره: فأما من أُعطي كتاب أعماله بيمينه, فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابا يَسِيرا بأن ينظر في أعماله, فيغفر له سيئها, وَيجازَى على حَسنها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, وجاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:
28398ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن محمد بن إسحاق, عن عبد الواحد بن حمزة, عن عباد بن عبد الله بن الزّبير, عن عائشة, قالت: سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: «اللّهُمّ حاسِبْني حِسابا يَسِيرا» قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: «أنْ يَنْظُرَ فِي سَيّئاتِهِ فَيَتجاوَزُ عَنْهُ, إنّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ».
حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن محمد بن إسحاق, قال: ثني عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير, عن عباد بن عبد الله بن الزّبير, عن عائشة, قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته: «اللّهُمّ حاسِبْنِي حِسابا يَسِيرا», فلما انصرف قلت: يا رسول الله, ما الحساب اليسير؟ قال: «يَنْظُرُ فِي كِتابِهِ, وَيَتَجاوَزُ لَهُ عَنْهُ, إنّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ يَوْمَئِذٍ يا عائِشَةُ هَلَكَ».
حدثنا نصر بن عليّ الجَهْضَميّ, قال: حدثنا مسلم, عن الحريش بن الخرّيت أخي الزبير, عن ابن أبي مليكة, عن عائشة, قالت: من نُوقش الحساب, أو من حوسب عذّب, قال: ثم قالت: إنما الحساب اليسير: عَرْض على الله وهو يراهم.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا أيوب, وحدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: أخبرنا أيوب, عن ابن أبي مليكة, عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيامَةِ عُذّبَ», فقلت: أليس الله يقول: فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابا يَسِيرا قال: «لَيْسَ ذلكِ الْحِسابُ, إنّمَا ذلكِ العَرْضُ, وَلَكِنْ مَ نْ نُوقِشَ الْحِسابَ يَوْمَ الْقِيامَةُ عُذّبَ».
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا روح بن عبادة, قال: حدثنا أبو عامر الخزاز, عن ابن أبي مليكة, عن عائشة, قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّهُ لَيْسَ أحَدٌ يُحاسَبُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إلاّ مُعَذّبا», فقلت: أليس يقول الله: فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابا يَسِيرا قال: «ذَلِكَ الْعَرْضُ, إنّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ عُذّبَ», وقال بيده على أصبعه كأنه ينكته.
28399ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: فَسَوْفَ يُحاسَبُ حسابا يَسيرا قال: الحساب اليسير: الذي يغفر ذنوبه, ويتقبّل حسناته, ويسيرُ الحساب: الذي يعفى عنه, وقرأ: وَيخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ, وقرأ: أُولَئِكَ الّذِينَ نَتَقَبّلُ عَنْهُمْ أحْسَنَ ما عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَ نْ سَيّئاتِهِمْ فِي أصحَابِ الجَنّةِ.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن عثمان بن الأسود, قال: ثني ابن أبي مليكة, عن عائشة, قالت: يا رسول الله فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابا يَسِيرا قال: «ذَلِكَ الْعَرْضُ يا عائِشَةُ, مَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ هَلَكَ».

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عثمان بن عمرو وأبو داود, قالا: حدثنا أبو عامر الخزاز, عن ابن أبي مليكة, عن عائشة, قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حُوسِبَ عُذّبَ», قالت: فقلت: أليس الله يقول: فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابا يَسِيرا قال: «ذَلِكَ الْعَرْضُ يا عائِشَةُ, وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ عُذّبَ».

إن قال قائل: وكيف قيل: فَسَوْفَ يُحاسَبُ والمحاسبة لا تكون لا من اثنين, والله القائم بأعمالهم, ولا أحد له قِبَل ربه طَلِبة فيحاسبه؟ قيل: إن ذلك تقرير من الله للعبد بذنوبه, وإقرار من العبد بها, وبما أحصاه كتاب عمله, فذلك المحاسبة على ما وصفنا, ولذلك قيل: يحاسَب.

حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن أبي يونس القشيري, عن ابن أبي مليكة, عن القاسم بن محمد, عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ أحَدٌ يُحاسَبُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إلاّ هَلَكَ» قالت: فقلت: يا رسول الله فأمّا مَنْ أوتِيَ كِتابَهُ بيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابا يَسِيرا فقال: «ذَلِكَ الْعَرْضُ, لَيْسَ أحَدٌ يُحاسَبُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إلاّ هَلَكَ».

وقوله: وَيَنْقَلِبُ إلى أهْلِهِ مَسْرُورا يقول: وينصرف هذا المحاسَبُ حسابا يسيرا إلى أهله في الجنة مسرورا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28400ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَيَنْقَلِبُ إلى أهْلِهِ مَسْرُورا قال: إلى أهل أعدّ الله لهم الجنة.

الآية : 10-15

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً * وَيَصْلَىَ سَعِيراً * إِنّهُ كَانَ فِيَ أَهْلِهِ مَسْرُوراً * إِنّهُ ظَنّ أَن لّن يَحُورَ * بَلَىَ إِنّ رَبّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً }.

يقول تعالى ذكره: وأما من أعطي كتابه منكم أيها الناس يومئذٍ وراء ظهره, وذلك أن جعل يده اليمنى إلى عنقه, وجعل الشمال من يديه وراء ظهره, فيتناول كتابه بشماله من وراء ظهره, ولذلك وصفهم جلّ ثناؤه أحيانا, أنهم يُؤْتَوْن كُتُبَهُم بشمائلهم, وأحيانا أنهم يُؤتَوْنَها من وراء ظهورهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28401ـ حدثني محمد بن عمر, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ قال: يجعل يده من وراء ظهره.

وقوله: فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورا يقول: فسوف ينادي بالهلاك, وهو أن يقول: واثبوراه, واويلاه, وهو من قولهم: دعا فلان لهفه: إذا قال: والهفاه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقد ذكرنا معنى الثبور فيما مضى بشواهده, وما فيه من الرواية.

28402ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَدْعُو ثُبُورا قال: يدعو بالهلاك.

وقوله: وَيَصْلَى سَعِيرا اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء مكة والمدينة والشام: «وَيُصَلّى» بضم الياء وتشديد اللام, بمعنى: أن الله يصليهم تصلية بعد تصلية, وإنضاجة بعد إنضاجة, كما قال تعالى: كُلّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدّلْناهُمْ جُلُودا غَيرَها, واستشهدوا لتصحيح قراءتهم ذلك كذلك, بقوله: ثُمّ الجَحِيمَ صَلّوهُ وقرأ ذلك بعض المدنيين وعامة قرّاء الكوفة والبصرة: وَيَصْلَى بفتح الياء وتخفيف اللام, بمعنى: أنهم يَصْلونها ويَرِدونها, فيحترقون فيها, واستشهدوا لتصحيح قراءتهم ذلك كذلك, بقول الله: يَصْلَوْنها وإلاّ مَنْ هُوَ صالِ الجَحِيمِ.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: إنّهُ كانَ فِي أهْلِهِ مَسْرُورايقول تعالى ذكره: إنه كان في أهله في الدنيا مسرورا, لما فيه من خلافه أمرَ الله, وركوبه معاصيَه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28403ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّهُ كانَ فِي أهْلِهِ مَسْرُورا: أي في الدنيا.

وقوله: إنّهُ ظَنّ أنْ لَنْ يَحُورَ بَلى يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أُوتي كتابه وراء ظهره يوم القيامة, ظنّ في الدنيا أن لن يرجع إلينا, ولن يُبعث بعد مماته, فلم يكن يبالي ما ركب من المآثم, لأنه لم يكن يرجو ثوابا, ولم يكن يخشى عقابا يقال منه: حار فلان عن هذا الأمر: إذا رجع عنه, ومنه الخبر الذي رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه: «اللّهُمّ إنّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَوَرِ بَعْدَ الكَورِ» يعني بذلك: من الرجوع إلى الكفر, بعد الإيمان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28404ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّهُ ظَنّ أنْ لَنْ يَحُورَ يقول: يُبعث.

28405ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إنّهُ ظَنّ أنْ لَنْ يَحُورَ بَلى قال: أن لا يرجع إلينا.

28406ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّهُ ظَنّ أنْ لَنْ يَحُورَ: أن لا مَعادَ له ولا رجعة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة أنْ لَنْ يَحُورَ قال: أن لن ينقلب: يقول: أن لن يبعث.

28407ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, ظَنّ أنْ لَنْ يَحُورَ قال: يرجع.

28408ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أنْ لَنْ يَحُورَ قال: أن لن ينقلب.

وقوله: بَلى يقول تعالى ذكره: بلى لَيَحُورَنّ ولَيَرْجِعَنّ إلى ربه حيا, كما كان قبل مماته.

وقوله: إنّ رَبّهُ كانَ بِهِ بَصِيرا يقول جلّ ثناؤه: إن ربّ هذا الذي ظنّ أن لن يحور, كان به بصيرا, إذ هو في الدنيا, بما كان يعمل فيها من المعاصي, ومـا إليه يصير أمره في الآخرة, عالم بذلك كلّه.

الآية : 16-21

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{فَلاَ أُقْسِـمُ بِالشّـفَقِ * وَاللّيْـلِ وَمَـا وَسَـقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتّسَقَ * لَتَرْكَبُنّ طَبَقاً عَـن طَبـقٍ * فَمَـا لَهُـمْ لاَ يُؤْمِنُـونَ * وَإِذَا قُرِىءَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لاَ يَسْجُدُونَ }.

وهذا قَسَم أقسم ربنا بالشفق, والشفق: الحمرة في الأفـق مـن ناحيـة المغرب من الشمس في قول بعضهم.

واختلف أهل التأويل في ذلك, فقال بعضهم: هو الحمرة كما قلنـا, وممـن قال ذلك جماعة من أهل العراق. وقـال آخـرون: هـو النهـار. ذكـر مـن قـال ذلك:

28409ـ حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسيّ, قال: حدثنا محمد بن عبيد, قال: حدثنا العوّام بن حَوْشَب, قـال: قلـت لمجاهـد: الشـفق, قـال: لا تقـل الشفق, إنّ الشفق من الشمس, ولكن قل: حمرة الأفق.

28410ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد قوله: الشّفق, قال: النهار كله.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عـن مجاهد فَلا أُقْسِمُ بالشّفَقِ قال: النهار.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد, مثله.

وقال آخرون: الشفَق: هو اسم للحمرة والبياض, وقالوا: هو من الأضداد.

والصواب من القول في ذلك عندي: أن يقال: إن الله أقسم بالنهار مدبرا, والليل مقبلاً. وأما الشفَق الذي تحُلّ به صلاة العشـاء, فـإنه للحمـرة عنـدنا, للعلة التي قد بيّنّاها في كتابنا كتاب الصلاة.

وقوله: وَاللّيْلِ وَما وَسَقَ يقول: والليل وما جمع, مما سكن وهدأ فيـه مـن ذي روح كان يطير, أو يَدِب نهـارا, يقـال منـه: وسَـقْتُه أسِـقُه وَسْـقا, ومنـه: طعام موسُوق, وهو المجموع في غرائر أو وعاء, ومنه الوَسْق, وهو الطعام المجتع الكثير, مما يُكال أو يُوزن, يقال: هو ستون صاعا, وبه جاء الخبر عـن رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم. وبنحـو الـذي قلنـا فـي ذلـك قـال أهـل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28411ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح قال: ثني معاوية, عـن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: وَما وَسَقَ يقول: وما جَمَعَ.

28412ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شـعبة, عن أبي بشر, عن مجاهد, عن ابن عباس في هـذه الآيـة وَاللّيْـلِ وَمـا وَسَـقَ قال: وما جَمَع. وقال ابن عباس:

مُسْتَوْسِقاتٍ لَوْ يَجِدْنَ سائِقَا

28413ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, قال: سـأل حفص الحسن عن قوله: وَاللّيْلِ وَما وَسَقَ قال: وما جمع.

28414ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ قال: وما جمـع, يقـول: مـا آوى فيـه مـن دابّة.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن منصور, عـن مجاهـد وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ: وما لفّ.

28415ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ قال: وما أظلـم عليـه, ومـا أدخـل فيـه. وقـال ابـن عباس:

مُسْتَوْسِقاتٍ لَوْ يَجِدْنَ حادِيا

28416ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ يقول: وما جمع من نجم أو دابة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَما وَسق قال: وما جمع.

28417ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ قال: وما جمع, مجتمع فيه الأشياء التي يجمعها الله, التي تأوي إليه, وأشياء تكون في الليل لا تكون في النهار, ما جمـع ممـا فيـه ما يأوي إليه, فهو مما جمع.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عمرو, عن منصـور, عـن مجاهد وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ يقول: ما لُفّ عليه.

قال: ثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, مثله.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ قال: وما دخل فيه.

28418ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن أبي الهيثم, عن سعيد بن جبير وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ: وما جمع.

قال: ثنا وكيع, عن نافع بن عمر, عن ابن أبي مليكة, عن ابن عباس وَمـا وَسَقَ: وما جمع, ألم تسمع قول الشاعر:

مُسْتَوْسِقاتٍ لَمْ يَجِدْنَ سائِقا

28419ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن عكرِمة, في قوله: وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ قال: ما حاز إذا جاء الليل.

وقال آخرون: معنى ذلك: وما ساق. ذكر من قال ذلك:

28420ـ حدثنا عبد الله بن أحمد المَرْوَزيّ, قال: حدثنا عليّ بـن الحسـن, قال: حدثنا حسين, قال: سمعت عكرمة وسئل وَاللَّيْلِ وَمـا وَسَـقَ قـال: مـا ساق من ظلمة, فإذَا كان الليل, ذهب كلّ شيء إلى مأواه.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قـال: حـدثنا الحسـن, عـن عكرِمة وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ يقول: ما ساق من ظلمة, إذا جاء الليـل سـاق كـلّ شيء إلى مأواه.

28421ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ قال: ما ساق معــه من ظلمة إذا أقبل.

28422ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ يعني: وما ساق الليل من شيء جمعه النجوم, ويقال: والليل وما جمع.

وقوله: والقَمَرِ إذَا اتّسَقَ يقول: وبالقمر إذا تمّ واستوى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28423ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله وَالْقَمَرِ إذَا اتّسَقَ يقول: إذا استوى.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَالْقَمَرِ إذَا اتّسَقَ قال: إذا اجتمع واستوى.

28424ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن عكرِمة والْقَمَرِ إذَا اتّسَقَ قال: إذا استوى.

28425ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, قال: سأل حفص الحسن, عن قوله: والقَمَرِ إذَا اتّسَقَ قال: إذا اجتمع, إذا امتلأ.

28426ـ حدثني أبو كدينة, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر بن أبي المغيرة, عن سعيد, في قوله: والقَمَرِ إذَا اتّسَقَ قال: لثلاث عَشْرة.

28427ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد, مثله.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد, مثله.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عمرو, عن منصور, عن مجاهد, مثله.

قال: ثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, مثله.

28428ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله إذَا اتّسَقَ قال: إذا استوى.

28429ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن أبي الهيثم, عن سعيد بن جبير والْقَمَرِ إذَا اتّسَقَ: إذا استوى.

28430ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة إذَا اتّسَقَ: إذا استدار.

28431ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة والْقَمَرِ إذَا اتّسَقَ: إذا استوى.

28432ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: والْقَمَرِ إذَا اتّسَقَ قال: إذا اجتمع فاستوى.

28433ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: والْقَمَرِ إذَا اتّسَقَ قال: إذا استوى.

وقوله: لَتَرْكَبُنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ اختلفت القرّاء في قراءته, فقرأه عمر بن الخطاب وابن مسعود وأصحابه, وابن عباس وعامة قرّاء مكة والكوفة: «لَتَرْكَبَنّ» بفتح التاء والباء. واختلف قارئو ذلك كذلك في معناه, فقال بعضهم: لتركَبنّ يا محمد أنت حالاً بعد حال, وأمرا بعد أمر من الشدائد. ذكر من قال ذلك:

28434ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن مجاهد, أن ابن عباس كان يقرأ: «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» يعني نبيكم صلى الله عليه وسلم حالاً بعد حال.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن رجل حدّثه, عن ابن عباس في «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: منزلاً بعد منزل.
حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» يقول: حالاً بعد حال.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» يعني: منزلاً بعد منزل, ويقال: أمرا بعد أمر, وحالاً بعد حال.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, قال: سمعت مجاهدا, عن ابن عباس «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: محمد صلى الله عليه وسلم.
28435ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن عكرِمة في قوله «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: حالاً بعد حال.
28436ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هَوْذة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: حالاً بعد حال.
حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, قال: سأل حفص الحسن عن قوله: «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: منزلاً عن منزل, وحالاً عن حال.
28437ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا شريك, عن موسى بن أبي عائشة, قال: سألت مرّة عن قوله: «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: حالاً بعد حال.
28438ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد «لَتَرْكَبُنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: حالاً بعد حال.
28439ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: حالاً عن حال.
قال: ثنا وكيع, عن نصر, عن عكرِمة, قال: حالاً بعد حال.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: لتركبَنّ الأمور حالاً بعد حال.
28440ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» يقول: حالاً بعد حال, ومنزلاً عن منزل.
28441ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «لتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» منزلاً بعد منزل, وحالاً بعد حال.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عمرو, عن منصور, عن مجاهد «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: أمرا بعد أمر.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, في قوله: «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: أمرا بعد أمر.

وقال آخرون ممن قرأ هذه المقالة, وقرأ هذه القراءة عُنِي بذلك: لتركبنّ أنت يا محمد سماء بعد سماء. ذكر من قال ذلك:

28442ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: قال الحسن وأبو العالية «لَتَرْكَبَنّ» يعني محمدا صلى الله عليه وسلم طَبَقا عنْ طَبَقٍ السموات.

28443ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن جابر, عن أبي الضحى, عن مسروق «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: أنت يا محمد سماء عن سماء.

28444ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن إسماعيل, عن الشعبيّ, قال: سماء بعد سماء.

28445ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن جابر, عن عامر, عن علقمة, عن عبد الله, قال: سماء فوق سماء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لتركَبُنّ الآخرة بعد الأولى. ذكر من قال ذلك:

28446ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: الآخرة بعد الأولى.

وقال آخرون ممن قرأ هذه القراءة: إنما عُنِي بذلك أنها تتغير ضروبا من التغيير, وتُشَقّقُ بالغمام مرّة, وتحمرّ أخرى, فتصير وَرْدة كالدهان, وتكون أخرى كالمهل. ذكر من قال ذلك:

28447ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن قيس بن وهب, عن مرّة, عن ابن مسعود «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: السماء مرّة كالدّهان, ومرّة تَشَقّق.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: سمعت أبا الزرقاء الهَمْداني, وليس بأبي الزرقاء الذي يحدّث في المسح على الجوربين, قال: سمعت مُرّة الهمداني, قال: سمعت عبد الله يقول في هذه الآية: «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: السماء.

حدثني عليّ بن سعيد الكنديّ, قال: حدثنا عليّ بن غراب, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن عبد الله في قوله: «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: هي السماء تغيرّ وتحمرّ وتَشَقّق.

حدثنا أبو السائب, قال: ثني أبو معاوية, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن عبد الله, في قوله: «لَتَرْكَبُنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: هي السماء تَشَقّق, ثم تحمرّ, ثم تنفطر قال: وقال ابن عباس: حالاً بعد حال.

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن جدّه, عن الأعمش, عن إبراهيم قال: قرأ عبد الله هذا الحرف: «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: السماء حالاً بعد حال, ومنزلة بعد منزلة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن عبد الله «لَتَرْكَبَنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ» قال: هي السماء.

حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي فروة, عن مرّة, عن ابن مسعود أنه قرأها نصبا, قال: هي السماء.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن عبد الله, قال: هي السماء تغير لونا بعد لون.

وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين: لَتَرْكَبُنّ بالتاء, وبضمّ الياء, على وجه الخطاب للناس كافة, أنهم يركبون أحوال الشدة حالاً بعد حال.

وقد ذكر بعضهم أنه قرأ ذلك بالياء, وبضم الباء, على وجه الخبر عـن النـاس كافة, أنهم يفعلون ذلك.
وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب: قراءة من قرأ بالتاء وبفتح الباء, لأن تأويل أهل التأويل من جميعهم بذلك ورد وإن كان للقراءات الأُخَر وجـوه مفهومة. وإذا كان الصواب من القراءة فـي ذلـك مـا ذكرنـا, فالصـواب مـن التأويل قول من قال: «لَتَرْكَبَنّ» أنت يا محمد حالاً بعد حال, وأمرا بعـد أمـر من الشدائد. والمراد بذلك, وإن كان الخطاب إلـى رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم موجها, جميع الناس, أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالاً.
وإنما قلنا: عُنِي بذلك ما ذكرنا, أن الكلام قبل قوله: لَتَرْكَبُنّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ جرى بخطاب الجميع, وكذلك بعده, فكان أشبه أن يكون ذلك نظير مـا قبلـه وما بعده.
وقوله: طَبَقا عَنْ طَبَقٍ من قول العرب: وقع فُلان في بنات طَبَق: إذا وقع في أمر شديد.
وقوله: فَمَالَهُمْ لا يُؤْمِنُـونَ يقـول تعـالى ذكـره: فمـا لهـؤلاء المشـركين لا يصدّقون بتوحيد الله, ولا يقرّون بالبعث بعد المـوت, وقـد أقسـم لهـم ربهـم بأنهم راكبون طبقا عن طبق, مع ما قد عـاينوا مـن حججـه بحقيقـة توحيـده. وقد:
28448ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله فَمَالَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ: قال: وبهذا الحديث, وبهذا الأمر.
وقوله: وَإذَا قُرِىءَ عَلَيْهِمُ القُرآنُ لا يَسْجُدُونَ يقول تعالى ذكره: وإذا قُرىء عليهم كتاب ربهم لا يخضـعون ولا يسـتكينون وقـد بيّنـا معنـى السـجود قبـلُ بشواهده, فأغنى ذلك عن إعادته.

الآية : 22-25

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{بَلِ الّذِينَ كَفَرُواْ يُكَـذّبُونَ * وَاللّـهُ أَعْلَـمُ بِمَـا يُوعُونَ * فَبَشّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلاّ الّذِينَ آمَنُـواْ وَعَمِلُـواْ الصّـالِحَاتِ لَهُـمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ }.
قوله: بَلِ الّذِينَ كَفَرُوا يُكَذّبُونَ يقول تعالى ذكره: بل الذين كفروا يكذّبون بآيات الله وتنزيله.
وقوله: وَاللّهُ أعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ يقول تعالى ذكـره: واللـه أعلـم بمـا تُـوعيه صدور هؤلاء المشركين, من التكذيب بكتاب الله ورسوله. وبنحو الـذي قلنـا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28449ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: يُوعُون قال: يكتمون.
28450ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَاللّهُ أعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ قال: المرء يُـوعِي متـاعه ومـاله هـذا فـي هـذا, وهذا في هذا, هكذا يعرف الله ما يوعون من الأعمال, والأعمال السيئة ممـا تُوعيه قلوبهم, ويجتمع فيها من هذه الأعمال الخيـر والشـرّ, فـالقلوب وِعـاء هذه الأعمال كلها, الخير والشرّ, يعلم ما يسـرّون ومـا يعلنـون, ولقـد وَعَـى

لكم ما لا يدري أحد ما هو من القرآن وغير ذلك, قاتقوا الله وإياكم أن تدخلوا على مكارم هذه الأعمال, بعضَ هذه الخبث ما يفسدها.
28451ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: يُوعُونَ قال في صدورهم.
وقوله: فَبَشّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ: يقول جلّ ثناؤه: فبشر يا محمد هؤلاء المكذّبين بآيات الله, بعذاب أليمٍ لهم عند الله موجع إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصّالِحاتِ يقول: إلاّ الذين تابوا منهم وصدّقوا, وأقرّوا بتوحيده, ونبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم, وبالبعث بعد الممات. وعملوا الصالحات يقول: وأدّوا فرائض الله, واجتنبوا ركوب ما حرّم الله عليهم ركوبه.
وقوله: لَهُمْ أَجْرٌ غَيرُ مَمْنُونٍ يقول تعالى ذكره: لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات, ثواب غير محسوب ولا منقوص. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28452ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس قوله: لَهُمْ أَجْرٌ غَيرُ مَمْنُونٌ يقول: غير منقوص.
28453ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: أَجْرٌ غَيرُ مَمْنُونٍ يعني: غير محسوب.

سورة البروج

سورة البروج مكيّة
وآياتها ثنتان وعشرون
بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-5

القول في تأويل قوله تعالى:{وَالسّمَآءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ * النّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ }.
قال أبو جعفر رحمه الله: قوله: والسّماءِ ذَاتِ البُرُوجِ أقسم الله جلّ ثناؤه بالسماء ذات البروج.
واختلف أهل التأويل في معنى البروج في هذا الموضع, فقال بعضهم: عُنِي بذلك: والسماء ذات القصور. قالوا: والبروج: القصور. ذكر من قال ذلك:
28454ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس والسّماءِ ذَاتِ البُرُوجِ قال ابن عباس: قصور في السماء, قال غيره: بل هي الكواكب.
28455ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: البُرُوجِ يزعمون أنها قصور في السماء, ويقال: هي الكواكب.
وقال آخرون: عني بذلك: والسماء ذات النجوم, وقالوا: نجومها: بروجها. ذكر من قال ذلك:
28456ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: ذَاتِ البُرُوجِ قال: البروج: النجوم.
28457ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح والسّماءِ ذَاتِ البُرُوجِ قال: النجوم.

28458ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: والسّماءِ ذَاتِ البُرُوجِ وبروجها: نجومها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: والسماء ذات الرمل والماء. ذكر من قال ذلك:

28459ـ حدثني الحسن بن قزعة, قال: حدثنا حصين بن نمير, عن سفيان بن حسين, في قوله: والسّماءِ ذَاتِ البُرُوجِ قال: ذات الرمل والماء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: معنى ذلك: والسماء ذات منازل الشمس والقمر, وذلك أن البروج: جمع برج, وهي منازل تتخذ عالية عن الأرض مرتفعة, ومن ذلك قول الله: وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيّدَةٍ, وهي منازل مرتفعة عالية في السماء, وهي اثنا عشر برجا, فمسير القمر في كلّ برج منها يومان وثلث, فذلك ثمانية وعشرون منزلاً, ثم يستسرّ ليلتين, ومسير الشمس في كلّ برج منها شهر.

وقوله: وَالْيَوْمِ المَوْعُودِ يقول تعالى ذكره: وأقسم باليوم الذي وعدته عبادي, لفصل القَضاء بينهم, وذلك يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, وجاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

28460ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن نمير وإسحاق الرازي, عن موسى بن عبيدة, عن أيوب بن خالد, عن عبد الله بن رافع, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الْيَوْمُ المَوْعُودُ: يَوْمُ الْقِيامَةِ».

قال: ثنا وكيع, عن موسى بن عبيدة, عن أيوب بن خالد, عن عبد الله بن رافع, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, مثله.

حدثنا يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا يونس, قال أنبأني عمار, قال: قال أبو هريرة: «الْيَوْمُ المَوْعُودُ: يَوْمُ الْقِيامَةِ». قال يونس, وكذلك الحسن.

28461ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادةوالْيَوْمِ المَوْعُودِ يعني: يوم القيامة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله وَالْيَوْمِ المَوْعُودِ قال: القيامة.

28462ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد الْيَوْمِ المَوْعُودِ يوم القيامة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن يونس بن عبيد, عن عمار بن أبي عمار, مولى بني هاشم, عن أبي هريرة وَالْيَوْمِ المَوْعُودِ يوم القيامة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن موسى بن عبيدة, عن أيوب بن خالد, عن عبد الله بن رافع, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «الْيَوْمُ المَوْعُودُ: يَوْمُ الْقِيامَةِ».

28463ـ حدثنا محمد بن عوف, قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش, قال: ثني أبي, قال: ثني ضمضم بن زرعة, عن شريح بن عبيد, عن أبي مالك الأشعريّ, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْيَوْمُ المَوْعُودُ: يوم القيامة».

وقوله: وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: وأقسم بشاهد, قالوا: وهو يوم الجمعة, ومشهود, قالوا: وهو يوم عرفة. ذكر من قال ذلك:

28464ـ حدثني يعقوب, قال: أخبرنا ابن علية, قال: أخبرنا يونس, قال: أنبأني عمار, قال: قال أبو هريرة: الشاهد: يوم الجمعة, والمشهود: يوم عرفة قال يونس, وكذلك قال الحسن.

28465ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, قال: سمعت حارثة بن مضرب, يحدّث عن عليّ رضي الله عنه, أنه قال في هذه الآية: وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قال: يوم الجمعة, ويوم عرفة.

28466ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قال: الشاهد يوم الجمعة, والمشهود: يوم عرفة ويقال: الشاهد: الإنسان, والمشهود: يوم القيامة.

28467ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ: يومان عظيمان من أيام الدنيا, كنا نحدّث أن الشاهد يوم الجمعة, والمشهود يوم عرفة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قال: الشاهد: يوم الجمعة, والمشهود: يوم عرفة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن الحارث, عن عليّ رضي الله عنه: وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قال: الشاهد يوم الجمعة, والمشهود: يوم عرفة.

28468ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَشاهِدٍ يوم الجمعة, ومَشْهُودٍ: يوم عرفة.

28469ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن موسى بن عبيدة, عن أيوب بن خالد, عن عبد الله بن رافع, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَشاهِدٍ: يَوْمَ الجُمُعَةِ, وَمَشْهُودٍ: يَوْمُ عَرَفَةَ».

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن نمير وإسحاق الرازي, عن موسى بن عبيدة, عن أيوب بن خالد, عن عبد الله بن رافع, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المَشْهُودُ: يَوْمُ عَرَفَةَ, والشّاهِدُ: يَوْمُ الجُمُعَةِ».

28470ـ حدثنا سهل بن موسى, قال: حدثنا ابن أبي فديك, عن ابن حرملة, عن سعيد: أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ سَيّدَ الأيّامِ يَوْمُ الجُمُعَة, وَهُوَ الشّاهِدُ, وَالمَشْهُودُ: يَوْمُ عَرَفةَ».

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن موسى بن عبيد, عن أيوب بن خالد, عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «المَشْهُودُ: يَوْمُ عَرَفَةَ, والشّاهِدُ: يَوْمُ الجُمُعَةِ, فِيهِ ساعَةٌ لا يُوَافِقُها مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللّهَ بِخَيْرٍ إلاّ اسْتَجابَ لَهُ, وَلا يَسْتَعِيذُهُ مِنْ شَرَ إلاّ أعاذَهُ».

28471ـ حدثني محمد بن عوف, قال: حدثنا محمد بن إسماعيل, قال: ثني أبي, قال: ثني ضمضم بن زُرْعة, عن شريح بن عبيد, عن أبي مالك الأشعريّ, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الشّاهِدَ يَوْمُ الجُمُعَةِ, وَإنّ المَشْهُودَ يَوْمُ عَرَفَةَ, فَيَوْمُ الجُمُعَةِ خِيرَةُ الله لَنا».

حدثني سعيد بن الربيع الرازي, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الرحمن بن حرملة, عن سعيد بن المسيب, قال: سيد الأيام يوم الجمعة, وهو شاهد.

وقال آخرون: الشاهد: محمد, والمشهود: يوم القيامة. ذكر من قال ذلك:
28472ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن شعبة, عن عليّ بن زيد, عن يوسف المكيّ, عن ابن عباس قال: الشاهد: محمد, والمشهود: يوم القيامة, ثم قرأ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ.
28473ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن شباك, قال: سأل رجل الحسن بن عليّ, عن وشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قال: سألت أحدا قبلي؟ قال: نعم سألت ابن عمر وابن الزبير, فقالا: يوم الذبح ويوم الجمعة قال: لا, ولكن الشاهد: محمد, ثم قرأ: فَكَيْفَ إذَا جِئْنا مِنْ كُلّ أُمّةٍ بِشَهِيدٍ, وَجِئْنا بِكَ عَلى هَؤُلاءِ شَهِيدا والمشهود: يوم القيامة, ثم قرأ: ذَلك يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّاسُ وَذلكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن جابر, عن أبي الضحى, عن الحسن بن عليّ, قال: الشاهد: محمد, والمشهود: يوم القيامة.
28474ـ حدثني سعيد بن الربيع, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الرحمن بن حَرْملة, عن سعيد بن المسيب: وَمَشْهُودٍ: يوم القيامة.
وقال آخرون: الشاهد: الإنسان, والمشهود: يوم القيامة. ذكر من قال ذلك:
28475ـ حدثني محمد بن عبيد المحاربيّ, قال: حدثنا أسباط, عن عبد الملك, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قال: الشاهد: ابن آدم, والمشهود يوم القيامة.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قال: الإنسان, وقوله وَمَشْهُودٍ قال: يوم القيامة.
28476ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, قال: الشاهد: الإنسان, والمشهود: يوم القيامة.
28477ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن خالد الحذّاء, عن عكرِمة, في قوله: وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قال: شاهد: ابن آدم, ومشهود: يوم القيامة.
28478ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَشاهِدٍ يعني الإنسان وَمَشْهُودٍ يوم القيامة, قال الله: وَذَلكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ.
وقال آخرون: الشاهد: محمد, والمشهود: يوم الجمعة. ذكر من قال ذلك:
28479ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن يزيد, عن عكرِمة, في قوله: وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قال: الشاهد: محمد, والمشهود: يوم الجمعة, فذلك قوله: فَكَيْفَ إذَا جِئْنا مِنْ كُلّ أُمّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلى هَؤُلاءِ شَهِيدا.

وقال آخرون: الشاهد الله, والمشهود: يوم القيامة. ذكر من قال ذلك:
28480ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله وَشاهِدٍ يقول الله وَمَشْهُودٍ يقول: يوم القيامة.
وقال آخرون: الشاهد: يوم الأضحى, والمشهود: يوم الجمعة. ذكر من قال ذلك:

28481ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن شباك, قال: سأل رجل الحسن بن عليّ, عن شاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قال: سألتَ أحدا قبلي؟ قال: نعم, سألت ابن عمر وابن الزبير, فقالا: يوم الذبح, ويوم الجمعة.

وقال آخرون: الشاهد: يوم الأضحى, والمشهود, يوم عَرَفة. ذكر من قال ذلك:

28482ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, عن ابن عباس: وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قال: الشاهد: يوم عرفة, والمشهود: يوم القيامة.

وقال آخرون: المشهود: يوم الجمعة, ورَوَوْا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر الرواية بذلك:

28483ـ حدثنا أحمد بن عبد الرحمن, قال: ثني عمي عبد الله بن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحارث, عن سعيد بن أبي هلال, عن زيد بن أيمن, عن عبادة بن نسيّ, عن أبي الدرداء, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكْثِرُوا عَليّ الصّلاةَ يَوْمُ الجُمُعَةِ, فإنّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ المَلائِكَةُ».

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن يقال: إن الله أقسم بشاهد شهد, ومشهود شهد, ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أيّ شاهد وأيّ مشهود أراد, وكلّ الذي ذكرنا أن العلماء قالوا: هو المعنيّ مما يستحقّ أن يُقال له شاهِدٍ وَمَشْهُودٍ.

وقوله: قُتِلَ أصحَابُ الأُخْدُودِ يقول: لعن أصحاب الأخدود. وكان بعضهم يقول: معنى قوله: قُتِلَ أصحَابُ الأُخْدُودِ خبر من الله عن النار أنها قتلتهم.

وقد اختلف أهل العلم في أصحاب الأخدود من هم؟ فقال بعضهم: قوم كانوا أهل كتاب من بقايا المجوس. ذكر من قال ذلك:

28484ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القمي, عن جعفر عن ابن أبْزَى, قال: لما رجع المهاجرون من بعض غزواتهم, بلغهم نعي عمر بن الخطاب رضي الله عنه, فقال بعضهم لبعض: أيّ الأحكام تجري في المجوس, وإنهم ليسوا بأهل كتاب, وليسوا من مشركي العرب, فقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: قد كانوا أهل كتاب, وقد كانت الخمر أحلّت لهم, فشربها ملك من ملوكهم, حتى ثمل منها, فتناول أخته فوقع عليها, فلما ذهب عنه السكر قال لها: ويحك فما المخرج مما ابتليتُ به؟ فقالت: اخطب الناس, فقل: يا أيها الناس إن الله قد أحلّ نكاح الأخوات, فقام خطيبا, فقال: يا أيها الناس إن الله قد أحلّ نكاح الأخوات, فقال الناس: إنا نبرأ إلى الله من هذا القول, ما أتانا به نبيّ, ولا وجدناه في كتاب الله, فرجع إليها نادما, فقال لها: ويحك إن الناس قد أبَوا عليّ أن يقرّوا بذلك, فقالت: ابسط عليهم السّياط, ففعل, فبسط عليهم السياط, فأبَوا أن يقرّوا, فرجع إليها نادما, فقال: إنهم أبَوا أن يقرّوا, فقالت: اخطبهم فإن أبوا فجرّد فيهم السيف, ففعل, فأبى عليه الناس, فقال لها: قد أبى عليّ الناس, فقالت: خدّ لهم الأخدود, ثم اعرض عليها أهل مملكتك, فمن أقرّ, وإلاّ فاقذفه في النار, ففعل, ثم عرض عليها أهل مملكته, فمن لم يقرّ منهم قذفه في النار, فأنزل الله فيهم: قُتِلَ أصحَابُ الأُخْدُودِ النّارِ ذَاتِ الوَقُودِ إلى أنْ يُؤْمِنُوا باللّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ إنّ الّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ حرّقوهم ثُمّ لَمْ يَتُوبُوا

فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنّمَ ولَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ فلم يزالوا منـذ ذلـك يسـتحلون نكـاح الأخوات والبنات والأمهات.

28485ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قُتِلَ أصحَابُ الأُخْدُودِ قال: حدثنا أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنـه كـان يقول: هم ناس بمذارع اليمن, اقتتل مؤمنوها وكفارها, فظهر مؤمنوها على كفارها, ثم اقتتلوا الثانية, فظهر مؤمنوها على كفارها, ثم أخذ بعضـهم علـى بعض عهدا ومواثيق أن لا يغدر بعضهم ببعـض, فغـدر بهـم الكفـار فأخـذوهم أخذا ثم إن رجلاً من المؤمنين قال لهم: هل لكم إلى خير, توقـدون نـارا ثـم تعرضوننا عليها, فمـن تـابعكم علـى دينكـم فـذلك الـذي تشـتهون, ومـن لا, اقتحـم النـار فاسـترحتم منـه قـال: فـأجّجوا نـارا وعرضـوا عليهـا, فجعلـوا يقتحمونها صناديدهم, ثم بقيت منهم عجوز كأنها نكصت, فقال لها طفل في حجرها: يا أماه, امضي ولا تنافقي, قصّ الله عليكم نبأهم وحديثهم.

28486ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: قُتِلَ أصحَابُ الأُخْدُودِ قال: يعني القاتلين الذين قتلوهم يوم قتلوا.

28487ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: قُتِلَ أصحَابُ الأُخْدُودِ النّـارِ ذَاتِ الوَقُـودِ قـال: هم ناس من بني إسرائيل, خدّوا أخدودا في الأرض, ثم أوقدوا فيها نارا, ثـم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء, فعرضـوا عليهـا, وزعمـوا أنـه دانيـال وأصحابه.

28488ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: قُتِلَ أصحَابُ الأُخْدُودِ قال: كان شـقوق فـي الأرض بنَجْران, كانوا يعذّبون فيها الناس.

28489ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قـوله: قُتِـلَ أصـحَابُ الأُخْـدُودِ يزعمـون أن أصحاب الأخدود من بني إسرائيل, أخذوا رجالاً ونساء, فخـدّوا لهـم أخـدودا, ثم أوقدوا فيها النيران, فأقاموا المؤمنين عليها, فقالوا: تكفرون أو نقـذفكم في النار.

28490ـ حدثني محمد بن معمر, قال: ثني حرمي بن عمارة, قال: حدثنا حماد بن سلمة, قال: حدثنا ثابت البُنانيّ, عن عبد الرحمن بن أبي ليلَى, عن صهيب, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كانَ فِيمَنْ كانَ قَبْلَكُمْ مَلِكٌ, وكانَ لَهُ ساحِرٌ, فأتى السّـاحِرُ المَلِـكَ, فَقـالَ: قَـدْ كَبِـرَتْ سِـنّي, وَدَنـا أجَلِي, فادْفَعْ لي غُلاما أُعَلّمْهُ السّحْرَ قالَ: فَـدَفَعَ إلَيْـهِ غُلامـا يُعَلّمَـهُ السّـحْرَ, قالَ: فَكانَ الغُلامُ يَخْتَلِفُ إلى السّاحِرِ, وكانَ بَينَ السّاحِرِ وَبَينَ المَلِكِ رَاهِـبٌ قال: فَكـانَ الغُلامُ إذَا مَـرّ بـالرّاهِبِ قَعَـدَ إلَيْـهِ, فَسَـمِعَ مِـنْ كَلامِـهِ, فـأعْجِبَ بكَلامِهِ, فَكان الغُلامُ إذَا أتى السّاحِرُ ضَرَبَهُ وَقالَ: ما حَبَسَـكَ؟ وَإذَا أتـى أهْلَـه قَعَدَ عِنْدَ الرّاهِبِ يَسْمَعُ كَلامَهُ, فإذَا رَجَعَ إلى أهْلِهِ ضَرَبُوهُ وَقالُوا: ما حَبَسَكَ؟ فَشَكا ذلك إلى الرّاهِبِ, فَقالَ لَهُ الرّاهِبُ: إذَا قالَ لكَ السّـاحِر: مـا حَبَسَـكَ؟ قُلْ حَبَسَنِي أهْلِي, وَإذَا قالَ أهْلُكَ: ما حَبَسَكَ؟ فَقُلْ حَبَسَنِي السّـاحِرُ. فَبَيْنَمـا هُو كَذلكَ إذْ مَرّ في طَرِيقٍ وَإذَا دَابّةٌ عَظِيمَةٌ فِي الطّرِيقِ قَدْ حَبَسَتِ النّاسَ لا تَدَعُهُمْ يَجُوزُونَ فَقالَ الغُلامُ: الاَنَ أعْلَمُ أمْرُ السّاحِرِ أرْضَى عِنْـدَ اللّـهِ أمْ أمْـرُ الرّاهِبِ؟ قال: فأخَذَ حَجَرا, قال: فَقالَ: اللّهُمّ إنْ كَانَ أمْرُ الرّاهِبِ أحَبّ إلَيْكَ

مِنْ أمْرِ الساحِرِ فإنّي أرْمي بِحَجَرِي هَذَا فَيَقْتُلَهُ ويَمُـرّ النّـاسُ. قـالَ: فَرَماهـا فَقَتَلَها, وَجـازَ النّـاسُ فَبَلَـغَ ذلـكَ الرّاهِـبَ قـال: وأتـاهُ الغُلام فَقـالَ الرّاهِـبُ لِلْغُلامِ: إنّكَ خَيْرٌ مِنّي, وَإن ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلّنّ عَلـيّ قـال: وكـانَ الغُلامُ, يُبْرِىء الأكْمَهَ والأبْرَصَ, وَسائِرَ الأدْوَاءِ وكان لِلْمَلِكِ جَلِيسٌ, قال: فَعَمِيَ قال: فَقِيـلَ له: إنّ هاهُنا غُلاما يُبْرِىءُ الأكمَهَ والأبْرَص, وَسـائِرَ الأدْوَاءِ, فَلَـوْ أتَيْتَـهُ؟ قـال: فاتّخَذَ لَهُ هَدَايا قال: ثُمّ أتاهُ فَقالَ: يا غُلامُ إنْ أبْرأتَنِي فَهَذه الهَدَايا كُلّهـا لَـكَ, فَقال: ما أنا بطَبِيبٍ يَشْفِيكَ, وَلَكِنّ اللّهَ يَشْـفِي, فـإذَا آمَنْـتَ دَعَـوْتُ اللّـهَ أنْ يَشْفِيَكَ قال: فآمَنَ الأعْمَى, فَدَعا اللّهَ فَشَفاهُ, فَقَعَدَ الأعْمَى إلى المَلِكِ كمَـا كانَ يَقْعُدُ, فَقالَ لَهُ المَلِكُ: أليْسَ كُنْتَ أعْمَى؟ قالَ: نَعَمْ قال: فَمَنْ شَـفاكَ؟ قال: رَبّي قال: ولَكَ رَبّ غَيرِي؟ قـال: نَعَـمْ, رَبّـي وَرَبّـكَ اللّـهُ قـال: فأخَـذَهُ بالْعَذَابِ فَقالَ: لَتَدُلّنّنِي عَلى مَنْ عَلّمَكَ هَذا, قـال: فَـدَلّ عَلـى الغُلام, فَـدَعا الغُلامَ فَقالَ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ, قال: فأبى الغُلامُ قـال: فأخَـذَهُ بالعَـذَابِ قـال: فَدَلّ عَلى الرّاهِبِ, فأخَذَ الرّاهِبَ, فَقالَ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فـأبى قـال: فَوَضَـعَ المِنْشارَ عَلـى هـامَتِهِ فَشَـقّهُ حـتى بَلَـغَ الأرْضَ, قـال: وأخَـذَ الأعْمَـى فَقـال: لَتَرْجِعَنّ أوْ لأقْتُلَنّكَ قال: فأبى الأعْمَى, فَوَضَعَ المِنْشـارَ عَلـى هـامَتِهِ, فَشَـقّهُ حتى بَلَغَ الأرْضَ, ثُمّ قالَ لِلْغُلام: لَتَرْجِعَنّ أوْ لأقْتُلَنّكَ قال: فـأبى قـال: فقـال: اذْهَبُوا بِهِ حتى تَبْلُغُوا بِهِ ذِرْوَةَ الجَبَلِ, فإنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ, وَإلاّ فَدَهْدِهُوهُ, فَلَمّا بَلَغُوا به ذِرْوَةَ الجَبَلِ فَوَقَعُوا فَمَـاتُوا كُلّهُـمْ. وَجـاءَ الغُلامُ يَتَلَمّـسُ حـتى دَخَـلَ عَلـى المَلِـكِ, فَقـالَ: أيْـنَ أصـحَابُكَ؟ قـال: كَفـانِيهُمُ اللّـهُ قـال: فـاذْهَبُوا بِـهِ فاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ, فَتَوَسّطُوا بِهِ الْبَحْرَ, فـإنْ رَجَـعَ عَـنْ دِينِـهِ وَإلاّ فَغَرّقُـوهُ قال: فَذَهَبُوا بِهِ, فَلَمّا تَوَسّطُوا بِهِ البَحْرَ قالَ الغُلامُ: اللّهُمّ اكْفِنِيهِمْ, فانْكَفـأتْ بِهِمُ السّفِينَةُ. وَجاءَ الغُلامُ يَتَلَمّسُ حتى دَخَلَ على المَلِـكِ فَقـالَ المَلِـكُ: أيْـنَ أصْحَابُكَ؟ فقال: دَعَوْتُ اللّهَ فَكَفانِيهِمْ, قال: لأقْتُلَنّكَ, قـال: مـا أنْـتَ بقـاتِلي حتى تَصْنَعَ ما آمُرُكَ, قال: فَقال الغُلامُ لِلْمَلِكِ: اجْمَعِ النّاسَ فِي صَعِيدٍ واحِـدٍ, ثُمّ اصْلُبْنِي, ثُمّ خُذْ سَهْما مِنْ كِنانَتي فارْمِني وَقُـلْ: باسْـمِ رَبّ الغُلام, فإنّـكَ سَتَقْتُلُنِي قال: فَجَمَعَ النّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ قـال: وَصَـلَبَهُ وأخَـذَ سَـهْما مِـنْ كِنانَتِهِ, فَوَضَعَهُ فِي كَبِدِ القَوْسِ, ثُـمّ رَمـى, فَقـال: باسْـمِ رَبّ الغُلام, فَوَقَـعَ السّهْمُ فِي صُدْغِ الغُلامِ, فَوَضَعَ يَدَهُ هَكَذَا عَلـى صُـدْغِهِ, وَمـاتَ الغُلامُ, فَقـالَ النّاسُ: آمَنّا بِرَبّ الغُلامِ, فَقالُوا لِلْمَلِكِ: ما صَنَعْتَ, الّذِي كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَقَـعَ, قَدْ آمَنَ النّـاسُ, فـأمَرَ بـأفْوَاهِ السّـكَكِ فأخِـذَتْ, وخَـدّ الأخْـدُودَ وضَـرّمَ فِيـهِ النّيـرَانَ, وأخَـذَهُمْ وَقـالَ: إنْ رَجَعُـوا وَإلاّ فـألْقُوهُمْ فِـي النّـارِ قـال: فَكـانُوا يُلْقُونَهُمْ فِي النّارِ قال: فَجاءَتِ امْرأةٌ مَعَها صَبِيّ لَهَا, قالَ: فَلَمّا ذَهَبَتْ تَقْتَحِمُ وَجَدَتْ حَرّ النّارِ, فَنَكَصَتْ, قال: فَقالَ لَهَا صَبِيّها يا أمّـاهُ, امْضِـي فإنّـكِ عَلـى الحَقّ, فاقْتَحَمَتْ فِي النارِ».

وقال آخرون: بل الذين أحرقتهم النار هم الكفار الذين فَتَنوا المؤمنين. ذكر من قال ذلك:

28491ـ حُدثت عن عمار, عن عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع بن أنس, قـال: كـان أصـحاب الأخـدود قومـا مـؤمنين, اعـتزلوا النـاس فـي الفترة, وإنّ جَبّارا, من عَبدة الأوثان أرسل إليهم, فعرض عليهم الدخول في دينه, فأبوا, فخدّ أخدودا, وأوقد فيه نارا, ثم خيرهم بيـن الـدخول فـي دينـه, وبين إلقائهم في النار, فاختاروا إلقاءهم في النار, على الرجوع عـن دينهـم, فألقوا في النار, فنجّى الله المؤمنين الذين أُلْقُوا في النار من الحريـق, بـأن

قبض أرواحهم, قبل أن تمسهم النـار, وخرجـت النـار إلـى مـن علـى شـفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم, فذلك قول الله: فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنّمَ في الآخرة ولَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ في الدنيا.

واختُلف فـي موضـع جـواب القسـم بقـوله: والسّـماءِ ذَاتِ البُـرُوجِ فقـال بعضهم: جوابه: إنّ بَطْشَ رَبّكَ لَشَدِيدٌ. ذكر من قال ذلك:

28492ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: وقع القسم هاهنا إنّ بَطْشَ رَبّكَ لَشَدِيدٌ.

وقال بعض نحويّي البصرة: موضع قسمها والله أعلم, على قتـل أصـحاب الأخدود, أضمر اللام كما قال: والشّمْسِ وضُحاها قَدْ أفْلَحَ مَـنْ زَكّاهـا يريـد: إن شاء الله: لقد أفلح من زكّاها, فألقى اللام, وإن شئت قلت على التقديم, كأنه قال: قتل أصحاب الأخدود, والسماء ذات البروج.

وقال بعض نحويي الكوفة: يقال في التفسير: إن جواب القسم في قوله: قُتِلَ كما كان قسم والشّمْسِ وَضُحاها في قوله: قَدْ أفْلَحَ هـذا فـي التفسـير قالوا: ولم نجد العرب تدع القسم بغيـر لام يسـتقبل بهـا أو «لا» أو «إن» أو «ما», فإن يكن ذلك كذلك, فكأنه مما ترك فيه الجواب, ثم استؤنف موضـع الجواب بالخبر, كما قيل: يا أيها الإنسان, في كثير من الكلام.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: قول من قال: جواب القسم فـي ذلك متروك, والخبر مستأنف لأن علامة جواب القسم لا تحذفها العـرب مـن الكلام إذا أجابته.

وأولى التأويلين بقوله: قُتِلَ أصحَابُ الأُخْدُودِ: لُعِن أصحاب الأخدود الـذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات في الأخدود.

وإنما قلت: ذلك أولى التأويلين بالصواب للذي ذكرنا عن الربيع من العلة, وهو أن الله أخبر أن لهم عـذاب الحريـق مـع عـذاب جهنـم, ولـو لـم يكونـوا أحرقوا في الدنيا لم يكن لقوله ولَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ معنى مفهوم, مع إخباره أن لهم عذاب جهنم, لأن عـذابَ جهنـم هـو عـذاب الحريـق مـع سـائر أنـواع عذابها في الآخرة والأخدود: الحفرة تحفر في الأرض.

وقوله: النّارِ ذَاتِ الوَقُودِ فقوله النار: ردّ علـى الأخـدود, ولـذلك خفضـت, وإنما جاز ردّها عليه وهي غيره, لأنهـا كـانت فيـه, فكأنهـا إذ كـانت فيـه هـو, فجرى الكلام عليه لمعرفة المخاطبين به بمعنـاه وكـأنه قيـل: قتـل أصـحاب النار ذَاتِ الوَقُودِ. ويعني بقوله: ذَاتِ الوَقُودِ ذات الحطب الجـزل, وذلـك إذا فتحت الواو, فأما الوقود بضم الواو, فهو الاتقاد.

الآية : 6-8

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُـمْ عَلَـىَ مَـا يَفْعَلُـونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلاّ أَن يُؤْمِنُواْ بِاللّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }.

يقول تعالى ذكره: النار ذات الوقود, إذ هؤلاء الكفار من أصحاب الأخدود عليها, يعني على النار, فقال عليها, والمعنى أنهم قعود على حافـة الأخـدود, فقيل: على النار, والمعنى: لشفير الأخدود, لمعرفة السامعين معناه: وكان قتادة يقول في ذلك ما:

28493ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: النّارِ ذَاتِ الوَقُودِ إذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ يعني بذلك المؤمنين.

وهذا التأويل الذي تأوّله قتادة على مذهب من قال: قُتل أصحاب الأخـدود من أهل الإيمان. وقد دللنا على أن الصواب من تأويل ذلـك غيـر هـذا القـول الذي وجه تأويله قتادة قبل.

وقوله: وَهُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بالمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ يعني: حضور. وبنحـو الـذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28494ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة وَهُـمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بالمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ يعني بذلك الكفار.

وقوله: وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ إلاّ أنْ يُؤْمِنُوا بالله العَزِيزِ الْحَمِيدِ يقول تعالى ذكره: وما وجد هؤلاء الكفار الذين فتنوا المؤمنين على المؤمنين والمؤمنات بالنـار في شيء, ولا فعلوا بهم ما فعلوا بسبب إلاّ من أجل أنهم آمنوا بالله, وقـال: إلاّ أن يؤمنوا بالله, لأن المعنى إلاّ إيمانهم بالله, فلذلك حسـن فـي موضـعه يؤمنوا, إذ كان الإيمان لهم صفة. الْعَزِيـزِ يقـول: الشـديد فـي انتقـامه ممـن انتقم منه الْحَمِيدِ يقول: المحمود بإحسانه إلى خلقه.

الآية : 9-10

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{الّذِي لَهُ مُلْكُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَاللّـهُ عَلَـى كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إنّ الّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمّ لَـمْ يَتُوبُـوا فَلَهُـمْ عَذَابُ جَهَنّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ }.

يقول تعالى ذكره: الذي له سلطان السموات السبع والأرضين وما فيهنّ وَاللّهُ عَلى كُلّ شَيْء شَهِيدٌ يقول تعالى ذكره: والله على فعل هـؤلاء الكفـار من أصحاب الأخدود بالمؤمنين الذين فتنـوهم شـاهد, وعلـى غيـر ذلـك مـن أفعالهم وأفعال جميع خلقه, وهو مجازيهم جزاءهم.

وقـوله: إنّ الّـذِينَ فَتَنُـوا المُـؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنـاتِ يقـول: إن الـذين ابتلـوا المؤمنين والمؤمنات بالله بتعذيبهم, وإحراقهم بالنار. وبنحو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28495ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس إنّ الّذِينَ فَتَنُـوا المُـؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنـاتِ: حرّقـوا المؤمنين والمؤمنات.

28496ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قوله: إنّ الّذِينَ فَتَنُوا قال: عَذّبوا.

28497ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: إنّ الّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ قال: حرّقوهم بالنار.

28498ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قـوله: فَتَنُـوا المُـؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنـاتِ يقـول: حرّقوهم.

28499ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن ابن أبزى إنّ الّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ حرّقوهم.

وقوله: ثُمّ لَمْ يَتُوبُوا يقول: ثم لم يتوبوا من كفرهم وفعلهـم, الـذي فعلـوا بالمؤمنين والمؤمنات من أجل إيمانهم بالله فَلَهُمْ عَـذَابُ جَهَنّـمَ فـي الآخـرة ولَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ في الدنيا, كما:

28500ـ حدثت عن عمار, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنّم فِي الآخِرَةِ, ولَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ في الدنيا.

الآية : 11-12

القول في تأويل قوله تعالى:{إِنّ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ * إِنّ بَطْشَ رَبّكَ لَشَدِيدٌ }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين أقرّوا بتوحيد الله, وهم هؤلاء القوم الذين حرّقهم أصحاب الأخدود وغيرهم من سائر أهل التوحيد وعَمِلُوا الصّالِحاتِ يقول: وعملوا بطاعة الله, وأتَمروا لأمره, وانتهَوا عما نهاهم عنه لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ يقول: لهم في الآخرة عند الله بساتين تجري من تحتها الأنهار والخمر واللبن والعسل ذلكَ الْفَوْزُ الكَبِيرُ يقول: هذا الذي هو لهؤلاء المؤمنين في الآخرة, هو الظفر الكبير بما طلبوا والتمسوا بإيمانهم بالله في الدنيا, وعملهم بما أمرهم الله به فيها ورضيه منهم.

وقوله: إنّ بَطْشَ رَبّكَ لَشَدِيدٌ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن بطش ربك يا محمد لمن بطش به من خلقه, وهو انتقامه ممن انتقم منه لشديد, وهو تحذير من الله لقوم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم, أن يُحِلّ بهم من عذابه ونقمته, نظير الذي حلّ بأصحاب الأخدود على كفرهم به, وتكذيبهم رسوله, وفتنتهم المؤمنين والمؤمنات منهم. القول في تأويل قوله تعالى:{إِنّ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ * إِنّ بَطْشَ رَبّكَ لَشَدِيدٌ }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين أقرّوا بتوحيد الله, وهم هؤلاء القوم الذين حرّقهم أصحاب الأخدود وغيرهم من سائر أهل التوحيد وعَمِلُوا الصّالِحاتِ يقول: وعملوا بطاعة الله, وأتَمروا لأمره, وانتهَوا عما نهاهم عنه لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ يقول: لهم في الآخرة عند الله بساتين تجري من تحتها الأنهار والخمر واللبن والعسل ذلكَ الْفَوْزُ الكَبِيرُ يقول: هذا الذي هو لهؤلاء المؤمنين في الآخرة, هو الظفر الكبير بما طلبوا والتمسوا بإيمانهم بالله في الدنيا, وعملهم بما أمرهم الله به فيها ورضيه منهم.

وقوله: إنّ بَطْشَ رَبّكَ لَشَدِيدٌ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن بطش ربك يا محمد لمن بطش به من خلقه, وهو انتقامه ممن انتقم منه لشديد, وهو تحذير من الله لقوم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم, أن يُحِلّ بهم من عذابه ونقمته, نظير الذي حلّ بأصحاب الأخدود على كفرهم به, وتكذيبهم رسوله, وفتنتهم المؤمنين والمؤمنات منهم.

الآية : 13-18

القول في تأويل قوله تعالى:{إِنّهُ هُوَ يُبْدِىءُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعّالٌ لّمَا يُرِيدُ * هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ }.

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: إنّهُ هُوَ يُبْدِىءُ وَيُعِيدُ فقال بعضهم: معنى ذلك: إن الله أبدى خلقه, فهو يبتدىء, بمعنى: يحدث خلقه ابتداء, ثم يميتهم, ثم يعيدهم أحياء بعد مماتهم, كهيئتهم. قبل مماتهم. ذكر من قال ذلك:

28501ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يُبْدِىءُ ويُعِيدُ يعني: الخلق.

28502ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يُبْدِئُ وَيُعِيدُ قال: يُبدئ الخلق حين خلقه, ويعيده يوم القيامة.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنه هو يبدئ العذاب ويعيده. ذكر من قال ذلك:
28503ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس إنّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ قال: يبدئ العذاب ويعيده.
وأوليَ التأويلين في ذلك عندي بالصواب, وأشبههما بظاهر ما دلّ عليه التنزيل, القول الذي ذكرناه عن ابن عباس, وهو أنه يُبدئ العذاب لأهل الكفر به ويعيد, كما قال جلّ ثناؤه: فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنّمَ ولَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ في الدنيا, فأبدأ ذلك لهم في الدنيا, وهو يعيده لهم في الآخرة.
وإنما قلت: هذا أولى التأويلين بالصواب, لأن الله أتبع ذلك قوله إنّ بَطْشَ رَبّكَ لَشَدِيدٌ فكان للبيان عن معنى شدّة بطشه الذي قد ذكره قبله, أشبه به بالبيان عما لم يجر له ذكر ومما يؤيد ما قلنا من ذلك وضوحا وصحة, قوله: وَهُوَ الْغَفُورُ الوَدُودُ فبين ذلك عن أن الذي قبله من ذكر خبره عن عذابه وشدّة عقابه.
وقوله: وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ يقول تعالى ذكره: وهو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه, وذو المحبة له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28504ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: الْغَفُورُ الْوَدُودُ يقول: الحبيب.
28505ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: الْغَفُورُ الْوَدُودُ قال الرحيم.
وقوله: ذُو الْعَرْشِ المَجِيدُ يقول تعالى ذكره: ذو العرش الكريم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28506ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ذُو العَرْشِ المَجِيدُ يقول: الكريم.
واختلفت القرّاء في قراءة قوله: المَجِيدُ فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة وبعض الكوفيين رفعا, ردّا على قوله: ذُو الْعَرْشِ على أنه من صفة الله تعالى ذكره. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة خفضا, على أنه من صفة العرش.
والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان معروفتان, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.
وقوله: فَعّالٌ لِما يُرِيدُ يقول: هو غفار لذنوب من شاء من عباده إذا تاب وأناب منها, معاقب من أصرّ عليها وأقام, لا يمنعه مانع من فعل أراد أن يفعله, ولا يحول بينه وبين ذلك حائل, لأن له مُلك السموات والأرض, وهو العزيز الحكيم.
وقوله: هَلْ أتاكَ حَدِيثُ الجُنُودِ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: هل جاءك يا محمد حديث الجنود, الذين تجندوا على الله ورسوله بأذاهم ومكروههم يقول: قد أتاك ذلك وعلمته, فاصبر لأذى قومك إياك, لما نالوك به من مكروه, كما صبر الذين تجند هؤلاء الجنود عليهم من رسلي, ولا يثنيك عن تبليغهم رسالتي, كما لم يَثْنِ الذين أرسلوا إلى هؤلاء, فإن

عاقبة من لم يصدّقك ويؤمن بك منهم إلى عطب وهلاك, كالذي كان من هؤلاء الجنود, ثم بين جلّ ثناؤه عن الجنود من هم؟ فقال: فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ يقول: فرعون, فاجتُزِئَ بذكره, إذ كان رئيس جنده, من ذكر جنده وتُبّاعه. وإنما معنى الكلام: هل أتاك حديث الجنود فرعون وقومه وثمود وخفض فرعون ردّا على الجنود, على الترجمة عنهم, وإنما فتح لأنه لا يجرى وثمود.

الآية :19- 22

القول في تأويل قوله تعالى:{بَلِ الّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ * وَاللّهُ مِن وَرَآئِهِمْ مّحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مّحْفُوظٍ }.

يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء القوم الذين يكذّبون بوعيد الله, أنهم لم يأتهم أنباء من قبلهم من الأمم المكذّبة رسل الله, كفرعون وقومه, وثمود وأشكالهم, وما أحلّ الله بهم من النقم, بتكذيبهم الرسل, ولكنهم في تكذيب بوحي الله وتنزيله, إيثارا منهم لأهوائهم, واتّباعا منهم لسنن آبائهم وَاللّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ بأعمالهم, مُحْصٍ لها, لا يخفى عليه منها شيء, وهو مجازيهم على جميعها.

وقوله: بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجيدٌ يقول, تكذيبا منه جلّ ثناؤه للقائلين للقرآن هو شعرٌ وسجع: ما ذلك كذلك, بل هو قرآن كريم.

28507ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجِيدٌ يقول: قرآن كريم.

28508ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث بن إسحاق, عن جعفر, عن سعيد, في قوله: بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجيدٌ قال: كريم.

وقوله: فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ يقول تعالى ذكره: هو قرآن كريم, مثبت في لوح محفوظ.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: مَحْفُوظٍ فقرأ ذلك من قرأه من أهل الحجاز, أبو جعفر القارىء, وابن كثير. ومن قرأه من قرّاء الكوفة عاصم والأعمش وحمزة والكسائي, ومن البصريين أبو عمرو محفوظٍ خفضا على معنى أن اللوح هو المنعوت بالحفظ. وإذا كان ذلك كذلك كان التأويل في لوح محفوظ من الزيادة فيه, والنقصان منه, عما أثبته الله فيه. وقرأ ذلك من المكّيين ابن مُحَيْصِن, ومن المدنيين نافع «مَحْفُوظٌ» رفعا, ردّا على القرآن, على أنه من نعته وصفته. وكان معنى ذلك على قراءتهما: بل هو قرآن مجيد, محفوظ من التغيير والتبديل في لوح.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان معروفتان في قَرَأة الأمصار, صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وإذ كان ذلك كذلك, فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فتأويل القراءة التي يقرؤها على ما بيّنا. وقد:

28509ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد فِي لَوْحٍ قال: في أمّ الكتاب.

28510ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ عند الله.

وقال آخرون: إنما قيل محفوظ, لأنه من جبهة إسرافيل. ذكر من قال ذلك:

28511ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: سمعت قرة بن سليمان, قال: حدثنا حرب بن سريج, قال: حدثنا عبد العزيز بن صهيب, عن أنس بن مالـك, فـي قوله: بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُـوظٍ قـال: إن اللـوح المحفـوظ الـذي ذكر الله, بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مجيد فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ في جَبْهة إسرافيل.

سورة الطارق

سورة الطارق مكية
وآياتها سبع عشرة
بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1-10

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{وَالسّمَآءِ وَالطّارِقِ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَـا الطّـارِقُ * النّجْمُ الثّاقِبُ * إِن كُلّ نَفْسٍ لّمّـا عَلَيْهَـا حَـافِظٌ * فَلْيَنظُـرِ الإِنسَـانُ مِـمّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مّآءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصّـلْبِ وَالتّرَآئِـبِ * إِنّـهُ عَلَـىَ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَىَ السّرَآئِرُ * فَمَا لَهُ مِن قُوّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ }.

أقسم ربنا بالسماء وبالطارق الـذي يطـرق ليلاً مـن النجـوم المضـيئة, ويخفى نهارا, وكلّ ما جاء ليلاً فقد طرق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهـل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28512ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس والسّماءِ والطّـارِقِ قـال: السـماء ومـا يطـرق فيها.

28513ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة والسّماءِ والطّارِق وَما أَدْرَاك ما الطّارِقُ قـال: طـارق يطـرق بليـل, ويخفـى بالنهار.

28514ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: والطّارِقِ قال: ظهور النجوم, يقول: يطرقك ليلاً.

28515ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: الطّارِق النجم.

وَما أَدْرَاكَ ما الطّارِقُ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أشعرك يا محمد ما الطارق الذي أقسمت به؟ ثـم بيـن ذلـك جـلّ ثنـاؤه, فقال: هو النجم الثاقب, يعني: يتوقد ضياؤه ويتوهّج. وبنحـو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28516ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, في قوله: النّجْمُ الثّاقِبُ يعني: المضيء.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس النّجْمُ الثاقِبُ قال: هي الكـواكب المضـيئة, وثقـوبه: إذا أضاء.

28517ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن يزيد, عن عكرِمة, في قوله: النّجْمُ الثّاقِبُ قال: الذي يثقب.

28518ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: الثّاقِبُ قال: الذي يتوهَج.

28519ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: ثقوبه: ضوءه.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة النّجْمُ الثّاقِبُ: المضيء.

28520ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: النّجْمُ الثّاقِبُ قال: كانت العرب تسمي الثّريّا النجم, ويقال: إن الثاقب النجم الذي يقال له زُحَل. والثاقب أيضا: الذي قد ارتفع على النجوم, والعرب تقول للطائر: إذا هو لحق ببطن السماء ارتفاعا: قد ثَقَب, والعرب تقول: أثقِب نارك: أي أضئها.

وقوله: إنْ كُلّ نَفْسٍ لَمّا عَلَيْها حافِظٌ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه من قرّاء المدينة أبو جعفر, ومن قرّاء الكوفة حمزة لَمّا عَلَيْها بتشديد الميم. وذُكِر عن الحسن أنه قرأ ذلك كذلك.

28521ـ حدثني أحمد بن يوسف, قال: حدثنا أبو عبيد, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, عن الحسن أنه كان يقرؤها: إنْ كُلّ نَفْسٍ لَمّا عَلَيْها حافِظٌ مشدّدة, ويقول: إلاّ عليها حافظ, وهكذا كلّ شيء في القرآن بالتثقيل.

وقرأ ذلك من أهل المدينة نافع, ومن أهل البصرة أبو عمرو: «لَمَا» بالتخفيف, بمعنى: إن كلّ نفس لعليها حافظ. وعلى أن اللام جواب «إن» و«ما» التي بعدها صلة. وإذا كان ذلك كذلك لم يكن فيه تشديد.

والقراءة التي لا أختار غيرها في ذلك: التخفيف, لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب, وقد أنكر التشديد جماعة من أهل المعرفة بكلام العرب, أن يكون معروفا من كلام العرب, غير أن الفرّاء كان يقول: لا نعرف جهة التثقيل في ذلك, ونرى أنها لغة من هُذَيل, يجعلون إلا مع إن المخففة لَمَا, ولا يجاوزون ذلك, كأنه قال: ما كلّ نفس إلاّ عليها حافظ, فإن كان صحيحا ما ذكر الفرّاء, من أنها لغة هُذَيل, فالقراءة بها جائزة صحيحة, وإن كان الاختيار أيضا إذا صحّ ذلك عندنا, القراءة الأخرى, وهي التخفيف, لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب, ولا ينبغي أن يترك الأعرف إلى الأنكر. وقد:

28522ـ حدثني أحمد بن يوسف, قال: حدثنا أبو عبيد, قال: حدثنا معاذ, عن ابن عون, قال: قرأت عند ابن سيرين: «إنْ كُلّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْها حافِظٌ» فأنكره, وقال: سبحان الله, سبحان الله.

فتأويل الكلام: إذن: إن كلّ نفس لَعَليها حافظ من ربها, يحفظ عملها, وَيَحْصِي عليها ما تكسب من خير أو شرّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28523ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: «إنْ كُلّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْها حافِظٌ» قال: كلّ نفس عليها حفظة من الملائكة.

28524ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: «إنْ كُلّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْها حافِظٌ»: حفظة يحفظون عملك ورزقك وأجلك إذا توفيته يا بن آدم قبضت إلى ربك.

وقوله: فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ مِمّ خُلِقَ؟ يقول تعالى ذكره: فلينظر الإنسان المكذّب بالبعث بعد الممات, المُنكر قُدرة الله على إحيائه بعد مماته, مِمّ خُلِقَ يقول: من أيّ شيء خلقه ربه؟ ثم أخبر جلّ ثناؤه عما خلقه منه, فقال:

خُلِقَ مِنْ ماءٍ دَافِقٍ يعني: من ماء مدفوق, وهو مما أخرجته العرب بلفظ فاعل, وهو بمعنى المفعول, ويقال: إن أكثر من يستعمل ذلك من أحياء العرب, سكان الحجاز إذا كان في مذهب النعت, كقولهم: هذا سرّ كاتم, وهمّ ناصب, ونحو ذلك.

وقوله: يَخْرُجُ مِنْ بَينِ الصّلْبِ والتّرَائِبِ يقول: يخرج من بين ذلك, ومعنى الكلام منهما, كما يقال: سيخرج من بين هذين الشيئين خير كثير, بمعنى: يخرج منهما.

واختلف أهل التأويل في معنى الترائب وموضعها, فقال بعضهم: الترائب: موضع القِلادة من صدر المرأة. ذكر من قال ذلك:

28525ـ حدثني عبد الرحمن بن الأسود الطّفاويّ, قال: حدثنا محمد بن ربيعة, عن سَلَمة بن سابور, عن عطية العَوْفيّ, عن ابن عباس الصّلْبِ والتّرَائِبِ قال: الترائب: موضع القِلادة.

28526ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يَخْرُجُ مِنْ بَينِ الصّلْبِ والترائِبِ يقول: من بين ثدي المرأة.

28527ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, قال: سُئل عكرِمة عن الترائب, فقال: هذه, ووضع يده على صدره بين ثدييه.

28528ـ حدثني ابن المثنى, قال: ثني سلم بن قتيبة, قال: ثني عبد الله بن النّعمان الحُدَانيّ أنه سمع عكرِمة يقول: يَخْرُجُ مِنْ بَين الصّلْبِ والتّرَائِبِ قال: صُلْب الرجل, وترائب المرأة.

28529ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن شريك, عن عطاء, عن سعيد بن جُبير, قال: الترائب: الصدر.

28530ـ قال: ثنا ابن يمان, عن مِسْعر, عن الحكم, عن أبي عياض, قال: التّرَائِبِ: الصدر.

28531ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يَخْرُجُ مِنْ بَينَ الصّلْبِ والتّرائِبِ قال: الترائب: الصدر, وهذا الصلب, وأشار إلى ظهره.

وقال آخرون: الترائب: ما بين المَنْكِبين والصدر. ذكر من قال ذلك:

28532ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن إسرائيل, عن ثَوَير, عن مجاهد, قوله: التّرَائِبِ ما بين المنكبين والصدر.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: التّرَائِبِ قال: أسفل من التراقي.

28533ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, قال: الصّلْب للرجل, والترائب للمرأة, والترائب فوق الثديين.

وقال آخرون: هو اليدان والرجلان والعينان. ذكر من قال ذلك:

28534ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يَخْرُجُ مِنْ بَينِ الصّلْبِ والتّرَائِبِ قال: فالترائب أطراف الرجل واليدان والرجلان والعينان, فتلك الترائب.

28535ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي رَوْق, عن الضحاك يَخْرُجُ مِنْ بَينِ الصّلْبِ والتّرَائِبِ قال: الترائب: اليدان والرجلان.

28536ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان, قال: قال غيره: الترائب: ماء المرأة وصلب الرجل.
28537ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَخْرُجُ مِنْ بَين الصّلْبِ والتّرَائِبِ: عيناه ويداه ورجلاه.
وقال آخرون: معنى ذلك, أنه يخرج من بين صلب الرجل ونحره. ذكر من قال ذلك:
28538ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَخْرُجُ مِنْ بَين الصّلْبِ وَالتّرَائِبِ يقول: يخرج من بين صُلْب الرجل ونحره.
وقال آخرون: هي الأضلاع التي أسفل الصلب. ذكر من قال ذلك:
28539ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد, في قوله: يَخْرُجُ مِنْ بَين الصّلْب والتّرَائِبِ قال: الترائب: الأضلاع التي أسفل الصلب.
وقال آخرون: هي عصارة القلب. ذكر من قال ذلك:
28540ـ حدثني محمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني الليث أن معمر بن أبي حَبِيبة المَدِيني حدّثه, أنه بلغه في قول الله: يَخْرُجُ مِنْ بَين الصّلْب والتّرَائِبِ قال: هو عُصارة القلب, ومنه يكون الولد.
والصواب من القول في ذلك عندنا: قول من قال: هو موضع القِلادة من المرأة, حيث تقع عليه من صدرها, لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب, وبه جاءت أشعارهم, قال المثقّب العبدي:
ومِنْ ذَهَبٍ يُسَنّ على تَرِيبكَلَوْنِ العاج ليسَ بذي غُضُونِ
وقال آخر:
والزّعْفَرَانُ عَلى تَرَائِبِهَاشَرِقا بِهِ اللّبّاتُ والنّحْرُ
وقوله: إنّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي خلقكم أيها الناس من هذا الماء الدافق, فجعلكم بشرا سويّا, بعد أن كنتم ماء مدفوقا, على رجعه لقادر.
واختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: عَلى رَجْعِهِ على ما هي عائدة, فقال بعضهم: هي عائدة على الماء. وقالوا: معنى الكلام: إن الله على ردّ النطفة في الموضع التي خرجت منه لَقادِرٌ. ذكر من قال ذلك:
28541ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, عن عكرِمة, في قوله: إنّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ قال: إنه على رَدّه في صُلبه لقادر.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله, قال: حدثنا شعبة, عن أبي رجاء, عن عكرِمة في قوله: إنّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ قال: للصّلب.
28542ـ حدثني عُبيد بن إسماعيل الهباريّ, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ, عن ليث, عن مجاهد في قوله: إنّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ قال: على أن يرد الماء في الإحليل.
حدثني نصر بن عبد الرحمن الأَوْدِيّ الوشاء, قال: حدثنا أبو قَطَن عمرو بن الهيثم, عن ورقاء, عن عبد الله بن أبي نجيح, عن عبد الله بن أبي بكر, عن مجاهد, في قوله: إنّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ قال: على ردّ النطفة في الإحليل.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إنّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ قال: في الإحليل.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ليث, عن مجاهد إنّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ قال: ردّه في الإحليل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنه على ردّ الإنسان ماء كما كان قبل أن يخلقه منه. ذكر من قال ذلك:

28543ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: إنّهُ عَلى رَجْعه لَقادِرٌ إن شئتُ رددتُه كما خلقته من ماء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنه على حبس ذلك الماء لقادر. ذكر من قال ذلك:

28544ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ قال: على رجع ذلك الماء لقادر, حتى لا يخرج, كما قدر على أن يخلق منه ما خلق, قادر على أن يرجعه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنه قادر على رجع الإنسان من حال الكبر إلى حال الصغر. ذكر من قال ذلك:

28545ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن مقاتل بن حَيّان, عن الضحاك قال: سمعته يقول في قوله: إنّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ يقول: إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب, ومن الشباب إلى الصّبا, ومن الصبا إلى النطفة.

وعلى هذا التأويل تكون الهاء في قوله: عَلى رَجْعِهِ من ذكر الإنسان.

وقال آخرون ممن زعم أن الهاء للإنسان معنى ذلك أنه على إحيائه بعد مماته لقادر. ذكر من قال ذلك:

28546ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: إنّهُ عَلى رَجْعِهِ لقادِرٌ إن الله تعالى ذكره على بعثه وإعادته قادر.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال معنى ذلك: إن الله على ردّ الإنسان المخلوق من ماء دافق من بعد مماته حيا, كهيئته قبل مماته لقادر.

وإنما قلت هذا أولى الأقوال في ذلك بالصواب, لقوله: يَوْمَ تُبْلَى السّرائِرُ فكان في إتباعه قوله: إنّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ نبأ من أنباء القيامة, دلالة على أن السابق قبلها أيضا منه, ومنه يَوْمَ تُبْلَى السّرائِرُ يقول تعالى ذكره: إنه على إحيائه بعد مماته لقادر, يوم تُبلى السرائر فاليوم من صفة الرجع, لأن المعنى: إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر.

وعُنِي بقوله: يَوْمَ تُبْلى السّرَائِرُ يوم تُخْتَبرُ سرائر العباد, فيظهر منها يومئذٍ ما كان في الدنيا مستخفيا عن أعين العباد, من الفرائض التي كان الله ألزمه إياها, وكلّفه العمل بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28547ـ حُدثت عن عبد الله بن صالح, عن يحيى بن أيوب, عن ابن جريج, عن عطاء بن أبي رباح, في قوله: يَوْمَ تُبْلَى السّرائِرُ قال: ذلك الصوم والصلاة وغُسْل الجنابة, وهو السرائر ولو شاء أن يقول: قد صُمْتُ وليس بصائم, وقد صلّيتُ ولم يصلّ, وقد اغتسلت ولم يغتسل.

28548ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يَوْمَ تُبْلَى السّرائِرُ إن هذه السرائر مختبرة, فأسِرّوا خيرا وأعلنوه إن استطعتم, ولا قوّة إلا بالله.
28549ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان يَوْمَ تُبْلَى السّرائِرُ قال: تُخْتَبر.
وقوله: فَمَا لَهُ مِنْ قُوّةٍ وَلا ناصِرٍ يقول تعالى ذكره: فما للإنسان الكافر يومئذٍ من قوّة يمتنع بها من عذاب الله, وأليم نكاله, ولا ناصر ينصره, فيستنقذه ممن ناله بمكروه, وقد كان في الدنيا يرجع إلى قوّة من عشيرته, يمتنع بهم ممن أراده بسوء, وناصر من حليف ينصره على من ظلمه واضطهده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28550ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَمَا لَهُ مِنْ قُوّةٍ وَلا ناصِرٍ ينصره من الله.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَلا ناصِرٍ قال: من قوّة يمتنع بها, ولا ناصر ينصره من الله.
28551ـ حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا ضَمْرة بن ربيعة, عن سفيان الثوريّ, في قوله: مِنْ قُوّةٍ وَلا ناصِرٍ قال: القوّة: العشيرة, والناصر: الحليف.

الآية : 11-17

القول في تأويل قوله تعالى:{وَالسّمَآءِ ذَاتِ الرّجْعِ * وَالأرْضِ ذَاتِ الصّدْعِ * إنّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هوَ بِالْهَزْلِ * إنّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً * وَأَكِيدُ كَيْداً * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً }.
يقول تعالى ذكره: وَالسّماءِ ذَاتِ الرّجْعِ ترْجع بالغيوم وأرزاق العباد كلّ عام ومنه قول المتنخّل في صفة سيف:
أبْيَضُ كالرّجْعِ رَسُوبٌ إذَاما ثاخَ فِي مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِي
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28552ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مِهران, قال: حدثنا سفيان, عن خصيف, عن عكرمة, عن ابن عباس. وَالسّماءِ ذَاتِ الرّجْعِ قال: السحاب فيه المطر.
حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن خَصِيف, عن عكِرمة, عن ابن عباس في قوله: وَالسّماءِ ذَاتِ الرّجْعِ قال: ذات السحاب فيه المطر.
28553ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَالسّماءِ ذَاتِ الرّجْعِ يعني بالرجع: القطر والرزق كلّ عام.
28554ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: وَالسّماءِ ذَاتِ الرّجْعِ قال: ترجع بأرزاق الناس كلّ عام قال أبو رجاء: سُئل عنها عكرِمة, فقال: رجعت بالمطر.
28555ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ذَاتِ الرّجْعِ قال: السحاب يمطر, ثم يَرجع بالمطر.

28556ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَالسّماءِ ذَاتِ الرّجْعِ قال: ترجع بأرزاق العباد كلّ عام, لولا ذلك هَلكوا وهلَكت مواشيهم.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قوله: وَالسّماءِ ذَاتِ الرّجْعِ قال: ترجع بالغيث كلّ عام.
28557ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَالسّماءِ ذَاتِ الرّجْعِ يعني: المطر.
وقال آخرون: يعني بذلك: أن شمسها وقمرها يغيب ويطلُع. ذكر من قال ذلك:
28558ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَالسّماءِ ذَاتِ الرّجْعِ قال: شمسها وقمرها ونجومها يأتين من ها هنا.
وقوله: وَالأرْضِ ذَاتِ الصّدْعِ يقول تعالى ذكره: والأرض ذات الصدع بالنبات. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28559ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن خَصِيف, عن عكرِمة, عن ابن عباس وَالأرْضِ ذَاتِ الصّدْعِ قال: ذات النبات.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَالأرْضِ ذَاتِ الصّدْعِ يقول: صدعها إخراج النبات في كلّ عام.
28560ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, عن الحسن وَالأرْضِ ذَاتِ الصّدْعِ قال: هذه تصدع عما تحتها قال أبو رجاء: وسُئل عنها عكرِمة, فقال: هذه تصدع عن الرزق.
28561ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, عن ابن أبي نجيح, قال مجاهد وَالأرْضِ ذَاتِ الصّدعِ مثل المأزم مَأزِم مِنًى.
حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَالأرْضِ ذَاتِ الصّدْعِ قال: الصدع: مثل المأزِم, غير الأودية وغير الجُرُف.
28562ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَالأرْضِ ذَاتِ الصّدْعِ تصدع عن الثمار وعن النبات, كما رأيتم.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَالأرْضِ ذات الصّدْعِ قال: تصدع عن النبات.
28563ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَالأرْضِ ذَاتِ الصّدْعِ وقرأ: ثُمّ شَقَقْنا الأرْضَ شَقّا فَأنْبَتْنا فِيه حَبّا وَعِنَبا وَقَضْبا إلى آخَر الآية, قال: صدعها للحرث.
28564ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: والأرْضِ ذَاتِ الصّدْعِ: النبات.
وقوله: إنّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ يقول تعالى ذكره: إن هذا القول وهذا الخبر لقول فصل: يقول: لقول يفصل بين الحقّ والباطل ببيانه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في العبارة عنه, فقال بعضهم: لقول حقّ.
وقال بعضهم: لقول حُكْم. ذكر من قال ذلك:

28565ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: إنّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ يقول: حقّ.
28566ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ: أي حُكْم.
وقوله: وَما هُوَ بالهَزْلِ يقول: وما هو باللعب ولا الباطل. وبنحو الـذي قلنـا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28567ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: وَما هُوَ بِالْهَزْلِ يقول: بالباطل.
28568ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَما هُوَ بِالْهَزْلِ قال: باللعب.
وقوله: إنّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْـدا يقـول تعـالى ذكـره: إن هـؤلاء المكـذّبين بـالله ورسوله والوعد والوعيد يمكرون مكرا.
وقوله: وَأَكِيدُ كَيْدا يقول: وأمكر مكرا ومكره جلّ ثناؤه بهم: إملاؤه إيـاهم على معصيتهم وكفرهم به.
وقوله: فَمَهّلِ الْكافِرِينَ يقول تعالى ذكـره لنـبيه محمـد صـلى اللـه عليـه وسلم: فمهّل يا محمد الكافرين ولا تعجلْ عليهم أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدا يقول: أمهلهم آنا قليلاً, وأنظرهم للموعد الذي هو وقت حلول النقمة بهم. وبنحو الذي قلنـا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28569ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدا يقول: قريبا.
28570ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدا الرويد: القليل.
28571ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: فَمَهّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدا قال: مَهّلهـم, فلا تعجـل عليهـم تَرْكَهُـمْ, حتى لما أراد الانتصار منهم, أمره بجهادهم وقتالهم, والغلظة عليهم.

سورة الأعلى

سورة الأعلى مكيّة
وآياتها تسع عشرة
بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1-7

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{سَبّحِ اسْمَ رَبّكَ الأعْلَىَ * الّذِي خَلَقَ فَسَـوّىَ * وَالّـذِي قَـدّرَ فَهَـدَىَ * وَالّـذِيَ أَخْـرَجَ الْمَرْعَـىَ * فَجَعَلَـهُ غُثَـآءً أَحْـوَىَ * سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىَ * إلاّ مَا شَآءَ اللّهُ إِنّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىَ }.
اختلف أهل التأويل فِي تأويل قوله: سَبّحِ اسْم رَبّكَ الأعْلىَ فقال بعضهم: معناه: عظّم ربك الأعلى, لا ربّ أعلى منـه وأعظـم. وكـان بعضـهم إذا قـرأ ذلك قال: سبحان ربي الأعلى. ذكر من قال ذلك:
28572ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قـال: أخبرنـا أبـو بشر, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عمر أنه كان يقرأ: سَبّحِ اسْمَ رَبّكَ الأعْلىَ:

سبحان ربي الأعلى الّذِي خَلَقَ فَسَوّى قال: وهي في قراءة أُبيّ بن كعب كذلك.

28573ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن السّديّ, عن عبد خير, قال: سمعت عليا رضي الله عنه قرأ: سَبّحِ اسْمَ رَبّكَ الأعْلَى فقال: سبحان ربي الأعلى.

28574ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن أبي إسحاق الهمْداني, أن ابن عباس كان إذا قرأ: سَبّحِ اسْمَ رَبّكَ الأعْلَى يقول: سبحان ربي الأعلى, وإذا قرأ: لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ فأتى على آخرها أَلَيْسَ ذَلك بِقادِرٍ عَلى أنْ يُحْيِيَ المَوْتَى؟ يقول: سبحانك اللهمّ وبَلَى.

28575ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة سَبّحِ اسْمَ رَبّكَ الأعْلَى ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال: سبحان ربيَ الأعلَى.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن خارجة, عن داود, عن زياد بن عبد الله, قال: سمعت ابن عباس يقرأ في صلاة المغرب سَبّحِ اسْمَ رَبّكَ الأعْلَى سبحان ربي الأعلَى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: نزّه يا محمد اسم ربك الأعلى, أن تسمي به شيئا سواه, ينهاه بذلك أن يفعل ما فعل من ذلك المشركون, من تسميتهم آلهتهم بعضَها اللات, وبعضَها العزّى.

وقال غيرهم: بل معنى ذلك: نزّه الله عما يقول فيه المشركون كما قال: وَلاَ تَسُبّوا الّذِينَ يَدْعَونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فيَسبّوا اللّهَ عَدْوا بِغَيرِ عِلْمٍ. وقالوا: معنى ذلك: سبح ربك الأعلى قالوا: وليس الاسم معنى.

وقال آخرون: نزّه تسميتك يا محمد ربك الأعلى وذكرك إياه, أن تذكره إلاّ وأنت له خاشع متذلل قالوا: وإنما عُنِي بالاسم: التسمية, ولكن وُضع الاسم مكان المصدر.

وقال آخرون: معنى قوله: سَبّحِ اسْمَ رَبّكَ الأعْلَى: صلّ بذكر ربك يا محمد, يعني بذلك: صلّ وأنت له ذاكر, ومنه وَجِل خائف.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب: قول من قال: معناه: نزّه اسم ربك أن تدعو به الآلهة والأوثان, لما ذكرت من الأخبار, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وعن الصحابة أنهم كانوا إذا قرأوا ذلك قالوا: سبحان ربيَ الأعلى, فبَيّن بذلك أن معناه كان عندهم معلوما: عظم اسم ربك, ونزّهه.

وقوله: الّذِي خَلَقَ فَسَوّى يقول: الذي خلق الأشياء فسوّى خلقها, وعدّلها والتسوية التعديل.

وقوله: وَالّذِي قَدّرَ فَهَدَى يقول تعالى ذكره: والذي قدّر خلقه فهدى.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عُني بقوله: فَهَدَى, فقال بعضهم: هدى الإنسان لسبيل الخير والشرّ, والبهائم للمراتع. ذكر من قال ذلك:

28576ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: قَدّرَ فَهَدَى قال: هدى الإنسان للشّقوة والسعادة, وهَدى الأنعام لمراتعها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: هدى الذكور لمأتى الإناث. وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الله عمّ بقـوله فَهَـدَى الخـبر عـن هدايته خلقه, ولم يخصص من ذلـك معنـى دون معنـى, وقـد هـداهم لسـبيل الخير والشرّ, وهدى الذكور لمأتى الإناث, فالخبر علـى عمـومه, حـتى يـأتي خبر تقوم به الحجة, دالّ على خصوصه. واجتمعت قرّاء الأمصار على تشديد الدال من قَـدّر, غيـر الكسـائي فـإنه خفّفهـا. والصـواب فـي ذلـك التشـديد, لإجماع الحجة عليه.

وقوله: وَالّذِي أَخْرَجَ المَرْعَى يقول: والذي أخرج من الأرض مرعَى الأنعام, من صنوف النبات وأنواع الحشـيش. وبنحـو الـذي قلنـا فـي ذلـك قـال أهـل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28577ـ حدثني يعقـوب بـن مكـرم, قـال: حـدثنا الحفـريّ, قـال: حـدثنا سفيان, عن منصور, عن أبي رَزِين أَخْرَجَ المَرْعَى قال: النبات.

28578ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَالّذِي أَخْرَجَ المَرْعَى... الآية, نبت كما رأيتم, بين أصفر وأحمر وأبيض.

وقوله: فَجَعَلَهُ غُثاءً أحْوَى يقول تعالى ذكره: فجعل ذلك المرعَى غُثاء, وهو ما جفّ من النبات ويبس, فطارت به الريـح وإنمـا عُنِـي بـه هاهنـا أنـه جعلـه هشيما يابسا متغيرا إلى الحُوّة, وهي السواد, مـن بعـد البيـاض أو الخُضـرة, من شدّة اليبس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهـل التأويـل. ذكـر مـن قـال ذلك:

28579ـ حدثني علي, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, في قوله: غُثاءً أحْوَى يقول: هَشيما متغيرا.

28580ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: غُثاءً أحْوَى قال: غُثاء السيل أحوى, قال: أسود.

28581ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة, فـي قوله: غُثاءً أحْوَى قال: يعود يبسا بعد خُضرة.

28582ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: فَجَعَلَهُ غُثاءً أحْوَى قال: كان بقلاً ونباتا أخضر, ثـم هـاج فيبُـس, فصـار غُثاء أحوى, تذهب به الرياح والسيول.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المـؤخّر الـذي معنـاه التقـديم, وأن معنـى الكلام: والـذي أخـرج المرعـى أحـوى: أي أخضـر إلـى السواد, فجعله غثاء بعد ذلك, ويعتلّ لقوله ذلك بقول ذي الرّمة:

حَوّاءُ قَرْحاءُ أشْراطِيّةٌ وكَفَفْيِها الذّهابُ وحَفّتْها البَرَاعِيمُ

وهذا القول وإن كان غير مدفوع أن يكون ما اشتدّت خضرته مـن النبـات, قد تسميه العرب أسود, غير صواب عندي بخلافه تأويل أهل التأويـل فـي أن الحرف إنما يحتال لمعنـاه المخـرج بالتقـديم والتـأخير إذا لـم يكـن لـه وجـه مفهوم إلاّ بتقديمه عن موضعه, أو تأخيره, فإما وله في موضعه وجه صـحيح فلا وجه لطلب الاحتيال لمعناه بالتقديم والتأخير.

وقوله: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى إلاّ ما شاءَ اللّهُ يقول تعالى ذكره: سـنقرئك يـا محمد هذا القرآن فلا تنساه, إلاّ ما شاء الله.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى قـوله فلا تَنْسَـى إلاّ مـا شـاءَ اللّـهُ فقـال بعضهم: هذا إخبار من الله نبيه عليه الصلاة والسلام أنه يعلمـه هـذا القـرآن,

ويحفظه عليه, ونهي منه أن يعجل بقراءته, كما قال جلّ ثناؤه: لا تُحَـرّكْ بِـهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بهِ إنّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرآنَهُ. ذكر من قال ذلك:

28583ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَـى قـال: كـان يتـذكر القـرآن فـي نفسه مخافة أن ينسى.

فقال قائلو هذه المقالة: معنى الاستثناء في هذا الموضع على النسيان, ومعنى الكلام: فلا تنسى, إلاّ ما شاء الله أن تنساه, ولا تـذكَرَه, قـالوا: ذلـك هو ما نسخه الله من القرآن, فرفع حكمه وتلاوته. ذكر من قال ذلك:

28584ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى كان صلى الله عليه وسلم لا ينسى شيئا إلاّ ما شاءَ اللّهُ.

وقال آخرون: معنى النسيان في هذا الموضع: الترك وقالوا: معنى الكلام: سنقرئك يا محمد فلا تترك العمل بشيء منه, إلاّ ما شاء الله أن تترك العمل به, مما ننسخه.

وكان بعض أهل العربية يقول في ذلك: لم يشأ الله أن تنسى شـيئا, وهـو كقوله: خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السّمَوَاتُ والأرْضُ إلاّ مـا شـاءَ رَبّـكَ ولا يشـاء. قال: وأنت قائل في الكلام: لأعطينـك كـلّ مـا سـألت إلاّ مـا شـئت, وإلاّ أن أشاء أن أمنعك, والنية أن لا تمنعه, ولا تشاء شيئا. قال: وعلـى هـذا مجـارِي الأيمان, يستثنى فيها, ونية الحالف: اللمام.

والقول الذي هو أولى بالصواب عنـدي, قـول مـن قـال: معنـى ذلـك: فلا تنسى إلاّ أن نشاء نحـن أن نُنسـيكه بنسـخه ورفعـه. وإنمـا قلنـا ذلـك أولـى بالصواب, لأن ذلك أظهر معانيه.

وقوله: إنّهُ يَعْلَمُ الجَهْرَ وَما يَخْفَى يقول تعالى ذكره: إن الله يعلم الجهر يا محمد من عملك, ما أظهرته وأعلنته وَما يَخْفَى يقول: ومـا يخفـى منـه فلـم تظهره, مما كتمته, يقول: هو يعلم جميـع أعمالـك, سـرّها وعلانيتهـا يقـول: فاحذره أن يطلع عليك وأنت عامل في حال من أحوالك بغيـر الـذي أذن لـك به.

الآية : 8-13

القول في تأويـل قوله تعالى:{وَنُيَسّرُكَ لِلْيُسْرَىَ * فَذَكّرْ إن نّفَعَتِ الذّكْرَىَ * سَيَذّكّرُ مَن يَخْشَىَ * وَيَتَجَنّبُهَا الأشْقَى * الّذِى يَصْلَى النّارَ الْكُبْرَىَ * ثُـمّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا }.

يقول تعالى ذكره: ونسهلك يا محمد لعمل الخير, وهو اليُسرَى واليُسرَى: هو الفُعلى من اليسر.

وقوله: فَذَكّرْ إنْ نَفَعَتِ الذّكْرَى يقول تعالى ذكره: فذكّر عباد الله يا محمد عظمتـه, وعظهـم, وحـذّرهم عقـوبته إنْ نَفَعَـتِ الـذّكْرَى يقـول: إن نفعـت الذكرى الذين قد آيستُك من إيمانهم, فلا تنفعهم الذكرى. وقـوله فَـذَكّرْ أمـر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بتذكير جميع الناس, ثـم قـال: إن نفعـت الذكرى هؤلاء الذين قد آيستك من إيمانهم.

وقوله: سَيَذّكّرُ مَنْ يَخْشَى يقول جـلّ ثنـاؤه: سـيذّكّر يـا محمـد إذا ذَكّـرت الـذين أمرتـك بتـذكيرهم مـن يخشـى اللـه, ويخـاف عقـابه ويَتَجَنّبُهـا يقـول: ويتجنّب الذكرى الأشْقَى يعني: أشقى الفريقيـن الّـذِي يَصْـلَى النّـارَ الكُبْـرَى

وهم الذين لم تنفعهم الذكرى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28585ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَذَكّرْ إنْ نَفَعَت الذّكْرَى سَيَذّكّرُ مَنْ يَخْشَى فاتقوا الله, ما خَشِي الله عبد قطّ إلاّ ذكره وبَتَجَنّبُها الأشْقَى فلا والله لا يتنكّب عبد هذا الذكر زهدا فيه وبُغضا لأهله, إلاّ شقيّ بَيّنُ الشقاء.

وقوله: الّذِي يَصْلَى النّارَ الكُبْرَى يقول: الذي يَرِد نار جهنم, وهي النار الكبرى, ويعني بالكبرى لشدّة الحرّ والألم.

وقوله: ثُمّ لا يَمُوتُ فِيها وَلا يَحْيا يقول: ثم لا يموت في النار الكُبرى ولا يحيا, وذلك أن نفس أحدهم تصير فيها في حلقه, فلا تخرج فتفارقه فيموت, ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا. وقيل: لا يموت فيها فيستريح, ولا يحيا حياة تنفعه.

وقال آخرون: قيل ذلك, لأن العرب كانت إذا وصفت الرجل بوقوع في شدة شديدة, قالوا: لا هو حيّ, ولا هو ميت, فخاطبهم الله بالذي جرى به ذلك من كلامهم.

الآية : 14-19

القول في تأويل قوله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكّىَ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبّهِ فَصَلّىَ * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدّنْيَا * وَالاَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىَ * إِنّ هَـَذَا لَفِي الصّحُفِ الأُولَىَ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىَ }.

يقول تعالى ذكره: قد نجح وأدرك طلبته من تطهّر من الكفر ومعاصي الله, وعمل بما أمره الله به, فأدّى فرائضه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28586ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكّى يقول: من تَزَكّى من الشرك.

28587ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري, قال: حدثنا هشام, عن الحسن, في قوله قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكّى قال: من كان عمله زاكيا.

28588ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكّى قال: يعمل وَرِعا.

28589ـ حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا حفص بن عُمر العَدَنيّ, عن الحكم, عن عكرِمة, في قوله: قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكّى من قال: لا إله إلاّ الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قد أفلح من أدّى زكاة ماله. ذكر من قال ذلك:

28590ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عليّ بن الأقمر, عن أبي الأحوص قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكّى قال: من استطاع أن يرضَخَ فليفعل, ثم ليقم فليصلّ.

حدثنا محمد بن عمارة الرازي, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا سفيان, عن عليّ بن الأقمر, عن أبي الأحوص قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكّى قال: من رَضَخ.

28591ـ حدثنا محمد بن عمارة, قال: حدثنا عثمان بن سعيد بن مرّة, قال: حدثنا زهير, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, قال: إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة, فليقدّم بين يدي صلاته زكاته, فإن الله يقول: قَدْ

أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبّهِ فَصَلّى فمن استطاع أن يقدّم بين يـدي صـلاته زكاةً فليفعل.

28592ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّى تزكى رجل من ماله, وأرضى خالقه.

وقال آخرون: بل عنى بذلك زكاة الفطر. ذكر من قال ذلك:

28593ـ حدثني عمرو بن عبـد الحميـد الآمَلـي, قـال: حـدثنا مـروان بـن معاوية, عن أبي خلدة, قال: دخلت على أبي العالية, فقـال لـي: إذا غَـدَوت غدا إلى العيد فمرّ بي, قال: فمررت بـه, فقـال: هـل طَعِمـت شـيئا؟ قلـت: نعم, قال: أفَضْت على نفسـك مـن المـاء؟ قلـت: نعـم, قـال: فـأخبرني مـا فعلت بزكاتك؟ قلت: قد وجّهتها, قال: إنما أردتك لهذا, ثم قرأ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبّهِ فَصَلّى وقـال: إن أهـل المدينـة لا يَـرَون صـدقة أفضـل منها, ومن سِقاية الماء.

وقوله: وَذَكَرَ اسْمَ رَبّهِ فَصَلّى اختلف أهل التأويل في تأويـل قـوله: وَذَكَـرَ اسْمَ رَبّهِ فَصَلّى فقال بعضهم: معنى ذلك: وحّد الله. ذكر من قال ذلك:

28594ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس وَذَكَرَ اسْمَ رَبّهِ فَصَلّى يقول: وحّد الله سبحانه وتعالى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وذكر الله ودعاه ورغب إليه.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: وذكر الله فوحّده, ودعـاه ورغـب إليه, لأن كلّ ذلك من ذكر الله, ولم يخصُصِ الله تعالى من ذكـره نوعـا دون نوع.

وقوله: فَصَلّى اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: عُنِي بـه: فصّلى الصلوات الخمس. ذكر من قال ذلك:

28595ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: فَصَلّيقول: صّلى الصلوات الخمس.

وقال آخرون: عني به: صلاة العيد يوم الفطر.

وقال آخرون: بل عُني به: وذكر اسم ربـه فـدعا وقـالوا: الصـلاة هـا هنـا: الدعاء.

والصواب من القول أن يقال: عُنِي بقوله: فَصَلّى: الصـلوات, وذكـر اللـه فيها بالتحميد والتمجيد والدعاء.

وقوله: بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدّنيْا يقول للناس: بل تؤثرون أيها النـاس زينـة الحياة الدنيا على الآخرة والآخِرَةُ خَيْرٌ لَكُمْ وأبْقَى يقـول: وزينـة الآخـرة خيـر لكم أيها الناس وأبقى بقاء, لأن الحياة الدنيا فانية, والآخرة باقية, لا تنفَـدُ ولا تفنى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28596ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سـعيد, عـن قتـادة بَـلْ تُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدّنيْا فاختار الناس العاجلة إلا من عصم الله. وقوله: وَالآخِرَةُ خَيْرٌ في الخير وأبْقَى في البقاء.

28597ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيـى بـن واضـح, قـال: حـدثنا أبـو حمزة, عن عطاء, عن عَرْفَجَة الثقفيّ, قـال: اسـتقرأت ابـن مسـعود سَـبّحِ اسْمَ رَبّكَ الأعْلَى, فلما بلغ: بَلْ تُـؤْثِرُونَ الْحَيـاةَ الـدّنيْا تـرك القـراءة, وأقبـلَ على أصحابه, وقال: آثرنا الدنيا على الآخـرة, فسـكت القـوم, فقـال: آثرنـا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها, وزُوِيت عنا الآخرة, فاخترنـا هذا العاجل, وتركنا الآجل.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدّنيْا فقرأ ذلك عامّة قرّاء الأمصار: بَلْ تُؤْثِرُونَ بالتاء, إلا أبا عمرو, فإنه قرأه بالياء, وقال: يعني الأشقياء.

والذي لا أوثر عليه في قراءة ذلك التاء, لإجماع الحجة من القرّاء عليه. وذُكر أن ذلك في قراءة أُبيّ: بَلْ أنْتُمْ تُؤْثِرُونَ فذلك أيضا شاهد لصحة القراءة بالتاء.

وقوله: إنّ هَذَا لَفِي الصّحُفِ الأُولى اختلف أهل التأويل في الذي أشير إليه بقوله هذا, فقال بعضهم: أُشير به إلى الآيات التي في «سبح اسم ربك الأعلى». ذكر من قال ذلك:

28598ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبيه, عن عكرِمة إنّ هَذَا لفِي الصّحُفِ الأُولى صُحُفِ إبْرَاهِيمَ وَمُوسَى يقول: الآيات التي في سبح اسم ربك الأعلى.

وقال آخرون: قصة هذه السورة. ذكر من قال ذلك:

28599ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية إن هَذَا لَفِي الصّحُفِ الأُولى صُحُفِ إبْرَاهِيمَ وَمُوسَى قال: قصة هذه السورة لفي الصحف الأولى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن هذا الذي قصّ الله تعالى في هذه السورة لَفِي الصّحُفِ الأُولى. ذكر من قال ذلك:

28600ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: إنّ هَذَا لَفِي الصّحُفِ الأُولى قال: إن هذا الذي قصّ الله في هذه السورة, لفي الصحف الأولى صُحُفِ إبْرَاهِيمَ وَمُوسَى.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك في قوله: وَالاَخِرَةُ خَيْرٌ وأبْقَى في الصحف الأولى. ذكر من قال ذلك:

28601ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ هَذَا لَفِي الصّحُفِ الأُولى قال: تتابعت كتب الله كما تسمعون, أن الآخرة خير وأبقى.

28602ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّ هَذَا لَفِي الصّحُفِ الأُولى صُحُفِ إبْرَاهِيمَ وَمُوسَى قال: في الصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى: أن الآخرة خير من الأولى.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب, قول من قال: إن قوله: قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكى وَذَكَرَ اسمَ رَبّهِ فَصَلّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدّنيْا وَالاَخِرَةُ خَيْرٌ وَأبْقَى: لفي الصحف الأولى, صحف إبراهيم خليل الرحمن, وصحف موسى بن عمران.

وإنما قلت: ذلك أولى بالصحة من غيره, لأن هذا إشارة إلى حاضر, فلأن يكون إشارة إلى ما قرب منها, أولى من أن يكون إشارة إلى غيره. وأما الصحف: فإنها جمع صحيفة, وإنما عُنِي بها: كتب إبراهيم وموسى.

28603ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن أبي الخلد, قال: نزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة من رمضان, وأنزلت التوراة لستّ ليال خلون من رمضان, وأنزل الزبور لاثنتي عشرة ليلة, وأنزل الإنجيل لثماني عشرة, وأنزل الفرقان لأربع وعشرين.

سورة الغاشية

سورة الغاشية مكية
وآياتها ست وعشرون
بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1-7

القول فـي تأويـل قوله تعـالى:{هَـلْ أَتَـاكَ حَـدِيثُ الْغَاشِـيَةِ * وُجُـوهٌ يَوْمَئِـذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نّاصِبَةٌ * تَصْلَىَ نَاراً حَامِيَةً * تُسْقَىَ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لّيْـسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاّ مِن ضَرِيعٍ * لاّ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: هَلْ أتـاكَ يـا محمـد حَـدِيثُ الْغاشِـيَةُ يعنـي: قصـتها وخبرهـا. واختلـف أهـل التأويـل فـي معنـى الغاشية, فقال بعضهم: هي القيامة تغشى النـاس بـالأهوال. ذكـر مـن قـال ذلك:

28604ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس الْغاشِيَةُ من أسماء يوم القيامة, عظّمه الله, وحذّره عباده.

28605ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: هَلْ أتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ قال: الغاشية: الساعة.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: هَلْ أتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ قال: الساعة.

وقال آخرون: بل الغاشية: النار تغشَى وجوه الكَفَرة. ذكر من قال ذلك:

28606ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشـعث, عـن سـعيد, في قوله: هَلْ أتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ قال: غاشية النار.

... والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله قـال لنـبيه صـلى اللـه عليه وسلم: هَلْ أتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ ولـم يخبرنـا أنـه عنى غاشـية القيامـة, ولاأنه عنى غاشية النار, وكلتاهما غاشية, هذه تغشى الناس بالبلاء والأهـوال والكروب, وهذه تغشى الكفار باللفْح في الوجـوه, والشّـواظ والنّحـاس, فلا قول في ذلك أصحّ من أن يقال كما قال جـلّ ثنـاؤه, ويعـمّ الخـبر بـذلك كمـا عمه.

وقوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ يقول تعالى ذكره: وجوه يومئـذٍ, وهـي وجـوه أهل الكفر به. خاشعة: يقول: ذليلة. ذكر من قال ذلك:

28607ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ: أي ذليلة.

28608ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: خاشِعَةٌ قال: خاشعة في النار.

وقوله: عامِلةٌ يعني: عاملة في النار. وقـوله: ناصِـبَةٌ يقـول: ناصـبة فيهـا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28609ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس عامِلَةٌ ناصِبَةٌ فإنها تعمل وتَنصَب في النار.

28610ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, قال: سمعت الحسن, قرأ: عامِلَةٌ ناصِبَةٌ قال: لم تعمل لله في الدنيا, فأعملها في النار.

28611ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَكَبّرت في الدنيا عن طاعة الله, فأعملها وأنصبها في النار.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: عامِلَةٌ ناصِبَةٌ قال: عاملة ناصبة في النار.
28612ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: عامِلَةٌ ناصِبَةٌ قال: لا أحد أنصَبُ ولا أشدّ من أهل النار.
وقوله: تَصْلَى نارا حامِيَةً يقول تعالى ذكره: ترد هذه الوجوه نارا حامية قد حَمِيت واشتدّ حرّها.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الكوفة تَصْلَى بفتح التاء, بمعنى: تَصْلَى الوجوه. وقرأ ذلك أبو عمرو: «تُصْلَى» بضم التاء اعتبارا بقوله: تُسْقَى مِنْ عَينٍ آنِيَةٍ, والقول في ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.
وقوله: تُسْقَى مِنْ عَينٍ آنِيَةٍ يقول: تُسْقَى أصحاب هذه الوجوه من شَراب عين قدأَنَى حرّها, فبلغ غايته في شدّة الحرّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28613ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: تُسْقَى مِنْ عَينٍ آنِيَةٍ قال: هي التي قد أطال أَنْيَها.
28614ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: تُسْقَى مِنْ عَينٍ آنِيَةٍ قال: أنىَ طبخها منذ يوم خلق الله الدنيا.
28615ـ حدثني به يعقوب مرّة أخرى, فقال: منذ يوم خلق الله السموات والأرض.
28616ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: مِنْ عَينٍ آنِيَةٍ قال: قد بلغت إناها, وحان شربها.
28617ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: تُسْقَى مِنْ عَينٍ آنِيَةٍ يقول: قد أَنَى طبخها منذ خلق الله السموات والأرض.
28618ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن, في قوله: مِنْ عَينٍ آنِيَةٍ قال: من عين أَنَى حرّها: يقول: قد بلغ حرّها.
وقال بعضهم: عُنِي بقوله: مِنْ عَينٍ آنِيَةٍ من عين حاضرة. ذكر من قال ذلك:
28619ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: تُسْقَى مِنْ عَينٍ آنِيَةٍ قال: آنية: حاضرة.
وقوله: لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إلاّ مِنْ ضَرِيعٍ يقول: ليس لهؤلاء الذين هم أصحاب الخاشعة العاملة الناصبة يوم القيامة, طعام إلا ما يطعمونه من ضرِيع. والضريع عند العرب: نبت يُقال له الشِّبْرِق, وتسميه أهل الحجاز الضّرِيع إذا يبس, ويسميه غيرهم: الشِّبْرق, وهو سمّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28620ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إلاّ مِنْ ضَرِيعٍ قال: الضريع: الشِّبْرق.

28621ـ حدثني محمد بن عُبيدة المحاربيّ, قال: حدثنا عباد بن يعقوب الأسديّ, قال محمد: ثنا, وقال عباد: أخبرنا محمد بن سليمان, عن عبد الرحمن الأصبهانيّ, عن عكرِمة في قوله: لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إلاّ مِنْ ضَرِيعٍ قال: الشّبرق.

28622ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا إسماعيل بن عُلَية, عن أبي رجاء, قال: ثني نجدة, رجل من عبد القيس عن عكرِمة, في قوله: لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إلاّ مِنْ ضَرِيعٍ قال: هي شجرة ذات شوك, لاطئة بالأرض, فإذا كان الربيع سمّتها قريش الشّبرق, فإذا هاج العود سمتها الضّرِيع.

28623ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ليث, عن مجاهد لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إلاّ مِنْ ضَرِيعٍ قال: الشبرق.

حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا مِهران, عن سفيان, عن ليث, عن مجاهد, مثله.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ضَرِيع قال: الشّبرق اليابس.

28624ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن مَعْمر, عن قتادة إلاّ مِنْ ضَرِيعٍ قال: هو الشبرق إذا يبس يسمى الضريع.

28625ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إلاّ مِنْ ضَرِيعٍ يقول: من شرّ الطعام, وأبشعه وأخبثه.

28626ـ حدثني محمد بن عبيد, قال: حدثنا شريك بن عبد الله, في قوله: لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إلاّ مِنْ ضرِيعٍ قال: الشّبرق.

وقال آخرون: الضّرِيع: الحجارة. ذكر من قال ذلك:

28627ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن جعفر, عن سعيد, في قوله: لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إلاّ مِنْ ضَرِيعٍ قال: الحجارة.

وقال آخرون: الضّريع: شجر من نار. ذكر من قال ذلك:

28628ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إلاّ مِنْ ضَرِيعٍ يقول: شجر من نار.

28629ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إلاّ مِنْ ضَرِيعٍ قال: الضريع: الشّوك من النار. قال: وأما في الدنيا فإن الضريع: الشوك اليابس الذي ليس له ورق, تدعوه العرب الضريع, وهو في الآخرة شوك من نار.

وقوله: لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ يقول: لا يُسمن هذا الضريع يوم القيامة أكَلَته من أهل النار, ولا يُغني من جُوعٍ يقول: ولا يُشْبِعهم من جوع يصيبهم.

الآية : 8-16

القول في تأويل قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نّاعِمَةٌ * لّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنّةٍ عَالِيَةٍ * لاّ تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيّ مَبْثُوثَةٌ }.

يقول تعالى ذكره: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ يعني: يوم القيامة ناعِمَةٌ يقول: هي ناعمة بتنعيم الله أهلها في جناته, وهم أهل الإيمان بالله.

وقوله: لِسَعْيها رَاضِيَةٌ يقول: لعملها الذي عملت في الدنيا من طاعة ربها راضية. وقيل: لِسَعْيها رَاضِيَةٌ والمعنى: لثواب سعيها في الآخرة راضية.

وقوله: فِي جَنّةٍ عالِيَةٍ وهي بستان. عالية: يعني رفيعة.

وقوله: لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً يقول: لا تسمع هذه الوجوه, المعنى لأهلها, فيها في الجنة العالية لاغية. يعني باللاغية: كلمة لغو. واللّغو: الباطل, فقيل للكلمة التي هي لغو لاغية, كما قيل لصاحب الدرع: دارع, ولصاحب الفرس: فارس, ولقائل الشعر شاعر وكما قال الحُطيئة:

أغَرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ أنّكَ لابِنٌ بالصّيْفِ تامِرْ

يعني: صاحب لبن, وصاحب تمر. وزعم بعض الكوفيين أن معنى ذلك: لا تسمع فيها حالفة على الكذب, ولذلك قيل لاغية ولهذا الذي قاله مذهب ووجه, لولا أن أهل التأويل من الصحابة والتابعين على خلافه, وغير جائز لأحد خلافهم فيما كانوا عليه مجمعين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28630ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً يقول: لا تسمع أذًى ولا باطلاً.

28631ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً قال: شتما.

28632ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً: لا تسمع فيها باطلاً, ولا شاتما.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن مَعْمَر, عن قتادة, مثله.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض قرّاء المدينة وهو أبو جعفر لا تسْمَعُ بفتح التاء, بمعنى: لا تسمع الوجوهُ. وقرأ ذلك ابن كثير ونافع وأبو عمرو: «لا تُسْمَعُ» بضم التاء, بمعنى ما لم يسمّ فاعله, وبؤنّث تسمع, لتأنيث لاغية. وقرأ ابن محيصن بالضم أيضا, غير أنه كان يقرؤها بالياء, على وجه التذكير.

والصواب من القول في ذلك عندي, أن كلّ ذلك قراءات معروفات صحيحات المعاني, فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: فِيها عَينٌ جارِيَةٌ يقول: في الجنة العالية عين جارية في غير أُخدود.

وقوله: فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ والسرر: جمع سرير, مرفوعة ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوّله ربه من النعيم والملك فيها, ويلحق جميع ذلك بصره.

وقيل: عُني بقول مرفوعة: موضونة. ذكر من قال ذلك:

28633ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ يعني: موضونة, كقوله: سُرر مصفوفة, بعضها فوق بعض.

وقوله: وَأكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ وهي جمع كوب, وهي الأباريق التي لا آذان لها. وقد بيّنا ذلك فيما مضى, وذكرنا ما فيه من الرواية, بما أغنى عن إعادته. وعُني بقوله: مَوْضُوعَةٌ: أنها موضوعة على حافة العين الجارية, كلما أرادوا الشرب, وجدوها ملأى من الشراب.

وقوله: وَنمارِقُ مَصْفُوفَةٌ يعني بالنمارق: الوسائد والمرافق والنمارق: واحدها نُمْرُقة, بضم النون. وقد حُكي عن بعض كلب سماعا نِمْرِقة, بكسر النون والراء. وقيل: مصفوفة لأن بعضها بجنب بعض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28634ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَنمارِقُ مَصْفُوفَةٌ يقول: المرافق.
28635ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَنمارِقُ مَصْفُوفَةٌ يعني بالنمّارق: المجالس.
28636ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ونَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ والنمارق: الوسائد.
وقوله: وَزَرَابِيّ مَبْثُوثَةٌ يقول تعالى ذكره: وفيها طنافس وبُسط كثيرة مبثوثة مفروشة, والواحدة: زِرْبية, وهي الطّنفسة التي لها خمل رقيق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28637ـ حدثنا أحمد بن منصور, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن سفيان, قال: حدثنا توبة العنبريّ, عن عكرمة بن خالد, عن عبد الله بن عمار, قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلّي على عَبْقَريّ, وهو الزرابيّ.
28638ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَزَرَابِيّ مَبْثُوثَةٌ: المبسوطة.

الآية : 17-20

القول في تأويل قوله تعالى:{أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ }.
يقول تعالى ذكره لمُنكري قدرته على ما وصف في هذه السورة, من العقاب والنكال الذي أعدّه لأهل عداوته, والنعيم والكرامة التي أعدّها لأهل ولايته: أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قُدرة الله على هذه الأمور, إلى الإبل كيف خلَقها, وسخرها لهم وذَلّلها, وجعلها تحمل حملها باركة, ثم تنهض به, والذي خلق ذلك غير عزيز عليه أن يخلق ما وصف من هذه الأمور في الجنة والنار, يقول جلّ ثناؤه: أفلا ينظرون إلى الإبل, فيعتبرون بها, ويعلمون أن القُدرة التي قدَر بها على خلقها, لن يُعجزه خلق ما شابهها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28639ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: لما نعت الله ما في الجنة, عَجّب من ذلك أهل الضلالة, فأنزل الله: أفَلا يَنْظُرُونَ إلى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ فكانت الإبل من عيش العرب ومن خوَلهم.
28640ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شُعبة, عن أبي إسحاق, عمن سمع شريحا يقول: اخرجوا بنا ننظر إلى الإبل كيف خُلقت.
وقوله: وَإلى السّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ يقول جلّ ثناؤه: أفلا ينظرون أيضا إلى السماء كيف رفعها الذي أخبركم أنه مُعدّ لأوليائه ما وصف, ولأعدائه ما ذكر, فيعلموا أن قُدرته القدرة التي لا يُعجزه فعل شيء أراد فعله.
وقوله: وَإلى الجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ يقول: وإلى الجبال كيف أقيمت منتصبة لا تسقط, فتنبسط في الأرض, ولكنها جعلها بقدرته منتصبة جامدة, لا تبرح مكانها, ولا تزول عن موضعها. وقد:
28641ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإلى الجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ تصاعد إلى الجبل الصّيخود عامة يومك, فإذا أفضيت إلى

أعلاه, أفضيت إلى عيون متفجرة, وثمار متهدلة ثم لم تحرثه الأيدي ولم تعمله, نعمة من الله, وبُلغة الأجل.
وقوله: وَإلى الأرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ يقول: وإلى الأرض كيف بُسطت, يقال: جبل مُسَطّح: إذا كانَ في أعلاه استواء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28642ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإلى الأرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ: أي بُسطت, يقول: أليس الذي خلق هذا بقادر على أن يخلق ما أراد في الجنة.

الآية : 21-26

القول في تأويل قوله تعالى:{فَذَكّرْ إنّمَآ أَنتَ مُذَكّرٌ * لّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ * إلاّ مَن تَوَلّىَ وَكَفَرَ * فَيُعَذّبُهُ اللّهُ الْعَذَابَ الأكْبَرَ * إنّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمّ إِنّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فَذَكّرْ يا محمد عبادي بآياتي, وعظهم بحججي, وبلّغهم رسالتي إنّمَا أنْتَ مُذَكّرٌ يقول: إنما أرسلتك إليهم مذكرا, لتذكرهم نعمتي عندهم, وتعرّفهم اللازم لهم, وتعظهم.
وقوله: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسيْطِرٍ يقول: لست عليهم بمسلّط, ولا أنت بجبار, تحملهم على ما تريد. يقول: كِلهم إليّ, ودعهم وحكمي فيهم يقال: قد تسيطر فلان على قومه: إذا تسلط عليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28643ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ يقول: لست عليهم بجبار.
28644ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ: أي كِلْ إليّ عبادي.
28645ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: بِمُسَيْطِرٍ قال: جبار.
28646ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّمَا أنْتَ مُذَكّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ قال: لست عليهم بمسلط أن تُكرِههم على الإيمان, قال: ثم جاء بعد هذا: جاهِدِ الكُفّارِ والمنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وقال اقْعُدُوا لَهُمْ كُلّ مَرْصَدٍ وارصدوهم لا يخرجوا فِي البِلادِ فإنْ تابُوا وأقامُوا الصّلاةَ وآتُوا الزّكاةَ فَخَلّوا سَبِيلَهُمْ إنّ اللّهَ غَفورٌ رَحِيمٌ قال: فنسخت لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ قال: جاء اقتله أو يُسْلِمَ قال: والتذكرة كما هي لم تنسخ. وقرأ: فَذَكّرْ فإنّ الذّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ.
28647ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي الزبير, عن جابر بن عبد الله, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النّاسَ حتى يَقُولُوا: لا إلَهَ إلاّ اللّهُ, فإذَا قالُوا: لا إلَهَ إلاّ اللّهُ, عَصَمُوا مِنّي دِماءَهُمْ وأمْوَالَهُمْ, إلاّ بِحَقّها, وحِسابُهُمْ على اللّهِ» ثم قرأ: إنّمَا أنْتَ مُذَكّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي الزبير محمد بن مسلم, قال: سمعت جابر ابن عبد الله, يقول: سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول, فذكر مثله, إلا أنه قال: قال أبو الزّبير: ثم قرأ إنّمَا أنْتَ مُذَكّرٌ, لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ.

حدثنا يوسف بن موسى القَطان, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبي الزّبير, عن جابر, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله.
وقوله: إلاّ مَنْ تَوَلّى وكَفَرَ يتوجّه لوجهين: أحدهما: فذكّر قومك يا محمد, إلا من تولّى منهم عنك, وأعرض عن آيات الله فكفر, فيكون قوله «إلا» استثناء من الذين كان التذكير عليهم, وإن لم يذكروا, كما يقال: مضى فلان, فدعا إلا من لا تُرْجَى إجابته, بمعنى: فدعا الناس إلا من لا تُرْجَى إجابته.
والوجه الثاني: أن يجعل قوله: إلاّ مَنْ تَوَلّى وكَفَرَ منقطعا عما قبله, فيكون معنى الكلام حينئذٍ: لست عليهم بمسيطر, إلا من تولى وكفر, يعذّبه الله, وكذلك الاستثناء المنقطع يمتحن بأن يحسن معه إن, فإذا حسنت معه كان منقطعا, وإذا لم تحسن كان استثناء متصلاً صحيحا, كقول القائل: سار القوم إلا زيدا, ولا يصلح دخول إن ها هنا لأنه استثناء صحيح.
وقوله: فَيُعَذّبُهُ اللّهُ العَذَابَ الأكْبَرَ: هو عذاب جهنم, يقول: فيعذّبه الله العذاب الأكبر على كفره في الدنيا, وعذاب جهنم في الآخرة.
وقوله: إنّ إلَيْنا إيابَهُمْ يقول: إن إلينا رجوع من كفر ومعادهم ثُمّ إنّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ يقول: ثم إن على الله حسابه, وهو يجازيه بما سلف منه من معصية ربه, يُعْلِمُ بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه المتولي عقوبته دونه, وهو المجازي والمعاقِب, وأنه الذي إليه التذكير وتبليغ الرسالة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28648ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إلاّ مَنْ تَوَلّى وكَفَرَ قال: حسابه على الله.
28649ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّ إلَيْنا إيابَهُمْ ثُمّ إنّ عَلَيْنا حِسابِهُمْ يقول: إن إلى الله الإياب, وعليه الحساب.

سورة الفجر

سورة الفجر مكية
وآياتها ثلاثون
بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-5

القول في تأويل قوله تعالى:{وَالْفَجْرِ * وَلَيالٍ عَشْرٍ * وَالشّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لّذِى حِجْرٍ }.
هذا قسم أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالفجر, وهو فجر الصبح.
واختلف أهل التأويل في الذي عُني بذلك, فقال بعضهم: عُنِي به النهار. ذكر من قال ذلك:
28650ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الأغرّ المنقريّ, عن خليفة بن الحصين, عن أبي نصر, عن ابن عباس, قوله: وَالْفَجْرِ قال: النهار.
وقال آخرون: عُنِي به صلاة الصبح. ذكر من قال ذلك:
28651ـ حدثني محمد بن سعيد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: والْفَجْرِ يعني: صلاة الفجر.
وقال آخرون: هو فجر الصبح. ذكر من قال ذلك:

28652ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: أخبرنا عاصم الأحول, عن عكرِمة, في قوله: والْفَجْرِ قال: الفجر: فجر الصبح.
28653ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عمر بن قيس, عن محمد بن المرتفع, عن عبد الله بن الزبير أنه قال: والْفَجْرِ قال: الفجر: قسم أقسم الله به.
وقوله: وَلَيالٍ عَشْرٍ اختلف أهل التأويل في هذه الليالي العشر أيّ ليال هي؟ فقال بعضهم: هي ليالي عشر ذي الحجة.
28654ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, وعبد الوهاب ومحمد بن جعفر, عن عوف, عن زرارة, عن ابن عباس, قال: إن الليالِيَ العشر التي أقسم الله بها, هي ليالي العشر الأول من ذي الحجة.
28655ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَلَيالٍ عَشْرٍ: عشر الأضحى قال: ويقال: العشر: أولَ السنة من المحرم.
28656ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وَهب, قال: أخبرني عمر بن قيس, عن محمد بن المرتفع, عن عبد الله بن الزّبير وَلَيالٍ عَشْرٍ: أوّل ذي الحجة إلى يوم النحر.
حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: أخبرنا عوف, قال: حدثنا زرارة بن أوفى, قال: قال ابن عباس: إن الليالي العشر اللاتي أقسم الله بهنّ: هن الليالي الأوَل من ذي الحجة.
28657ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن مسروق وَلَيالٍ عَشْرٍ قال: عشر ذي الحجة, وهي التي وعد الله موسى صلى الله عليه وسلم.
28658ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: أخبرنا عاصم الأحول, عن عكرِمة وَلَيالٍ عَشْرٍ قال: عشر ذي الحجة.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الأغرّ المنقريّ, عن خليفة بن حصين, عن أبي نصر, عن ابن عباس وَلَيالٍ عَشْرٍ قال: عشر الأضحى.
28659ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَلَيالٍ عَشْرٍ قال: عشر ذي الحجة.
28660ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلَيالٍ عَشْرٍ قال: كنا نحدّث أنها عشر الأضحى.
28661ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثَور, عن معمر, عن يزيد بن أبي زياد, عن مجاهد, قال: ليس عمل في ليال من ليالي السنة أفضل منه في ليالي العشر, وهي عشر موسى التي أتمّها الله له.
28662ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن أبي إسحاق, عن مسروق, قال: ليال العشر, قال: هي أفضل أيام السنة.
28663ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَلَيالٍ عَشْرٍ يعني: عشر الأضحى.
28664ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَيالٍ عَشْرٍ قال: أوّل ذي الحجة وقال: هي عشر المحرّم من أوّله.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أنها عشر الأضحى, لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه, وأن عبد الله بن أبي زياد القَطْوانيّ:

28665ـ حدثني قال: ثني زيد بن حباب, قال: أخبرني عياش بن عقبة, قال: ثني جُبير بن نعيم, عن أبي الزبير, عن جابر, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والفَجْرِ وَلَيالٍ عَشْرٍ, قال: عَشْرُ الأضْحَى».

وقوله: وَالشّفْعِ والْوَتْرِ وَاللّيْلِ إذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذلكَ قَسَمٌ اختلف أهل التأويل في الذي عُنِي به من الوتر بقوله: والْوَتْرِ فقال بعضهم: الشفع: يوم النحر, والوتر: يوم عرفة. ذكر من قال ذلك:

28666ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ وعبد الوهاب ومحمد بن جعفر, عن عوف, عن زُرارة بن أوفى, عن ابن عباس, قال: الوتر: يوم عرفة, والشفع: يوم الذبح.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: أخبرنا عوف, قال: حدثنا زرارة بن أوفى, قال: قال ابن عباس: الشفع: يوم النحر, والوَتر: يوم عرفة.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عفان بن مسلم, قال: حدثنا همام, عن قتادة, قال: قال عكرِمة, عن ابن عباس: الشفع: يوم النحر, والوَتر: يوم عرفة.

28667ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد الله, عن عكرِمة والشّفْعِ والْوَتْرِ قال: الشفع: يوم النحر, والوتر: يوم عرفة.

28668ـ وحدثنا به مرَّة أخرى, فقال: الشفع: أيام النحر, وسائر الحديث مثله.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: أخبرنا عاصم الأحول, عن عكرِمة في قوله: والشّفْعِ قال: يوم النحر والْوَتْرِ قال: يوم عرفة.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبيه, عن عكرِمة, قال: الشفع: يوم النحر, والوتر: يوم عرفة.

28669ـ قال: ثنا مهران, عن أبي سنان, عن الضحاك وَلَيالٍ عَشْرٍ, والشّفْعِ والْوَتْرِ قال: أقسم الله بهنّ لما يعلم من فضلهنّ على سائر الأيام, وخير هذين اليومين لما يُعلَم من فضلهما على سائر هذه الليالي. والشّفْعِ والْوَتْرِ قال: الشفع: يوم النحر, والوَتر: يوم عرفة.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان عكرِمة يقول: الشفع: يوم الأضحى, والوتر: يوم عرفة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: قال عكرِمة: عرفة وَتْر, والنحر شفع, عرفة يوم التاسع, والنحر يوم العاشر.

28670ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: والشّفْعِ يوم النحر والْوَتْرِ يوم عرفة.

وقال آخرون: الشفع: اليومان بعد يوم النحر, والوَتر: اليوم الثالث. ذكر من قال ذلك:

28671ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: والشّفْعِ والْوَتْرِ قال: الشفع: يومان بعد يوم النحر, والوتر: يوم النّفْر الآخِر, يقول الله: فَمَنْ تَعَجّلَ فِي يَوْمَينِ فَلا إثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تأخّرَ فَلا إثْمَ عَلَيْهِ.

وقال آخرون: الشفع: الخلق كله, والوتر: الله. ذكر من قال ذلك:

28672ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ قال: الله وتر وأنتم شفع, ويقال الشفع صلاة الغداة, والوتر صلاة المغرب.
28673ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ قال: كلّ خلق الله شفع, السماء والأرض, والبرّ والبحر, والجنّ والإنس, والشمس والقمر, والله الوَتر وحده.
28674ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: أخبرنا ابن جُريج, قال: قال مجاهد, في قوله: وَمِنْ كُلّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَينِ قال: الكفر والإيمان: والسعادة والشقاوة, والهدى والضلالة, والليل والنهار, والسماء والأرض, والجنّ والإنس, والوَتْر: الله قال: وقال في الشفع والوتر مثل ذلك.
28675ـ حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا محمد بن عبيد, قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح, في قوله وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ قال: خلق الله من كلّ شيء زوجين, والله وَتْر واحد صَمَد.
حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ قال: الشفع: الزوج, والوتر: الله.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن جابر, عن مجاهد وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ قال: الوتر: الله, وما خلق الله من شيء فهو شفع.
وقال آخرون: عُنِي بذلك الخلق, وذلك أن الخلق كله شفع ووتر.
28676ـ قال: ثنا ابن ثور, عن مَعْمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ قال: الخلق كله شفع ووتر, وأقسم بالخلق.
28677ـ قال: ثنا ابن ثور, عن معمر, قال: قال الحسن في ذلك: الخلق كله شفع والشَّفْعِ والْوَتْرِ قال: كان أبي يقول: كلّ شيء خلق الله شفع ووتر, فأقسم بما خلق, وأقسم بما تبصرون وبما لا تبصرون.
وقال آخرون: بل ذلك: الصلاة المكتوبة, منها الشفع كصلاة الفجر والظهر, ومنها الوتر كصلاة المغرب. ذكر من قال ذلك:
28678ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قال: كان عمران بن حصين يقول: الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ: الصلاة.
28679ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ قال عمران: هي الصلاة المكتوبة فيها الشفع والوتر.
28680ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ قال: ذلك صلاة المغرب, الشفع: الركعتان, والوتر: الركعة الثالثة.
وقد رفع حديث عمران بن حُصين بعضهم. ذكر من قال ذلك:
28681ـ حدثنا نصر بن عليّ, قال: ثني أبي, قال: ثني خالد بن قيس, عن قتادة, عن عمران بن عصام, عن عمران بن حصين, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في الشفع والوتر, قال: «هيَ الصّلاةُ مِنْها شَفْعٌ, وَمِنْها وَتْرٌ».
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عفان بن مسلم, قال: حدثنا همام, عن قتادة, أنه سُئل عن الشفع والوتر, فقال: أخبرني عمران بن عِصام الضّبَعي, عن

شيخ من أهل البصرة, عن عمران بـن حصـين, عـن النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسلم, قال: «هِيَ الصّلاةُ مِنْها شَفْعٌ, وَمِنْها وَتْرٌ».

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا همـام بـن يحيى, عن عمران بن عصام, عن شيخ مـن أهـل البصـرة, عـن عمـران بـن حصين: أن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم قـال فـي هـذه الآيـة وَالشّـفْعِ وَالْوَتْرِ قال: «هيَ الصّلاةِ مِنْها شَفْعٌ, وَمِنْها وَتْرٌ».

28682ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة وَالشّفْعِ وَالْوَتْرِ إن من الصلاة شفعا, وإن منها وترا.

28683ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عفان بن مسلم, قال: حدثنا همـام, عن قتادة, أنه سُئل عن الشفع والوتر, فقال: قال الحسن: هو العدد.

ورُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن أبي الزّبير. ذكر من قال ذلك:

28684ـ حدثنا عبد الله بن أبي زياد القَطْوَانيّ, قال: حدثنا زيد بن حُبـاب, قال: أخبرني عَياش بن عقبة, قال: ثني جبير بن نعيم, عن أبي الزبيـر, عـن جابر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الشّفْعُ: الْيَوْمـانِ, والْـوَتْرُ: الْيَوْمُ الْوَاحِدُ».

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر, ولم يخصص نوعا من الشفع ولا من الـوتر دون نـوع بخـبر ولا عقـل, وكلّ شفع ووتر فهو مما أقسم به, مما قال أهل التأويل إنه داخل في قسمه هذا, لعموم قسمه بذلك.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَالْوَتْرِ فقرأته عامة قرّاء المدينـة ومكـة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة بكسر الواو.

والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان مستفيضتان معروفتـان فـي قَرَأَة الأمصار, ولغتان مشهورتان في العرب, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: وَاللّيْلِ إذَا يَسْرِ يقول: والليل إذا سار فذهب, يقال منه: سرى فلان ليلاً يَسْرِي: إذا سار.

وقال بعضهم: عُنِي بقوله وَاللّيْلِ إذَا يَسْرِ ليلة جَمْع, وه ي ليلـة المزدلفـة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28685ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابـن وهـب, قـال: أخـبرني عمـر بـن قيس, عن محمد بن المرتفع, عن عبد الله بن الزبيـر وَاللّيْـلِ إذَا يَسْـرِ حـتى يُذْهِب بعضه بعضا.

28686ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَاللّيْلِ إذَا يَسْرِ يقول: إذا ذهب.

28687ـ حدثني محمد بن عُمارة, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قـال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد وَاللّيْلِ إذَا يَسْرِ قال: إذا سار.

28688ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي جعفر, عن الربيـع, عن أبي العالية وَاللّيْلِ إذَا يَسْرِ قال: والليل إذا سار.

28689ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَاللّيْلِ إذَا يَسْرِ يقول: إذا سار.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله وَاللّيْلِ إذَا يَسْرِ قال: إذا سار.

28690ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَاللَّيْلِ إذَا يَسْرِ قال: الليل إذا يسير.
28691ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن جابر, عن عكرِمة وَاللَّيْلِ إذَا يَسْرِ قال: ليلة جمع.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الشام والعراق يَسْرِ بغير ياء. وقرأ ذلك جماعة من القرّاء بإثبات الياء وحذف الياء في ذلك أعجب إلينا, ليوفق بين رؤوس الآي إذ كانت بالراء. والعرب ربما أسقطت الياء في موضع الرفع مثل هذا, اكتفاء بكسرة ما قبلها منها, من ذلك قول الشاعر:
لَيْسَ تَخْفَى يَسارَتِي قَدْرَ يَوْمٍوَلَقَدْ تُخْفِ شِيمَتِي إعْسارِي
وقوله: هَلْ فِي ذلكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ يقول تعالى ذكره: هل فيما أقسمت به من هذه الأمور مَقْنع لذي حِجر. وإنما عُنِي بذلك: إن في هذا القسم مكتفًى لمن عقل عن ربه, مما هو أغلظ منه في الأقسام. فأما معنى قوله: لِذِي حِجْرٍ: فإنه لذي حِجًى وذي عقل يقال للرجل إذا كان مالكا نفسه قاهرا لها ضابطًا: إنه لذو حَجَر, ومنه قولهم: حَجَر الحاكم على فلان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28692ـ حدثنا أبو كُريب وأبو السائب, قالا: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا قابوس بن أبي ظبيان, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: لِذِي حِجْرٍ قال: لذي النّهَى والعقل.
حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله لِذِي حِجْرٍ قال: لأولي النّهَى.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: هَلْ فِي ذلكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ قال: ذو الحِجْر والنّهى والعقل.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن قابوس بن أبي ظبيان, عن أبيه, عن ابن عباس قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ قال: لذي عقل, لذي نُهًى.
قال: ثنا مهران, عن سفيان, عن الأغرّ المِنقَريّ, عن خليفة بن الحصين, عن أبي نصر, عن ابن عباس قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ قال: لذي لُبّ, لذي حِجَى.
28693ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله هَلْ فِي ذلكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ قال: لذي عقل.
حدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لذي عقل لذي رأي.
حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد هَلْ فِي ذَلكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ قال: لذي لبّ, أو نُهًى.
حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا خلف بن خليفة, عن هلال بن خَبّاب, عن مجاهد, في قوله قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ قال: لذي عقل.
28694ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, عن الحسن هَلْ فِي ذَلكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ قال: لذي حِلْم.
28695ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: لِذِي حِجْرٍ قال: لذي حِجًى وقال الحسن: لذي لُبّ.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله هَلْ فِي ذلكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ لذي حِجًى, لذي عقل ولُبّ.

28696ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: هَلْ فِي ذلكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ قال: لذي عقل, وقرأ: لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ولأولي الألباب, وهم الذين عاتبهم الله, وقال: العقل واللّبّ واحد, إلاّ أنه يفترق في كلام العرب.

الآية : 6-11

القول في تأويل قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَدِ * وَثَمُودَ الّذِينَ جَابُواْ الصّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الأوْتَادِ * الّذِينَ طَغَوْاْ فِي الْبِلاَدِ }.

وقوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبّكَ بِعادٍ إرَمَ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر يا محمد بعين قلبك, فترى كيف فعل ربك بعاد؟.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: إرَمَ فقال بعضهم: هي اسم بلدة, ثم اختلف الذين قالوا ذلك في البلدة التي عُنِيت بذلك, فقال بعضهم: عُنيت به الإسكندرية. ذكر من قال ذلك:

28697ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري, عن أبي صخر, عن القُرَظي, أنه سمعه يقول: إرَمَ ذَاتِ الْعِمادِ الإسكندرية.

قال أبو جعفر, وقال آخرون: هي دِمَشق. ذكر من قال ذلك:

28698ـ حدثني محمد بن عبد الله الهلاليّ من أهل البصرة, قال: حدثنا عُبيد الله بن عبد المجيد, قال: حدثنا ابن أبي ذئب, عن المُقبري بِعادٍ إرَمَ ذَاتِ الْعِمادِ قال: دمشق.

وقال آخرون: عُني بقوله: إرَمَ: أمة. ذكر من قال ذلك:

28699ـ حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد قوله: إرَمَ قال: أمة.

وقال آخرون: معنى ذلك: القديمة. ذكر من قال ذلك:

28700ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إرَمَ قال: القديمة.

وقال آخرون: تلك قبيلة من عاد. ذكر من قال ذلك:

28701ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبّكَ بِعادٍ إرَمَ ذَاتِ الْعِمادِ قال: كنا نحدّث أن إرم قبيلة من عاد, بيت مملكة عاد.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: إرَمَ قال: قبيلة من عاد, كان يقال لهم: إرم, جدّ عاد. ذكر من قال ذلك:

28702ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبّكَ بِعادٍ إرَمَ يقول الله: بعاد إرم, إن عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح.

وقال آخرون إرَمَ: الهالك. ذكر من قال ذلك:

28703ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبّكَ بِعـادٍ إرَمَ يعنـي بـالإرم: الهالك ألا ترى أنك تقول: أُرِمَ بنو فلان.

28704ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: بِعـادٍ إرَمَ الهلاك ألا تـرى أنـك تقـول: أُرِمَ بنو فلان: أي هَلَكُوا.

والصواب من القول في ذلكَ: أن يُقال: إن إرم إما بلدة كانت عاد تسكنها, فلذلك ردّت على عاد للإتباع لها, ولم يُجْر من أجل ذلك, وإما اسم قبيلة فلم يُجْر أيضا, كما لا يُجْرى أسماء القبائل, كتميم وبكر, وما أشبه ذلـك إذا أرادوا به القبيلة. وأما اسم عاد فلم يجر, إذ كان اسما أعجميا.

فأما ما ذُكر عن مجاهد, أنه قال: عُنِي بذلك القديمة, فقـول لا معنـى لـه, لأن ذلك لو كان معناه لكان مخفوضا بالتنوين, وفي ترك الإجراء الدليل على أنه ليس بنعت ولا صفة.

وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي: أنها اسم قبيلة من عاد, ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها, وترك إجرائها, كما يقال: ألم تر ما فعـل ربـك بتميم نهشل؟ فيترك إجراء نهشل, وهي قبيلة, فترك إجراؤهـا لـذلك, وهـي في موضع خفض بالردّ على تميم, ولو كانت إرم اسم بلدة أو اسم جـدّ لعـاد لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها, كما يقـال: هـذا عمـرُو زبيـدٍ وحـاتمُ طيـء وأعشى هَمْدانَ, ولكنها اسم قبيلة منهـا, فيمـا أرى, كمـا قـال قتـادة, واللـه أعلم, فلذلك أجمعت القرّاء فيها على ترك الإضافة, وترك الإجراء.

وقوله: ذاتِ الْعِمادِ اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ذَاتِ الْعِمادِ في هذا الموضع, فقـال بعضـهم: معنـاه: ذات الطـول, وذهبـوا فـي ذلـك إلـى قـول العرب للرجل الطويل: رجل مُعَمّد, وقالوا: كانوا طوال الأجسـام. ذكـر مـن قال ذلك:

28705ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس ذاتِ الْعِمادِ يعني: طولهم مثل العماد.

28706ـ حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قـال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد قوله: ذَاتِ الْعِمادِ قال: كان لهـم جسم في السماء.

وقال بعضهم: بل قيل لهم ذَاتِ الْعِمـادِ لأنهـم كـانوا أهـل عَمَـد, ينتجِعـون الغيوث, وينتقلون إلى الكلإ حيث كان, ثم يرجعـون إلـى منـازلهم. ذكـر مـن قال ذلك:

28707ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: الْعِمادِ قال: أهل عَمود لا يقيمون.

28708ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة ذَاتِ الْعِمادِ قال: ذُكر لنا أنهم كانوا أهل عَمود لا يقيمون, سيارة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عـن معمـر, عـن قتـادة ذَاتِ الْعِمادِ قال: كانوا أهل عمود.

وقال آخرون: بل قيل ذلك لهم لبناء بناه بعضهم, فشيّد عَمَده, ورفع بناءه. ذكر من قال ذلك:

28709ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إرَمَ ذَاتِ الْعِمادِ قال: عاد قوم هود, بنَوها وعملوها حين كانوا في الأحقاف, قال: لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها مثل تلك الأعمال في البلاد. قال: وكذلك في الأحقاف في حضرموت, ثم كانت عاد قال: وثَمّ أحقاف الرمل كما قال الله بالأحقاف من الرمل, رمال أمثال الجبال, تكون مظلة مجوّفة.

وقال آخرون: قيل ذلك لهم لشّة أبدانهم وقواهم. ذكر من قال ذلك:

28710ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: ذَاتِ الْعِمادِ يعني: الشدّة والقوّة.

وأشبه الأقوال في ذلك بما دلّ عليه ظاهر التنزيل: قول من قال: عُنِي بذلك أنهم كانوا أهل عمود سيارة, لأن المعروف في كلام العرب من العماد, ما عُمد به الخيام من الخشب, والسواري التي يحمل عليها البناء, ولا يعلم بناء كان لهم بالعماد بخبر صحيح, بل وجّه أهل التأويل قوله: ذَاتِ الْعِمادِ إلى أنه عُنِي به طول أجسامهم, وبعضهم إلى أنه عُني به عماد خِيامهم, فأما عِماد البنيان, فلا يعلم كثير أحد من أهل التأويل وجهه إليه, وتأويل القرآن إنما يوجه إلى الأغلب الأشهر من معانيه, ما وُجد إلى ذلك سبيل, دون الأنكر.

وقوله: الّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي الْبِلادِ يقول جلّ ثناؤه: ألم تر كيف فعل ربك بعاد, إرم التي لم يخلق مثلها في البلاد, يعني: مثل عاد, والهاء عائدة على عاد. وجائز أن تكون عائدة على إرم, لما قد بيّنا قبلُ أنها قبيلة. وإنما عُنِي بقوله: لم يُخلق مثلها في العِظَم والبطش والأيْد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28711ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: الّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي الْبِلادِ: ذكر أنهم كانوا اثني عشر ذراعا طولاً في السماء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ذات العماد التي لم يُخلق مثلها في البلاد, لم يخلق مثل الأعمدة في البلاد, وقالوا: التي لم يخلق مثلها من صفة ذات العماد, والهاء التي في مثلها إنما هي من ذكر ذات العماد. ذكر من قال ذلك:

28712ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله, فذكر نحوه.

وهذا قول لا وجه له, لأن العماد واحد مذكر, والتي للأنثى, ولا يوصف المذكر بالتي, ولو كان ذلك من صفة العِماد لقيل: الذي لم يخلق مثله في البلاد, وإن جعلت التي لإرم, وجعلت الهاء عائدة في قوله: مِثْلُها عليها وقيل: هي دِمشق أو إسكندرية, فإن بلاد عاد هي التي وصفها الله في كتابه فقال: وَاذْكُرْ أخا عَادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأحْقافِ والأحقاف: هي جمع حِقْف, وهو ما انعطف من الرمل وانحنى, وليست الإسكندرية ولا دمشق من بلاد الرمال, بل ذلك الشّحْر من بلاد حضرموت, وما والاها.

وقوله: وَثَمُودَ الّذِينَ جابُوا الصّخْرَ بِالْوَادِ يقول: وبثمود الذي خرقوا الصخر ودخلوه, فاتخذوه بيوتا, كما قال جلّ ثناؤه وكانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتا آمِنِينَ والعرب تقول: جاب فلان الفلاة يجوبها جوبا: إذا دخلها وقطعها ومنه قول نابغة:

أتاكَ أبُو لَيْلَى يجُوبُ بِهِ الدّجَدُجَى اللّيلِ جَوّابُ الفَلاةِ عَمِيمُ

يعني بقوله: يجوب: يدخل ويقطع. وبنحو الـذي قلنـا فـي ذلـك قـال أهـل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28713ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, في قوله: وَثَمُودَ الّذِينَ جابُوا الصّخْرَ بِالْوَادِ يقول: فخرقوها.

28714ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَثَمُودَ الّذِينَ جابُوا الصّخْرَ بِالْوَادِ يعنـي: ثمـود قوم صالح, كانوا ينحِتون من الجبال بيوتا.

28715ـ حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قـال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد فـي قـوله: الّـذِينَ جـابُوا الصّـخْرَ بِالْوَادِ قال: جابوا الجبال, فجعلوها بيوتا.

28716ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: وَثَمُودَ الّذِينَ جابُوَا الصّخْرَ بالْوَادِ: جابوها ونحتوها بيوتا.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتـادة, قـال: جابُوا الصّخْرَ قال: نَقَبوا الصخر.

28717ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقـول فـي قـوله: جـابُوا الصّـخْرَ بِـالْوَادِ يقـول: قَـدّوا الحجارة.

28718ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: الّذِينَ جابُوا الصّخْرَ بِالْوَادِ: ضربوا البيوت والمساكن فـي الصـخر فـي الجبال, حتى جعلوا فيها مساكن, جابوا: جوّبوها, تجوّبوا البيوت فـي الجبـال قال قائل:

أَلا كُلّ شَيْءٍ ما خَلا اللّهَ بائِدُكمَا بادَ حَيّ مِنْ شَنِيقٍ وَمارِدِ
هُمُ ضَرَبُوا فِي كُلّ صَلاّءَ صَعْدَةٍبأيْدٍ شِدَادٍ أيّدَاتِ السّوَاعِدِ

وقوله: وَفِرْعَوْنَ ذِي الأوْتادِ يقول جلّ ثناؤه: ألم تر كيـف فعـل ربـك أيضـا بفرعون صاحب الأوتاد.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ذِي الأوْتادِ ولم قيل لـه ذلـك, فقـال بعضهم: معنى ذلك: ذي الجنود الذي يقوّون له أمره, وقالوا: الأوتاد في هـذا الموضع: الجنود. ذكر من قال ذلك:

28719ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَفِرْعُونَ ذِي الأوْتادِ قال: الأوتاد: الجنود الـذين يشدّون له أمره, ويقال: كان فرعون يُوتِد فـي أيـديهم وأرجلهـم أوتـادا مـن حديد, يعلقهم بها.

وقال آخرون: بل قيل له ذلك لأنه كان يُوتِد الناس بالأوتاد. ذكـر مـن قـال ذلك:

28720ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: ذِي الأوْتادِ قال: كان يوتد الناس بالأوتاد.

وقال آخرون: كانت مظال وملاعب يلعب له تحتها. ذكر من قال ذلك:

28721ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة وَفِرْعَوْنَ ذِي الأوْتادِ ذُكر لنا أنها كانت مظ ال وملاعـب يلعـب لـه تحتهـا, م ن أوتاد وحبال.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة ذِي الأَوْتادِ قال: ذي البناء كانت مظال يلعب له تحتها, وأوتادا تضرب له.

28722ـ قال: ثنا ابن ثور, عن معمر, عن ثابت البُنَـاني, عـن أبـي رافـع, قال: أوتد فرعون لامرأته أربعة أوتاد, ثم جعل على ظهرها رحا عظيمة حتى ماتت.

وقال آخرون: بل ذلك لأنه كان يعذّب الناس بالأوتاد. ذكر من قال ذلك:

28723ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن إسماعيل, عن محمود, عن سعيد بن جُبير وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتادِ قال: كان يجعل رجلاً هـا هنا, ورجلاً ها هنا, ويدا ها هنا, ويدا ها هنا بالأوتاد.

28724ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: ذِي الأَوْتادِ قال: كان يُوتد الناس بالأوتاد.

وقال آخرون: إنما قيل ذلك لأنه كان له بنيان يعذّب الناس عليه. ذكر مـن قال ذلك:

28725ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن إسماعيل, عن رجل, عن سـعيد بـن جُبَيـر وَفِرْعَـوْنَ ذِي الأَوْتادِ قال: كان لـه مَنـارات يعذّبهم عليها.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب, قول من قال: عُنِي بذلك: الأوتاد التي تُوتَد, من خشب كانت أو حديد, لأن ذلك هـو المعـروف مـن معـاني الأوتـاد, ووصف بذلك, لأنه إما أن يكون كان يعـذّب النـاس بهـا, كمـا قـال أبـو رافـع وسعيد بن جُبير, وإما أن يكون كان يُلْعب له بها.

وقوله: الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ يعنـي بقـوله جـلّ ثنـاؤه الـذين عـادا وثمـود وفرعون وجنده. ويعني بقوله: طَغَوْا: تجـاوزوا مـا أبـاحه لهـم ربهـم, وعتـوا على ربهم إلى ما حظره عليهم من الكفـر بـه وقـوله فِـي الْبِلادِ: الـتي كـانوا فيها.

الآية : 12-15

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{فَأَكْثَرُواْ فِيهَا الْفَسَـادَ * فَصَـبَّ عَلَيْهِـمْ رَبُّـكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ * فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّـهُ فَـأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّيَ أَكْرَمَنِ }.

يقول تعالى ذكره: فأكثروا في البلاد المعاصي, وركوب ما حرّم الله عليهم فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ يقول تعالى ذكره: فأنزل بهم يـا محمـد ربـك عذابَه, وأحلّ بهم نقمتَه, بما أفسدوا في البلاد, وطغَوْا على الله فيها. وقيل: فصَبّ عليهـم ربهـم سَـوط عـذاب. وإنمـا كـانت نِقَمـا تنـزل بهـم, إمـا ريحـا تُدَمرهم, وإما رَجفا يُدَمدم عليهم, وإما غَرَقا يُهلكهم, من غير ضرب بســوط ولا عصا, لأنه كان من أليم عذاب القوم الذين خوطبـوا بهـذا القـرآن, الجلـد بالسياط, فكثر استعمال القوم الخبر عن شدّة العذاب الذي يعذّب به الرجل منهـم, أن يقولـوا: ضُـرب فلان حـتى بالسّـياط, إلـى أن صـار ذلـك مثلاً, فاستعملوه في كلّ معذّب بنوع من العذاب شديد, وقالوا: صَبّ عليه سَــوط عذاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28726ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: سَوْطَ عَذَابٍ قال: ما عذّبوا به.

28727ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَصَبّ عَلَيْهِمْ رَبّكَ سَوْطَ عَذَابٍ قال: العذاب الذي عذّبَهم به سماه: سوط عذاب.

وقوله: إنّ رَبّكَ لَبِالمِرْصَادِ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن ربك يا محمد لهؤلاء الذين قصصت عليك قَصَصَهم, ولضُرَبائهم من أهل الكفر به, لبالمِرصاد يرصدهم بأعمالهم في الدنيا وفي الآخرة, على قناطر جَهَنم, ليكردسهم فيها إذا وردوها يوم القيامة.

واختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: معنى قوله: لَبِالمِرْصَادِ بحيث يرى ويسمع. ذكر من قال ذلك:

28728ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّ رَبّكَ لَبِالمِرْصَادِ يقول: يَرى ويسمع.

وقال آخرون: يعني بذلك أنه بمَرصد لأهل الظلم. ذكر من قال ذلك:

28729ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن المبارك بن مجاهد, عن جُويبر, عن الضحاك في هذه الآية, قال: إذا كان يوم القيامة, يأمر الربّ بكرسيه, فيوضع على النار, فيستوي عليه, ثم يقول: وعزّتي وجلالي, لا يتجاوزني اليوم ذو مَظلِمة, فذلك قوله: لَبِالمِرْصَادِ.

28730ـ قال: ثنا الحكم بن بشير, قال: حدثنا عمرو بن قيس, قال: بلغني أن على جهنم ثلاث قناطر: قنطرة عليها الأمانة, إذا مرّوا بها تقول: يا ربّ هذا أمين, يا ربّ هذا خائن وقنطرة عليها الرحِم, إذا مرّوا بها تقول: يا ربّ هذا واصل, يا ربّ هذا قاطع وقنطرة عليها الربّ إنّ رَبّكَ لَبِالمِرْصادِ.

28731ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان إنّ رَبّكَ لَبِالمِرْصَادِ يعني: جهنم عليها ثلاث قناطر: قنطرة فيها الرحمة, وقنطرة فيها الأمانة, وقنطرة فيها الربّ تبارك وتعالى.

28732ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن إنّ رَبّكَ لَبِالمِرْصَادِ قال: مِرْصاد عمل بني آدم.

وقوله: فَأمّا الإنْسانُ إذَا ما ابْتَلاهُ رَبّهُ يقول تعالى ذكره: فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم والغنى فَأكْرَمَهُ بالمال, وأفضل عليه, وَنَعّمَهُ بما أوسع عليه من فضله فَيَقُولُ رَبّي أكْرَمَنِ فيفرح بذلك, ويسرّ به ويقول: ربي أكرمني بهذه الكرامة, كما:

28733ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله فَأمّا الإنْسانُ إذَا ما ابْتَلاهُ رَبّهُ فَأكْرَمَهُ وَنَعّمَهُ فَيَقُولُ رَبّي أكْرَمَنِ وحقّ له.

الآية : 16-19

القول في تأويل قوله تعالى:{وَأَمّآ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبّيَ أَهَانَنِ * كَلاّ بَل لاّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلاَ تَحَاضّونَ عَلَىَ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التّرَاثَ أَكْلاً لّمّاً }.

وقوله: وَأمّا إذَا ما ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ يقول: وأما إذا ما امتحنه ربه بالفقر فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ يقول: فضيّق عليه رزقه وقَتّره, فلم يكثر ماله, ولم يوسع عليه فَيَقُولُ رَبّي أهانَنِ يقول: فيقول ذلك الإنسان: ربي أهانني, يقول: أذلني بالفقر, ولم يشكر الله على ما وهب له من سلامة جوارحه, ورزقه من العافية في جسمه.

28734ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَأمّا إذَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبّي أهانَنِي ما أسرع كفرَ ابن آدم.

28735ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, قـوله: فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ قال: ضَيّقه.

واختلفت القرّاء في قـراءة قـوله فَقَـدَرَ عَلَيْـهِ رِزْقَـهُ فقـرأت عامـة قـرّاء الأمصار ذلك بالتخفيف, فقَدَر: بمعنى فقـتر, خلا أبـي جعفـر القـارىء, فـإنه قرأ ذلك بالتشديد: «فَقَدّر». وذُكر عن أبي عمرو بـن العلاء أنـه كـان يقـول: قدّر, بمعنى يعطيه ما يكفيه, ويقول: لو فعل ذلك به ما قال ربي أهانني.

والصواب من قراءة ذلك عندنا بالتخفيف, لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: كَلاّ بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله: كَلاّ في هذا الموضع, وما الذي أنكـر بـذلك, فقـال بعضـهم: أنكـر جـلّ ثنـاؤه أن يكون سبب كرامته من أكرم كثرة ماله, وسبب إهانته مـن أهـان قلـة مـاله. ذكر من قال ذلك:

28736ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأمّا إذَا ما ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيقُولُ رَبّي أهانني مـا أسـرع مـا كفـر ابـن آدم يقول الله جلّ ثناؤه: كلاَ إني لا أكرم من أكرمت بكـثرة الـدنيا, ولا أهيـن من أهنت بقلتها, ولكن إنما أُكـرم مـن أكرمـت بطـاعتي, وأُهيـن مـن أهنـت بمعصيتي.

وقال آخرون: بل أنكر جلّ ثناؤه حمد الإنسان ربه على نِعمـه دون فقـره, وشكواه الفاقة. وقالوا: معنى الكلام: كلاّ, أي لم يكن ينبغي أن يكون هكـذا, ولكن كان ينبغي أن يحمده على الأمرين جميعا, على الغنى والفقر.

وأولى القولين في ذلك بالصواب: القول الذي ذكرناه عـن قتـادة, لدلالـة قوله بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ والآيات التي بعدها, على أنه إنمـا أهـان مـن أهـان بأنه لا يكرم اليتيم, ولا يَحُضّ علـى طعـام المسـكين, وسـائر المعـاني الـتي عدّد, وفي إبانته عن السبب الذي من أجله أهان من أهان, الدلالة الواضـحة على سبب تكريمه من أكرم, وفي تبيينه ذلك عَقيب قوله: فَأمّـا الإنْسـانُ إذَا ما ابْتَلاهُ رَبّهُ فَأكْرَمَهُ وَنَعّمَهُ فَيَقُولُ رَبّي أكْرَمَنِ وَأمّا إذَا مـا ابْتَلاهُ فَقَـدَرَ عَلَيْـهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبّي أهانَنِ بيان واضح عن الذي أنكر من قوله ما وصفنا.

وقوله: بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ يقول تعالى ذكره: بل إنما أهنت من أَهَنت من أجـل أنـه لا يكـرم اليـتيم, فـأخرج الكلام علـى الخطـاب, فقـال: بـل لسـتم تكرمون اليتيم, فلذلك أهنتكم وَلا تَحَاضّونَ عَلى طَعامِ المِسْكِينِ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه من أهل المدينة أبو جعفـر وعامـة قرّاء الكوفة بَلْ لا تُكْرِمونَ الْيَتِيـمَ وَلا تَحَاضّـونَ بالتـاء أيضـا وفتحهـا, وإثبـات الألف فيها, بمعنى: ولا يحضّ بعضكم بعضا على طعام المسكين. وقرأ ذلـك بعض قـرّاء مكـة وعامـة قـرّاء المدينـة, بالتـاء وفتحهـا وحـذف الألـف: «وَلا تَحُضّـونَ» بمعنـى: ولا تـأمرون بإطعـام المسـكين. وقـرأ ذلـك عامـة قـرّاء البصرة: «يَحُضّونَ» بالياء وحذف الألف, بمعنـى: ولا يكـرم القـائلون إذا مـا ابتلاه ربه فأكرمه ونعمـه ربـي أكرمنـي, وإذا قـدر عليـه رزقـه ربـي أهـانني اليتيم, «وَلا يَحُضّونَ عَلى طَعامِ المِسْكِينِ» وكـذلك يقـرأ الـذين ذكرنـا مـن أهل البصرة «يُكْرِمُونَ» وسائر الحروف معها بالياء, علـى وجـه الخـبر عـن الذين ذكرت. وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأ: «تُحاضّونَ» بالتاء وضمها وإثبات الألف, بمعنى: ولا تحافظون.

والصواب من القول في ذلك عندي: أن هذه قراءات معروفات في قراءة الأمصار, أعني القراءات الثلاث صحيحات المعاني, فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: وتَأكُلُونَ التّرَاثَ أكْلاً لَمّا يقول تعالى ذكره: وتأكلون أيها الناس الميراث أكلاً لمّا, يعني: أكلاً شديدا, لا تتركون منه شيئا, وهو من قولهم: لممت ما على الخِوان أجمع, فأنا ألمه لمّا: إذا أكلت ما عليه, فأتيت على جميعه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28737ـ حدثني عمرو بن سعيد بن يسار القرشيّ, قال: حدثنا الأنصاريّ, عن أشعث, عن الحسن وَتأكُلُونَ التّرَاثَ أكْلاً لَمّا قال: الميراث.

28738ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَتأكُلُونَ التّرَاثَ أي الميراث.

وكذلك في قوله: أكْلاً لَمّا. ذكر من قال ذلك:

28739ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, وَتأكُلُونَ التّرَاثَ أكْلاً لَمّا يقول: تأكلون أكلاً شديدا.

28740ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن يونس, عن الحسن, في قوله: وَتأكُلُونَ التّرَاثَ أكْلاً لَمّا قال: نصيبه ونصيب صاحبه.

28741ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قوله: أكْلاً لَمّا قال: اللمّ: السفّ, لفّ كل شيء.

28742ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أكْلاً لَمّا: أي شديدا.

28743ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أكْلاً لَمّا يقول: أكلاً شديدا.

28744ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: وتَأكُلُونَ التّرَاثَ أكْلاً لَمّا قال: الأكل اللمّ: الذي يأكل كلّ شيء يجده ولا يسأل, فأكل الذي له, والذي لصاحبه. كانوا لا يُوَرّثون النساء, ولا يورّثون الصغار, وقرأ: يَسْتَفْتُونَكَ فِي النّساءِ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنّ وَما يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الكِتابِ في يَتامَى النّساءِ اللاّتِي لا تُؤْتُونَهُنّ ما كُتِبَ لَهُنّ وتَرْغَبُونَ أنْ تَنْكِحُوهُنّ والمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ: أي لا تورّثونهنّ أيضا أكْلاً لَمّا يأكل ميراثه, وكلّ شيء لا يسأل عنه, ولا يدري أحلال أو حرام.

28745ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس تَأكُلُونَ التّرَاثَ أكْلاً لَمّا. يقول: سَفّا.

28746ـ حدثني ابن عبد الرحيم البرقيّ, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة البستيّ, عن زُهير, عن سالم, قال: قد سمعت بكر بن عبد الله يقول في هذه الآية: وَتأكُلُونَ التّرَاثَ أكْلاً لَمّا قال: اللمّ: الاعتداء في المِيراث, يأكل ميراثه وميراث غيره.

الآية : 20-23

القول في تأويل قوله تعالى:{وَتُحِبّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً * كَلاّ إِذَا دُكّتِ الأرْضُ دَكّاً دَكّاً * وَجَاءَ رَبّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكّرُ الإِنسَانُ وَأَنّىَ لَهُ الذّكْرَىَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: وَتُحِبّونَ المَالَ حُبّا جَمّا وتحبون جمع المال أيها الناس واقتناءه حبا كثيرا شديدا من قولهم: قد جمّ الماء في الحوض: إذا اجتمع, ومنه قول زُهير بن أبي سلمى:

فَلَمّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقا جِمامُهُوَضَعْنَ عِصِيّ الْحاضِرِ المُتَخَيّمِ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28747ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: وتُحِبّونَ المَالَ حُبّا جَمّا يقول: شديدا.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وتُحِبّونَ المَالَ حُبّا جَمّا فيحبون كثرة المال.

28748ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: حُبّا جَمّا قال: الجمّ: الكثير.

28749ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وتُحِبّونَ المَالَ حُبا جَمّا: أي حبا شديدا.

28750ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: حُبّا جَمّا: يحبون كثرة المال.

28751ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وتُحِبّونَ المَالَ حُبّا جَمّا قال: الجمّ: الشديد.

ويعني جلّ ثناؤه بقوله: كَلاّ: ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر. ثم أخبر جلّ ثناؤه عن ندمهم على أفعالهم السيّئة في الدنيا, وتلهّفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم الندم, فقال جلّ ثناؤه: إذَا دُكّت الأرْضُ دَكّا دكّا يعني: إذا رجت وزُلزلت زلزلة, وحرّكت تحريكا بعد تحريك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28752ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله إذَا دُكّتِ الأرْضُ دَكّا دَكّا يقول: تحريكها.

28753ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني حرملة بن عمران, أنه سمع عمر مولى عُفْرة يقول: إذا سمعت الله يقول كلا, فإنما يقول: كذبت.

وقوله: وَجاءَ رَبّكَ وَالمَلَكُ صَفّا صَفّا يقول تعالى ذكره: وإذا جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفا صفا بعد صفّ, كما:

28754ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر وعبد الوهاب, قالا: حدثنا عوف, عن أبي المِنهال, عن شهر بن حوشب, عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إذا كان يوم القيامة مدّت الأرض مدّ الأديم, وزيد في سعتها كذا وكذا, وجمع الخلائق بصعيد واحد, جنهم وإنسهم. فإذا كان ذلك اليوم قيضت هذه السماء الدنيا عن أهلها على وجه الأرض, ولأهل السماء وحدهم أكثر من أهل الأرض جنهم وإنسهم بضعف, فإذا نثروا على وجه الأرض فزِعوا منهم, فيقولون: أفيكم ربنا: فيفزعون من قولهم, ويقولون: سبحان ربنا ليس فينا, وهو آت ثم تقاض السماء الثانية, ولأهل السماء الثانية وحدهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع أهل الأرض بضعف جنهم وإنسهم, فإذا نثروا على وجه الأرض فزع إليهم أهل الأرض, فيقولون: أفيكم ربنا؟ فيفزعون من قولهم ويقولون: سبحان ربنا ليس فينا, وهو آت ثم تقاضُ السموات سماء سماء, كلما قيضت سماء عن أهلها كانت أكثر من

أهل السموات التي تحتها, ومن جميع أهل الأرض بضعف, فإذا نثروا على وجه الأرض, فزِع إليهم أهل الأرض, فيقولون لهم مثل ذلك, ويرجعون إليهم مثل ذلك, حتى تُقاض السماء السابعة, فلأهل السماء السابعة أكثر من أهل ستّ سموات, ومن جميع أهل الأرض بضعف, فيجيء الله فيهم والأمم جِثِيّ صفوف, وينادي مناد: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم, ليقم الحمادون لله على كل حال قال: فيقومون فيسرحون إلى الجنة ثم ينادي الثانية: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم, أين الذين كانت تتجافَى جنوبُهم عن المضاجع, يدعون ربهم خوفا وطمعا, ومما رزقناهم ينفقون؟ فيسرحون إلى الجنة ثم ينادي الثالثة: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم: أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله, وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة, يخافون يوما تتقلّب فيه القلوب والأبصار, فيقومون فيسرحون إلى الجنة فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة خرج عُنُق من النار, فأشرف على الخلائق, له عينان تبصران, ولسان فصيح, فيقول: إني وُكِّلت منكم بثلاثة: بكلّ جبار عنيد, فيلقُطهم من الصفوف لقط الطير حبّ السمسم, فيحبس بهم في جهنم, ثم يخرج ثانية فيقول: إني وكلت منكم بمن آذى الله ورسوله فيلقطهم لقط الطير حبّ السمسم, فيحبس بهم في جهنم, ثم يخرج ثالثة, قال عوف, قال أبو المنهال: حسبت أنه يقول: وكلت بأصحاب التصاوير, فيلتقطهم من الصفوف لقطَ الطير حبّ السمسم, فيحبس بهم في جهنم, فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة, ومن هؤلاء ثلاثة, نُشرت الصحف, ووُضعت الموازين, ودُعي الخلائق للحساب.

28755ـ حدثني موسى بن عبد الرحمن قال: حدثنا أبو أُسامة, عن الأجلح, قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول: إذا كان يوم القيامة, أمر الله السماء الدنيا بأهلها, ونزل من فيها من الملائكة, وأحاطوا بالأرض ومن عليها, ثم الثانية, ثم الثالثة, ثم الرابعة, ثم الخامسة, ثم السادسة, ثم السابعة, فصفوا صفا دون صفّ, ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنم, فإذا رآها أهل الأرض ندّوا, فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلاّ وجدوا سبعة صفوف من الملائكة, فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه, فذلك قول الله: إنّي أخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التّنادِ يَوْمَ تُوَلّونَ مُدْبِرِينَ مالَكُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ عاصِمٍ, وذلك قوله: وَجاءَ رَبّكَ وَالمَلَكُ صَفّا صَفّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنّمَ وقوله: يا مَعْشَرَ الجِنّ وَالإنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السّمَوَاتِ وَالأرْضِ فانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إلاّ بِسُلْطانٍ, وذلك قول الله: وَانْشَقّتِ السّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالمَلَكُ على أرْجائِها.

28756ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ, عن إسماعيل بن رافع المدني, عن يزيد بن أبي زياد, عن محمد بن كعب القُرَظي, عن رجل من الأنصار, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تُوْقَفُونَ مَوْقِفا وَاحِدا يَوْمَ الْقِيامَةِ مِقْدَارَ سَبْعِينَ عاما لا يُنْظَرُ إلَيْكمْ وَلا يُقْضَى بَيْنَكمْ. قَدْ حُصِرَ عَلَيْكمْ, فَتَبْكُونَ حتى يَنْقَطِعَ الدّمْعُ, ثُمّ تَدْمَعُونَ دَما, وَتَبْكُونَ حتى يَبْلُغَ ذلكَ مِنْكمْ الأذْقانَ, أوْ يُلْجِمَكُمْ فَتَضُجّونَ, ثُمّ تَقُولُونَ مَنْ يَشْفَعْ لَنا إلى رَبّنا, فَيَقْضِيَ بَيْنَنا, فَيَقُولُونَ مَنْ أحَقّ بِذلكَ مِنْ أبِيكمْ؟ جَعَلَ اللّهُ تُرْبَتَهُ, وَخَلْقَهُ بِيَدِهِ, وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ, وكَلّمَهُ قَبْلاً, فَيُؤْتَى آدَمُ صَلى اللّهُ عليهِ وسلّمَ فَيُطْلَبُ ذلكَ إلَيْهِ, فَيأبَى, ثُمّ يَسْتَقْرُونَ الأنْبِياءَ نَبِيّا نَبِيّا, كُلّما جاءُوا نَبِيّا أبى» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حتى

يأْتُونِي, فإذَا جاءُونِي خَرَجْتُ حتى آتِي الفَحْصَ». قال أبو هريرة: يا رسول الله, ما الفحص؟ قال: «قُدّامَ العَرْشِ, فأخِرّ ساجِدا, فَلا أزَالُ ساجِدا حتى يَبْعَثَ اللّهُ إليّ مَلَكا, فَيأخُذَ بعَضُدِي, فَيرْفَعَنِي ثُمّ يَقُولُ اللّهُ لي: مُحَمدُ, وَهُوَ أعْلَمُ, فأقُولُ: نَعَمْ, فَيَقُولُ: ما شأْنُكَ؟ فأقول: يا رَبّ وَعَدْتَنِي الشّفاعَةَ, شَفّعْنِي فِي خَلْقِكَ فاقْضِ بَيْنَهُمْ, فَيَقُولُ: قَدْ شَفّعْتُكَ, أنا آتِيكُمْ فأقَضِي بَيْنَكمْ». قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فأنْصَرِفُ حتى أقِفَ مَعَ النّاس, فَبَيْنا نَحْنُ وُقُوفٌ, سَمِعْنا حِسّا مِنَ السّماءِ شَدِيدا, فَهالَنا, فَنزَلَ أهْلُ السّماءُ الدّنْيا بِمِثْلَيْ مَنْ فِي الأرْضِ مِنَ الجِنّ والإنْسِ, حتى إذَا دَنَوْا مِنَ الأرْضِ, أشْرَقَتِ الأرْضُ بِنُورِهِمْ, وأخَذُوا مَصَافّهُمْ, وَقُلْنا لَهُمْ: أفِيكُمْ رَبّنا؟ قالُوا: لا, وَهُوَ آتٍ. ثُمّ يَنْزِلُ أهْلُ السّماءِ الثّانِيَةِ بِمِثْلَيْ مَنْ نَزَلَ مِنَ المَلائِكَةِ, وَبِمِثْلَيْ مَنْ فِيها مِنَ الجِنّ وَالإنْسِ, حتى إذَا دَنَوْا مِنَ الأرْضِ, أشْرَقَتِ الأرْضُ بِنُورِهِمْ, وأخَذُوا مَصَافّهُمْ, وَقُلْنا لَهُمْ: أفِيكُمْ رَبّنا: قالُوا: لا, وَهُوَ آتٍ. ثُمّ نَزَلَ أهْلُ السّمَوَاتِ عَلى قَدْرِ ذلكَ مِنَ الضّعْفِ, حتى نَزَلَ الجَبّارُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ وَالمَلائِكَةِ, ولَهُمَ زَجَلٌ مِنْ تَسْبِيحِهِمْ, يَقُولُونُ: سُبْحانَ ذي المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ سُبْحانَ رَبّ العَرْشِ ذِي الجَبرُوتِ سُبْحانَ الْحَيّ الّذِي لا يَمُوتُ سُبْحانَ الّذي يُمِيتُ الخَلائِقُ وَلا يَمُوتُ سُبّوحٌ قُدّوسٌ رَبّ المَلائِكَةِ وَالرّوحِ قُدّوسٌ قُدُوسٌ, سُبْحانَ رَبّنا الأعْلَى سُبْحانَ ذِي الجَبرُوتِ وَالمَلَكُوتِ والْكِبْرِياءِ والسّلْطانِ والعَظَمَةِ سُبْحانَهُ أبَدا أبَدا يَحْمِلُ عَرْشَهُ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ, وَهُمُ اليَوْمَ أرْبَعَةٌ, أقْدامُهُمْ على تُخُومِ الأرْضِ السّفْلَى والسّمَوَاتِ إلى حُجَزِهِمْ, وَالعَرْشُ عَلى مَناكِبِهِمْ, فَوَضَعَ اللّهُ عَرْشَهُ حَيْثُ شاء مِنَ الأرْضِ, ثُمّ يُنادِي بِنِدَاء يُسْمِعُ الخَلائِقَ, فَيَقُولُ: يا مَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ, إنّي قَدْ أنْصَتّ مُنْذُ يَوْم خَلَقْتُكُمْ إلى يَوْمِكُمْ هَذَا, أسْمَعُ كَلامَكُمْ, وأبْصِرُ أعمالَكُمْ, فأنْصِتُوا إليّ, فإنّمَا هِيَ صُحُفُكُمْ وأعمالُكمْ تُقْرأ عَلَيْكُمْ, فَمَنْ وَجَدَ خَيْرا فَلْيَحْمَدِ اللّهِ, وَمَنْ وَجَد غيرَ ذلكَ فَلا يَلُومَنّ إلاّ نَفْسَهُ. ثُمّ يأمُرُ اللّهُ جَهَنّمَ فَتُخْرِجُ مِنْها عُنُقا ساطِعا مُظْلِما, ثُمّ يَقُولُ اللّهُ: ألَمْ أعْهَدْ إلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أنْ لا تَعْبُدُوا الشّيْطانَ..., إنّه لَكُمْ عَدُوّ مُبِينٌ إلى قوله: هَذِهِ جَهَنّمُ التي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ وَامْتازُوا الْيَوْمَ أيّها المُجْرِمُونَ فيتميز الناس ويَجْثُونَ, وَهِيَ التي يَقُولُ اللّهُ: وَتَرَى كُلّ أمّةٍ جاثِيَةٍ كُلّ أُمّةٍ تُدْعَى إلى كِتابِها, الْيَوْمَ... الآية, فَيَقْضِي اللّهُ بَينَ خَلْقِهِ, الجِنّ والإنْسَ وَالْبَهائمَ, فإنّهُ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ للجَمّاءِ مِنْ ذَاتِ القُرُونِ, حتى إذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لأُخْرَى, قال اللّهُ: كُونُوا تُرَابا, فَعِنْدَ ذلكَ يَقُولُ الكافِرُ: يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابا, ثُمّ يَقْضِي اللّهُ سُبْحانَهُ بَينَ الجِنّ والإنْس».

28757ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَجاءَ رَبّكَ وَالمَلَكُ صَفّا صَفّا: صفوف الملائكة.

وقوله: وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنّمَ يقول تعالى ذكره: وجاء الله يومئذٍ بجهنم, كما:

28758ـ حدثنا الحسن بن عرفة قال: حدثنا مروان الفزاريّ, عن العلاء بن خالد الأسديّ, عن شقيق بن سلمة, قال: قال عبد الله بن مسعود, في قوله: وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنّمَ قال: جيء بها تُقاد بسبعين ألف زمام, مع كلّ زمام سبعون ألف ملك يقودونها.

28759ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن عاصم قال: بَهدلة, عن أبي وائل: وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنّمَ قال: يُجاء بها يوم القيامة تُقاد بسبعين ألف زمام, مع كلّ زمام سبعون ألف ملك.

28760ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: حـدثنا عمـرو بن قيس, عن قتادة, قال: جنَبـتيه: الجنـة والنـار قـال: هـذا حيـن ينـزل مـن عرشه إلى كرسيه, لحساب خلقه, وقرأ: وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنّمَ.
28761ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهنّمَ قال: جيء بها مزمومة.
وقوله: يَوْمَئِذٍ يَتَذَكّرُ الإنْسـانُ يقـول تعـالى ذكـره: يومئـذٍ يتـذكر الإنسـان تفريطه في الدنيا في طاعة الله, وفيما يقرّب إليه من صالح الأعمـال وَأنّـى لَهُ الذّكْرَى يقول: من أيّ وجه له التذكير. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهـل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28762ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح قال: ثني معاوية, عـن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: وَأنّى لَهُ الذّكْرَى؟ يقول: وكيف له؟

الآية : 24-30

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {يَقُولُ يَلَيْتَنِـي قَـدّمْتُ لِحَيَـاتِي * فَيَوْمَئِـذٍ لاّ يُعَذّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ * يَأيّتُهَا النّفْسُ الْمُطْمَئِنّةُ * ارْجِعِي إِلَىَ رَبّكِ رَاضِيَةً مّرْضِيّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنّتِي }.
وقوله: يا لَيْتَنِي قَدّمْتُ لِحيَاتِي يقول تعالى ذكره مخبرا عن تلهّف ابن آدم يوم القيامة, وتندّمه على تفريطه في الصّالِحات من الأعمال في الدنيا الـتي تورثه بقاء الأبد, في نعيم لا انقطاع له: يا ليتني قدمت لحياتي في الدنيا مـن صالح الأعمال لحياتي هذه, التي لا موت بعدها, ما ينجيني مـن غضـب اللـه, ويوجب لي رضوانه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28763ـ حدثنا ابـن بشـار, قـال: حـدثنا هَـوذة, قـال: حـدثنا عـوف, عـن الحسن, في قوله: يَوْمَئِذٍ يَتَـذَكّرُ الإنْسـانُ وأنّـى لَـهُ الـذّكْرَى يَقُـولُ يـا لَيْتَنِـي قَدّمْتُ لِحَياتِي قال: علم الله أنه صادق, هناك حياة طويلة لا موت فيهـا آخـر ما عليه.
28764ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا لَيْتَنِي قَدّمْتُ لِحَياتِي: هُناكُم والله الحياة الطويلة.
28765ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: يا لَيْتَنِي قَدّمْتُ لِحَياتِي قال: الآخرة.
وقوله: فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ أجمعت القرّاء قرّاء الأمصار في قراءة ذلك على على كسر الذال من يعـذّب, والثـاء مـن يوثِـق, خلا الكسائي, فإنه قرأ ذلك بفتـح الـذال والثـاء, اعتلالاً منـه بخـبر رُوي عـن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأه كذلك, واهي الإسناد.
28766ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن خارجة, عن خالد الحذّاء, عن أبي قِلابة, قال: ثني من أقرأه النبيّ صلى الله عليه وسـلم: «فَيَوْمَئِـذٍ لا يُعَذّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ».
والصواب من القول في ذلك عندنا: ما عليه قـرّاء الأمصـار, وذلـك كسـر الذال والثاء, لإجماع الحجة من القرّاء عليه. فـإذَا كـان ذلـك كـذلك, فتأويـل الكلام: فيومئذٍ لا يعذّب بعذاب الله أحد فـي الـدنيا, ولا يوثـق كوثـاقه يومئـذٍ أحد في الدنيا. وكذلك تأوّله قارئو ذلك كذلك من أهل التأويل. ذكر مـن قـال ذلك:

28767ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذّبُ عَذَابَهُ أحَدٌ ولا يوثِق كوثاق الله أحد.
28768ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذّبُ عَذَابَهُ أحَدٌ وَلا يُوثِقُ وَثاقَهُ أحَدٌ قال: قد علم الله أن في الدنيا عذابا وَوَثاقا, فقال: فيومئذٍ لا يعذّب عذابه أحد في الدنيا, ولا يُوثِق وثاقه أحد في الدنيا.
وأما الذي قرأ ذلك بالفتح, فإنه وجّه تأويله إلى: فيومئذٍ لا يعذّب أحد في الدنيا كعذاب الله يومئذٍ, ولا يوثَق أحد في الدنيا كوثاقه يومئذٍ. وقد تأوّل ذلك بعض من قرأ ذلك كذلك بالفتح من المتأخرين: فيومئذٍ لا يعذّب عذاب الكافر أحَد ولا يُوثَق وَثاق الكافر أحد. وقال: كيف يجوز الكسر, ولا معذّب يومئذٍ سوى الله وهذا من التأويل غلط. لأن أهل التأويل تأوّلوه بخلاف ذلك. مع إجماع الحجة من القراء على قراءته بالمعنى الذي جاء به تأويل أهل التأويل, وما أحسبه دعاه إلى قراءة ذلك كذلك, إلاّ ذهابه عن وجه صحته في التأويل.
وقوله: يا أيّتُها النّفْسُ المُطْمَئنّةُ ارْجِعي إلى رَبّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيّةً يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملائكة لأوليائه يوم القيامة: يا أيتها النفس المطمئنة, يعني بالمطمئنة: التي اطمأنت إلى وعد الله الذي وعد أهل الإيمان به, في الدنيا من الكرامة في الآخرة, فصدّقت بذلك.
وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:
28769ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس يا أيّتُها النّفْسُ المُطْمَئِنّةُ يقول: المصدّقة.
28770ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّتُها النّفْسُ المُطْمَئِنّةُ هو المؤمن اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله.
28771ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة والحسن, في قوله يا أيّتُها النّفْسُ المُطْمَئِنّةُ قال: المطمئنة إلى ما قال الله, والمصدّقة بما قال.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: المصدّقة الموقِنة بأن الله ربها, المسلمة لأمره فيما هو فاعل بها. ذكر من قال ذلك:
28772ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, في قوله: يا أيّتُها النّفْسُ المُطْمَئِنّةُ قال: النفس التي أيقنت أن الله ربها, وضربت جأشا لأمره وطاعته.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد يا أيّتُها النّفْسُ المُطْمَئِنّةُ قال: أيقنت بأن الله ربّها, وضربت لأمره جأشا.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد يا أيّتُها النّفْسُ المُطْمَئِنّةُ قال: المنيبة المخبتة التي قد أيقنت أن الله ربها, وضربت لأمره جأشا.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد يا أيّتُها النّفْسُ المُطْمَئِنّة قال: أيقنت بأن الله ربها, وضربت لأمره جأشا.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: المُطْمَئِنّةُ قال: المُخبِتة والمطمئنة إلى الله.

حدثنا أبو كريب قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد يا أيّتُها النّفْسُ المُطْمَئِنّةُ قال: التي قد أيقنت بأن الله ربها, وضربت لأمره جأشا.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله يا أيّتُها النّفْسُ المُطْمَئِنّةُ قال: المخبِتة.

حدثني سعيد بن الربيع الرازي, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد يا أيّتُها النّفْسُ المُطْمَئِنّةُ قال: التي أيقنت بلقاء الله, وضربت له جأشا.

وذُكر أن ذلك في قراءة أُبيّ: «يا أيّتُها النّفْسُ الآمِنَةُ». ذكر الرواية بذلك:

28773ـ حدثنا خلاد بن أسلم, قال: أخبرنا النضر, عن هارون القاري, قال: ثني هلال, عن أبي شيخ الهنائي في قراءة أُبيّ: «يا أيّتُها النّفْسُ الآمِنَةُ المُطْمِئَنّةُ» وقال الكلبي: إن الآمنة في هذا الموضع, يعني به المؤمنة.

وقيل: إن ذلك قول الملك للعبد عند خروج نفسه مبشره برضا ربه عنه, وإعداده ما أعدّ له من الكرامة عنده. ذكر من قال ذلك:

28774ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن جعفر, عن سعيد, قال: قُرئت: يا أيّتُها النّفْسُ المُطْمَئِنّةُ ارْجِعي إلى رَبّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيّةً عند النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال أبو بكر: إن هذا لحسن, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إنّ المَلَكَ سَيَقُولُهَا لك عِنْدَ المَوْتِ».

28775ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح ارْجِعي إلى رَبّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيّةً قال: هذا عند الموت فادْخُلِي فِي عِبادِي قال هذا يوم القيامة.

وقال آخرون في ذلك بما:

28776ـ حدثنا به أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أُسامة بن زيد, عن أبيه, في قوله: يا أيّتُها النّفْسُ المُطْمَئِنّةُ قال: بُشّرت بالجنة عند الموت, ويوم الجمع, وعند البعث.

وقوله: ارْجِعي إلى رَبّكِ اختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: هذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن قيل الملائكة لنفس المؤمن عند البعث, تأمرها أن ترجع في جسد صاحبها قالوا: وعُنِي بالردّ هاهنا صاحبها. ذكر من قال ذلك:

28777ـ حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يا أيّتُها النّفْسُ المُطْمَئِنّةُ ارْجِعي إلى رَبّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيّةً قال: تردّ الأرواح المطمئنة يوم القيامة في الأجساد.

28778ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فادْخُلِي فِ ي عبادِي وَادْخُلِي جَنّتِي يأمر الله الأرواح يوم القيامة أن ترجع إلى الأجساد, فيأتون الله كما خلقهم أوّل مرّة.

28779ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, عن أبيه, عن عكرِمة في هذه الآية: ارْجِعي إلى رَبّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيّةً إلى الجسد.

وقال آخرون: بل يقال ذلك لها عند الموت. ذكر من قال ذلك:

28780ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح ارْجِعي إِلَى رَبّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيّةً قال: هذا عند الموت فادْخُلِي فِي عِبادِي قال: هذا يوم القيامة.

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن عباس والضحاك, أن ذلك إنما يقال لهم عند ردّ الأرواح في الأجساد يوم البعث لدلالة قوله: فادْخُلِي فِي عِبادِي وادْخُلِي جَنّتِي.

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: فادخلي في عبادي الصالحين, وادخلي جنتي. ذكر من قال ذلك:

28781ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فادْخُلِي فِي عِبادِي قال: ادخلي في عبادي الصالحين وَادْخُلِي جَنّتِي.

وقال آخرون: معنى ذلك: فادْخُلِي في طَاعَتِي وَادخُلِي جَنّتِي. ذكر من قال ذلك:

28782ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن نعيم بن ضمضم, عن محمد بن مزاحم أخي الضحاك بن مُزاحم: فادْخُلِي فِي عِبادِي قال: في طاعتي وَادْخُلِي جَنّتِي قال: في رحمتي.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجّه معنى قوله: فادْخُلِي فِي عِبادي إلى: فادخلي في حزبي.

وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يتأوّل ذلك يا أيّتُها النّفْسُ المُطْمَئِنّةُ بالإيمان, والمصدّقة بالثواب والبعث ارجعي, تقول لهم الملائكة: إذا أعطوا كتبهم بأيمانهم ارْجِعي إلى رَبّكِ إلى ما أعدّ الله لك من الثواب قال: وقد يكون أن تقول لهم شِبْه هذا القول: ينوون ارجعوا من الدنيا إلى هذا المرجع قال: وأنت تقول للرجل: ممن أنت؟ فيقول: مُضَرِيّ, فتقول: كن تميميا أو قيسيا, أي أنت من أحد هذين, فتكون كن صلة, كذلك الرجوع يكون صلة, لأنه قد صار إلى القيامة, فكان الأمر بمعنى الخبر, كأنه قال: أيتها النفس, أنت راضية مرضية.

وقد رُوي عن بعض السلف أنه كان يقرأ ذلك: «فادْخُلِي فِي عَبْدِي, وَادْخُلِي جَنّتِي». ذكر من قال ذلك:

28783ـ حدثني أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم بن سلام, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, عن أبان بن أبي عياش, عن سليمان بن قَتّةَ, عن ابن عباس, أنه قرأها: «فادْخُلِي فِي عَبْدِي» على التوحيد.

28784ـ حدثني خلاد بن أسلم, قال: أخبرنا النضر بن شميل, عن هارون القاري, قال: ثني هلال, عن أبي الشيخ الهنائي: «فادْخُلِي فِي عَبْدِي». وفي قول الكلبيّ: «فادْخُلِي فِي عَبْدِي, وَادْخُلِي فِي جَنّتِي» يعني: الروح ترجع في الجسد.

والصواب من القراءة في ذلك فادخُلي في عِبادي بمعنى: فادخلي في عبادي الصالحين. لإجماع الحجة من القراء عليه.

سورة البلد

سورة البلد مكية
وآياتها عشرون

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-7

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {لاَ أُقْسِمُ بِهَـذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلّ بِهَـذَا الْبَلَـدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْـدِرَ عَلَيْـهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لّبَداً * أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ }.

يقول تعالى ذكره: أقسم يا محمد بهذا البلد الحرام, وهو مكة, وكذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28785ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ يعني: مكة.

28786ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ قال: مكة.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ قال: الحرام.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ قال: مكة.

28787ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ قال: البلد مكة.

28788ـ حدثنا سوار بن عبد الله, قال: حدثنا يحيى بـن سـعيد, عـن عبـد الملك, عن عطاء, في قوله: لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ يعني: مكة.

28789ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ قال: مكة.

وقوله: وأَنْتَ حِلّ بِهَذَا البَلَدِ يعني: بمكة يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صـلى الله عليه وسلم: وأنت يا محمد حِلّ بهذا البلـد, يعنـي بمكـة يقـول: أنـت بـه حلال تصنع فيه مِن قَتْلِ من أردت قتلَه, وأَسْرِ من أردت أسره, مُطْلَقٌ ذلــك لك يقال منه: هو حِلّ, وهو حلال, وهو حِـرْم, وهـو حـرام, وهـو مُحـلّ, وهـو محرم, وأحللنا, وأحرمنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28790ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وأنْتَ حِلّ بِهَذَا الْبَلَدِ يعني بذلك: نبيّ الله صـلى الله عليه وسلم, أحلّ الله له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء, ويستحْيِي من شاء فقتل يومئذٍ ابن خَطَل صَبْرا وهو آخذ بأستار الكعبة, فلم تحلّ لأحـد مـن الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل فيها حراما حرّمه اللــه, فأحلّ الله له ما صنع بأهل مكة, ألم تسمع أن الله قـال فـي تحريـم الحـرم: وللّهِ عَلى النّاسِ حِجّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً يعني بالناس أهل القبلة.

28791ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مِهْران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد وأنتَ حِلّ بِهَذَا الْبَلَدِ قال: ما صنعت فأنت في حِلّ من أمر القتال.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد وأنْتَ حِلّ بِهَذَا الْبَلَدِ قال: أحَلّ لرسول الله صلى الله عليه وسـلم ما صنع فيه ساعة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد وأنْتَ حِلّ بِهَذَا الْبَلَدِ قال: أحلّ له أن يصنع فيه ما شاء.

28792ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن منصور وأنْتَ حِلّ بِهَذَا الْبَلَدِ قال: أُحِلّت للنبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: اصنع فيها ما شئت.

حدثني موسى بن عبد الرحمن, قال: حدثنا حسين الجُعْفِيّ, عن زائدة, عن منصور, عن مجاهد, في قول الله وأنْتَ حِلّ بِهَذَا الْبَلَدِ قال: أنت حِلّ مما صنعت فيه.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن منصور, عن مجاهد وأنْتَ حِلّ بِهَذَا الْبَلَدِ قال: أحلّ الله لك يا محمد ما صنعت في هذا البلد من شيء, يعني مكة.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وأنْتَ حِلّ بِهَذَا الْبَلَدِ قال: لا تؤاخَذَ بما عملت فيه, وليس عليك فيه ما على الناس.

28793ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأنْتَ حِلّ بِهَذَا الْبَلَدِ يقول: بريء عن الحرج والإثم.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وأنْتَ حِلّ بِهَذَا الْبَلَدِ يقول: أنت به حلّ لست بآثم.

28794ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأنْتَ حِلّ بِهَذَا الْبَلَدَ قال: لم يكن بها أحد حلاً غير النبيّ صلى الله عليه وسلم, كلّ من كان بها حراما, لم يحلّ لهم أن يقاتلوا فيها, ولا يستحلوا حرمه, فأحله الله لرسوله, فقاتل المشركين فيه.

28795ـ حدثنا سوار بن عبد الله, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن عبد الملك, عن عطاء وأنْتَ حِلّ بِهَذَا الْبَلَدِ قال: إن الله حرّم مكة, لم تحلّ لنبيّ إلا نبيكم ساعة من نهار.

28796ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وأنْتَ حِلّ بهَذَا الْبَلَدِ يعني محمدا, يقول: أنت حلّ بالحرم, فاقتل إن شئت, أو دع.

وقوله: وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ يقول تعالى ذكره: فأقسم بوالد وبولده الذي ولد.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنيّ بذلك من الوالد وما ولد, فقال بعضهم: عُنِي بالوالد: كلّ والد, وما ولد: كلّ عاقر لم يلد. ذكر من قال ذلك:

28797ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن عطية, عن شريك, عن خصيف, عن عكرمة, عن ابن عباس في: وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ قال: الوالد: الذي يلد, وما ولد: العاقر الذي لا يولد له.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن خَصِيف, عن عكرمة, عن ابن عباس وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ قال: العاقر, والتي تلد.

28798ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن النضر بن عربي, عن عكرمة وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ قال: العاقر, والتي تلد.

28799ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ قال: هو الوالد وولده.

وقال آخرون: عُنِي بذلك: آدم وولده. ذكر من قال ذلك:

28800ـ حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ قال: الوالد: آدم, وما ولد: ولده.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ قال: ولده.

28801ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ قال: آدم وما ولد.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ قال: آدم وما ولد.

28802ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, عن ابن أبي خالد, عن أبي صالح في قول الله وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ قال: آدم وما ولد.

28803ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ قال: الوالد: آدم, وما ولد: ولده.

28804ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, قوله: وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ قال: آدم وما ولد.

28805ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن عبيد, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح, في قوله: وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ قال: آدم وما ولد.

وقال آخرون: عُنِي بذلك: إبراهيم وما ولد. ذكر من قال ذلك:

28806ـ حدثني محمد بن موسى الحَرَشِيّ, قال: حدثنا جعفر بن سليمان, قال: سمعت أبا عمران الجَوْنِيّ يقرأ: وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ قال: إبراهيم وما ولد.

والصواب من القول في ذلك: ما قاله الذي قالوا: إن الله أقسم بكلّ والد وولده, لأن الله عمّ كلّ والد وما ولد. وغير جائز أن يخصّ ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر, أو عقل, ولا خبر بخصوص ذلك, ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه, فهو على عمومه كما عمّه.

وقوله: لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي كَبَدٍ وهذا هو جواب القسم.

28807ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: وقع ها هنا القسم لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي كَبَدٍ.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: لقد خلقنا ابن آدم في شدّة وعناء ونصب. ذكر من قال ذلك:

28808ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي كَبَدٍ يقول: في نَصَب.

28809ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا سعيد, عن منصور بن زاذان, عن الحسن, أنه قال في هذه الآية: لَقَدْ خَلَقَنا الإنْسانَ فِي كَبَدٍ يقول: في شدّة.

28810ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي كَبَدٍ حين خُلِق في مشقة لا يُلفى ابن آدم إلا مكابد أمر الدنيا والآخرة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: فِي كَبَدٍ قال: يكابد أمر الدنيا والآخرة.

وقال بعضهم: خُلِق خَلْقا لم نَخْلق خلقَه شيئا. ذكر من قال ذلك:
28811ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن عليّ بن رفاعة, قال: سمعت الحسن يقول: لم يخلق الله خلقا يكابد ما يُكابد ابن آدم.
28812ـ قال: ثنا وكيع, عن عليّ بن رفاعة, قال: سمعت سعيد بن أبي الحسن يقول: لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي كَبَدٍ قال: يكابد مصائب الدنيا, وشدائد الآخرة.
28813ـ قال: ثنا وكيع, عن النضر, عن عكرِمة قال: لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي كَبَدٍ قال: في شدّة.
28814ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عطاء, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي كَبَدٍ قال: في شدّة.
28815ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان, عن ابن جريج, عن عطاء, عن ابن عباس, قال: في شدّة معيشته, وحمله وحياته, ونبات أسنانه.
28816ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان, قال: قال مجاهد الإنْسانَ فِي كَبَدٍ قال: شدة خروج أسنانه.
28817ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: الإنْسانَ فِي كَبَدٍ قال: شدّة.
وقال آخرون: معنى ذلك أنه خُلق منتصبا معتدل القامة. ذكر من قال ذلك:
28818ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي كَبَدٍ قال: في انتصاب, ويقال: في شدّة.
28819ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا حرمي بن عمارة, قال: حدثنا شعبة, قال: أخبرني عُمارة, عن عكرِمة, في قوله: لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي كَبَدٍ قال: في انتصاب, يعني القامة.
28820ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن إبراهيم لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي كَبَدٍ قال: منتصبا.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران وحدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, جميعا عن سفيان, عن منصور, عن إبراهيم, مثله.
28821ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن عبد الله بن شَدّاد, في قوله: لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي كَبَدٍ قال: معتدلاً بالقامة, قال أبو صالح: معتدلاً في القامة.
حدثنا يحيى بن داود الواسطيّ, قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان, عن إسماعيل, عن أبي صالح خَلَقْنا الإنْسانَ في كَبَدٍ قال: قائما.
28822ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: فِي كَبَدٍ خُلِق منتصبا على رجلين, لم تخلق دابة على خلقه.
28823ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مُغيرة, عن مجاهد لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي كَبَدٍ قال: في صَعَد.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنه خُلق في السماء. ذكر من قال ذلك:
28824ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي كَبَدٍ قال: في السماء, يسمى ذلك الكَبَد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك أنه خلق يُكابد الأمور ويُعالجها, فقوله: فِي كَبَدٍ معناه: في شدّة.
وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب, لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب من معاني الكَبَد ومنه قول لبيد بن ربيعة:
عَيْنِ هِلاّ بَكَيْتِ أرْبَدَ إذْ قُمْنا وَقامَ الخُصُوم فِي كَبَدِ
وقوله: أَيَحَسَبُ أنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أحَدٌ ذُكر أن ذلك نزل في رجل بعينه من بني جُمح, كان يُدعى أبا الأشدّين, وكان شديدا, فقال جلّ ثناؤه: أيحسب هذا القويّ بجَلَده وقوّته, أن لن يقهره أحد ويغلبه, فالله غالبه وقاهره.
وقوله: يَقُولُ أهْلَكْتُ مالاً لُبَدا يقول هذا الجليد الشديد: أهلكت مالاً كثيرا, في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم, فأنفقت ذلك فيه, وهو كاذب في قوله ذلك وهو فعل من التلبد, وهو الكثير, بعضه على بعض, يقال منه: لَبد بالأرض يَلْبُد: إذا لصق بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28825ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: مالاً لُبَدا يعني باللبد: المال الكثير.
28826ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مالاً لُبَدا قال: كثيرا.
حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني مسلم, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: أهْلَكْتُ مالاً لُبَدا. قال: مالاً كثيرا.
28827ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أهْلَكْتُ مالاً لُبَدا: أي كثيرا.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.
28828ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: مالاً لُبَدا قال: اللبد: الكثير.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار: مالاً لُبَدا بتخفيف الباء. وقرأه أبو جعفر بتشديدها. والصواب بتخفيفها, لإجماع الحجة عليه.
وقوله: أَيَحْسَبُ أنْ لَمْ يَرَهُ أحَدٌ يقول تعالى ذكره: أيظنّ هذا القائل أهْلَكْتُ مالاً لُبَدا أن لم يره أحد في حال إنفاقه ما يزعم أنه أنفقه.
28829ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أَيَحْسَبُ أنْ لَمْ يَرَهُ أحَدٌ ابن آدم إنك مسئول عن هذا المال, من أين اكتسبته, وأين أنفقته.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.

الآية : 8-16

القول في تأويل قوله تعالى:{أَلَمْ نَجْعَل لّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النّجْدَينِ * فَلاَ اقتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ }.
يقول تعالى ذكره: ألم نجعل لهذا القائل أهْلَكْتُ مالاً لُبَدا عينين يبصر بهما حُجَج الله عليه, ولسانا يعبر به عن نفسه ما أراد, وشفتين, نعمة منا بذلك عليه.

28830ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسانا وَشَفَتَيْنِ نِعَم من الله متظاهرة, يقـررك بهـا كيمـا تشكره.

وقوله: وَهَدَيْناهُ النّجْدَيْنِ يقول تعـالى ذكـره: وهـديناه الطريقيـن, ونجـد: طريق في ارتفاع.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: عُنِي بذلك: نَجْد الخير, ونَجْد الشرّ, كما قال: إنّا هَدَيْناهُ السّبِيلَ إمّا شاكِرا وإمّا كَفُورا. ذكر من قـال ذلك:

28831ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن عاصم, عـن زرّ, عن عبد الله وهَدَيْناهُ النّجْدَيْنِ قال: الخير والشرّ.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عاصم, عن زرّ, عن عبد الله, مثله.

28832ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن منذر, عن أبيه, عن الربيع بن خثيم, قال: ليسا بالثديين.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان وحدثنا ابـن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عمران جميعا, عن عاصم, عن زِرّ, عن عبد الله وَهَدَيْناهُ النّجْدَيْنِ قال: نجد الخير, ونجد الشرّ.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا هشام بن عبد الملك, قـال: حـدثنا شـعبة, قال: أخبرني عاصم, قال: سمعت أبا وائل يقول: كان عبد اللـه يقـول فـي: وَهَدَيْناهُ النّجْدَيْنِ قال: نجد الخير, ونجد الشرّ.

28833ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: وَهَدَيْناهُ النّجْدَيْنِ يقول: الهدى والضلالة.

28834ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَهَدَيْناهُ النّجْدَيْنِ يقول: سبيل الخير والشرّ.

28835ـ حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن عكرمة, في قوله: وَهَدَيْناهُ النّجْدَيْنِ قال: الخير والشرّ.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الله بن الربيع بن خثيم, عن أبي بُردة, قال: مرّ بنا الربيع بن خثيم, فسـألناه عـن هذه الآية: وَهَدَيْناهُ النّجْدَيْنِ فقال: أما إنهما ليسا بالثديين.

28836ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد, قال: الخير والشرّ.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعـا عـن ابـن أبـي نجيـح, عن مجاهد, قوله: وَهَدَيْناهُ النّجْدَيْنِ قال: سبيل الخير والشرّ.

28837ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَهَـدَيْناهُ النّجْـدَيْن نجـد الخيـر, ونجـد الشرّ.

28838ـ حدثنا عمران بن موسى, قال: حدثنا عبـد الـوارث, قـال: حـدثنا يونس, عن الحسن, قال: قال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «هُمَـا نَجْدَانِ: نَجْدُ خَيْرٍ, وَنجْـدُ شَـرَ, فَمَـا جَعَـلَ نَجْـدَ الشّـرّ أحَـبّ إلَيْكُـمْ مِـنْ نَجْـدِ الخَيْرِ»؟.

حدثنا مجاهد بن موسى, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا عطية أبو وهب, قال: سمعت الحسن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا إنّمَا هُمَا نَجْدَانِ: نَجْدُ الخَيْرِ, وَنَجْدُ الشّرَ, فَمَا يَجْعَلُ نَجْدَ الشّرّ أحَبّ إلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ»؟.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الملك, قال: حدثنا شعبة, عن حبيب, عن الحسن, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, نحوه.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, قال: سمعت الحسن يقول وَهَدَيْناهُ النّجْدَيْنِ قال: ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «يا أيّها النّاسُ إنّمَا هُمَا النّجْدَانِ: نَجْدُ الخَيْرِ, وَنَجْدُ الشّرّ, فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشّرّ أحَبّ إلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ».

28839ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَهَدَيْناهُ النّجْدَيْنِ: ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «أيّها النّاسُ إنّمَا هُمَا النّجْدَانِ, نَجْدُ الخَيْرِ, وَنَجْدُ الشّرّ, فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشّرّ أحَبّ إلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ»؟.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن, في قوله: وَهَدَيْناهُ النّجْدَيْنِ قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّمَا هُمَا نَجْدَانِ, فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشّرّ أحَبّ إلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ»؟.

28840ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: وَهَدَيْناهُ النّجْدَيْنِ قاطع طريق الخير والشرّ. وقرأ قول الله: إنّا هَدَيْناهُ السّبِيلَ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وهديناه الثّديين: سبيلي اللبن الذي يتغذّى به, وينبت عليه لحمه وجسمه. ذكر من قال ذلك:

28841ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, قال: حدثنا عيسى بن عقال, عن أبيه, عن ابن عباس وَهَدَيْناهُ النّجْدَيْنِ قال: هما الثديان.

28842ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن المبارك بن مجاهد, عن جُويبر, عن الضحاك, قال: الثديان.

وأولى القولين بالصواب في ذلك عندنا: قول من قال: عُنِي بذلك طريق الخير والشرّ, وذلك أنه لا قول في ذلك نعلمه غير القولين اللذين ذكرنا والثديان, وإن كانا سبيلي اللبن, فإن الله تعالى ذكْره إذ عدّد على العبد نِعَمه بقوله: إنّا خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْناهُ سَمِيعا بَصِيرا إنّا هَدَيْناهُ السّبِيلَ إنما عدّد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نِعمه, فكذلك قوله: وَهَدَيْناهُ النّجْدَيْنِ.

وقوله: فَلا اقْتَحَم الْعَقَبَةَ يقول تعالى ذكره: فلم يركب العقبة, فيقطعها ويجوزها.

وذُكر أن العقبة: جبل في جهنم. ذكر من قال ذلك:

28843ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا يحيى بن كثير, قال: حدثنا شعبة, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قول الله: فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ قال: عَقَبة في جهنم.

28844ـ حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد, قال: حدثنا عبد الله بن إدريس, عن أبيه, عن عطية, عن ابن عمر, في قوله: فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ جبل من جهنم.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلّية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: فَلا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ قال: جهنم.
28845ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ إنها قحمة شديدة, فاقتحموها بطاعة الله.
28846ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ قال: للنار عقبة دون الجسر.
28847ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا وهب بن جرير, قال: حدثنا أبي, قال: سمعت يحيى بن أيوب يحدّث عن يزيد بن أبي حبيب, عن شعيب بن زُرْعة, عن حنش, عن كعب, أنه قال: فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ قال: هو سبعون درجة في جهنم.
وأفرد قوله: فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ بذكر «لا» مرّة واحدة, والعرب لا تكاد تفردها في كلام في مثل هذا الموضع, حتى يكرّروها مع كلام آخر, كما قال: فَلا صَدّقَ وَلا صَلّى وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ. وإنما فعل ذلك كذلك في هذا الموضع, استغناء بدلالة آخر الكلام على معناه, من إعادتها مرّة أخرى, وذلك قوله إذ فسّر اقتحام العقبة, فقال: فَكّ رَقَبَةٍ أَوْ إطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيما ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ ثم كان من الذين آمنوا, ففسر ذلك بأشياء ثلاثة, فكان كأنه في أوّل الكلام, قال: فلا فَعَلَ ذا ولا ذا ولا ذا. وتأوّل ذلك ابن زيد, بمعنى: أفلا, ومن تأوّله كذلك, لم يكن به حاجة إلى أن يزعم أن في الكلام متروكا. ذكر الخبر بذلك عن ابن زيد:
28848ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, وقرأ قول الله: فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ قال: أفلا سلك الطريق التي منها النجاة والخير, ثم قال: وَما أَدْرَاكَ ما الْعَقَبَةُ؟.
وقوله: وَما أَدْرَاكَ ما الْعَقَبَةُ؟ يقول تعالى ذكره: وأيّ شيء أشعرك يا محمد ما العقبة؟.
ثم بين جلّ ثناؤه له, ما العقبة, وما النجاة منها, وما وجه اقتحامها؟ فقال: اقتحامها وقطعها فكّ رقبة من الرقّ, وأسر العبودة, كما:
28849ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلّية, عن أبي رجاء, عن الحسن وَما أَدْرَاكَ ما الْعَقَبَةُ فَكّ رَقَبَةٍ قال: ذُكر لنا أنه ليس مسلم يعتق رقبة مسلمة, إلا كانت فداءه من النار.
28850ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما أَدْرَاكَ ما الْعَقَبَةُ فَكّ رَقَبَةٍ ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن الرقاب أيها أعظم أجرا؟ قال: «أكثرها ثمنا».
28851ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: حدثنا سالم بن أبي الجعد, عن مَعْدان بن أبي طلحة, عن أبي نجيح, قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أيّمَا مُسْلِم أعْتَقَ رَجُلاً مُسْلما, فإنّ اللّهَ جاعِلُ وَفاءَ كُلّ عَظْمٍ مِنْ عِظامِهِ, عَظْما مِنْ عِظامِ مُحَرّرِهِ مِنَ النّارِ وأيّمَا امْرأةٍ مُسْلَمَةٍ أعْتَقَتْ امْرأَةً مُسْلِمَةً, فإنّ اللّهَ جاعِلُ وَفاءَ كُلّ عَظْمٍ مِنْ عِظامِها, عَظْما مِنْ عِظامِ مُحَرّرِها مِنَ النّارِ».
28852ـ قال: ثنا سعيد, عن قتادة, عن قيس الجُذاميّ, عن عقبة بن عامر الجُهَنيّ, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً, فَهِيَ فِدَاؤُهُ مِنَ النّارِ».

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَما أدْرَاكَ ما الْعَقَبَةُ ثم أخبر عن اقتحامها فقال: فَكّ رَقَبَة أوْ أطْعَمَ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء البصرة, عن ابن أبي إسحاق, ومن الكوفيين: الكسائي: «فَكّ رَقَبَةٍ أوْ أطْعَمَ». وكان أبو عمرو بن العلاء يحتجّ فيما بلغني فيه بقوله: ثُمّ كانَ مِنَ الّذِينَ آمَنُوا كأن معناه: كان عنده, فلا فكّ رقبة, ولا أطعم, ثم كان من الذين آمنوا. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والشأم فَكّ رَقَبَةٍ على الإضافة أوْ إطْعامٌ على وجه المصدر.

والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان معروفتان, قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء, وتأويل مفهوم, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. فقراءته إذا قرىء على وجه الفعل تأويله: فلا اقتحم العقبة, لا فكّ رقبة, ولا أطعم, ثم كان من الذين آمنوا, وَما أدْرَاكَ ما الْعَقَبَةُ على التعجب والتعظيم. وهذه القراءة أحسن مخرجا في العربية, لأن الإطعام اسم, وقوله: ثُمّ كانَ مِنَ الّذِينَ آمَنُوا فعل, والعرب تُؤْثِر ردّ الأسماء على الأسماء مثلها, والأفعال على الأفعال, ولو كان مجيء التّنزيل ثم إن كان من الذين آمنوا, كان أحسن, وأشبه بالإطعام والفكّ من ثم كان, ولذلك قلت: «فَكّ رَقَبَةٍ أوْ أطْعَمَ» أوجه في العربية من الآخر, وإن كان للآخر وجه معروف, ووجهه أنْ تضمر أن ثم تلقى, كما قال طرفة بن العبد:

ألا أيّهاذا الزّاجري أحْضُرَ الْوَغَىوأنْ أشْهَدَ اللّذّاتِ هَلْ أنتَ مُخْلِدي

بمعنى: ألا أيهاذا الزاجري أن أحضر الوغى. وفي قوله: «أن» أشهد الدلالة البنية على أنها معطوفة على أن أخرى مثلها, قد تقدّمت قبلها, فذلك وجه جوازه. وإذا وُجّه الكلام إلى هذا الوجه كان قوله: فَكّ رَقَبَةٍ أوْ إطْعامٌ تفسيرا لقوله: وَما أدْرَاكَ ما الْعَقَبَةُ كأنه قيل: وما أدراك ما العقبة؟ هي فكّ رقبة أوْ إطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ كما قال جلّ ثناؤه: وَما أدْرَاكَ ماهِيَهْ, ثم قال: نارٌ حامِيَةٌ مفسرا لقوله: وأمّهُ هاوِيَةٌ, ثم قال: وما أدراك ما الهاوية؟ هي نار حامية.

وقوله: «أوْ أطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ» يقول: أو أطَعَمَ في يوم ذي مجاعة, والساغب: الجائع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28853ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس «أوْ أطْعَمَ فِي يَوْم ذِي مَسْغَبَةٍ»: يوم مجاعة.

28854ـ حدثنا الحسن بن عرفة, قال: ثني خالد بن حيان الرقي أبو يزيد, عن جعفر بن برقان, عن عكرِمة في قول الله: «أوْ أطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ» قال: ذي مجاعة.

28855ـ حدثني محمد بن عمر, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ قال: الجوع.

28856ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: «أوْ أطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ» يقول: يوم يُشْتَهَى فيه الطعام.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن عثمان الثقفيّ, عن مجاهد, عن ابن عباس فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ قال: مجاعة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عثمان بن المُغيرة, عن مجاهد, عن ابن عباس, مثله.

28857ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ قال: مجاعة.

وقوله: يَتِيما ذَا مَقْرَبَةٍ يقول: أو أطْعَمَ في يوم مجاعة صغيرا لا أب له من قرابته, وهو اليتيم ذو المقربَة وعُنِي بذي المقربة: ذا القرابة, كما:

28858ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: يَتِيما ذَا مَقْرَبَةٍ قال: ذا قرابة.

وقوله: أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ذَا مَتْرَبَةٍ فقال بعضهم: عُنِي بذلك: ذو اللصوق بالتراب. ذكر من قال ذلك:

28859ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, قال: أخبرني المُغيرة, عن مجاهد, عن ابن عباس أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ قال: الذي ليس له مأوى إلا التراب.

حدثنا مُطَرّف بن محمد الضبي, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا شعبة, عن المغيرة, عن مجاهد, عن ابن عباس, مثله.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن حُصين, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قول الله: أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ قال: الذي لا يُواريه إلا التراب.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا أبو عاصم, عن شعبة, عن المُغيرة, عن مجاهد, عن ابن عباس ذَا مَتْرَبَةٍ قال: الذي لا يُواريه إلا التراب.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا أبو عاصم, عن شعبة, عن المُغيرة, عن مجاهد, عن ابن عباس ذَا مَتْرَبَةٍ قال: الذي ليس له مَأوَى إلا التراب.

حدثنا ابن حميد, قال: ثني جرير, عن مغيرة, عن مجاهد, عن ابن عباس مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ قال: الذي ليس له مَأوَى إلا التراب.

قال: ثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله: أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ قال: المسكين المطروح في التراب.

28860ـ حدثني أبو حصين قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن يونس, قال: حدثنا عَبْثَر, عن حصين, عن مجاهد, عن ابن عباس, قوله: أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ قال: الذي لا يقيه من التراب شيء.

28861ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: حدثنا حصين والمغيرة كلاهما, عن مجاهد, عن ابن عباس أنه قال في قوله: أوْ مِسْكينا ذَا مَتْرَبَةٍ قال: هو اللازق بالتراب من شدّة الفقر.

28862ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو بن أبي قيس, عن منصور, عن مجاهد, عن ابن عباس أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ قال: التراب الملقى على الطريق على الكُناسة.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا طَلْق بن غنام, عن زائدة, عن منصور, عن مجاهد, عن ابن عباس أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ قال: هو المسكين الملقى بالطريق بالتراب.

28863ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الحصين, عن مجاهد أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ قال: المطروح في الأرض, الذي لا يقيه شيء دون التراب.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن حصين, عن مجاهد, عن ابن عباس أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ قال: هو المُلزق بالأرض, لا يقيه شيء من التراب.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن حصين وعثمان بن المُغيرة, عن مجاهد عن ابن عباس أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ قال الذي ليس له شيء يقيه من التراب.
28864ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ذَا مَتْرَبَةٍ قال: ساقط في التراب.
28865ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن جعفر بن برقان, قال: سمع عكرمة أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبةٍ قال: الملتزق بالأرض من الحاجة.
28866ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن عكرِمة, في قوله: أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبةٍ قال: التراب اللاصق بالأرض.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عثمان بن المُغيرة, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: المُلقى في الطريق الذي ليس له بيت إلا التراب.
وقال آخرون: بل هو المحتاج, كان لاصقا بالتراب, أو غير لاصق وقالوا: إنما هو من قولهم: تَرِب الرجل: إذا افتقر. ذكر من قال ذلك:
28867ـ حدثني عَليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ يقول: شديد الحاجة.
28868ـ حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن حصين, عن عكرِمة, في قوله: أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ قال: هو المحارَف الذي لا مال له.
28869ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ قال: ذا حاجة, الترب: المحتاج.
وقال آخرون: بل هو ذو العيال الكثير الذين قد لصقوا بالتراب من الضرّ وشدّة الحاجة. ذكر من قال ذلك:
28870ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ يقول: مسكين ذو بنين وعِيال, ليس بينك وبينه قرابة.
28871ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر بن أبي المُغيرة, عن سعيد بن جُبير, في قوله: أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ قال: ذا عِيال.
28872ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ كنا نحدّث أن الترب هو ذو العيال الذي لا شيء له.
28873ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أوْ مسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ ذا عيال لاصقين بالأرض, من المسكنة والجهد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: عُنِي به: أو مسكينا قد لصق بالتراب من الفقر والحاجة, لأن ذلك هو الظاهر من معانيه. وأن قوله: مَتْرَبَةٍ إنما هي «مَفْعَلة» من تَرِب الرجل: إذا أصابه التراب.

الآية : 17-20

القول في تأويل قوله تعالى:{ثُمّ كَانَ مِنَ الّذِينَ آمَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِالصّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْمَرْحَمَةِ * أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَالّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مّؤْصَدَةٌ }.

يقول تعالى ذكره: ثم كان هذا الذي قال: أَهْلَكْتُ مالاً لُبَدا من الذين آمنوا بالله ورسوله, فيؤمن معهم كما آمنوا وَتَواصَوْا بالصّبْرِ يقول: وممن أوصى بعضهم بعضا بالصبر على ما نابهم في ذات الله وَتَوَاصَوْا بِالمَرْحَمَةِ يقول: وأوصى بعضهم بعضا بالمرحمة, كما:

28874ـ حدثنا محمد بن سنان القزّاز, قال: حدثنا أبو عاصم, عن شبيب, عن عكرمة, عن ابن عباس وَتَوَاصَوْا بِالمَرْحَمَةِ قال: مَرْحَمة الناس.

وقوله: أُولَئِكَ أصحَابُ المَيْمَنَةِ يقول: الذين فعلوا هذا الأفعال التي ذكرتها, من فكّ الرقاب, وإطعام اليتيم, وغير ذلك, أصحاب اليمين, الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنة.

وقوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا بآياتِنا يقول: والذين كفروا بأدلتنا وأعلامنا وحججنا من الكتب والرّسل وغير ذلك هُمْ أصحَابُ المَشأَمَةِ يقول: هم أصحاب الشمال يوم القيامة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال. وقد بيّنا معنى المشأمة, ولم قيل لليسار المشأمة فيما مضى, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ يقول تعالى ذكره: عليهم نار جهنم يوم القيامة مُطْبَقَة يقال منه: أوصدت وآصدت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28875ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ قال: مُطْبَقة.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ قال: مطْبَقة.

28876ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ: أي مطْبَقة أطبقها الله عليهم, فلا ضوء فيها ولا فرح, ولا خروج منها آخر الأبد.

28877ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: مُؤْصَدَةٌ: مغلقة عليهم.

سورة الشمس

سورة الشمس مكية
وآياتها خمس عشرة
بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-8

القول في تأويل قوله تعالى:{وَالشّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا * وَالنّهَارِ إِذَا جَلاّهَا * وَاللّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسّمَآءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا }.

قوله: والشّمْسِ وَضُحاها قسم أقسم ربنا تعالى ذكره بالشمس وضحاها ومعنى الكلام: أقسم بالشمس, وبضحى الشمس.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: وَضُحاها فقال بعضهم: معنى ذلك: والشمس والنهار, وكان يقول: الضحى: هو النهار كله. ذكر من قال ذلك:

28878ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة والشّمْسِ وَضُحاها قال: هذا النهار.

وقال آخرون: معنى ذلك: وضوئها. ذكر من قال ذلك:

28879ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَالشّمْسِ وَضُحاها قال: ضوئها.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم جلّ ثناؤه بالشمس ونهارها, لأن ضوء الشمس الظاهرة هو النهار.

وقوله: وَالْقَمَرِ إذَا تَلاها يقول تعالى ذكره: والقمر إذا تَبِع الشمس, وذلك في النصف الأوّل من الشهر, إذا غُرِبت الشمسَ, تلاها القمر طالعا. ذكر من قال ذلك:

28880ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَالقَمَرِ إذَا تَلاها قال: يتلو النهار.

28881ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا عبد الملك, عن قيس بن سعد, عن مجاهد, قوله: وَالْقَمَرِ إذَا تَلاها يعني: الشمس إذا تبعها القمر.

28882ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَالْقَمَرِ إذَا تَلاها قال: تبعها.

28883ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَالْقَمَرِ إذَا تَلاها يتلوها صبيحة الهلال فإذا سقطت الشمس رُؤي الهلال.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَالْقَمَرِ إذَا تَلاها قال: إذا تلاها ليلة الهلال.

28884ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: والشّمْسِ وَضُحاها وَالْقَمَرِ إذَا تَلاها قال: هذا قسم, والقمر يتلو الشمس نصف الشهر الأوّل, وتتلوه النصف الآخر, فأما النصف الأوّل فهو يتلوها, وتكون أمامه وهو وراءها, فإذا كان النصف الآخر كان هو أمامها يقدمها, وتليه هي.

وقوله: وَالنّهارِ إذَا جَلاّها يقول: والنهار إذا جَلاّها, قال: إذا أضاء.

28885ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَالنّهارِ إذَا جَلاّها قال: إذا غشيها النهار.

وكان بعض أهل العربية يتأوّل ذلك بمعنى: والنهار إذا جَلاّ الظلمة, ويجعل الهاء والألف من جلاّها كناية عن الظلمة, ويقول: إنما جاز الكناية عنها, ولم يجر لها ذكر قبل, لأن معناها معروف, كما يعرف معنى قول القائل: أصبحت باردة, وأمست باردة, وهبّت شمالاً, فكنى عن مؤنثات لم يجر لها ذكر, إذ كان معروفا معناهن.

والصواب عندنا في ذلك: ما قاله أهل العلم الذين حكينا قولهم, لأنهم أعلم بذلك, وإن كان للذي قاله من ذكرنا قوله من أهل العربية وجه.

وقوله: وَاللّيْلِ إذَا يَغْشاها يقول تعالى ذكره: والليـل إذا يغشـى الشـمس, حتى تغيب فتظلَمَ الآفاقُ. وكانت قتادة يقول في ذلك ما:
28886ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَاللّيْل إذَا يَغْشاها: إذا غَشّاها الليل.
وقوله: وَالسّماءِ وَما بَناها يقول جلّ ثناؤه: والسماء ومَنْ بناها, يعني: ومَنْ خلَقها, وبناؤه إياها: تصييره إياها للأرض سقفا. وبنحـو الـذي قلنـا فـي ذلـك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28887ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة وَالسّماءِ وَما بَناها وبناؤها: خَلْقُها.
28888ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَالسّماءِ وَما بَناها قال: الله بنى السماءَ.
وقيل: وَما بَناها وهو جلّ ثناؤه بانيها, فوضع «ما» موضع «مَنْ», كما قال وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ, فوضع «ما» في موضع «مَنْ», ومعناه, ومَن ولد, لأنه قَسَـمٌ أقسم بآدم وولده, وكذلك: وَلا تَنْكِحوا مـا نَكَـحَ آبـاؤُكُمْ مِـنَ النّسـاءِ, وقـوله: فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ وإنما هو: فانكحوا مَنْ طاب لكـم. وجـائز تـوجيه ذلـك إلى معنى المصدر, كأنه قال: والسماء وبنائها, ووالد وولادتِه.
وقوله: وَالأَرْضِ وَما طَحاها وهذه أيضا نظيـر الـتي قبلهـا, ومعنـى الكلام: والأرض ومَنْ طحاها. ومعنى قوله: طَحاها: بسطها يمينا وشمالاً, ومـن كـلّ جانب.
وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: طَحاها فقال بعضهم: معنى ذلك: والأرض وما خلق فيها. ذكر من قال ذلك:
28889ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَالأَرْضِ وَما طَحاها يقول: ما خلق فيها.
وقال آخرون: يعني بذلك: وما بسطهَا. ذكر من قال ذلك:
28890ـ حدثني محمد بن عُمارة, قال: حدثنا عُبيد الله بن موسى, قـال: حدثنا عيسى وحَدّثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعـا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَالأَرْضِ وَما طَحاها قال: دحاها.
28891ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَما طَحاها قال: بَسَطَها.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما قسمها. ذكر من قال ذلك:
28892ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, في قوله: وَالأَرْضِ وَما طَحاها يقول: قسمها.
وقوله: وَنَفْسٍ وَما سَوّاها يعني جلّ ثناؤه بقوله: وَما سَوّاها نفسه, لأنه هو الذي سوّى النفسَ وخلقها, فعدّل خلقها, فوضع «مـا» موضـع «مَـنْ», وقـد يُحتمل أن يكون معنى ذلك أيضا المصدر, فيكون تـأويله: ونفـس وتسـويَتها, فيكون القسم بالنفس وبتسويتها.
وقوله: فألهَمها فُجُورَها وتَقْوَاها يقول تعالى ذكره: فبين لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير, أو شرّ أو طاعة, أو معصية. وبنحو الـذي قلنـا فـي ذلـك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28893ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: فألهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها يقول: بَيّنَ الخيرَ والشرّ.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فألهَمها فُجُورَها وَتَقْوَاها يقول: بيّن الخيرَ والشرّ.
28894ـ حدثني محمد بن سعدٍ, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: فألهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها قال: علّمها الطاعة والمعصية.
28895ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فألهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها قال: عَرّفها.
28896ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فأَلهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها: فبَيّن لها فجورها وتقواها.
28897ـ وحُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فألهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها, بيّن لها الطاعةَ والمعصيةَ.
28898ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مِهْران, عن سفيان فأَلهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها قال: أعلمها المعصيةَ والطاعةَ.
28899ـ قال: ثنا مِهْران, عن سفيان, عن الضحاك بن مزاحم فأَلهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها قال: الطاعةَ والمعصيةَ.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن الله جعل فيها ذلك. ذكر من قال ذلك:
28900ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فأَلهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها قال: جعل فيها فجورَها وتقواها.
28901ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل, قالا: حدثنا عزرة بن ثابت, قال: ثني يحيى بن عقيل, عن يحيى بن يَعْمَر, عن أبي الأسود الدّيليّ, قال: قال لي عمران بن حُصين: أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه, أشيء قُضِيَ عليهم, ومضى عليهم من قَدَرٍ قد سبق, أو فيما يستقبلون, مما أتاهم به نبيهم عليه الصلاة والسلام, وأكّدت عليهم الحجة؟ قلت: بل شيء قُضِيَ عليهم, قال: فهل يكون ذلك ظلما؟ قال: ففزعت منه فزعا شديدا, قال: قلت له: ليس شيء إلا وهو خَلْقُه, ومِلْكُ يده, لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. قال: سدّدك الله, إنما سألتك «أظنه أنا» لأَخْبُرَ عقلك. إن رجلاً من مُزَينة أو جهينة, أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: يا رسول الله, أرأيتَ ما يعملُ الناس فيه ويتكادحون: أشيء قضي عليهم, ومضى عليهم من قَدَرٍ سبق, أو فيما يستقبلون, مما أتاهم به نبيهم عليه السلام, وأكّدت به عليهم الحجة؟ قال: «فِي شَيْءٍ قَدْ قُضِيَ عَلَيْهِمْ» قال: ففيم نعملُ؟ قال: «مَنْ كانَ اللّهُ خَلَقَهُ لإِحْدَى المَنْزِلَتَين يُهَيَّئُهُ لَهَا, وَتَصْدِيقُ ذلكَ فِي كِتابِ اللّهِ: وَنَفْسٍ وَما سَوّاها فألهَمها فُجُورَها وَتَقْوَاها».

الآية : 9-15

القول في تأويل قوله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسّاهَا * كَذّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَآ * إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ نَاقَةَ اللّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدمَ عَلَيْهِمْ رَبّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوّاهَا * وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا }.

قوله: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها يقول: قد أفلح من زكّى اللّهُ نفسه, فكّثر تطهيرها من الكفر والمعاصي, وأصلحها بالصالحات من الأعمال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28902ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها يقول: قد أفلح من زكّى اللّهُ نفسَه.

28903ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مَهْران, عن سفيان, عن خَصِيف, عن مجاهد وسعيد بن جُبير وعكرِمة: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها قالوا: من أصلحها.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن خصيف, عن مجاهد وسعيد بن جُبير, ولم يذكر عكرِمة.

28904ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها من عمل خيرا زكّاها بطاعة الله.

28905ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها قال: قد أفلح من زكّى نفسَه بعمل صالح.

28906ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها يقول: قد أفلح من زكى اللّهُ نفسَه. وهذا هو موضع القسم, كما:

28907ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: قد وقع القسم ها هنا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها.

وقد ذكرتُ ما تقول أهل العربية في ذلك فيما مضى من نظائره قبلُ.

وقوله: وَقَدْ خاب مَنْ دَسّاها يقول تعالى ذكره: وقد خاب في طِلبته, فلم يُدرك ما طلب والتمس لنفسه من الصلاح مَنْ دسّاهَا يعني: من دَسّس اللّه نفسه فأحْملها, ووضع منها, بخُذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصِيَ, وترك طاعة الله. وقيل: دسّاها وهي دَسّسها, فقُلبت إحدى سيناتها ياء, كما قال العجّاج:

تَقَصّيَ الْبازِي إذا البازِي كَسَرْ

يريد: تَقَصّص. وتظَنّيت هذا الأمر, بمعنى: تظننت, والعرب تفعل ذلك كثيرا, فتبدل في الحرف المشدّد بعضَ حروفه, ياء أحيانا, وواوا أحيانا ومنه قول الآخر:

يَذْهَبُ بِي فِي الشّعْرِ كُلّ فَنّحتى يَرُدّ عَنّي التَظَنّي

يريد: التظنن: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28908ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها يقول: وقد خاب من دَسّى الله نُفسَه فأضلّه.

28909ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها يعني: تكذيبها.

28910ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن خَصِيف, عن مجاهد وسعيد بن جُبير وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها قال أحدهما: أغواها, وقال الآخر: أضلّها.

28911ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن خَصِيف, عن مجاهد وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها قال: أضلها, وقال سعيد: من أغواها.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: مَنْ دَسّاها قال: أغواها.

28912ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها قال: أثّمها وأفجرها.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.

28913ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَقَدْ خابَ يقول: وقد خاب من دَسّى اللّهُ نَفسَه.

وقوله: كَذّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها يقول: كذّبت ثمود بطغيانها, يعني: بعذابها الذي وعدهموه صالح عليه السلام, فكان ذلك العذاب طاغيا طغى عليهم, كما قال جلّ ثناؤه: فأمّا ثَمُودُ فأُهْلِكُوا بالطّاغيَة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, وإن كان فيه اختلاف بين أهل التأويل. ذكر من قال القول الذي قلنا في ذلك:

28914ـ حدثني سعيد بن عمرو السّكونيّ, قال: حدثنا الوليد بن سَلَمة الفِلَسْطِينيّ, قال: ثني يزيد بن سمرة المَذحِجيّ عن عطاء الخُراسانيّ, عن ابن عباس, في قول الله: كَذّبَتْ ثَمُودُ بطَغْوَاها قال: اسم العذاب الذي جاءها, الطّغْوَى, فقال: كذّبت ثمود بعذابها.

28915ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة كَذّبَتْ ثَمُودُ بطَغْوَاها: أي بالطغيان.

وقال آخرون: كذّبت ثمود بمعصيتهم الله. ذكر من قال ذلك:

28916ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد كَذّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها قال: معصيتها.

28917ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: كَذّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها قال: بطغيانهم وبمعصيتهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك بأجمعها. ذكر من قال ذلك:

28979حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يحيى بن أيوب وابن لَهِيعة, عن عُمارة بن غزية, عن محمدبن رفاعة القُرَظِيّ, عن محمد بن كعب, أنه قال: كَذّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها قال: بأجمعها.

حدثني ابن عبد الرحيم البَرْقِيّ, قال: حدثنا ابن أبي مَرْيم, قال: أخبرني يحيى بن أيوب, قال: ثني عُمارة بن غزية, عن محمد بن رفاعة القُرَظِيّ, عن محمد بن كعب, مثله.

وقيل طَغْوَاها بمعنى: طغيانهم, وهما مصدران, للتوفيق بين رؤوس الآي, إذ كانت الطّغْوى أشبه بسائر رؤوس الآيات في هذه السورة, وذلك نظير قوله: وآخِرُ دَعْوَاهُمْ بمعنى: وآخر دعائهم.

وقوله: إذِ انْبَعَثَ أشْقاها يقول: إذ ثار أشقى ثمود, وهو قُدَار بن سالف, كما:

28918ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا الطّفاويّ, عن هشام, عن أبيه, عن عبد الله بن زَمَعة, قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم, فذكر في خطبته الناقة, والذي عَقَرها, فقال: «إذِ انْبَعَثَ أشْقاها: انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عارِمٌ, مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ, مِثْلُ أبي زَمَعَة».

28919ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: إذِ انْبَعَثَ أشْقاها يعني أُحَيْمِرَ ثَمود.
وقوله: فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ يعني بذلك جَلّ ثناؤه: صالحا رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال لثمود صَالِحٌ: ناقَةَ اللّهِ وَسُقْياها احذَروا ناقة الله وسُقياها, وإنما حذّرهم سُقيَا الناقة, لأنه كان تقدّم إليهم عن أمر الله, أن للناقة شِرَب يوم, ولهم شِرْب يومٍ آخر, غير يوم الناقة, على ما قد بيّنت فيما مضى قبل, وكما:
28920ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ ناقَةَ اللّهِ وسُقْياها قَسْم الله الذي قسم لها من هذا الماء.
وقوله: فَكَذّبُوهُ فَعَقَرُوها يقول: فكذّبوا صالحا في خبره الذي أخبرهم به, من أن الله الذي جعل شِرْبَ الناقة يوما, ولهم شربُ يوم معلوم, وأن اللّهُ يحِلّ بهم نقمته, إن هم عقروها, كما وصفهم جلّ ثناؤه فقال: كَذّبَتْ ثَمُودُ وَعادٌ بِالْقَارِعَةِ, وقد يحتمل أن يكون التكذيب بالعقْر. وإذا كان ذلك كذلك, جاز تقديم التكذيب قبل العقر, والعقر قبل التكذيب, وذلك أن كلّ فعل وقع عن سبب حسن ابتداؤه قبل السبب وبعده, كقول القائل: أعطيت فأحسنت, وأحسنت فأعطيت, لأن الإعطاء: هو الإحسان, ومن الإحسان الإعطاء, وكذلك لو كان العَقْر هو سبب التكذيب, جاز تقديم أيّ ذلك شاء المتكلم. وقد زعم بعضهم أن قوله: فَكَذّبُوهُ كلمة مكتفية بنفسها, وأن قوله: فَعَقَرُوها جواب لقوله: إذِ انْبَعَث أشْقاها كأنه قيل: إذ انبعث أشقاها فعقرها, فقال: وكيف؟ قيل فَكَذّبُوهُ فَعَقَرُوها وقد كان القوم قبل قتل الناقة مُسَلّمين, لها شرب يوم, ولهم شرب يوم آخر. قيل: جاء الخبر أنهم بعد تسليمهم ذلك, أجمعوا على منعها الشربَ, ورضُوا بقتلها, وعن رضا جميعهم قَتَلها قاتِلُها, وعَقَرها مَنْ عقرها ولذلك نُسب التكذيب والعقر إلى جميعهم, فقال جلّ ثناؤه: فَكَذّبُوهُ فَعَقَرُوها.
وقوله: فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوّاها يقول تعالى ذكره: فدمّر عليهم ربهم بذنبهم ذلك, وكفّرهم به, وتكذيبهم رسوله صالحا, وعَقْرهم ناقته فَسَوّاها يقول: فَسوّى الدمدمة عليهم جميعهم, فلم يُفْلِت منهم أحد, كما:
28921ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوّاها ذُكر لنا أن أحيمرَ ثمود أبى أن يعقِرَها, حتى بايعه صغيرُهم وكبيرُهم, وذَكَرُهم وأنثاهم, فلما اشترك القومُ في عَقْرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسوّاها.
28922ـ حدثني بشر بن آدم, قال: حدثنا قُتيبة, قال: حدثنا أبو هلال, قال: سمعت الحسن يقول: لما عقروا الناقةَ طلبوا فَصِيلَها, فصار في قارة الجبل, فقطع اللّهُ قلوبَهم.
وقوله: وَلا يَخافُ عقْباها اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: معناه: لا يخاف تبعة دَمْدمته عليهم. ذكر من قال ذلك:
28923ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا يَخافُ عُقْباها قال: لا يخاف اللّهُ من أحد تَبِعَةً.
28924ـ حدثني إبراهيم بن المستمرّ, قال: حدثنا عثمان بن عمرو, قال: حدثنا عمر بن مرثد, عن الحسن, في قوله: وَلا يَخاف عُقْباها قال: ذاك ربنا تبارك وتعالى, لا يخاف تبعةً مما صنع بهم.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن عمرو بن منبه, هكذا هو في كتابي, سمعت الحسن قرأ: وَلا يَخافُ عُقْباها قال: ذلك الربّ صنع ذلك بهم, ولم يخف تبعةً.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: وَلا يَخاف عُقْباها قال: لا يخاف تبعتهم.

28925ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلا يَخافُ عُقْباها يقول: لا يخاف أن يُتْبَعَ بشيء مما صَنعَ بهم.

28926ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَلا يَخافُ عُقْباها قال محمد بن عمرو في حديثه, قال: الله لا يَخافُ عُقْباها. وقال الحرث في حديثه: الله لا يخاف عقباها.

28927ـ حدثني محمد بن سنان, قال: حدثنا يعقوب, قال: حدثنا رزين بن إبراهيم, عن أبي سليمان, قال: سمعت بكر بن عبد الله المُزَنيّ يقول في قوله: وَلا يَخافُ عُقْباها قال: لا يخاف الله التبعةَ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولم يخف الذي عقرها عقباها: أي عُقبى فَعْلَتِهِ التي فعل. ذكر من قال ذلك:

28928ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا جابر بن نوح, قال: حدثنا أبو رَوْق, قال: حدثنا الضحاك وَلا يَخافُ عُقْباها قال: لم يَخَفِ الذي عقرها عقباها.

28929ـ حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا مِهْران, عن سفيان, عن السّدّيّ: وَلا يَخافُ عُقْباها قال: لم يخف الذي عقرها عقباها.

حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا مِهْران, عن سفيان, عن السديّ وَلا يَخافُ عُقْباها قال: الذي لا يخاف الذي صنع, عُقْبَى ما صنع.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والشام: «فَلا يَخافُ عُقْباها» بالفاء, وكذلك ذلك في مصاحفهم, وقرأته عامة قرّاء العراق في المِصْرين بالواو وَلا يَخاف عُقْباها وكذلك هو في مصاحفهم.

والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان معروفتان, غير مختلفي المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

واختلفت القرّاء في إمالة ما كان من ذوات الواو في هذه السورة وغيرها, كقوله: وَالقَمَرِ إذَا تَلاها وَما طَحاها ونحو ذلك, فكان يفتح ذلك كلّه عامةُ قرّاء الكوفة, ويُميلون ما كان من ذوات الياء, غير عاصم والكسائي, فإن عاصما كان يفتح جميعَ ذلك, ما كان منه من ذوات الواو وذوات الياء, لا يُضْجِعُ منه شيئا. وكان الكسائي يكسر ذلك كلّه. وكان أبو عمرو ينظر إلى اتساق رؤوس الآي, فإن كانت متسقة على شيء واحد, أمال جميعَها. وأما عامة قرّاء المدينة, فإنهم لا يميلون شيئا من ذلك الإمالة الشديدة, ولا يفتحونه الفتحَ الشديد, ولكن بين ذلك وأفصح ذلك وأحسنه: أن ينظر إلى ابتداء السورة, فإن كانت رؤوسها بالياء, أُجْرِيَ جميعُها بالإمالة غير الفاحشة, وإن كانت رؤوسها بالواو, فتحت وجرى جميعها بالفتح غير الفاحش, وإذا انفرد نوع من ذلك في موضع أميل ذوات الياء الإمالة المعتدلة, وفتح ذوات الواو الفتح المتوسّط, وإن أُميلت هذه, وفُتحت هذه لم يكن لحنا, غير أن الفصيح من الكلام هو الذي وصفنا صفته.

سورة الليل

سورة الليل مكيّة
وآياتها إحدى وعشرون

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-10

القول في تأويل قوله تعالى:{وَاللّيْلِ إِذَا يَغْشَىَ * وَالنّهَارِ إِذَا تَجَلّىَ * وَمَا خَلَقَ الذّكَرَ وَالأُنثَىَ * إِنّ سَعْيَكُمْ لَشَتّىَ * فَأَمّا مَنْ أَعْطَىَ وَاتّقَىَ * وَصَدّقَ بِالْحُسْنَىَ * فَسَنُيَسّرُهُ لِلْيُسْرَىَ * وَأَمّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىَ * وَكَذّبَ بِالْحُسْنَىَ * فَسَنُيَسّرُهُ لِلْعُسْرَىَ }.

يقول تعالى ذكره مُقسِما بالليل إذا غَشّى النهار بظلمته, فأذهب ضوءه, وجاءت ظُلمته: واللّيْلِ إذَا يَغْشَى النهار والنّهارِ إذا تَجَلّى وهذا أيضا قسم, أقسم بالنهار إذا هو أضاء فأنار, وظهر للأبصار, ما كانت ظلمة الليل قد حالت بينها وبين رؤيته وإيتانه إياها عِيانا. وكان قتادة يذهب فيما أقسم الله به من الأشياء أنه إنما أقسم به لعِظَم شأنه عنده, كما:

28930ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله وَاللّيْلِ إذَا يَغْشَى والنّهارِ إذَا تَجَلّى قال: آيتان عظيمتان يكوّرهما الله على الخلائق.

وقوله: وَما خَلَقَ الذّكَرَ والأُنْثَى يحتمل الوجهين اللذين وصفت في قوله: وَالسّماءِ وَما بَناها والأرْضِ وَما طَحاها وهو أن يجعل «ما» بمعنى «مَنْ», فيكون ذلك قسما من اللهَ جلّ ثناؤه بخالق الذّكر والأنثى, وهو ذلك الخلق, وأن تجعل «ما» مع ما بعدها بمعنى المصدر, ويكون قسما بخلقه الذكر والأنثى.

وقد ذُكر عن عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء: أنهما كانا يقرآن ذلك «وَالذّكَرِ وَالأُنْثَىَ» ويأثُره أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر الخبر بذلك:

28931ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق قال: في قراءة عبد الله: «وَاللّيْلِ إذَا يَغْشَى وَالنّهارِ إذَا تَجَلّى وَالذّكَرِ والأُنْثَى».

28932ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا هشام بن عبد الملك, قال: حدثنا شعبة, قال: أخبرني المُغيرة, قال: سمعت إبراهيم يقول: أتى علقمة الشأم, فقعد إلى أبي الدرداء, فقال: ممن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة, فقال: كيف كان عبدِ الله يقرأ هذه الآية وَاللّيْلِ إذَا يَغْشَى وَالنّهارِ إذَا تَجَلّى فقلت: «وَالذّكَرِ وَالأُنْثَى» قال: فما زال هؤلاء حتى كادوا يستضلّونني وقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا حاتم بن وَرْدان, قال: حدثنا أبو حمزة, عن إبراهيم, عن علقمة قال: أتينا الشأم, فدخلت على أبي الدرداء, فسألني فقال: كيف سمعت ابن مسعود يقرأ هذه الآية: وَاللّيْلِ إذَا يَغْشَى والنّهارِ إذَا تَجَلّى قال: قلت: «وَالذّكَرِ والأُنْثَى» قال: كفاك, سمعتُها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَيَة وحدثني إسحاق بن شاهين الواسطيّ, قال: حدثنا خالد بن عبد الله عن داود, عن عامر, عن علقمة, قال: قَدِمت الشأم, فلقيت أبا الدرداء, فقال: من أين أنت؟ فقلت من أهل العراق؟ قال: من أيها؟ قلت: من أهل الكوفة, قال: هل تقرؤه قراءة ابن

أمّ عبد؟ قلت: نعم, قال: اقرأ وَاللّيْلِ إذَا يَغْشَى قال: فقرأت: «وَاللّيْلِ إذَا يَغْشَى وَالنّهارِ إذَا تَجَلّى وَالذّكَرِ والأُنْثَى» قال: فضحك, ثم قال: هكذا سمعت مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثنا ابن المثنى, قال: ثني عبد الأعلى, قال: ثني داود, عن عامر, عن علقمة, عن أبي الدّرداء, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, بنحوه.

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن علقمة, قال: قدمت الشأم, فأتى أبو الدرداء, فقال: فيكم أحد يقرأ على قراءة عبد الله؟ قال: فأشاروا إليّ, قال: قلت أنا, قال: فكيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية: «وَاللّيْلِ إذَا يَغْشَى والنّهارِ إذَا تَجَلّى وَالذّكَرِ وَالأُنْثَى» قال: وأنا هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: فهؤلاء يريدوني على أن أقرأ وَما خَلَقَ الذّكَرِ والأُنْثَى فلا أنا أتابعهم.

28933ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَما خَلَقَ الذّكَرَ وَالأُنْثَى قال: في بعض الحروف: «وَالذّكَرِ وَالأُنْثَى».

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, مثله.

28934ـ حدثني أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, عن إسماعيل, عن الحسن أنه كان يقرؤها وَما خَلَقَ الذّكَرَ والأُنْثَى يقول: والذي خلق الذكر والأنثى قال هارون قال أبو عمرو: وأهل مكة يقولون للرعد: سبحانَ ما سبّحْتَ له.

حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا جرير, عن مُغيرة, عن مِقْسمَ الضّبيّ, عن إبراهيم بن يزيد بن أبي عمران, عن علقمة بن قيس أبي شبل: أنه أتى الشام, فدخل المسجد فصلّى فيه, ثم قام إلى حَلْقة فجلس فيها قال: فجاء رجل إليّ, فعرفت فيه تحوّش القول وهيبتهم له, فجلس إلى جنبي, فقلت: الحمد لله إني لأرجو أن يكون الله قد استجاب دعوتي, فإذا ذلك الرجل أبو الدرداء, قال: وما ذاك؟ فقال علقمة: دعوت الله أن يرزقني جليسا صالحا, فأرجو أن يكون أنت, قال: مِنْ أين أنت؟ قلت: من الكوفة, أو من أهل العراق من الكوفة. قال أبو الدرداء: ألم يكن فيكم صاحب النعلين والوساد والمِطْهَرة, يعني ابن مسعود, أو لم يكن فيكم من أجير على لسان النبيّ صلى الله عليه وسلم من الشيطان الرجيم, يعني عَمّار بن ياسر, أو لم يكن فيكم صاحب السرّ الذي لا يعلمه غيره, أو أحد غيره, يعني حُذَيفة بن اليمان, ثم قال: أيكم يحفظ كما كان عبد الله يقرأ؟ قال: فقلت: أنا, قال: اقرأ: وَاللّيْلِ إذَا يَغْشَى والنّهارَ إذَا تَجَلّى قال علقمة: فقرأت: الذكرِ والأنثى, فقال أبو الدرداء: والذي لا إله إلاّ هو, كذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوه إلى فيّ, فما زال هؤلاء حتى كادوا يردّونني عنها.

وقوله: إنّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى يقول: إن عملكم لمختلف أيها الناس, لأن منكم الكافر بربه, والعاصي له في أمره ونهيه, والمؤمن به, والمطيع له في أمره ونهيه, كما:

28935ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى يقول: لمختلف.

وقوله: إنّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى جواب القسم, والكلام: والليل إذا يغشى إن سعيكم لشتى, وكذا قال أهل العلم. ذكر من قال ذلك:

28936ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: وقع القسم هاهنا إنّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى.

وقوله: فأمّا مَنْ أعْطَى وَاتّقَى يقول تعالى ذكره: فأما من أعطى واتقى منكم أيها الناس في سبيل الله, ومن أمَرهُ الله بإعطائه من ماله, وما وهب له من فضله, واتقى الله واجتنب محارمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28937ـ حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا داود, عن عامر, عن عكرِمة, عن ابن عباس, في قوله: فأمّا مَنْ أعْطَى وَاتّقَى قال: أعطى ما عنده واتقى, قال: اتقى ربه.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مَهْديّ, قال: حدثنا خالد بن عبد الله, عن داود بن أبي هند, عن عكرِمة, عن ابن عباس فأمّا مَنْ أعْطَى من الفضل واتّقَى: اتقى ربه.

28938ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فأمّا مَنْ أعْطَى حقّ الله وَاتّقَى محارم الله التي نهى عنها.

حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فأمّا مَنْ أعْطَى وَاتّقَى يقول: من ذكر الله, واتقى الله.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: وَصَدّقَ بالْحُسْنَى فقال بعضهم: معنى ذلك: وصدّق بالخلف من الله, على إعطائه ما أعطى من ماله فيما أعْطَى فيه مما أمره الله بإعطائه فيه. ذكر من قال ذلك:

28939ـ حدثني حميد بن مسعدة, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا دواد, عن عكرِمة, عن ابن عباس, في قوله: وَصَدّقَ بالْحُسْنَى قال: وصدّق بالخَلَف من الله.

حدثني محمد بن المثنى, قال: ثني عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عكرِمة, عن ابن عباس: وَصَدّقَ بالْحُسْنَى يقول: وصدّق بالخلَف من الله.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيّ, قال: حدثنا خالد بن عبد الله, عن داود بن أبي هند, عن عكرِمة, عن ابن عباس وَصَدّقَ بالْحُسْنَى بالخلَف.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن داود, عن عكرِمة, عن ابن عباس, مثله.

حدثنا إسماعيل بن موسى السديّ, قال: أخبرنا بشر بن الحكم الأحْمَسيّ, عن سعيد بن الصلت, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح, عن ابن عباس وَصَدّقَ بالْحُسْنَى قال: أيقن بالخلف.

28940ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن قيس بن مسلم, عن عكرِمة فأمّا مَنْ أعْطَى واتّقَى وَصَدّقَ بالْحُسْنَى قال: بالخلف.

28941ـ حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن قيس بن مسلم, عن عكرِمة وَصَدّقَ بالْحُسْنَى قال: بأن الله سيخلف له.

28942ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان, عن أبي هاشم المكيّ, عن مجاهد وَصَدّقَ بالْحُسْنَى قال بالخلف.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن أبي بكر الهُذليّ, عن شَهْر بن حَوْشَب, عن ابن عباس: وصَدّقَ بالْحُسْنَى قال: بالخَلَف.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن نَصْر بن عربيّ, عن عكرِمة, قال: بالخَلَف.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وصدّق بأن الله واحد لا شريك له. ذكـر مـن قال ذلك:

28943ـ حدثني محمد بن عمر بن علـيّ المُقَـدّميّ, قـال: حـدثنا أشـعث السجستانيّ, قال: حدثنا مِسْعَر وحـدثنا أبـو كُرَيـب قـال: حـدثنا وكيـع, عـن مِسْعر عن أبي حصين, عن أبي عبد الرحمن وَصَدّقَ بالْحُسْـنَى قـال: بلا إلـه إلاّ الله.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سـفيان, عـن أبـي حصين, عن أبي عبد الرحمن مثله.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي حصين, عن أبي عبد الرحمن, مثله.

28944ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عُبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَصَدّقَ بالْحُسْنَى: بلا إله إلاّ الله.

28945ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَصَدّقَ بالْحُسْنَى: يقول: صدّق بلا إله إلاّ الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وصدّق بالجنة. ذكر من قال ذلك:

28946ـ حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا مهران, عن سـفيان, عـن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد وَصَدّقَ بالْحُسْنَى قال: بالجنة.

حدثنا ابن بشار, قال: ثني محمد بن محبب, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

وقال آخرون: بل معناه: وصدق بموعود الله. ذكر من قال ذلك:

28947ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَصَدّقَ بالْحُسْنَى قال: بموعود الله على نفسه, فعمل بـذلك الموعـود الـذي وعـده الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله وَصَدّقَ بالْحُسْنَى قال: صدّق المؤمن بموعود الله الحسن.

وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل, وأولاهـا بالصـواب عنـدي: قول من قال: عُنِي به التصديق بالخَلَف من الله على نفقته.

وإنما قلت: ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك, لأن الله ذكر قبله مُنفقـا أنفق طالبا بنفقته الخَلَف منها, فكان أولى المعاني به أن يكون الـذي عقيبـه الخبر عن تصديقه بوعد الله إياه بـالخَلَف إذ كـانت نفقتـه علـى الـوجه الـذي يرضاه, مع أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم بنحـو الـذي قلنـا في ذلك ورد. ذكر الخبر الوارد بذلك:

28948ـ حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبشة, قال: حدثنا عبد الملك بن عمرو, قال: حدثنا عَبّاد بن راشد, عن قتادة قال: ثنـي خُلَيـد العَصْـرِيّ, عـن أبي الدرداء, قال: قال رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «مـا مِـنْ يَـوْم غَرَبَتْ فِيهِ شَمْسُهُ, إلاّ وبِجَنْبَيْها مَلَكانِ يُنادِيـانِ, يَسْـمَعُهُ خَلْـقُ اللّـهِ كُلّهُـمْ إلاّ الثّقَلَينِ: اللّهُمّ أعْطِ مُنْفِقا خَلَفا, وأعْطِ مُمْسِكا تَلَفـا» فـأنْزَلَ اللّـهُ فِـي ذلـك القرآنَ فأمّا مَنْ أعْطَى واتّقَى وَصَدّقَ بالْحُسْنَى... إلى قوله لِلْعُسرَى.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه. ذكـر الخـبر بذلك:

28949ـ حدثني هارون بن إدريس الأصمّ, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, عن محمد بن عُبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق, عن عامر بن عبد الله بن الزّبير, قال: كان أبو بكر الصدّيق يُعْتِق على الإسلام بمكة, فكان يُعْتِق عجائز ونساء إذا أسلمن, فقال له أبوه: أَيْ بُنَيّ, أراك تُعْتِق أناسا ضعفاء, فلو أنك أعتقت رجالاً جُلدا يقومون معك, ويمنعونك, ويدفعون عنك, فقال: أي أبت, إنما أريد «أظنه قال»: ما عند الله, قال: فحدثني بعض أهل بيتي, أن هذه الآية أنزلت فيه: فأمّا مَنْ أَعْطَى واتّقَى وَصَدّقَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسّرُهُ لِلْيُسْرَى.

وقوله: فَسَنُيَسّرُهُ لِلْيُسْرَى يقول: فسنهيئه للخَلّة اليُسْرَى, وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا, ليوجب له به في الآخرة الجنة.

وقوله: وأمّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى يقول تعالى ذكره: وأما من بخل بالنفقة في سبيل الله, ومنع ما وهب الله له من فضله, من صرفه في الوجوه التي أمر الله بصرفه فيها, واستغنى عن ربه, فلم يرغب إليه بالعمل له بطاعته, بالزيادة فيما خوّله من ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28950ـ حدثنا حميد بن مَسْعدة, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا داود, عن عكرِمة, عن ابن عباس, في قوله: وَأمّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى قال: بخل بما عنده, واستغنى في نفسه.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا خالد بن عبد الله, عن داود بن أبي هند, عن عكرِمة عن ابن عباس وَأمّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وأما من بخل بالفضل, واستغنى عن ربه.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَأمّا مَنْ بَخِلَ واسْتَغْنَى يقول: من أغناه الله, فبخل بالزكاة.

28951ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله وأمّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى: وأما من بخل بحقّ الله عليه, واستغنى في نفسه عن ربه.

وأما قوله: وَكَذّبَ بالْحُسْنَى فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله نحو اختلافهم في قوله: وَصَدّقَ بالْحُسْنَى وأما نحن فنقول: معناه: وكذّب بالخَلَف, كما:

28952ـ حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا داود, عن عكرِمة, عن ابن عباس: وكَذّبَ بالْحُسْنَى: وكذّب بالخَلَف.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا خالد بن عبد الله, عن داود بن أبي هند, عن عكرِمة, عن ابن عباس وَكَذّبَ بالْحُسْنَى بالخَلَف من الله.

28953ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وكَذّبَ بالْحُسْنَى وكذّب بموعود الله الذي وعد, قال الله: فَسَنُيَسّرُهُ لِلْعُسْرَى.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَكَذّبَ بالْحُسْنَى وكذّب الكافر بموعود الله الحسن.

وقال آخرون: معناه: وكذّب بتوحيد الله. ذكر من قال ذلك:

28954ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَكَذّبَ بالْحُسْنَى: وكذّب بلا إله إلاّ الله.

28955ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَكَذّبَ بالْحُسْنَى بلا إله إلاّ الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وكذّب بالجنة. ذكر من قال ذلك:

28956ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَكَذّبَ بالْحُسْنَى قال: بالجنة.

وقوله: فَسَنُيَسّرُهُ لِلْعُسْرَى يقول تعالى ذكره: فسنهيئه في الدنيا للخَلّة العُسرى, وهو من قولهم: قد يسرت غنم فلان: إذا ولدت وتهيأت للولادة, وكما قال الشاعر:

هُمَا سَيّدَانا يَزْعُمانِ وإنّمَايَسُودَانِنا أنْ يَسّرَتْ غَنَماهُمَا

وقيل: فَسَنُيَسّرُهُ لِلْعُسْرَى ولا تيسر في العُسرى للذي تقدّم في أوّل الكلام من قوله: فَسَنُيَسّرُهُ لِلْيُسْرَى وإذا جمع بين كلامين أحدهما ذكر الخير والآخر ذكر الشرّ, جاز ذلك بالتيسير فيهما جميعا والعُسرى التي أخبر الله جلّ ثناؤه أنه ييسره لها: العمل بما يكرهه ولا يرضاه. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر الخبر بذلك:

28957ـ حدثني واصل بن عبد الأعلى وأبو كُرَيب, قالا: حدثنا وكيع, عن الأعمش, عن سعد بن عُبيدة, عن أبي عبد الرحمن السّلميّ, عن عليّ, قال: كُنّا جلوسا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم, فنكَتَ الأرض, ثم رفع رأسه فقال: «ما مِنْكمْ مِنْ أحَدٍ إلاّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النّارِ». قلنا: يا رسول الله أفلا نتّكل؟ قال: «لا, اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسّرٌ», ثم قرأ: فأمّا مَنْ أعْطَى وَاتّقَى وَصَدّقَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأمّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذّبَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسّرُهُ لِلْعُسْرَى.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا زائدة بن قُدامة, عن منصور, عن سعد بن عُبيدة عن أبي عبد الرحمن السّلَميّ, عن عليّ, قال: كنا في جنازة في البقيع, فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلسنا معه, ومعه عود يَنْكُت في الأرض, فرفع رأسه إلى السماء فقال: «ما مِنْكمْ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلاّ قَدْ كُتِبَ مَدْخَلُها», فقال القول: يا رسول الله ألا نتكل على كتابنا, فمن كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة, ومن كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء, فقال: «بَلِ اعْمَلُوا فَكُلّ مُيَسّرٌ فأمّا مَنْ كانَ مِنْ أهْلِ السّعادَةِ فإنّهُ يُيَسّرُ لِعَمَلِ السّعادَةِ وأمّا مَنْ كانَ مِنْ أهْلِ الشّقاء فإنّهُ يُيَسّرُ للشّقاءِ», ثم قرأ: فأمّا مَنْ أعْطَى واتّقَى وَصَدّقَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسّرُهُ لِلْيُسْرَى وأمّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وكَذّبَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسّرُهُ لِلْعُسْرَى».

حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن سعد بن عبيدة, عن أبي عبد الرحمن السلميّ, عن عليّ, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحوه.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور والأعمش: أنهما سمعا سعد بن عُبيدة, عن أبي عبد الرحمن السّلَميّ, عن عليّ, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه كان في جنازة, فأخذ عودا فجعل ينكُت في الأرض, فقال: «ما مِنْ أحَدٍ إلاّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النّارِ أوْ مِنَ الجَنّةِ», فقالوا: يا رسول الله أفلا نتّكل؟ قال: «اعْمَلُوا فَكُلّ مُيَسّرٌ فأمّا مَنْ أعْطَى وَاتّقَى وَصَدّقَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسّرُهُ للْيُسْرَى وأمّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وكَذّبَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسّرُهُ لِلْعُسْرَى».

حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور والأعمش, عن سعد بن عُبيدة, عن أبي عبد الرحمن السّلَميّ, عن عليّ رضي الله عنه قال: كنا جلوسا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم, فتناول شيئا من الأرض بيده, فقال: «ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاّ وَقَدْ عُلِمَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنّةِ والنّارِ» قالوا: يا نبيّ الله, أفلا نتكل؟ قال: «لا اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ», ثم قرأ: فأمّا مَنْ أعْطَى وَاتّقَى... الآيتين.

28958ـ قال: ثنا مهران, عن أبي سنان, عن عبد الملك بن سَمُرة بن أبي زائدة, عن النّزّال بن سَبْرَةَ, قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلاّ قَدْ كَتَبَ اللّهُ عَلَيْها ما هِيَ لاقِيَتُهُ» وأعرابي عند النبيّ صلى الله عليه وسلم مُرتاد, فقال الأعرابيّ: فما جاء بي أضرب من وادي كذا وكذا, إن كان قد فُرِغ من الأمر؟ فنكت النبيّ صلى الله عليه وسلم في الأرض, حتى ظنّ القوم أنه ودّ أنه لم يكن تكلم بشيء منه, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «كُلّ مُيَسّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ, فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ بِهِ خَيرا يَسّرَهُ لِسَبِيلِ الخَيرِ, وَمَنْ يُرِدْ بِهِ شَرّا يَسّرَهُ لِسَبِيلِ الشّرّ», فلقيت عمرو بن مُرّة, فعرضت عليه هذا الحديث, فقال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم, وزاد فيه: فأمّا مَنْ أعْطَى وَاتّقَى وَصَدّقَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسّرُهُ لِلْيُسْرَى وأمّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وكَذّبَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسّرُهُ لِلْعُسْرَى.

28959ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: حدثنا حصين, عن سعد بن عبيدة, عن أبي عبد الرحمن السّلَمي, قال: لما نزلت هذه الآية: إنّا كُلّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ قال رجل: يا رسول الله, ففيم العمل؟ أفي شيء نستأنفه, أو في شيء قد فُرغ منه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اعْمَلُوا فَكُلّ مُيَسّرٌ: سَنُيَسّرُهُ لِلْيُسْرَى, وَسُنَيَسّرُهُ لِلْعُسْرَى».

حدثني عمرو بن عبد الملك الطائي, قال: حدثنا محمد بن عبيدة, قال: حدثنا الجراح, عن إبراهيم بن عبد الحميد, عن الحجاج بن أرطأة, عن أبي إسحاق الهمداني, عن سليمان الأعمش, رفع الحديث إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه, أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالسا وبيده عود ينكُت به في الأرض, فرفع رأسه فقال: «ما مِنْكمْ مِنْ أحَدٍ وَلا مِنَ النّاس, إلاّ وَقَدْ عُلِمَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنّةِ أوِ النّارِ», قلنا: يا رسول الله أفلا نتوكل؟ قال لهم: «اعْمَلُوا فَكُلّ مُيَسّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ», ثم قال: «أما سَمِعْتُمُ اللّهَ فِي كِتابِهِ يَقُولُ: فأمّا مَنْ أعْطَى وَاتّقَى وَصَدّقَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسّرُهُ لِلْيُسْرَى وأمّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وكَذّبَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسّرُه لِلْعُسْرَى».

28960ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيّ, قال: حدثنا خالد بن عبد الله, عن داود بن أبي هند, عن عكرِمة, عن ابن عباس فَسَنُيَسّرُهُ لِلْعُسْرَى: للشرّ من الله.

28961ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحرث, عن أبي الزّبير, عن جابر بن عبد الله أنه قال: يا رسول الله, أنعمل لأمر قد فُرغ منه, أو لأمر نأتنفه؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «كُلّ عامِلٍ مُيَسّرٌ لِعَمَلِهِ».

28962ـ حدثني يونس, قال: حدثنا سفيان, عن عمرو بن دينار, عن طلق بن حبيب, عن بشير بن كعب, قال: سأل غلامان شابان النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقالا: يا رسول الله, أنعمل فيما جفّت به الأقلام, وجرَت به

المقادير, أو في شيء يستأنف؟ فقال: «بَلْ فِيما جَفّتْ به الأقْلامُ, وَجَرَتْ بهِ المَقادِيرُ» قالا: ففيم العمل إذن؟ قال: «اعْمَلُوا, فَكُلّ عامِـلٍ مُيَسّـرٌ لعَمَلِـهِ الّذِي خُلِقَ لَهُ», قالا: فالآن نجدّ ونعمل.

الآية : 11-18

القول فـي تأويـل قوله تعـالى:{وَمَـا يُغْنِـي عَنْـهُ مَـالُهُ إِذَا تَـرَدّىَ * إِنّ عَلَيْنَـا لَلْهُدَىَ * وَإِنّ لَنَا لَلاَخِرَةَ وَالاُولَـىَ * فَأَنـذَرْتُكُمْ نَـاراً تَلَظّـىَ * لاَ يَصْـلاَهَآ إِلاّ الأَشْقَى * الّذِي كَذّبَ وَتَوَلّىَ * وَسَيُجَنّبُهَا الأتْقَى * الّذِى يُؤْتِي مَـالَهُ يَتَزَكّـىَ }.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: وَما يُغْني عَنْهُ مالُهُ: أيّ شيء يدفع عن هـذا الـذي بخل بماله, واستغنى عن ربه, مالُه يوم القيامة إذَا هو تَرَدّى؟.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: إذَا تَرَدّى فقال بعضهم: تـأويله: إذا تردّى في جهنم: أي سقط فيها فَهَوى. ذكر من قال ذلك:

28963ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا الأشجعيّ, عن ابن أبـي خالـد, عـن أبي صالح وَما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ إذَا تَرَدّى قال: في جهنم. قـال أبـو كُرَيـب: قـد سمع الأشجعيّ من إسماعيل ذلك.

28964ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قوله: إذَا تَرَدّى قال: إذا تردّى في النار.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا مات. ذكر من قال ذلك:

28965ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سـفيان, عـن ليـث, عـن مجاهد وَما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ إذَا تَرَدّى قال: إذا مات.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعـا عـن ابـن أبـي نجيـح, عن مجاهد, قوله: إذا تَرَدّى قال: إذا مات.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا الأشجعيّ, عن سفيان, عن ليث, عن مجاهد, قال: إذا مات.

وأولَى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إذا تردّى في جهنم, لأن ذلك هو المعروف من التردّي فأمـا إذا أريـد معنـى المـوت, فـإنه يقـال: رَدِيَ فلان, وقلما يقال: تردّى.

وقوله: إنّ عَلَيْنا لَلْهُدَى يقول تعالى ذكره: إن علينا لَبيانَ الحقّ من الباطل, والطاعة من المعصية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويـل. ذكـر مـن قال ذلك:

28966ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ عَلَيْنـا لَلْهُـدَى يقـول: علـى اللـه البيـان, بيـانُ حلالـه وحرامـه, وطـاعته ومعصيته.

وكان بعض أهل العربية يتأوّله بمعنـى: أنـه مـن سـلك الهـدى فعلـى اللـه سبيله, ويقول: وهو مثل قوله: وَعَلى اللّهِ قَصْدُ السّبِيلِ ويقول: معنى ذلـك: من أراد الله فهو على السبيل القاصد, وقال: يقـال معنـاه: إن علينـا للهُـدى والإضلال, كما قال: سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرّ وهي تقي الحرّ والبرد.

وقوله: وَإنّ لَنا لَلاَخِرَةَ والأُولى يقول: وإن لنا مِلْك ما في الـدنيا والآخـرة, نعطي منهما من أردنا من خلقنا, ونحرمه من شئنا.

وإنما عَنَى بذلك جلّ ثناؤه أنه يوفق لطاعته من أحبّ من خلقه, فيكرمه بها في الدنيا, ويهيىء له الكرامة والثواب في الآخرة, ويخذُل من يشـاء خِـذلانه

من خلقه عن طاعته, فيهينه بمعصيته في الدنيا, ويخزيه بعقـوبته عليهـا فـي الآخرة.

ثم قال جلّ ثناؤه: فَأَنْذَرْتُكُمْ نارا تَلَظّى يقول تعالى ذكـره: فأنـذرتكم أيهـا الناس نارا تتوهّج, وهي نار جهنم, يقول: احذروا أن تعصوا ربكم فـي الـدنيا, وتكفروا به, فتَصْلَونها في الآخرة. وقيل: تلظّى, وإنما هي تتلظّى, وهي فـي موضع رفع, لأنه فعل مستقبل, ولـو كـان فعلاً ماضـيا لقيـل: فأنـذرتكم نـارا تلظّت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28967ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: نارا تَلَظّى قال: تَوَهّج.

وقوله: لا يَصْلاها إلاّ الأشْقَى يقول جلّ ثناؤه: لا يدخلها فيصلى بسعيرها إلاّ الأشقى, الذي كذّبَ وتَوَلّى يقول: الذي كذّب بآيات ربه, وأعرض عنها, ولـم يصدّق بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28968ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, قال: حدثنا هشـام بـن الغـاز, عن مكحول, عن أبي هريرة, قال: لتدخُلنّ الجنة إلاّ من يـأبى, قـالوا: يـا أبـا هريرة: ومن يأبى أن يدخل الجنة؟ قال: فقرأ: الّذِي كَذّبَ وَتَوَلّى.

28969ـ حدثني الحسن بن ناضح, قال: حدثنا الحسن بن حبيب ومعاذ بن معاذ, قالا: حدثنا الأشعث, عن الحسن في قوله: لا يَصْلاها إلاّ الأشْـقَى قـال مُعاذ: الذي كذّب وتولى, ولم يقله الحسن, قال: المشرك.

وكان بعض أهل العربية يقول: لم يكن كذب بردّ ظاهر, ولكـن قصّـر عمـا أمر به من الطاعة, فجُعِل تكـذيبا, كمـا تقـول: لقـي فلان العـدوّ, فكـذب إذا نكل ورجع. وذُكر أنه سمع بعض العرب يقول: ليس لحدّهم مكذوبة, بمعنى: أنهم إذا لقـوا صـدقوا القتـال, ولـم يرجعـوا قـال: وكـذلك قـول اللـه: لَيَـسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ.

وقوله: وَسَيُجَنّبُها الأتْقَى يقول: وَسيُوَقّى صِلِيّ النـار الـتي تلظّـى التقـيّ, ووضع أفعل موضع فعيل, كما قال طرفة:

تَمَنّى رِجالٌ أنْ أمُوتَ وَإنْ أمُتْفَتِلكَ سَبيلٌ لَسْتُ فِيها بأَوْحَدِ

وقوله: الّذِي يُؤْتِي مالَهُ يَتَزَكّى يقول: الذي يعطي ماله في الدنيا في حقوق الله التي ألزمه إياها, يتزكى: يعني: يتطهر بإعطائه ذلك من ذنوبه.

الآية : 19- 21

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{وَمَا لأحَدٍ عِندَهُ مِن نّعْمَةٍ تُجْـزَىَ * إِلاّ ابْتِغَـآءَ وَجْهِ رَبّهِ الأعْلَىَ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىَ }.

كان بعض أهل العربية يوجه تأويل ذلك إلى: وما لأحد من خلق الله عنـد هذا الذي يؤتى ماله في سبيل اللـه يـتزكى مِـنْ نِعْمَـةٍ تُجْـزَى يعنـي: مـن يـد يكافئه عليها, يقول: ليس ينفق ما ينفق من ذلك, ويعطى ما يعطى, مجازاة إنسان يجازيه على يد له عنده, ولا مكافأة له علـى نعمـة سـلفت منـه إليـه, أنعمها عليه, ولكن يؤتيه في حقوق الله ابتغاء وجه اللـه. قـال: وإلا فـي هـذا الموضع بمعنى لكن وقـال: يجـوز أن يكـون الفعـل فـي المكافـأة مسـتقبلاً, فيكون معناه: ولم يُرِد بما أنفق مكافأة من أحد, ويكون موقع اللام التي في أحد في الهاء التي خفضتها عنده, فكأنك قلت: وما لـه عنـد أحـد فيمـا أنفـق من نعمة يلتمس ثوابها, قال: وقد تضع العرب الحرف فـي غيـر موضـعه إذا كان معروفا, واستشهدوا لذلك ببيت النابغة:

وَقَدْ خِفْتُ حتى ما تَزِيدُ مَخافَتِيعلى وَعِلٍ فِي ذِي المَطارَةِ عاقِلِ

والمعنى: حتى ما تزيد مخافة وعل على مخافتي وهذا الذي قاله الذي حكينا قوله من أهل العربية, وزعم أنه مما يجوز هو الصحيح الذي جاءت به الآثار عن أهل التأويل وقالوا: نزلت في أبي بكر بعَتْقه من أعتق. ذكر من قال ذلك:

28970ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَما لِاِءَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلاّ ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبّهِ الأعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى يقول: ليس به مثابة الناس ولا مجازاتهم, إنما عطيته لله.

28971ـ حدثني محمد بن إبراهيم الأنماطي, قال: حدثنا هارون بن معروف. قال: حدثنا بشر بن السريّ, قال: حدثنا مصعب بن ثابت, عن عامر بن عبد الله عن أبيه, قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصدّيق: وَما لِاِءَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلاّ ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبّهِ الأعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى.

28972ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: أخبرني سعيد, عن قتادة, في قوله: وَما لِاِءَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى قال: نزلت في أبي بكر, أعتق ناسا لم يلتمس منهم جزاء ولا شكورا, ستة أو سبعة, منهم بلال, وعامر بن فُهَيرة.

وعلى هذا التأويل الذي ذكرناه عن هؤلاء, ينبغي أن يكون قوله: إلاّ ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبّهِ الأعْلَى نصبا على الاستثناء من معنى قوله: وَما لِاِءَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى لأن معنى الكلام: وما يؤتي الذي يؤتي من ماله ملتمسا من أحد ثوابه, إلا ابتغاء وجه ربه. وجائز أن يكون نصبه على مخالفة ما بعد إلا ما قبلها, كما قال النابغة:

ت.ت.وَما بِالرّبْعِ مِنْ أحَدِ
إلاّ أوَارِيّ لأيْا ما أُبَيّنُهات.

وقوله: وَلَسَوْفَ يَرْضَى يقول: ولسوف يرضى هذا المؤتي ماله في حقوق الله عزّ وجلّ, يتزكى بما يثيبه الله في الآخرة عوضا مما أتى في الدنيا في سبيله, إذا لقي ربه تبارك وتعالى.

سورة الضحى

سورة الضحى مكية
وآياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-8

القول في تأويل قوله تعالى:{وَالضّحَىَ * وَاللّيْلِ إِذَا سَجَىَ * مَا وَدّعَكَ رَبّكَ وَمَا قَلَىَ * وَلَلاَخِرَةُ خَيْرٌ لّكَ مِنَ الأُولَىَ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبّكَ فَتَرْضَىَ * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىَ * وَوَجَدَكَ ضَآلاّ فَهَدَىَ * وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَىَ }.

أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالضحى, وهو النهار كله, وأحسب أنه من قولهم: ضَحِيَ فلان للشمس: إذا ظهر منه ومنه قوله: وَأنّكَ لا تَظْمأ فِيها وَلا تَضْحَى: أي لا يصيبك فيها الشمس.

وقد ذكرت اختلاف أهل العلم في معناه, في قوله: والشّمْسِ وَضُحاها مع ذكري اختيارنا فيه. وقيل: عُني به وقت الضحى. ذكر من قال ذلك:

28973ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة والضّحَى ساعة من ساعات النهار.
وقوله: وَاللّيْلِ إذَا سَجَى اختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: معناه: والليل إذا أقبل بظلامه. ذكر من قال ذلك:
28974ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس. وَاللّيلِ إذَا سَجَى يقول: والليل إذا أقبل.
28975ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن, في قول الله: وَاللّيْلِ إذَا سَجَى قال: إذا لَبِس الناسَ, إذا جاء.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا ذهب. ذكر من قال ذلك:
28976ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس وَاللّيْلِ إذَا سَجَى يقول: إذا ذهب.
وقال آخرون: معناه: إذا استوى وسكن. ذكر من قال ذلك:
28977ـ حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا مِهْران وحدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع جميعا, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَاللّيْلِ إذَا سَجَى قال: إذا استوى.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَاللّيْلِ إذَا سَجَى قال: إذا استوى.
28978ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَاللّيْلِ إذَا سَجَى سكن بالخلق.
28979ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: وَاللّيْلِ إذَا سَجَى يعني: استقراره وسكونه.
28980ـ حدثني يونس, قال: أخبرني ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَاللّيْلِ إذَا سَجَى قال: إذا سكن, قال: ذلك سَجْوه, كما يكون سكون البحر سجوه.
وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال معناه: والليل إذا سكن بأهله, وثبت بظلامه, كما يقال: بحر ساج: إذا كان ساكنا ومنه قول أعشى بني ثعلبة.
فَمَا ذَنْبُنا إنْ جاشع بَحْرُ ابنِ عَمّكُمْوَبَحْرُكَ ساجٍ ما يُوَارِي الدّعامِصَا
وقول الراجز:
يا حَبّذَا القَمْرَاءُ وَاللّيْلُ السّاجْوطُرُقٌ مِثْلُ مُلاءِ النّسّاجْ
وقوله: ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى وهذا جواب القسم, ومعناه: ما تركك يا محمد ربك وما أبغضك. وقيل: وَما قَلى ومعناه: وما قلاك, اكتفاء بفهم السامع لمعناه, إذ كان قد تقدّم ذلك قولُه: ما وَدّعَكَ فعُرف بذلك أن المخاطب به نبيّ الله صلى الله عليه وسلم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
28981ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى يقول: ما تركك ربك, وما أبغضك.

28982ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى قال: ما قلاك ربك وما أبغضك قال: والقالي: المبغض.

وذُكر أن هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تكذيبا من الله قريشا في قيلهم لرسول الله, لما أبطأ عليه الوحي: قد ودّع محمدا ربّه وقَلاه. ذكر الرواية بذلك:

28983ـ حدثني عليّ بن عبد الله الدهان, قال: حدثنا مفضل بن صالح, عن الأسود بن قيس العبديّ, عن ابن عبد الله, قال: لما أبطأ جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقالت امرأة من أهله, أو من قومه: ودّع الشيطان محمدا, فأنزل الله عليه: وَالضّحَى... إلى قوله: ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى.

قال أبو جعفر: ابن عبد الله: هو جُندَب بن عبد الله البَجَلي.

حدثني محمد بن عيسى الدامغاني, ومحمد بن هارون القطان, قالا: حدثنا سفيان, عن الأسود بن قيس سمع جندبا البجليّ يقول: أبطأ جبريل على النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى قال المشركون: ودّع محمدا ربّه, فأنزل الله: وَالضّحَى واللّيْلِ إذَا سَجَى ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الأسود بن قيس, أنه سمع جندبا البَجَليّ قال: قالت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أرى صاحبك إلا قد أبطأ عنك, فنزلت هذه الآية: ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الأسود بن قيس, قال: سمعت جندب بن عبد الله يقول: إن امرأة أتت النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالت: ما أرى شيطانك إلا قد تركك, فنزلت: والضُحَى وَاللّيْلِ إذَا سَجَى ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى.

28984ـ حدثنا ابن أبي الشوارب, قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد, قال: حدثنا سليمان الشيبانيّ, عن عبد الله بن شدّاد أن خديجة قالت للنبيّ صلى الله عليه وسلم: ما أرى ربك إلا قد قلاك, فأنزل الله: وَالضّحَى وَاللّيْلِ إذَا سَجَى ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى.

28985ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى قال: إن جبريل عليه السلام أبطأ عليه بالوحي, فقال ناس من الناس, وهم يومئذٍ بمكة, ما نرى صاحبك إلا قد قلاك فودّعك, فأنزل الله ما تسمع: ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلَى.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى قال: أبطأ عليه جبريل, فقال المشركون: قد قلاه ربّه وودّعه, فأنزل الله: ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى.

28986ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى مكث جبريل عن محمد صلى الله عليه وسلم, فقال المشركون: قد ودّعه ربه وقلاه, فأنزل الله هذه الآية.

28987ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى قال: لما نزل عليه

القرآن, أبطأ عنه جبريل أياما, فعُيّر بذلك, فقال المشركون: ودّعه ربه وقلاه, فأنزل الله: ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى.

28988ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن هشام بن عروة, عن أبيه, قال: أبطأ جبريل على النبيّ صلى الله عليه وسلم, فجزع جزعا شديدا, وقالت خديجة: أرى ربك قد قَلاك, مما نرى من جزعك, قال: فنزلت والضّحَى واللّيْلِ إذَا سَجَى ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى... إلى آخرها.

وقوله: وَللاَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولى يقول تعالى ذكره: وللدار الآخرة, وما أعدّ الله لك فيها, خير لك من الدار الدنيا وما فيها يقول: فلا تخزن على ما فاتك منها, فإن الذي لك عند الله خير لك منها.

وقوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبّكَ فَتَرْضَى يقول تعالى ذكره: ولسوف يعطيك يا محمد ربك في الآخرة من فواضل نِعَمه, حتى ترضى. وقد اختلف أهل العلم في الذي وعده من العطاء, فقال بعضهم: هو ما:

28989ـ حدثني به موسى بن سهل الرمليّ, قال: حدثنا عمرو بن هاشم, قال: سمعت الأوزاعيّ يحدّث, عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي, عن عليّ بن عبد الله بن عباس, عن أبيه, قال: عُرِض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على أمته من بعده, كَفْرا كَفْرا, فسرّ بذلك, فأنزل الله وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبّكَ فَتَرْضَى فأعطاه في الجنة ألف قصر, في كلّ قصر, ما ينبغي من الأزواج والخدم.

حدثني محمد بن خلف العسقلانيّ, قال: ثني رَوّاد بن الجراح, عن الأوزاعيّ, عن إسماعيل بن عبيد الله, عن عليّ بن عبد الله بن عباس, في قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبّكَ فَتَرْضَى قال: ألف قصر من لؤلؤ, ترابهنّ المسك, وفيهنّ ما يصلحهنّ.

28990ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبّكَ فَتَرْضَى, وذلك يوم القيامة. وقال آخرون في ذلك ما:

28991ـ حدثني به عباد بن يعقوب, قال: حدثنا الحكم بن ظهير, عن السديّ, عن ابن عباس, في قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبّكَ فَتَرْضَى قال: من رضا محمد صلى الله عليه وسلم ألاّ يدخل أحد من أهل بيته النار.

وقوله: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيما فآوَى يقول تعالى ذكره معدّدا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نِعَمه عنده, ومذكّره آلاءه قِبَلَه: ألم يجدك يا محمد ربك يتيما فآوى, يقول: فجعل لك مَأوًى تأوي إليه, ومنزلاً تنزله وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ووجدك على غير الذي أنت عليه اليوم. وقال السديّ في ذلك ما:

28992ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مِهْران, عن السديّ وَوَجَدَكَ ضَالاً قال: كان على أمر قومه أربعين عاما. وقيل: عُنِي بذلك: ووجدك في قوم ضُلاّل فهداك.

وقوله: وَوَجَدَكَ عائِلاً فَأغْنَى يقول: ووجدك فقيرا فأغناك, يقال منه: عال فلان يَعيل عَيْلَة, وذلك إذا افتقر ومنه قول الشاعر:

فَمَا يَدْرِي الفَقِيرُ مَتى غِناهوَما يَدْرِي الغَنِيّ مَتى يَعِيلُ

يعني: متى يفتقر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28993ـ حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا مِهْران, عن سفيان وَوَجَدَكَ عائِلاً فقيرا. وذُكر أنها في مصحف عبد الله: «وَوَجَدَكَ عَدِيما فآوَى».

28994ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة أَلَـمْ يَجِدْكَ يَتِيما فآوَى وَوَجَدَكَ ضَالاّ فَهَدَى وَوَجَدَكَ عائِلاً فأغْنَى قـال: كـانت هـذه منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم, قبل أن يبعثه الله سبحانه وتعالى.

الآية : 9-11

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{فَأَمّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ * وَأَمّا السّآئِلَ فَلاَ تَنْهَـرْ * وَأَمّا بِنِعْمَةِ رَبّكَ فَحَدّثْ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فَأمّا الْيَتِيمَ يا محمد فَلا تَقْهَرْ يقول: فلا تظلمه, فتذهب بحقه, استضعافا منك له, كما:

28995ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة فَأمّـا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ: أي لا تظلم.

28996ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مِهْران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد فَأمّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ قال: تُغْمِصْه وَتَحْقِرْه. وذُكر أن ذلك في مصـحف عبد الله: «فَلا تَكْهَرْ».

وقوله: وَأمّا السّائِلَ فَلا تَنْهَرْ يقول: وأما من سألك من ذي حاجة فلا تنهره, ولكن أطعمه واقض له حاجته وَأمّا بِنِعْمَةِ رَبّكَ فَحَدّثْ: يقول: فاذكره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28997ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, عن أبي بشر, عن مجاهد, في قوله: وَأمّا بِنِعْمَةِ رَبّكَ فَحَدّثْ قال: بالنبوّة.

28998ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا سعيد بن إياس الجريريّ, عن أبي نضرة, قال: كان المسلمون يرون أن من شُكْرِ النعـم أن يحدّثَ بها.

سورة الشرح

سورة الشرح مكية
وآياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1-8

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الّذِيَ أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىَ رَبّكَ فَارْغَبْ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم, مذكّره آلاءه عنده, وإحسانه إليه, حاضا له بذلك على شكره على ما أنعم عليه, ليستوجب بذلك المزيد منه: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ يا محمد, للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحقّ صَدْرَكَ فنلين لك قلبك, ونجعله وعاء للحكمة وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ يقول: وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك, وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها وهي في قراءة عبد الله فيما ذُكر: «وَحَلَلْنا عَنْكَ وِقْرَكَ» الّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ يقول: الذي أثقل ظهرك فأوهنه, وهو من قولهم للبعير إذا كان رجيع سفر, قد أوهنه السفر, وأذهب لحمه: هو نِقْضُ سَفَر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

28999ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ قال: ذنبك.
وقوله: أَنْقَضَ ظَهْرَكَ قال: أثقل ظهرك.
29000ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أَلَمَ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ: كانت للنبيّ صلى الله عليه وسلم ذنوب قد أثقلته, فغفرها الله له.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: أَنْقَضَ ظَهْرَكَ قال: كانت للنبيّ صلى الله عليه وسلم ذنوب قد أثقلته, فغفرها الله له.
29001ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ يعني: الشرك الذي كان فيه.
29002ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ قال: شرح له صدرَه, وغفر له ذنبَه الذي كان قبل أن يُنَبأ, فوضعه. وفي قوله: الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ قال: أثقله وجهده, كما يُنْقِضُ البعيرَ حِمْله الثقيل, حتى يصير نِقْضا بعد أن كان سمينا وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ قال: ذنبك الذي أنقض ظهرك: أثقل ظهرَك, ووضعناه عنك, وخفّفنا عنك ما أثقل ظهرَك.
وقوله: وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ يقول: ورفعنا لك ذكرك, فلا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معي, وذلك قول: لا إله إلا الله, محمد رسول الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29003ـ حدثنا أبو كُريب وعمرو بن مالك, قالا: حدثنا سفيان بن عيينة, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ قال: لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معي: أشهد أن لا إله إلا الله, وأشهد أن محمدا رسول الله.
29004ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ابْدَؤُوا بالعُبُودَةِ, وَثَنّوا بالرسالة» فقلت لمعمر, قال: أشهد أن لا إله إلا الله, وأن محمدا عبده, فهو العبودة, ورسوله أن تقول: عبده ورسوله.
29005ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتاة وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة, فليس خطيب, ولا متشهد, ولا صاحب صلاة, إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله, وأشهد أن محمدا رسول الله.
29006ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا عمرو بن الحرث, عن درّاج, عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخُدْرِيّ, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, أنه قال: «أتاني جِبْرِيلُ فَقالَ: إنّ رَبّي وَرَبّكَ يَقُولُ: كَيْفَ رَفَعْتُ لَكَ ذِكْرَكَ؟ قال: اللّهُ أعْلَمُ, قالَ: إذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي».
وقوله: فَإنّ مَعَ العُسْرِ يُسْرا إنّ مَعَ العُسْرِ يُسْرا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فإنّ مع الشدَّة التي أنت فيها, من جهاد هؤلاء المشركين, ومِن أوّله: ما أنت بسبيله, رجاءً وفرجا بأن يُظْفِرَك بهم, حتى ينقادوا للحقّ الذي جئتهم به طوعا وكَرها.

ورُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية لما نزلت, بَشّر بها أصحابه وقال: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ». ذكر من قال ذلك:

29007ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: سمعت يونس, قال: قال الحسن: لما نزلت هذه الآية فَإنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبْشِرُوا أتاكُمُ اليُسْرُ, لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ».

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن يونس, عن الحسن, مثله, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, بنحوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن, قال: خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا فَرِحا وهو يضحك, وهو يقول: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ, لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ فَإنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرا إنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرا».

29008ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَإنّ مَعَ العُسْرِ يُسْرا ذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشّر أصحابه بهذه الآية, فقال: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْن».

29009ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا سعيد, عن معاوية بن قرة أبي إياس, عن رجل, عن عبد الله بن مسعود, قال: لو دخل العسر في جُحْر, لجاء اليسر حتى يدخل عليه, لأن الله يقول: فَإنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرا إنّ مَعَ العُسْرِ يُسْرا.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن شعبة, عن رجل, عن عبد الله, بنحوه.

29010ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرا قال: يتبع اليسرُ العُسرَ.

وقوله: فَإذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: فإذا فرغت من صلاتك, فانصب إلى ربك في الدعاء, وسله حاجاتك. ذكر من قال ذلك:

29011ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: فَإذَا فَرَغْتَ فانْصبْ يقول: في الدعاء.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: فَإذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ يقول: فإذا فرغت مما فُرض عليك من الصلاة فسل الله, وارغب إليه, وانصَب له.

29012ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَإذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ قال: إذا قمت إلى الصلاة فانصَب في حاجتك إلى ربك.

29013ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: فَإذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ يقول: من الصلاة المكتوبة قبل أن نسلّم, فانصَب.

29014ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَإذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ وَإلى رَبّكَ فارْغَبْ قال: أمره إذا فرغ من صلاته أن يبالغ في دعائه.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: فَإذَا فَرَغْتَ من صلاتك فانْصَبْ في الدعاء.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: فَإذَا فَرَغْتَ من جهاد عدوّك فانْصَبْ في عبادة ربك. ذكر من قال ذلك:
29015ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: قال الحسن في قوله: فَإذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ قال: أمره إذا فرغ من غزوه, أن يجتهد في الدعاء والعبادة.
29016ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَإذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ قال عن أبيه: فإذا فرغت من الجهاد, جهاد العرب, وانقطع جهادهم, فانصَب لعبادة الله وَإلى رَبّكَ فارْغَبْ.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: فإذا فرغت من أمر دنياك, فانصب في عبادة ربك. ذكر من قال ذلك:
29017ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مِهران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد فَإذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ قال: إذا فرغت من أمر الدنيا فانصَب, قال: فصلّ.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد فَإذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ قال: إذا فرغت من أمر دنياك فانصَب, فصلّ.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, في قوله: فَإذَا فَرَغْتَ قال: إذا فرغت من أمر الدنيا, وقمت إلى الصلاة, فاجعل رغبتك ونيتك له.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب, قول من قال: إن الله تعالى ذكره, أمر نبيه أن يجعل فراغه من كلّ ما كان به مشتغلاً, من أمر دنياه وآخرته, مما أدّى له الشغل به, وأمره بالشغل به إلى النصب في عبادته, والاشتغال فيما قرّبه إليه, ومسألته حاجاته, ولم يخصُصْ بذلك حالاً من أحوال فراغه دون حال, فسواء كلّ أحوال فراغه, من صلاة كان فراغه, أو جهاد, أو أمر دنيا كان به مشتغلاً, لعموم الشرط في ذلك, من غير خصوص حال فراغ, دون حال أخرى.
وقوله: وَإلى رَبّكَ فارْغَبْ يقول تعالى ذكره: وإلى ربك يا محمد فاجعل رغبتك, دون من سواه من خلقه, إذ كان هؤلاء المشركون من قومك قد جعلوا رغبتهم في حاجاتهم إلى الآلهة والأنداد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29018ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد وَإلى رَبّكَ فارْغَبْ قال: اجعل نيتك ورغبتك إلى الله.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد وَإلى رَبّكَ فارْغَبْ قال: اجعل رغبتك ونيتك إلى ربك.
29019ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَإلى رَبّكَ فارْغَبْ قال: إذا قمت إلى الصلاة.

سورة التين

سورة التين مكية
وآياتها ثمان

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-6

القول في تأويل قوله تعالى:{وَالتّينِ وَالزّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَـَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِيَ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلاّ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: وَالتّينِ وَالزّيْتُونِ فقال بعضهم: عُنِي بالتين: التين الذي يؤكل, والزيتون: الزيتون الذي يُعْصر. ذكر من قال ذلك:

29020ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا روح, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قول الله: والتّينِ والزّيْتُونِ قال: تينكم هذا الذي يؤكل, وزيتونكم هذا الذي يُعصر.

29021ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: سمعت الحكم يحدّث, عن عكرِمة, قال: التين: هو التين, والزيتون: الذي تأكلون.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن يزيد, عن عكرِمة وَالتّينِ والزّيْتُونِ قال: تينكم وزيتونكم.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, قال: سُئل عكرِمة عن قوله: وَالتّينِ والزّيْتُونِ قال: التين تينكم هذا, والزيتون: زيتونكم هذا.

29022ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَالتّينِ والزّيْتُونِ قال: التين الذي يُؤكل, والزيتون: الذي يعصر.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران وحدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, جميعا عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله وَالتّينِ وَالزّيْتُونِ قال: الفاكهة التي تأكل الناس.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سلام بن سليم, عن خَصِيف, عن مجاهد وَالتّينِ وَالزّيْتُونِ قال: هو تينكم وزيتونكم.

29023ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن حماد, عن إبراهيم, في قوله: وَالتّينِ والزّيْتُونِ قال: التين الذي يؤكل, والزيتون الذي يُعصر.

29024ـ حدثنا بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الكلبيّ التّينِ والزّيْتُونِ هو الذي ترون.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قال: قال الحسن, في قوله: وَالتّينِ والزّيْتُونِ: التين تينكم, والزيتون زيتونكم هذا.

وقال آخرون: التين: مسجد دمشق, والزيتون: بيت المقدس. ذكر من قال ذلك:

29025ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا رَوْح, قال: حدثنا عوف, عن يزيد أبي عبد الله, عن كعب أنه قال في قول الله: وَالتِّينِ والزَّيْتُونِ قال: التين: مسجد دمشق, والزيتون: بيت المقدس.
29026ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: والتِّينِ قال: الجبل الذي عليه دمشق والزَّيْتُونِ: الذي عليه بيت المقدس.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ذُكر لنا أن التين الجبل الذي عليه دمشق, والزيتون: الذي عليه بيت المقدس.
29027ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, وسألته عن قول الله: وَالتِّينِ والزَّيْتُونِ قال: التين: مسجد دمشق, والزيتون, مسجد إيلياء.
29028ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن أبي بكر, عن عكِرمة وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ قال: هم جبلان.
وقال آخرون: التين: مسجد نوح, والزيتون: مسجد بيت المقدس. ذكر من قال ذلك:
29029ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ يعني مجسد نوح الذي بني على الجُودِيّ, والزيتون: بيت المقدس قال: ويقال: التين والزيتون وطور سينين: ثلاثة مساجد بالشام.
والصواب من القول في ذلك عندنا: قول من قال: التين: هو التين الذي يُؤكل, والزيتون: هو الزيتون الذي يُعصر منه الزيت, لأن ذلك هو المعروف عند العرب, ولا يُعرف جبل يسمى تينا, ولا جبل يقال له زيتون, إلاّ أن يقول قائل: أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالتين والزيتون. والمراد من الكلام: القسمَ بمنابت التين, ومنابت الزيتون, فيكون ذلك مذهبا, وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك, دلالة في ظاهر التنزيل, ولا من قول من لا يجوّز خلافه, لأن دمشق بها منابت التين, وبيت المقدس منابت الزيتون.
وقوله: وَطُورِ سِينِينَ اختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: هو جبل موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه ومسجده. ذكر من قال ذلك:
29030ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا معاذ بن هشام, قال: ثني أبي, عن قتادة, عن قزعة, قال: قلت لابن عمر: إني أريد أن آتي بيت المقدس وَطُورِ سِينِينَ فقال: لا تأت طور سينين, ما تريدون أن تدعوا أثر نبيّ إلاّ وطئتموه. قال قتادة وَطُورِ سِينِينَ: مسجد موسى صلى الله عليه وسلم.
29031ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا روح, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: وَطُورِ سِينِينَ قال: جبل موسى.
29032ـ قال: ثنا عوف, عن يزيد أبي عبدالله, عن كعب, في قوله: وَطُورِ سِينِينَ قال: جبل موسى صلى الله عليه وسلم.
29033ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَطُورِ سِينِينَ قال: هو الطّور.
29034ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَطُورِ سِينِينَ قال: مسجد الطور.

وقال آخرون: الطّور: هو كلّ جبل يُنْبِتُ. وقوله سِينِينَ: حسن. ذكر من قال ذلك:

29035ـ حدثنا عمران بن موسى القزّاز, قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد, قال: حدثنا عمارة, عن عكرِمة, في قوله: وَطُورِ سِينِينَ قال: هو الحسن, وهي لغة الحبشة, يقولون للشيء الحسن: سِينا سِينا.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, قال: سُئل عكرِمة, عن قوله وَطُورِ سِينِينَ قال: طُور: جبل, وسِينين: حَسَنٌ بالحبشية.

29036ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الصباح بن محارب, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن عمرو بن ميمون, قال: صليت خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه المغرب, فقرأ في أوّل ركعة وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وطُورِ سِينِينَ قال: هو جبل.

29037ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت الحكم يحدّث, عن عكرِمة وَطُورِ سِينِينَ قال: سواء عليّ نبات السهل والجبل.

29038ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَطُورِ سِينِينَ قال: الجبل.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مُؤَمّل, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَطُورِ سِينِينَ: جبل.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مِهْران, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَطُورِ سِينِينَ الجبل.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن النضر, عن عكرِمة, قال: الطور: الجبل, والسينين: الحسن, كما ينبت في السهل, كذلك ينبت في الجبل.

29039ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الكلبيّ, أما وَطُورِ سِينِينَ فهو الجبل ذو الشجر.

وقال آخرون: هو الجبل, وقالوا: سينين: مبارك حسن. ذكر من قال ذلك:

29040ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَطُورِ: الجبل وسِينِينَ قال: المبارك.

29041ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَطُورِ سِينِينَ قال: جبل مبارك بالشام.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَطُورِ سِينِينَ قال: جبل بالشام, مُبارك حسن.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: طور سينين: جبل معروف, لأن الطور هو الجبل ذو النبات, فإضافته إلى سينين تعريف له, ولو كان نعتا للطور, كما قال من قال معناه حسن أو مبارك, لكان الطور منوّنا, وذلك أن الشيء لا يُضاف إلى نعته, لغير علة تدعو إلى ذلك.

وقوله: وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ يقول: وهذا البلد الآمن من أعدائه أن يحاربوا أهله, أو يغزوهم. وقيل: الأمين, ومعناه: الآمن, كما قال الشاعر:

ألمْ تَعْلَمِي يا أسْمَ وَيْحَكِ أنّنِيحَلَفْتُ يَمِينا لا أخُونُ أمِيني

يريد: آمني, وهذا كما قال جلّ ثناؤه: أوَ لَمْ يَرَوْا أنّا جَعَلْنا حَرَما آمِنا وَيُتَخَطّفُ النّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ.

وإنما عُنِي بقوله: وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ: مكة. وبنحو الذي قلنا فـي ذلـك قـال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29042ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ قال: مكة.
29043ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا رَوْح, قال: حدثنا عوف, عن يزيد أبي عبد الله, عن كعب, في قول الله وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ قال: البلد الحرام.
29044ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا رَوْح, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ قال: البلد الحرام.
29045ـ قال: ثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان وحدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان وحدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيـع, عـن سـفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ قال مكة.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عـن مجاهد, مثله.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سَلاّم بن سليم, عن خَصِيف, عن مجاهد: وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ: مكة.
29046ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت الحكم يحدّث عن عكرِمة وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ: قال: البلد الحرام.
قال: ثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, قال: سُئل عكرِمة, عن قوله وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ قال: مكة.
29047ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَهَـذَا الْبَلَدِ الأمِينِ يعني: مكة.
29048ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ قال: المسجد الحرام.
29049ـ حدثنا ابن بشار, قال: حـدثنا مُؤَمّـل, قـال: حـدثنا سـفيان, عـن حماد, عن إبراهيم وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ: مكة.
وقوله: لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي أحْسَنِ تَقْوِيمٍ وهـذا جـواب القسـم, يقـول تعالى ذكره: والتين والزيتون, لقد خلقنا الإنسان في أحسـن تقـويم. وبنحـو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29050ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: وقع القسم هاهنا لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي أحْسَنِ تَقْوِيمٍ..
اختلف أهل التأويل في تأويل قوله لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِـي أحْسَـنِ تَقْـوِيمٍ فقال بعضهم: معناه: في أعدل خلق, وأحسن صورة. ذكر من قال ذلك:
29051ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن عاصـم, عـن أبي رَزِين, عن ابن عباس فِي أحْسَنِ تَقْوِيمٍ قال: في أعدل خلق.
29052ـ حدثنا ابن بشار, قال: حـدثنا مؤمـل, قـال: حـدثنا سـفيان, عـن حماد, عن إبراهيم لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فـي أحْسَـنِ تَقْـوِيمٍ قـال: فـي أحسـن صورة.
قال: ثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن حماد, عن إبراهيم, مثله.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن حماد, عن إبراهيم فِي أحْسَنِ تَقْوِيمٍ قال: خَلْق.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن حماد, عن إبراهيم لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي أحْسَنِ تَقْوِيمٍ قال: في أحسن صورة.

29053ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ يقول: في أحسن صورة.
29054ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ: في أحسن صورة.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ قال: أحسن خَلْق.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ قال: في أحسن خلق.
29055ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ يقول: في أحسن صورة.
29056ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن مَعْمر, عن قتادة, هو والكلبيّ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ قالا: في أحسن صورة.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان, فبلغنا به استواء شبابه وجَلَدِه وقوّته, وهو أحسن ما يكون, وأعدل ما يكون وأقومه. ذكر من قال ذلك:
29057ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت الحكم يحدّث, عن عكرِمة, في قوله: لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ قال: الشاب القويّ الجَلْد.
29058ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ قال: شبابه أوّل ما نشأ.
وقال آخرون: قيل ذلك لأنه ليس شيء من الحيوان إلاّ وهو منكبّ على وجهه غير الإنسان. ذكر من قال ذلك:
29059ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, عن عكرِمة, عن ابن عباس لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ قال: خلق كلّ شيء منكبا على وجهه, إلاّ الإنسان.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها لأن قوله: أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ إنما هو نعت لمحذوف, وهو في تقويم أحسن تقويم, فكأنه قيل: لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم.
وقوله: ثُمّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: ثم رددناه إلى أرذل العمر. ذكر من قال ذلك:
29060ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, عن عكرِمة, عن ابن عباس ثُمّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ قال: إلى أرذل العمر.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام بن سلم, عن عمرو, عن عاصم, عن أبي رزين, عن ابن عباس ثُمّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ قال: إلى أرذل العمر.
29061ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس ثُمّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ يقول: يردّ إلى أرذل العمر, كبر حتى ذهب عقله, وهم نفر رُدّوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم, فسُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

سفهت عقولهم, فأنزل اللـه عـذرهم أن لهـم أجرهـم الـذي عملـوا قبـل أن تذهب عقولهم.
29062ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, قال: سُـئل عكرِمة, عن قوله: ثُمّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ قال: ردّوا إلى أرذل العمر.
29063ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل وعبـد الرحمـن, قـالا: حـدثنا سفيان, عن حماد, عن إبراهيم, في قوله: ثُمّ رَدَدْناهُ أسْـفَلَ سـافِلِينَ: ق ال: إلى أرذل العمر.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن حماد, عن إبراهيم, مثله.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن حماد, عـن إبراهيـم, مثله.
29064ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة ثُمّ رَدَدْناهُ أسْفلَ سافِلِينَ قال: رددناه إلى الهَرَم.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: الهَرَم.
29065ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت الحكم يحدّث, عن عكرِمة ثُمّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ قال: الشيخ الهَرِم, لم يضـرّه كـبرُه إن ختم الله له بأحسن ما كان يعمل.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم رددناه إلى النار في أقبح صورة. ذكر من قال ذلك:
29066ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن أبي جعفـر الـرازيّ, عـن الربيع بن أنس, عن أبي العاليـة ثُـمّ رَدَدْنـاهُ أسْـفَلَ سـافِلِينَ قـال: فـي شـر صورة في صورة خنزير.
29067ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سـفيان, عـن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد ثُمّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ قال: النار.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن أبـي نجيـح, عـن مجاهد, قال: إلى النار.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: في النار.
قال: ثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قـال: إلى النار.
29068ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سـعيد, عـن قتـادة ثُـمّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ قال: (قال) الحسن: جهنم مأواه.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتـادة, قـال: قال الحسن, في قوله: ثُمّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ قال: في النار.
29069ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: ثُمّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ قال: إلى النار.
وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة, وأشبهها بتأويل الآية, قول من قال: معناه: ثم رددناه إلى أرذل العمر, إلى عمر الخَرْفَى, الـذين ذهبـت عقـولهم من الهَرَم والكِبر, فهو في أسفل من سفل: في إدبار العمر وذهاب العقل.
وإنما قلنا: هذا القول أولى بالصواب في ذلك: لأن الله تعالى ذكره, أخـبر عن خلقه ابن آدم, وتصريفه في الأحوال, احتجاجا بذلك على مُنكري قُـدرته على البعث بعد الموت. ألا ترى أنه يقول: فَمَا يُكَذّبُكَ بَعْدُ بالدّينِ يعنـي: بعـد

هذه الحُجَج. ومحال أن يحتجّ على قوم كانوا مُنكرين معنى من المعاني, بما كانوا له مُنكرين. وإنما الحجة على كلّ قوم بما لا يقدرون على دفعه, مما يعاينونه ويحسّونه, أو يقرّون به, وإن لم يكونوا له مُحِسّين.

وإذْ كان ذلك كذلك, وكان القوم للنار التي كان الله يتوعدهم بها في الآخرة مُنكرين, وكانوا لأهل الهَرَم والخَرَف من بعد الشباب والجَلَد شاهدين, عُلِم أنه إنما احتجّ عليهم بما كانوا له مُعاينين, من تصريفه خلقه, ونقله إياهم من حال التقويم الحسن والشباب والجلد, إلى الهَرَم والضعف وفناء العمر, وحدوث الخَرَف.

وقوله: إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ اختلف أهل التأويل في معنى هذا الاستثناء, فقال بعضهم: هو استثناء صحيح من قوله ثُمّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ قالوا: وإنما جاز استثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات, وهم جمع, من الهاء في قوله ثُمّ رَدَدْناهُ وهي كناية الإنسان, والإنسان في لفظ واحد, لأن الإنسان وإن كان في لفظ واحد, فإنه في معنى الجمع, لأنه بمعنى الجنس, كما قيل: وَالْعَصْرِ إنّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ قالوا: وكذلك جاز أن يقال: ثُمّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ فيضاف أفعل إلى جماعة, وقالوا: ولو كان مقصودا به قصدُ واحد بعينه, لم يجز ذلك, كما لا يُقال: هذا أفضل قائمين, ولكن يقال: هذا أفضل قائم ذكر من قال ذلك:

29070ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن سعيد بن سابق, عن عاصم الأحول, عن عكرمة, قال: (كان يقال): من قرأ القرآن لم يُردّ إلى أرذل العمر, ثم قرأ: لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي أحْسَن تَقْوِيمٍ ثُمّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ إلا الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ قال: لا يكونُ حتى لا يعلَم من بعد علم شيئا.

فعلى هذا التأويل قوله: ثُمّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ لخاصّ من الناس, غير داخل فيهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات, لأنه مستثنى منهم.

وقال آخرون: بل الذين آمنوا وعملوا الصالحات قد يدخلون في الذين رُدّوا إلى أسْفَل سافلين, لأن أرذْل العُمر قد يردّ إليه المؤمن والكافر. قالوا: وإنما استثنى قوله: إلاّ الّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ من معنى مضمر في قوله: ثُمّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ قالوا: ومعناه: ثم رددناه أسفل سافلين, فذهبت عقولهم وخَرِفوا, وانقطعت أعمالهم, فلم تثبت لهم بعد ذلك حسنة. إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصّالِحاتِ فإن الذي كانوا يعملونه من الخير, في حال صحة عقولهم, وسلامة أبدانهم, جارٍ لهم بعد هَرَمهم وخَرَفهم.

وقد يُحتمل أن يكون قوله: إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصّالِحاتِ استثناء منقطعا, لأنه يحسن أن يقال: ثم رددناه أسفل سافلين, إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات, لهم أجر غير ممنون, بعد أن يردّ أسفل سافلين. ذكر من قال معنى هذا القول:

29071ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, عن عكرِمة, عن ابن عباس إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُمْ أجْرٌ غَيرُ مَمْنُونٍ قال: فأيّما رجل كان يعمل عملاً صالحا وهو قويّ شاب, فعجز عنه, جرى له أجر ذلك العمل حتى يموت.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُمْ أجْرٌ غَيرُ مَمْنُونٍ يقول: إذا كان يعمل بطاعة الله في شبيبته كلها, ثم كبر حتى ذهب عقله,

كُتب له مثل عمله الصالح, الذي كان يعمل في شبيبته, ولم يُؤاخذ بشيء مما عمل في كبره, وذهاب عقله, من أجل أنه مؤمن, وكان يطيع الله في شبيبته.

29072ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن حماد, عن إبراهيم, في قوله: ثُمّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ قال: إلى أرذل العمر, فإذا بلغ المؤمن إلى أرذل العمر, كُتِب له كأحسن ما كان يعمل في شبابه وصحته, فهو قوله: فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيرُ مَمْنُونٍ.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن حماد, عن إبراهيم ثُمّ ردَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فإنه يكتب له من الأجر, مثل ما كان يعمل في الصحة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن حماد بن أبي سليمان, عن إبراهيم, مثله.

حدثنا أبو كرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن حماد, عن إبراهيم إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ قال: إذا بلغ من الكبر ما يعجز عن العمل, كُتب له ما كان يعمل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فإنه يُكتب لهم حسناتهم. ويُتجاوز لهم عن سيئاتهم. ذكر من قال ذلك:

29073ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن عاصم, عن أبي رَزِين, عن ابن عباس ثُمّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ قال: هم الذين أدركهم الكِبرَ, لا يؤاخذون بعمل عملوه في كبرهم, وهم هَرْمَى لا يعقلون.

29074ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, قال: سُئل عكِرمة, عن قوله: إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيرُ مَمْنُونٍ قال: يوفيه الله أجره أو عمله, ولا يؤاخذه إذا رُدّ إلى أرذل العمر.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: سمعت الحكم يحدّث, عن عكرِمة ثُمّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ قال: الشيخ الهَرِم لم يضرّه كبره إن ختم الله له بأحسن ما كان يعمل.

29075ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة إلاّ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ قال: من أدركه الهرم, وكان يعمل صالحا, كان له مثل أجره إذا كان يعمل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم رددناه أسفل سافلين في جهنم, إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات, فلهم أجر غير ممنون, فعلى هذا التأويل: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات مستثنون من الهاء في قوله: ثُمّ رَدَدْناهُ, وجاز استثناؤهم منها إذ كانت كناية للإنسان, وهو بمعنى الجمع, كما قال: إنّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إلاّ الّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ. ذكر من قال ذلك:

29076ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد ثُمّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ إلاّ الّذِينَ آمَنُوا: إلا من آمن.

29077ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: قال الحسن, في قوله: ثُمّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ: في النار إلاّ الّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ قال الحسن: هي كقوله: وَالْعَصْر إنّ الإنْسانَ لَفِـي خُسْـرٍ إلا الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة, قول من قال: معناه: ثم رددناه إلى أرذل العمر, إلا الذين آمنوا وعملوا الصـالحات فـي حـال صـحتهم وشـبابهم, فلهم أجر غير ممنون بعد هَرَمهم, كهيئة ما كان لهم من ذلك على أعمــالهم, في حال ما كانوا يعملون وهم أقوياء على العمل.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة لما وصفنا من الدلالة على صـحة القـول بـأن تأويل قوله: ثُمّ رَدَدْناهُ أسْفَل سافِلِينَ إلى أرذل العمر.

واختلفوا في تأويل قوله: غَيرُ مَمْنُونٍ فقال بعضهم: معناه: لهم أجـر غيـر منقوص. ذكر من قال ذلك:

29078ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, في قوله: فَلَهُمْ أجْرٌ غَيرُ مَمْنُونٍ يقول: غير منقوص.

وقال آخرون: بل معناه: غير محسوب. ذكر من قال ذلك:

29079ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عـن ابـن جُرَيـج, عن مجاهد فَلَهُمْ أجْرٌ غَيرُ مَمْنُونٍ: غير محسوب.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فَلَهُمْ أجْرٌ غَيرُ مَمْنُونٍ قال: غير محسوب.

29080ـ قال: ثنا سفيان, عن حماد, عن إبراهيم فَلَهُمْ أجْـرٌ غَيْـرُ مَمْنُـونٍ قال: غير محسوب.

29081ـ قال: ثنا سفيان, عن حماد, عن إبراهيم فَلَهُمْ أجْـرٌ غَيْـرُ مَمْنُـونٍ قال: غير محسوب.

وقد قيل: إن معنى ذلك: فلهم أجر غير مقطوع.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: فلهم أجر غيـر منقـوص, كما كان له أيام صحته وشبابه, وهو عندي من قـولهم: جبـل مَنِيـن: إذا كـان ضعيفا ومنه قول الشاعر:

أعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثَمَانِيَةٌما فِي عَطائِهِمُ مَنّ وَلا سَرَفُ

يعني: أنه ليس فيه نقص, ولا خطأ.

الآية : 7-8

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{فَمَا يُكَذّبُكَ بَعْدُ بِالدّينِ * أَلَيْـسَ اللّـهُ بِـأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: فَمَا يُكَذّبُكَ بَعْدُ فقال بعضهم معنـاه: فمن يكذّبك يا محمد بعد هذه الحجج التي احتججنا بها, بالدين, يعني: بطاعة الله, وما بعثك به من الحقّ, وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: «ما» في معنى «مَنْ», لأنه عُني به ابن آدم, ومـن بعـث إليـه النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسلم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فما يكـذّبك أيهـا الإنسـان بعـد هـذه الحجـج بالدين. ذكر من قال ذلك:

29082ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, قال: قلت لمجاهد: فَمَا يُكَذّبُكَ بَعْدُ بِالدّينِ عُني به النـبيّ صـلى اللـه عليه وسلم؟ قال: مَعاذ الله عُني به الإنسان.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عمن سمع مجاهدا يقول: فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدّينِ قلت: يعني به: النبيّ صلى الله عليه وسلم؟ قال: مَعاذ الله إنما يعني به الإنسان.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدّينِ أعُنِي به النبيّ صلى الله عليه وسلم؟ قال: معاذ الله إنما عُني به الإنسان.

29083ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الكلبيّ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدّينِ؟ إنما يعني الإنسان, يقول: خلقتك في أحسن تقويم, فما يكذّبك أيها الإنسان بعد بالدين.

وقال آخرون: إنما عُنِي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقيل له: استيقن مع ما جاءك من الله من البيان, أن الله أحكم الحاكمين. ذكر من قال ذلك:

29084ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدّينِ أي استيقِن بعد ما جاءك من الله البيانُ أَلَيْسَ اللّهَ بِأحْكَمِ الْحاكِمِينَ؟.

وأولَى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى «ما» معنى «مَنْ». ووجه تأويل الكلام إلى: فمن يكذّبك يا محمد بعد الذي جاءك من هذا البيان من الله بالدين؟ يعني: بطاعة الله, ومجازاته العباد على أعمالهم. وقد تأوّل ذلك بعض أهل العربية بمعنى: فما الذي يكذّبك بأن الناس يدانون بأعمالهم؟ وكأنه قال: فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب, بعد ما تبين له خلقنا الإنسان على ما وصفنا.

واختلفوا في معنى قوله: بالدّين فقال بعضهم: بالحساب. ذكر من قال ذلك:

29085ـ حدثنا عبد الرحمن بن الأسود الطّفَاوي, قال: حدثنا محمد بن ربيعة, عن النضر بن عربيّ, عن عكرِمة, في قوله: فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدّينِ قال: الحساب.

وقال آخرون: معناه: بحكم الله. ذكر من قال ذلك:

29086ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدّينِ يقول: ما يكذّبك بحكم الله.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: الدين في هذا الموضع: الجزاء والحساب, وذلك أن أحد معاني الدين في كلام العرب: الجزاء والحساب ومنه قولهم: كما تدين تُدان. ولا أعرف من معاني الدين «الحكم» في كلامهم, إلا أن يكون مرادا بذلك: فما يكذّبك بعد بأمر الله الذي حكم به عليك أن تطيعه فيه؟ فيكون ذلك.

وقوله: أَلَيْسَ اللّهُ بِأحْكَمِ الْحاكِمِينَ يقول تعالى ذكره: أليس الله يا محمد بأحكم من حكم في أحكامه, وفصل قضائه بين عباده؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ذلك فيما بلغنا قال: بَلى.

29087ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أَلَيْسَ اللّهَ بِأحْكَمِ الْحاكِمِينَ؟ ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال: «بلى, وأنا على ذلك من الشاهدين».

29088ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن أبيه, عن أبي إسحاق, عن سعيد بن جُبير, قال: كان ابن عباس إذا قرأ: أَلَيْسَ اللَّـهُ بِـأَحْكَمِ الْحـاكِمِينَ؟ قال: سبحانك اللهمّ, وَبلى.

29089ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: كان قتادة إذا تلا: أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحـاكِمِينَ؟ قـال: بلـى, وأنـا علـى ذلـك مـن الشاهدين, أحسبه كان يرفع ذَلك وإذا قرأ: أَلَيْسَ ذَلَك بِقـادِرٍ عَلـى أَنْ يُحْيِـيَ المَوْتَى؟ قال: بلى, وإذا تلا: فَبِأيّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ قال: آمنت بالله, وبما أنزل.

سورة العلق

سورة العلق مكية
وآياتها تسع عشرة

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-8

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ * خَلَـقَ الإنسَـانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبّكَ الأكْرَمُ * الّذِى عَلّمَ بِـالْقَلَمِ * عَلّـمَ الإنسَـانَ مَـا لَـمْ يَعْلَمْ * كَلاّ إنّ الإنسَانَ لَيَطْغَىَ * أن رّآهُ اسْتَغْنَىَ * إنّ إِلَىَ رَبّكَ الرّجْعَىَ }.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: اقْرأ باسِمِ رَبّكَ محمدا صلى الله عليه وسلم يقول: اقرأ يا محمد بذكر ربك الّذِي خَلَقَ, ثم بين الذي خلـق فقـال: خَلَـقَ الإنْسـانَ مِنْ عَلَقٍ يعني: من الدم, وقال: من علق والمراد بـه مـن علقـة, لأنـه ذهـب إلى الجمع, كما يقال: شجرة وشجر, وقصَبة وقَصَب, وكـذلك علقـة وعَلَـق. وإنما قال: من علق والإنسان في لفظ واحد, لأنه في معنى جمـع, وإن كـان في لفظ واحد فلذلك قيل: من عَلَق.

وقوله: اقْرأْ وَرَبّكَ الأكْرَمُ يقول: اقرأ يـا محمـد وربـك الأكـرم الّـذِي عَلّـمَ بِالقَلَمِ: خَلْقَه الكتاب والخط, كما:

29090ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة اقْـرأْ باسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ قرأ حتى بلغ عَلّمَ بِالقَلَمِ قـال: القلـم: نعمـة مـن اللـه عظيمة, لولا ذلك لم يقم, ولم يصلح عيش.

وقيل: إن هذه أوّل سورة نزلت في القرآن على رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

29091ـ حدثني أحمد بن عثمان البصري, قال: حدثنا وهب بن جرير, قال: حدثنا أبي, قال: سمعت النعمان بن راشد يقـول عـن الزهـريّ, عـن عـروة, عن عائشة أنها قالت كان أوّل مـا ابتـدىء بـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فَلَقِ الصبح, ثم حُبّب إليــه الخلاء, فكان بغار حِراء يتحنّث فيه الليالِيَ ذواتِ العـدد, قبـل أن يرجـع إلـى أهله, ثُمّ يَرْجع إلى أَهْلِهِ فيتزوّد لمثلهـا, حـتى فجـأه الحـقّ, فأتـاه فقـال: يـا محمد أنت رسول الله, قال رسـول اللـه: «فَجَئَـوْتُ لِرُكَبَـتيّ وأنـا قـائمٌ, ثُـمّ رَجَعْتُ تَرْجُفُ بَوَادِرِي, ثُمّ دَخَلْت عَلى خَدِيجَةَ, فَقُلْتُ: زَمّلُونِي زَمّلُونِي, حتى ذَهَبَ عَنّي الرّوْعُ, ثُمّ أتاني فَقالَ: يـا مُحَمّـدُ, أنـا جِبْرِيـلُ وأَنْـتَ رَسُـولُ اللّـهِ, قالَ: فَلَقَدْ هَمَمْت أنْ أطْرَحَ نَفْسِي مِـنْ حـالِقٍ مِـنْ جَبَـلٍ, فَتَمَثّـلَ إلـيّ جِيـنَ هَمَمْتُ بذلكَ, فَقالَ: يا مُحمّدُ, أنا جِبْرِيلُ وأنْتَ رَسُولُ اللّـهِ, ثُـمّ قـالَ: اقْـرأ,

قُلْتُ: ما أَقْرأُ؟ قال: فأخَذَنِي فَغَطّنِي ثَلاثَ مَرّاتٍ, حتى بَلَغَ مِنّـي الجَهْـدُ, ثـمّ قالَ: اقْرأْ بِاسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ فَقَرأْتُ, فأتَيْتُ خَدِيجَةَ, فَقُلْتُ: لَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلى نَفْسِي, فأخْبَرْتُها خَبَـرِي, فَقـالَتْ: أبْشِـرْ, فَـوَاللّهِ لا يُخْزِيـكَ اللّـهُ أبَـدا, وَوَاللّهِ إنّكَ لَتَصِلُ الرّحِمِ, وَتَصْـدُقُ الْحَـديثَ, وَتُـؤَدّي الأَمانَـةَ, وَتَحْمِـلُ الكَـلّ, وَتَقْرِي الضّيْفَ, وتُعِينُ عَلى نَوَائِبِ الْحَقّ ثُمّ انْطَلَقَتْ بِي إلى وَرَقَةَ بـنِ نَوفَـلِ بن أَسَدٍ, قالَتِ: اسمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ, فَسألَنِي, فأخْبَرْتُهُ خَبِـرِي, فَقـالَ: هَـذَا النّامُوسُ الّذِي أُنْزِلَ عَلى مُوسَى صَلى اللّـهُ عليـهِ وسـلّمَ, لَيْتَنِـي فِيهـا جَـذَعٌ لَيْتَنِي أكُونُ حَيّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ, قُلْتُ: أوَ مُخْرِجِيّ هُمْ؟ قال: نَعَمْ, إنّهُ لَمْ يَجِىءْ رَجُلٌ قَطّ بِمَا جِئْتَ بِهِ, إلاّ عُودِيَ, وَلَئِـنْ أدْرَكَنِـي يَوْمُـكَ أنْصُـرْكَ نَصْـرا مُؤَزّرا, ثُمّ كانَ أوّلُ ما نَـزَلَ عَلـيّ مِـنَ القُـرآنِ بَعْـدَ «اقْـرأْ»: ن والقَلَـمِ وَمـا يَسْطُرُونَ ما أنْتَ بِنِعْمَةِ رَبّكَ بِمَجْنُونٍ وَإنّ لَكَ لأَجْرا غَيرَ مَمْنُـونٍ وَإنّـكَ لَعَلـى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ ويُبْصِرُونَ, ويا أيّها المُدّثِرُ قُمْ فأنْـذِرْ, والضّـحَى وَاللّيْـلِ إذَا سَجَى».

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابـن وهـب, قـال: أخـبرني يـونس, عـن ابـن شهاب, قال: ثني عروة أن عائشة أخبرته, وذكر نحوه, غير أنه لم يقـل: ثـم كان أوّل ما أنزل عليّ من القرآن... الكلام إلى آخره.

29092ـ حدثنا ابن أبي الشوارب, قال: حـدثنا عبـد الواحـد, قـال: حـدثنا سليمان الشيباني, قال: حدثنا عبد الله بن شدّاد, قال: أتـى جبريـل محمـدا, فقال: يا محمد اقرأ, فقال: «وما أقرأ؟» قـال: فضـمه, ثـم قـال: يـا محمـد اقرأ, قال: «وما أقرأ؟» قال: باسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ حتى بلـغ عَلّـمَ الإنْسـانَ ما لَمْ يَعْلَمْ. قال: فجاء إلى خديجة, فقال: «يا خديجة مـا أراه إلا قـد عُـرِضَ لي», قالت: كّلا, والله ما كان ربك يفعل ذلـك بـك, ومـا أتيـت فاحشـة قـطّ قال: فأتت خديجة ورقة, فأخبرته الخبر, قال: لئـن كنـتِ صـادقة إن زوجـكِ لنبيّ, ولَيَلْقَينّ من أمته شدّة, ولئن أدركتـه لأومنـنّ بـه قـال: ثـم أبطـأ عليـه جبريل, فقالت له خديجة: ما أرى ربـك إلا قـد قلاك, فـأنزل اللـه: وَالضّـحَى واللّيْلِ إذَا سَجَى ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى.

29093ـ حدثنا إبراهيـم بـن سـعيد الجـوهريّ, قـال: حـدثنا سـفيان, عـن الزهريّ, عن عُرْوة, عن عائشة قال إبراهيم: قـال سـفيان: حفظـه لنـا ابـن إسحاق: إن أوّل شيء أنزل من القرآن: اقْرأ باسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ.

حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري, قال: حدثنا سفيان, عن محمد بن إسحاق, عن الزهريّ عن عروة, عن عائشة, أنّ أوّل سورة أُنزلت من القرآن اقْرأ باسْمِ رَبّكَ.

29094ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابـن أبـي عـديّ, عـن شـعبة, عـن عمرو بن دينار, عن عُبيد بن عُمير, قال: أوّل سورة نزلت على رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم اقرأ باسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ.

قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي, قال: حدثنا شعبة, عن عمرو بـن دينـار, قال: سمعت عُبيد بن عُمير يقول: فذكر نحوه.

29095ـ حدثنا خلاد بن أسلم, قال: أخبرنا النضر بن شميل, قـال: حـدثنا قرّة, قال: أخبرنا أبو رجاء العُطارديّ, قال: كنا في المسجد الجامع, ومقرئنا أبو موسى الأشعريّ, كأني أنظر إليه بين بُردين أبيضين قال أبـو رجـاء: عنـه أخذت هذه السورة: اقْرأ باسْمِ رَبّـكَ الّـذِي خَلَـقَ وكـانت أوّل سـورة نزلـت على محمد.

29096ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, عن بعض أصحابه, عن عطاء بن يسار, قال: أوّل سورة نزلت من القرآن اقْرأْ باسْمِ رَبّكَ.
29097ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن بن مهديّ, قالا: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: أوّل ما نزل من القرآن: اقْرأْ باسْمِ رَبّكَ وزاد ابن مهدي: ن والْقَلَمِ.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن شعبة, عن عمرو بن دينار, قال: سمعت عُبيد بن عُمير يقول: أوّل ما أنزل من القرآن اقْرأْ باسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ.
قال: ثنا وكيع, عن قُرّة بن خالد, عن أبي رجاء العطارديّ, قال: إني لأنظر إلى أبي موسى وهو يقرأ القرآن في مسجد البصرة, وعليه بُردان أبيضان, فأنا أخذت منه اقْرأْ باسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ, وهي أوّلُ سورة أُنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم.
قال: ثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: إن أوّل سورة أنزلت: اقْرأْ باسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ. ثم ن والقَلَمِ.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
وقوله: عَلّمَ الإنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ يقول تعالى ذكره: علّم الإنسان الخطّ بالقلم, ولم يكن يعلمه, مع أشياء غير ذلك, مما علمه ولم يكن يعلمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29098ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: عَلّمَ الإنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ قال: علّم الإنسان خَطّا بالقلم.
وقوله: كَلاّ يقول تعالى ذكره: ما هكذا ينبغي أن يكون الإنسان أن يُنْعِمَ عليه ربّه بتسويته خَلقه, وتعليمه ما لم يكن يعلم, وإنعامه بما لا كُفؤَ له, ثم يكفر بربه الذي فعل به ذلك, ويطغى عليه, أن رآه استغنى.
وقوله: إنّ الإنْسانَ لَيَطْغَى أنْ رآهُ اسْتَغْنَى يقول: إن الإنسان ليتجاوز حدّه, ويستكبر على ربه, فيكفر به, لأنْ رأى نفسه استغنت. وقيل: أن رآه استغنى لحاجة «رأى» إلى اسم وخبر, وكذلك تفعل العرب في كل فعل اقتضى الاسمَ والفعلَ, إذا أوقعه المخبر عن نفسه على نفسه, مكنيا عنها فيقول: متى تراك خارجا؟ ومتى تحسبك سائرا؟ فإذا كان الفعل لا يقتضي إلا منصوبا واحدا, جعلوا موضع المكنى نفسه, فقالوا: قتلت نفسك, ولم يقولوا: قتلتك ولا قتلته.
وقوله: إنّ إلى رَبّكَ الرّجْعَى: يقول: إن إلى ربك يا محمد مَرْجِعَه, فذائق من أليم عقابه ما لا قِبَل له به.

الآية : 9-10

القول في تأويل قوله تعالى:{أَرَأَيْتَ الّذِي يَنْهَى * عَبْداً إِذَا صَلّى }.
ذُكر أن هذه الآية وما بعدها نزلت في أبي جهل بن هشام, وذلك أنه قال فيما بلغنا: لئن رأيت محمدا يصلي, لأطأنّ رقبته وكان فيما ذُكر قد نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي, فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أرأيت يا محمد أبا جهل الذي يَنْهاك أن تصليَ عند المَقام, وهو مُعرض عن الحقّ, مكذّب به, يُعجّب جلّ ثناؤه نبيه والمؤمنين من جهل أبي جهل, وجراءته على ربه, في نهيه محمدا عن الصلاة لربه, وهو مع أياديه

عنده مكذّب به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29099ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح. عن مجاهد. في قول الله: أرأَيْتَ الّذِي يَنْهَى عَبْدا إذَا صَلّى قال: أبو جهل, يَنْهَى محمدا صلى الله عليه وسلم إذا صلى.

29100ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد. قال: حدثنا سعيد. عن قتادة أرأَيْتَ الّذِي يَنْهَى عَبْدا إذَا صَلّى نزلت في عدوّ الله أبي جهل, وذلك لأنه قال: لئن رأيت محمدا يصلّي لأطأنّ على عنقه. فأنزل الله ما تسمعون.

29101ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قول الله: أرأَيْتَ الّذِي يَنْهَى عَبْدا إذَا صَلّى قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدا صلى الله عليه وسلم يصلّي, لأطأنّ على عنقه قال: وكان يقال: «لكل أمة فرعون, وفرعون هذه الأمة أبو جهل».

29102ـ حدثنا إسحاق بن شاهين الواسطيّ, قال: حدثنا خالد بن عبد الله, عن داود, عن عكرِمة, عن ابن عباس, قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّي, فجاءه أبو جهل, فنهاه أن يُصَلّيَ, فأنزل الله: أرأَيْتَ الّذِي يَنْهَى عَبْدا إذَا صَلّى... إلى قوله: كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ.

الآية : 11-12

القول في تأويل قوله تعالى:{أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَىَ الْهُدَىَ * أَوْ أَمَرَ بِالتّقْوَىَ }.

يقول تعالى ذكره: أرأَيْتَ إنْ كانَ محمد عَلى الهُدَى يعني: على استقامة وسَدَاد في صلاته لربه أوْ أمَرَ بالتّقْوَى أو أمر محمد هذا الذي يَنْهى عن الصلاة, باتقاء الله, وخوف عقابه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29103ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أرأَيْتَ إنْ كانَ عَلى الهُدَى أوْ أمَرَ بالتّقْوَى قال محمد: كان على الهدى, وأمر بالتقوى.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى:{أَرَأَيْتَ إِن كَذّبَ وَتَوَلّىَ }.

يقول تعالى ذكره: أرأَيْتَ إنْ كَذّبَ أبو جهل بالحقّ الذي بَعَث به محمدا وَتَوَلّى يقول: وأدبر عنه, فلم يصدق به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29104ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أرأَيْتَ إنْ كَذّبَ وَتَوَلّى يعني: أبا جهل.

الآية : 14-19

القول في تأويل قوله تعالى:{أَلَمْ يَعْلَم بِأَنّ اللّهَ يَرَىَ * كَلاّ لَئِن لّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُو الزّبَانِيَةَ * كَلاّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب }.

يقول تعالى ذكره: ألم يعلم أبو جهل إذ ينهى محمدا عن عبادة ربه, والصلاة له, بأن الله يراه فيخاف سطوته وعقابه. وقيل: أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى, أرأيت إن كان على الهدى, فكررت أرأيت مرات ثلاثا على

البدل. والمعنى: أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى, وهو مكذّب متولّ عن ربه, ألم يعلم بأن الله يراه.
وقوله: كَلاَّ لَئِن لَمْ يَنْتَهِ يقول: ليس كما قال: إنه يطأ عنق محمد, يقول: لا يقدر على ذلك, ولا يصل إليه.
وقوله: لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ يقول: لئن لم ينته أبو جهل عن محمد لَنَسْفَعا بالنّاصِيَةِ يقول: لنأخذن بمقدّم رأسه, فلنضمنه ولنذلنه يقال منه: سَفَعْتُ بيده: إذا أخذت بيده. وقيل: إنما قيل لَنَسْفَعا بالنّاصِيَةِ والمعنى: لنسوّدنّ وجهه, فاكتفى بذكر الناصية من الوجه كله, إذ كانت الناصية في مقدم الوجه. وقيل: معنى ذلك: لنأخذنّ بناصيته إلى النار, كما قال: فَيُؤْخَذُ بالنّوَاصِي وَالأَقْدَامِ.
وقوله: ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ فخفض ناصية ردّا على الناصية الأولى بالتكرير, ووصف الناصية بالكذب والخطيئة, والمعنى لصاحبها.
وقوله: فَلْيَدْعُ نادِيَهُ يقول تعالى ذكره: فليدع أبو جهل أهل مجلسه وأنصاره, من عشيرته وقومه, والنادي: هو المجلس.
وإنما قيل ذلك فيما بلغنا, لأن أبا جهل لما نهى النبيّ صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند المقام, انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأغلظ له, فقال أبو جهل: علام يتوعدني محمد وأنا أكثر أهل الوادي ناديا؟ فقال الله جلّ ثناؤه: لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعا بالنّاصِيَةِ, فليدع حينئذٍ ناديه, فإنه إن دعا ناديه, دعونا الزبانية. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار, وقال أهل التأويل. ذكر الآثار المروية في ذلك:
29105ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد الأحمر وحدثنا أبو كرَيب, قال: حدثنا الحكم بن جميع, قال: حدثنا عليّ بن مُسْهِر, جميعا عن داود بن أبي هند, عن عكرِمة, عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند المَقام, فمرّ به أبو جهل بن هشام, فقال: يا محمد, ألم أنهك عن هذا؟ وتوعّده, فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهره, فقال: يا محمد بأيّ شيء تهدّدني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي ناديا, فأنزل الله: فَلْيَدْعُ نادِيَهُ سَنَدْعُ الزّبانِيَةَ قال ابن عباس: لو دعا ناديه, أخذته زبانية العذاب من ساعته.
حدثني إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا خالد بن عبد الله, عن داود, عن عكرِمة, عن ابن عباس, قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي, فجاءه أبو جهل, فنهاه أن يصلي, فأنزل الله: أرأَيْتَ الّذِي يَنْهَى عَبْدا إذَا صَلّى... إلى قوله: كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ فقال: لقد علم أني أكثر هذا الوادي نَاديا, فغضب النبيّ صلى الله عليه وسلم, فتكلم بشيء, قال داود: ولم أحفظه, فأنزل الله: فَلْيَدْعُ نادِيَهُ سَنَدْعُ الزّبانِيَةَ فقال ابن عباس: فوالله لو فعل لأخذته الملائكة من مكانه.
29106ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن أبيه, قال: حدثنا نعيم بن أبي هند, عن أبي حازم, عن أبي هريرة, قال: قال أبو جهل: هل يُعَفّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل نعم, قال: فقال: واللاتِ والعُزّى لئن رأيته يصلي كذلك, لأطأنّ على رقبته, لأُعَفّرنّ وجهه في التراب, قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته, قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكْص على عَقبيه, ويتقي بيديه قال: فقيل له: مالك؟ قال: فقال: إن بيني وبينه خَنْدقا من نار, وهَوْلاً وأجنحة قال: فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ دَنا مِنّي لاخْتَطَفَتْهُ المَلائِكَةُ عُضْوا عُضْوا» قال: وأنزل الله, لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا: كَلاّ إنّ الإنْسانَ لَيَطْغَى أنْ رآهُ اسْتَغْنَى إنّ إلى رَبّكَ الرّجْعَى أرأيْتَ الّذِي يَنْهَى عَبْدا إذَا صَلّى أرأيْتَ إنْ كانَ عَلى الهُدَى أوْ أمَرَ بالتّقْوَى أرأيْتَ إنْ كَذّبَ وَتَوَلّى يعني أبا جهل أَلَمْ يَعْلَمْ بِأنّ اللّهَ يَرَى كَلاّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعا بالنّاصِيَةِ ناصيةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نادِيَهُ يدعو قومه سَنَدْعُ الزّبانِيَةَ الملائكة كَلاّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ.

29107ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: أخبرنا يونس بن أبي إسحاق, عن الوليد بن العَيْزَار, عن ابن عباس, قال: قال أبو جهل: لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه, فأنزل الله: اقْرأ باسْمِ رَبّكَ حتى بلغ هذه الآية: لَنَسْفَعا بالنّاصِيَةِ ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نادِيَهُ سَنَدْعُ الزّبانِيَةَ, فجاء النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يصلي, فقيل له: ما يمنعك؟ قال: «قد اسودّ ما بيني وبينه من الكتائب».. قال ابن عباس: والله لو تحرّك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه.

29108ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا زكريا بن عديّ, قال: حدثنا عبيد الله بن عمرو, عن عبد الكريم, عن عكرِمة, عن ابن عباس, قال: قال أبو جهل: لئن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة, لآتينه حتى أطأ على عنقه, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ فَعَلَ لأَخَذَتْهُ المَلائِكَةُ عِيانا».

وبالذي قلنا في معنى النادي قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29109ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس في قوله: فَلْيَدْعُ نادِيَهُ يقول: فليدع ناصره.

29110ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد سَنَدْعُ الزّبانِيَةَ قال: الملائكة.

29111ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي سنان, عن عبد الله بن أبي الهُذَيل: الزبانية أرجلهم في الأرض, ورؤوسهم في السماء.

29112ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن قتادة, في قوله: سَنَدْعُ الزّبانِيَةَ قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ فَعَلَ أبُو جَهْلٍ لأَخَذَتْهُ الزّبانِيَةُ المَلائِكَةُ عِيانا».

29113ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة سَنَدْعُ الزّبانِيَةَ قال: الملائكة.

29114ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: الزبانية, قال: الملائكة.

وقوله: كَلاّ يقول تعالى ذكره: ليس الأمر كما يقول أبو جهل, إذ ينهى محمدا عن عبادة ربه, والصلاة له لا تُطِعْهُ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تُطع أبا جهل فيما أمرك به من ترك الصلاة لربك وَاسْجُدْ لِرَبّكَ وَاقْتَرِبْ منه, بالتحبب إليه بطاعته, فإن أبا جهل لن يقدر على ضرّك, ونحن نمنعك منه.

29115ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة كَلاّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ذُكر لنا أنها نزلت في أبي جهل, قال: لئن رأيتُ

محمدا يصلي لأطأنّ عنقه, فأنزل الله: كَلاّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه الذي قال أبو جهل, قال: «لو فعل لاختطفته الزبانية».

سورة القدر

سورة القدر مكية
وآياتها خمس

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-5

القول في تأويل قوله تعالى:{إِنّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبّهِم مّن كُلّ أَمْرٍ * سَلاَمٌ هِيَ حَتّىَ مَطْلَعِ الْفَجْرِ }.

يقول تعالى ذكره: إنا أنزلنا هذا القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القَدْر, وهي ليلة الحُكْم التي يقضي الله فيها قضاء السنة وهو مصدر من قولهم: قَدَرَ الله عليّ هذا الأمْرَ, فهو يَقْدُر قَدْرا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29116ـ حدثنا ابن المثنى, قال: ثني عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عكرِمة, عن ابن عباس, قال: نزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا, فكان الله إذا أراد أن يُحدث في الأرض شيئا أنزله منه حتى جمعه.

29117ـ حدثنا ابن المثنى قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عن عكرِمة, عن ابن عباس, قال: أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر, وكان الله إذا أراد أن يوحى منه شيئا أوحاه, فهو قوله: إنّا أنْزلْناهُ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

قال: ثنا ابن أبي عديّ, عن داود, عن عِكرِمة, عن ابن عباس, فذكر نحوه, وزاد فيه. وكان بين أوّله وآخره عشرون سنة.

29118ـ قال: ثنا عمرو بن عاصم الكلابيّ, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان التيميّ, قال: حدثنا عمران أبو العوّام, قال: حدثنا داود بن أبي هند, عن الشعبيّ, أنه قال في قول الله: إنّا أنْزلْناهُ في لَيْلَة الْقَدْرِ قال: نزل أوّلُ القرآن في ليلة القدر.

29119ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حُصَين, عن حكيم بن جُبير, عن ابن عباس, قال: نزل القرآن في ليلة من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة, ثم فُرّق في السنين وتلا ابن عباس هذه الآية: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النّجُومِ قال: نزل متفرّقا.

29120ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن داود, عن الشعبيّ, في قوله: إنّا أنْزلْناهُ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ قال: بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا.

29121ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن سلمة بن كهيل, عن مسلم, عن سعيد بن جُبير: أنزل القرآن جملة واحدة, ثم أنزل ربنا في ليلة القدر: فِيها يُفْرَقُ كُلّ أمْرٍ حَكِيم.

29122ـ قال: ثنا جرير, عن منصور, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, في قوله إنّا أنْزَلْناهُ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ قال: أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة

القدر, إلى السماء الدنيا, فكان بموقع النجوم, فكان الله ينزله على رسوله, بعضُه في إثر بعض, ثم قرأ: وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَـذلكَ لِنُثَبّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتّلْناهُ تَرْتِيلاً وبنحو الذي قلنا فـي ذلـك قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

29123ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سـفيان, عـن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد: ليلة القدر: ليلة الحكم.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن أبـي نجيـح, عـن مجاهد إنّا أنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ قال: ليلة الحُكْم.

29124ـ قال: ثنا وكيع. عن سفيان, عن محمد بن سُوقَة, عن سـعيد بـن جُبير: يؤذن للحجاج في ليلة القدر, فيكتبـون بأسـمائهم وأسـماء آبـائهم, فلا يغادر منهم أحد, ولا يُزاد فيهم, ولا ينقص منهم.

29125ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا ربيعة بن كلثوم, قال: قال رجل للحسن وأنا أسمع: رأيت ليلة القـدر فـي كـلّ رمضـان هـي؟ قال: نعم, والله الذي لا إله إلا هو إنها لفى كـلّ رمضـان, وإنهـا لليلـة القـدر, فيها يُفرق كلّ أمر حكيم, فيها يقضي الله كلّ أجل وعمل ورزق, إلى مثلها.

29126ـ حدثنا أبو كُرَيب. قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عمر. قال: ليلة القدر في كلّ رمضان.

وقوله: وَمَا أدْرَاكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ يقول: وما أشعرك يا محمد أيّ شيء ليلة القدر خير من ألف شهر.

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: العمل فـي ليلة القدر بما يرضي الله, خير من العمل في غيرها ألفَ شهر. ذكر من قال ذلك:

29127ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, قال: بلغني عن مجاهد لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ ألْفِ شَهْرٍ قال: عملها وصـيامها وقيامهـا خيـر مـن ألف شهر.

29128ـ قال: ثنا الحكم بن بشير, قال: حدثنا عمـرو بـن قيـس الملائـي, قوله: خَيْرٌ مِنْ ألْفِ شَهْرٍ قال: عملٌ فيها خير من عمل ألف شهر.

وقال آخرون: معنى ذلك أن ليلة القدر خير من ألف شهر, ليس فيها ليلـة القدر. ذكر من قال ذلك:

29129ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة خَيْرٌ مِنْ ألْفِ شَهْرٍ ليس فيها ليلة القدر.

وقال آخرون في ذلك ما:

29130ـ حدثنا ابن حميد, قال: حـدثنا حَكّـام بـن سـلم, عـن المُثَنّـى بـن الصّبّاح, عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصـبح, ثم يجاهد العدوّ بالنهار حتى يُمْسي, ففعل ذلك ألف شهر, فـأنزل اللـه هـذه الآية: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ ألْفِ شَهْرٍ قيام تلك الليلة خير من عمر ذلك الرجل.

وقال آخرون في ذلك ما:

29131ـ حدثني أبو الخطاب الجارودىّ سُهيل, قال: حدثنا سَلْم بن قُتيبة, قال: حدثنا القاسم بن الفضل, عن عيسى بن مازن, قال: قلت للحسن بـن عليّ رضي الله عنه: يـا مسـوّد وجـوه المـؤمنين, عمـدت إلـى هـذا الرجـل, فبايعت له, يعني معاوية بن أبي سفيان فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُرِي في منامه بني أميّة يَعْلُون منبره خليفة خليفة, فشقّ ذلـك عليـه,

فأنزل الله: إنّا أعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ و إنّا أنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَما أدْرَاكَ ما لَيْلَـةُ الْقَدرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ يعني مُلْكَ بني أمية قَالَ القاسم: فحسبنا مُلْكَ بني أمية, فإذا هو ألف شهر.

وأشبه الأقوال في ذلك بظاهر التنزليل قول من قال: عمل في ليلة القَدْر خير من عمل ألف شهر, ليس فيها ليلة القَدْر. وأما الأقوال الأخـر, فـدعاوَى معانٍ باطلة, لا دلالة عليها من خبر ولا عقل, ولا هي موجودة في التنزيل.

وقوله: تَنَزّلُ المَلائِكَةُ وَالرّوحُ فِيها بـإذْنِ رَبّهِـمْ مِـنْ كُـلّ أمْـرٍ اختلـف أهـل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضـهم: معنى ذلـك: تنـزل الملائكـة وجبريـل معهم, وهو الروح, في ليلة القدر بإذْنِ رَبّهِمْ مِنْ كُلّ أمْـرٍ يعنـي بـإذن ربهـم, من كلّ أمر قضاه الله في تلك السنة, من رزق وأجل وغَيـر ذلـك. ذكـر مـن قال ذلك:

29132ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: مِنْ كُلّ أمْرٍ قال: يُقْضى فيها ما يكون في السنة إلى مثلها.

فعلى هذا القول منتهى الخبر, وموضع الوقف من كلّ أمر.

وقال آخرون: تَنَزّلُ المَلائِكَةُ وَالرّوحُ فِيهـا بـإذْنِ رَبّهِـمْ لا يلْقَـون مؤمنـا ولا مؤمنة إلا سلّموا عليه. ذكر من قال ذلك:

29133ـ حُدّثت عن يحيى بن زياد الفرّاء, قال: ثني أبو بكر بن عياش, عن الكلبي, عن أبي صالح, عن ابـن عبـاس: أنـه كـان يقـرأ: «مِـنْ كُـلّ امْرِىـءٍ سَلامٌ» وهذه القراءة من قرأ بها وجّه معنى مِن كلّ امرىء: من كلّ مَلَـك كَانَ معناه عنده: تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم مـن كـلّ مَلَـك يُسـلّم على المؤمنين والمؤمنات ولا أرى القـراءة بهـا جـائزة, لإجمـاع الحجـة مـن القرّاء على خلافها, وأنها خلاف لما في مصاحف المسلمين, وذلك أنه ليـس في مصحف من مصاحف المسلمين في قوله «أمر» ياء, وإذا قُرئت: «مِـنْ كُلّ امْرىءٍ» لحقتها همزة, تصير في الخطّ ياء.

والصواب من القول في ذلك: القول الأوّل الذي ذكرناه قبل, على ما تأوّله قتادة.

وقوله: سَلامٌ هِيَ حَتّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ سلام ليلة القدر من الشرّ كله من أوّلها إلى طلوع الفجر من ليلتها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويـل. ذكـر من قال ذلك:

29134ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة سَلامٌ هِيَ قال: خير حَتى مَطْلَعِ الْفَجْرِ.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة مِـنْ كُـل أمْـرٍ سَلامٌ هِيَ أي هي خير كلها إلى مطلع الفجر.

29135ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن جابر, عـن مجاهد سَلامٌ هِيَ حَتّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ قال: من كلّ أمرٍ سلام.

29136ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: سَلامٌ هِيَ قال: ليس فيها شيء, هي خير كلها حتى مَطْلَعِ الْفَجْرِ.

29137ـ حدثني موسى بن عبـد الرحمـن المسـروقيّ, قـال: حـدثنا عبـد الحميد الحِمّانيّ, عن الأعمش, عن المنهال, عن عبد الرحمن بن أبي لَيَلـى, في قوله: مِنْ كُلّ أمْرٍ سَلامٌ هِيَ قال: لا يحدث فيها أمر.

وعُنِي بقوله: حَتّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ: إلى مطلع الفجر.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار, سوى يحيى بن وثاب والأعمش والكسائيّ مَطْلَعِ الْفَجْرِ بفتح اللام, بمعنى: حتى طلوع الفجر تقول العرب: طلعت الشمس طلوعًا ومَطْلَعا. وقرأ ذلك يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي: «حَتّى مَطْلِعِ الْفَجْرِ» بكسر اللام, توجيها منهم ذلك إلى الاكتفاء بالاسم من المصدر, وهم ينوون بذلك المصدر.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: فتح اللام لصحة معناه في العربية, وذلك أن المطلَع بالفتح هو الطلوع, والمطلِع بالكسر: هو الموضع الذي تَطْلُع منه, ولا معنى للموضع الذي تطلع منه في هذا الموضع.

سورة البينة

سورة البينة مدنيّة
وآياتها ثمانٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1-4

القول في تأويل قوله تعالى: {لَمْ يَكُنِ الّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكّينَ حَتّىَ تَأْتِيَهُمُ الْبَيّنَةُ * رَسُولٌ مّنَ اللّهِ يَتْلُو صُحُفاً مّطَهّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيّمَةٌ * وَمَا تَفَرّقَ الّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاّ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيّنَةُ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: لَمْ يَكُنِ الّذِينَ كَفَرُوا منْ أهل الْكِتابِ وَالمُشْرِكِينَ مُنْفَكّينَ حتّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيّنَةُ فقال بعضهم: معنى ذلك: لم يكن هؤلاء الكفار من أهل التوراة والإنجيل, والمشركون من عَبدة الأوثان منفكين يقول: منتهين, حتى يأتيهم هذا القرآن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29138ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: مُنْفَكّينَ قال: لم يكونوا ليَنتهوا حتى يتبين لهم الحقّ.

29139ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: مُنْفَكّينَ قال: منتهين عما هم فيه.

29140ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله مُنْفَكّينَ حَتَى تأتِيَهُمُ الْبَيّنَةُ: أي هذا القرآن.

29141ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قول الله: وَالمُشْرِكِينَ مُنْفَكّينَ قال: لم يكونوا منتهين حتى يأتيهم ذلك المنفَكّ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أن أهل الكتاب وهم المشركون, لم يكونوا تاركين صفة محمد في كتابهم, حتى بُعث, فلما بُعث تفرّقوا فيه.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: معنى ذلك: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين مفترقين في أمر محمد, حتى تأتيهم البيّنة, وهي إرسال الله إياه رسولاً إلى خلقه, رسول من الله. وقوله: مُنْفَكّينَ في هذا الموضع عندي من انفكاك الشيئين أحدهما من الآخر, ولذلك صَلُح بغير خبر ولو كان بمعنى ما زال, احتاج إلى خبر يكون تماما له, واستؤنف قوله رَسُولٌ مِنَ اللّهِ وهي نكرة على البيّنة, وهي معرفة, كما قيل: ذُو الْعَرْشِ

المَجِيدُ فَعّالٌ فقال: حتى يأتيهم بيان أمر محمد أنه رسـول اللـه, يبعثـه اللـه إياه إليهم, ثم ترجم عن البيّنة, فقال: تلك البينة رَسُولٌ مِنَ اللّهِ يَتْلُـو صُـحُفا مُطَهّرَةً يقول: يقرأ صحفا مطهرة من الباطـل فِيهـا كُتُـبٌ قَيّمَـةٌ يقـول: فـي الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة, ليس فيها خطأ, لأنهـا من عند الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29142ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة رَسُولٌ مِنَ اللّهِ يَتْلُو صُحُفا مُطَهّرَةً يذكر القرآن بأحسن الذكر, ويثني عليـه بأحسـن الثناء.

وقوله: وَما تَفَرّقَ الّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إلاّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيّنَةُ يقول: وما تفرّق اليهود والنصارى في أمر محمد صلى الله عليه وسلم, فكـذّبوا بـه, إلا من بعد ما جاءتهم البينة, يعني: من بعـد مـا جـاءت هـؤلاء اليهـود والنصـارى البيّنةُ يعني: بيان أمر محمد, أنه رسول بإرسال اللـه إيـاه إلـى خلقـه يقـول: فلما بعثه الله تفرّقوا فيه, فكذّب به بعضهم, وآمن بعضهم, وقـد كـانوا قبـل أن يُبعث غير مفترقين فيه أنه نبيّ.

الآية : 5

القول فـي تأويـل قـوله تعـالى: {وَمَـآ أُمِـرُوَاْ إِلاّ لِيَعْبُـدُواْ اللّـهَ مُخْلِصِـينَ لَـهُ الدّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ الصّلاَةَ وَيُؤْتُواْ الزّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيّمَةِ }.

يقول تعالى ذكره: وما أمر الله هؤلاء اليهود والنصـارى الـذين هـم أهـل الكتاب إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الـدين يقـول: مفرديـن لـه الطاعـة, لا يخلطون طاعتهم ربهم بشرك, فأشركت اليهود بربها بقولهم إن عُزَيـرا ابـن الله, والنصارى بقولهم في المسيح مثل ذلك, وجحودهم نبـوّة محمـد صـلى الله عليه وسلم.

وقوله: حُنَفاءَ قد مضى بياننا في معنى الحنيفية قبل, بشواهده المُغنية عن إعادتها, غير أنا نذكر بعض ما لم نذكر قبل من الأخبار في ذلك. ذكر من قال ذلك:

29143ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: مخْلِصِـينَ لَـهُ الـدّينَ حُنَفـاءَ يقـول: حجاجا مسلمين غير مشركين, يقول: وَيُقِيمُوا الصّلاةَ وَيُؤْتُوا الزّكَـاة ويَحُجّـوا وذَلكَ دِينُ الْقَيّمَةِ.

29144ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَمـا أُمِـرُوا إلاّ لِيَعْبُـدُوا اللّـهَ مُخْلِصـينَ لـه الـدّينَ حُنَفـاءَ والحنيفيـة: الختـان, وتحريم الأمهات والبنات والأخوات والعمات, والخالات, والمناسك.

وقوله: وَيُقِيمُوا الصّـلاةَ وَيُؤْتُـوا الزّكـاةَ يقـول: وليقيمـوا الصـلاة, وليؤتـوا الزكاة.

وقوله: وَذَلكَ دِينُ الْقَيّمَةِ يعني أن هذا الذي ذكر أنه أمـر بـه هـؤلاء الـذين كفـروا مـن أهـل الكتـاب والمشـركين, هـو الـدين القيّمـة, ويعنـي بالقيّمـة: المستقيمة العادلة, وأضيف الدين إلى القيّمة, والـدين هـو القَيّـم, وهـو مـن نعته لاختلاف لفظيهما, وهي فـي قـراءة عبـد اللـه فيمـا أرى فيمـا ذُكـر لنـا: «وَذَلكَ الدّينُ الْقَيّمَةِ وأنّثت القيّمة, لأنها جعلت صفة للملة, كأنه قيل: وذلـك الملة القيّمة, دون اليهودية والنصرانية. وبنحو الذي قلنا في ذلـك قـال أهـل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29145ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله وَذَلكَ دِينُ الْقَيّمَةِ هو الدين الذي بعث الله به رسوله, وشرع لنفسه, ورضـي به.

29146ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: كُتُبٌ قَيّمَةٌ وَذَلكَ دِينُ الْقَيّمَةِ قال: هو واحد قيّمة: مستقيمة معتدلة.

الآية : 6-7

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{إِنّ الّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ أُوْلَـئِكَ هُمْ شَرّ الْبَرِيّـةِ * إِنّ الّـذِينَ آمَنُـواْ وَعَمِلُـواْ الصّالِحَاتِ أُوْلَـئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيّةِ }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين كفروا بالله ورسوله محمد صلى اللـه عليـه وسلم, فجحدوا نبوّته, من اليهـود والنصـارى والمشـركين جميعهـم فِـي نـارِ جَهَنّـمَ خالِـدِينَ فيهـا يقـول: مـاكثين, لابـثين فيهـا أبَـدا لا يخرجـون منه ا, ولاَ يموتون فيها أُولَئِكَ هُمْ شَرّ البَرِيّةِ يقول جلّ ثنـاؤه: هـؤلاء الـذين كفـروا مـن أهل الكتاب والمشـركين, هـم شـرّ مـن بَـرأه اللـه وخلقـه والعـرب لا تهمـز البرية, وبترك الهمز فيها قَرَأتها قرّاء الأمصار, غير شيء يُذكر عـن نـافع بـن أبي نعيم, فإنه حكى بعضهم عنه أنه كان يهمزها, وذهب بها إلـى قـول اللـه: مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرأها وأنها فعيلة من ذلك. وأما الذين لم يهمزوها, فإن لـتركهم الهمز في ذلك وجهين: أحدهما أن يكونوا تركوا الهمز فيها, كمـا تركـوه مـن المَلَك, وهو مفعل من ألك أو لأك, ومن يرى, وترى, ونرى, وهـو يفعـل مـن رأيت. والآخر: أن يكونوا وجّهوها إلى أنها فعيلة من البَرَى وهو التراب. حُكي عن العرب سماعا: بفيك البَرَى, يعني به: التراب.

وقوله: إنّ الّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصّالِحاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيّةِ يقول تعالى ذكره: إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمد, وعبدوا اللـه مخلصـين لـه الـدين حنفاء, وأقاموا الصلاة, وآتُوا الزكاة, وأطاعوا الله فيما أمر ونهى أُولَئِـكَ هُـمْ خَيْرُ البَرِيّةِ يقول: من فعل ذلك من الناس فهم خير البرية. وقد:

29147ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا عيسى بن فرقد, عن أبي الجـارود, عن محمد بن عليّ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ البُرِيّةِ فقال النبيّ صلى اللـه عليـه وسـلم: «أنْتَ يا عَليّ وَشِيعَتُكَ».

الآية : 8

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبّهِـمْ جَنّـاتُ عَـدْنٍ تَجْـرِى مِـنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً رّضِىَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِـكَ لِمَـنْ خَشِـيَ رَبّهُ }.

يقول تعالى ذكره: ثواب هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات عنـد ربهـم يوم القيامة جَنّاتُ عَدْنٍ: يعني بساتين إقامَة لاظَعْن فيهـا, تجـري مـن تحـت أشجارها الأنهار خالِدِينَ فِيها أبَدا يقول: ماكثين فيها أبـدا, لا يخرجـون عنهـا, ولا يموتون فيها رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ بما أطاعوه في الدنيا, وعملوا لخلاصهم من عقابه في ذلك وَرَضُوا عَنْهُ بما أعطـاهم مـن الثـواب يومئـذٍ, علـى طـاعتهم ربهم في الدنيا, وجزاهم عليها من الكرامة.

وقوله: ذَلكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبّهُ يقول تعالى ذكره: هـذا الخيـر الـذي وصـفته, ووعدته الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم القيامة, لمـن خشـي ربـه يقـول: لمن خاف الله في الدنيا في سرّه وعلانيته, فاتقاه بـأداء فرائضـه, واجتنـاب معاصيه, وبالله التوفيق.

سورة الزلزلة

سورة الزلزلة مدنية
وآياتها ثمان

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-8

القـول فـي تأويـل قـوله تعـالى: {إِذَا زُلْزِلَـتِ الأرْضُ زِلْزَالَهَـا * وَأَخْرَجَـتِ الأرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِـذٍ تُحَـدّثُ أَخْبَارَهَـا * بِـأَنّ رَبّـكَ أَوْحَىَ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّاسُ أَشْتَاتاً لّيُرَوْاْ أَعْمَالَهُمْ * فَمَـن يَعْمَـلْ مِثْقَـالَ ذَرّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْـمَلْ مِثْقَالَ ذَرّةٍ شَرّاً يَرَهُ }.

يقول تعالى ذكره: إذَا زُلْزِلَتِ الأرْضُ لقيام الساعة زِلْزَالَهَـا فرُجّـت رجّـا والزّلزال: مصدر إذا كسرت الزاي, وإذا فتحت كان اسـما وأضـيف الزلـزال إلـى الأرض وهـو صـفتها, كمـا يقـال: لأكرمنـك كرامتـك, بمعنـى: لأكرمنـك كرامة. وحَسُن ذلك في زلزالها, لموافقتها رؤوس الآيات التي بعدها.

29148ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشـعث, عـن جعفـر, عن سعيد, قال: زُلْزِلَـتِ الأرْضُ علـى عهـد عبـد اللـه, فقـال لهـا عبـدُ اللـه: مالك؟ أما إنها لو تكلّمت قامت الساعة.

وقوله: وَأَخْرَجَتِ الأرْضُ أَثْقالَهَا يقول: وأخرجت الأرض ما في بطنهـا مـن الموتى أحياء, والميت في بطن الأرض ثقل لها, وهو فـوق ظهرهـا حيـا ثقـل عليها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29149ـ حدثني محمد بن سنان القزّاز, قال: حدثنا أبو عاصم, عن شبيب, عن عكرِمة, عن ابن عباس وَأَخْرَجَتِ الأرْضُ أَثْقَالَهَا قال: الموَتى.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, وأخْرَجَتِ الأرْضُ أَثْقالَهَا قال: يعني الموتى.

29150ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَأَخْرَجَتِ الأرْضُ أَثْقالَهَا من في القبور.

وقوله: وَقالَ الإنْسانُ مالَهَا يقول تعـالى ذكـره: وقـال النـاس إذا زُلزلـت الأرض لقيام الساعة: ما للأرض وما قصتها يَوْمَئِذٍ تُحَـدّثُ أخْبارَهـا. كـان ابـن عباس يقول في ذلك ما:

29151ـ حدثني ابن سنان القزّاز, قال: حدثنا أبو عاصم, عن شبيب, عن عكرِمة, عن ابن عباس, وَقالَ الإنْسانُ ما لَهَا قال: الكافر.

يَوْمَئِذٍ تُحَدّثُ أخْبارَها يقول: يومئذٍ تحدّث الأرض أخبارها. وتحديثها أخبارها, على القول الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود, أن تتكلم فتقـول: إن اللـه أمرني بهذا, وأوحى إليّ به, وأذِن لي فيه.

وأما سعيد بن جُبير, فإنه كان يقول في ذلك ما:

29152ـ حدثنا به أبو كُرَيب, قـال: حـدثنا وكيـع, عـن إسـماعيل بـن عبـد الملك, قال: سمعت سعيد بن جُبير يقرأ في المغـرب مـرّة: «يَوْمَئِـذٍ تُنَبّـِئُ أخْبارَها» ومرة: تُحَدّثُ أخْبارَها.

فكأنّ معنى تحدّث كان عند سعيد: تُنَبىء, وتنبيئها أخبارَها: إخراجها أثقالها من بطنها إلى ظهرها. وهذا القول قول عندي صحيح المعنى, وتأويـل الكلام علـى هـذا المعنـى: يومئـذٍ تبيّـن الأرض أخبارهـا بالزلزلـة والرّجّـة, وإخـراج

الموتى من بطونها إلى ظهورها, بوحي الله إليها, وإذنه لها بذلك, وذلك معنى قوله: بأنّ رَبّكَ أوْحَى لَهَا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29153ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن. قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَأخْرَجَتِ الأرْضُ أثْقالَهَا بأنّ رَبّكَ أوْحَى لَهَا قال: أمرها, فألقَت ما فيها وتخلّت.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد بأنّ رَبّكَ أوْحَى لَهَا قال: أمرها.

وقد ذُكر عن عبد الله أنه كان يقرأ ذلك: «يَوْمَئِذٍ تُنْبِىءُ أخْبارَها» وقيل: معنى ذلك أن الأرض تحدّث أخبارها مَنْ كان على ظهرها من أهل الطاعة والمعاصي, وما عملوا عليها من خير أو شرّ. ذكر من قال ذلك:

29154ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان يَوْمَئِذٍ تُحَدّثُ أخْبارَها قال: ما عمل عليها من خير أو شرّ, بأن ربك أوحى لها, قال: أعلمها ذلك.

29155ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يَوْمَئِذٍ تُحَدّثُ أخْبَارَها قال: ما كان فيها, وعلى ظهرها من أعمال العباد.

29156ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: يَوْمَئِذٍ تُحَدّثُ أخْبارَها قال: تخبر الناس بم ا عملوا عليها.

وقيل: عُنِي بقوله: أوْحَى لَهَا: أوحى إليها. ذكر من قال ذلك:

29157ـ حدثني ابن سنان القزّاز, قال: حدثنا أبو عاصم, عن شبيب, عن عكرِمة, عن ابن عباس أوْحَى لَهَا قال: أوحى إليها.

وقوله: يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّاسُ أشْتاتا قيل: إن معنى هذه الكلمة التأخير بعد لِيُرَوْا أعمالَهُمْ قالوا: ووجه الكلام: يومئذٍ تحدّث أخبارها بأن ربك أوحى لها. لِيُرَوا أعمالهم, يومئذٍ يصدر الناس أشتاتا. قالوا: ولكنه اعترض بين ذلك بهذه الكلمة. ومعنى قوله: يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّاسُ أشْتاتا عن موقف الحساب فِرَقا متفرّقين, فآخذ ذات اليمين إلى الجنة, وآخذ ذات الشمال إلى النار.

وقوله: لِيُرَوْا أعمالَهُمْ يقول: يومئذ يصدر الناس أشتاتا متفرّقين, عن اليمين وعن الشمال, لِيُرَوا أعمالهم, فيرى المحسن في الدنيا, المطيع لله عمله وما أعدّ الله له يومئذ من الكرامة, على طاعته إياه كانت في الدنيا, ويرى المسيىء العاصي لله عمله. وجزاء عمله, وما أعدّ الله له من الهوان والخزي في جهنم, على معصيته إياه كانت في الدنيا, وكفره به.

وقوله: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرّةٍ خَيْرا يَرَهُ يقول: فمن عمل في الدنيا وزن ذرّة من خير, يرى ثوابه هنالك وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرّةٍ شَرّا يَرَهُ يقول: ومن كان عمل في الدنيا وزن ذرّة من شرّ يرى جزاءه هنالك, وقيل: ومَنْ يعمل, والخبر عنها في الآخرة, لفهم السامع معنى ذلك, لما قد تقدّم من الدليل قبلُ, على أن معناه: فمن عمل ذلك دلالة قوله: يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّاسُ أشْتاتا لِيُرَوْا أعمالَهُمْ على ذلك. ولكن لما كان مفهوما معنى الكلام عند السامعين. وكان في قوله: يَعْمَلْ حثّ لأهل الدنيا على العمل بطاعة الله, والزجر عن

معاصيه, مع الذي ذكرت من دلالة الكلام قبل ذلك, على أن ذلك مراد به الخبر عن ماضي فعله, وما لهم على ذلك, أخرج الخبر على وجه الخبر عن مستقبل الفعل. وبنحو الذي قلنا من أن جميعهم يرون أعمالهم, قال: أهل التأويل ذكر من قال ذلك:

29158ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا بو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرّةٍ خَيْرا يَرَهُ قال: ليس مؤمن ولا كافر عمِل خيرا ولا شرّا في الدنيا, إلا أتاه الله إياه. فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته, فيغفر الله له سيئاته. وأما الكافر فيردّ حسناته, ويعذّبه بسيئاته. وقيل في ذلك غير هذا القول, فقال بعضهم: أما المؤمن, فيعجل له عقوبة سيئاته في الدنيا, ويؤخّر له ثواب حسناته, والكافر يعجّل له ثواب حسناته, ويؤخر له عقوبة سيئاته. ذكر من قال ذلك:

29159ـ حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقيّ, قال: حدثنا محمد بن بشر, قال: حدثنيه محمد بن مسلم الطائفيّ, عن عمرو بن قتادة, قال: سمعت محمد بن كعب القُرَظِيّ, وهو يفسّر هذه الآية: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرّةٍ قال: من يعمل مثقال ذرّة من خير مِنْ كافر يَرَ ثوابه في الدنيا في نفسه وأهله وماله وولده, حتى يخرج من الدنيا, وليس له عنده خير وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرّةٍ شَرّا يَرَهُ مِنْ مؤمن ير عقوبته في الدنيا في نفسه وأهله وماله وولده, حتى يخرج من الدنيا وليس عنده شيء.

حدثني محمود بن خِداش, قال: حدثنا محمد بن يزيد الواسطي, قال: حدثنا محمد بن مسلم الطائفيّ, عن عمرو بن دينار, قال: سألت محمد بن كعب القُرَظِيّ, عن هذه الآية: فَمَنْ يَعْمَلْ مثْقالَ ذَرّةٍ خَيْرا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرّةٍ شَرّا يَرَهُ قال: من يعمل مثقال ذرّة من خير من كافر, ير ثوابها في نفسه وأهله وماله, حتى يخرج من الدنيا وليس له خير ومن يعمل مثقال ذرّة من شرّ من مؤمن, ير عقوبتها في نفسه وأهله وماله, حتى يخرج وليس له شرّ.

29160ـ حدثني أبو الخطاب الحَسّاني, قال: حدثنا الهيثم بن الربيع, قال: حدثنا سماك بن عطية, عن أيوب, عن أبي قلابة, عن أنس, قال: كان أبو بكر رضي الله عنه يأكل مع النبيّ صلى الله عليه وسلم, فنزلت هذه الآية: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرّةٍ خَيْرا يَرَهُ وَمَنْ يَعمَلْ مثْقالَ ذَرّةٍ شَرّا يَرَهُ فرفع أبو بكر يده من الطعام, وقال: يا رسول الله إني أُجزَى بما عملت من مثقال ذرّة من شرّ؟ فقال: «يا أبا بَكْرٍ, ما رأيْتَ فِي الدنْيا مِمّا تَكْرَهُ فَمَثاقِيلُ ذَرّ الشّرّ, وَيَدّخِرُ لَكَ اللّهُ مَثاقِيلَ الخَيْرِ حتى تَوَفّاهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ».

29161ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبوب, قال: وجدنا في كتاب أبي قِلابة, عن أبي إدريس: أن أبا بكر كان يأكل مع النبيّ صلى الله عليه وسلم, فأنزلت هذه الآية: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرّةٍ خَيْرا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرّةٍ شَرّا يَرَهُ فرفع أبو بكر يده من الطعام, وقال: إني لراءٍ ما عملت, قال: لا أعلمه إلا قال: ما عملت من خير وشرّ, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّ ما تَرَى مِمّا تَكْرَهُ فَهُوَ مَثاقِيلُ ذرّ شَرَ كَبِيرٍ, وَيَدّخِرُ اللّهُ لكَ مَثاقِيلَ ذَرّ الخَيْرِ حتى تُعْطاهُ يَومْ الْقِيامَةِ» وتصديق ذلك في كتاب الله: وَما أصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا أيوب, قال: قرأت في كتاب أبي قلابة قال: نزلت فَمَنْ يَعْمَل مثْقالَ ذَرّةٍ خَيْرا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقالَ ذَرّةٍ شَرّا يَرَهُ وأبو بكر يأكل مع النبيّ صلى الله عليه وسلم, فأمسك وقال: يا رسول الله, إني لراءٍ ما عملتُ من خير وشرّ؟ فقال: «أرأيْتَ ما رأيْتَ مِمّا تَكْرَهُ, فَهُوَ مِنْ مَثاقِيلِ ذَرّ الشّرّ, وَيَدّخِرُ مَثاقِيلَ ذَرّ الخَيْرِ, حتى تُعْطَوْهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ» قال أبو إدريس: فأرَى مصداقها في كتاب الله, قال: وَما أصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ.

29162ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن داود, عن الشعبيّ, قال: قالت عائشة: يا رسول الله, إن عبد الله بن جُدْعان كان يصل الرحم, ويفعل ويفعل, هل ذاك نافعه؟ قال: «لا, إنه لم يقل يوما: رَبّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتي يَوْمَ الدّينِ».

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حفص, عن داود, عن الشعبيّ, عن مسروق, عن عائشة, قالت: قلت: يا رسول الله, ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم, ويُطعم المسكين, فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا يَنْفَعُهُ, إنّهُ لم يَقُلْ يَوْما: رَبّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدّينِ».

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, عن عامر الشعبيّ, أن عائشة أمّ المؤمنين قالت: يا رسول الله, إن عبد الله بن جُدْعان, كان يصل الرحم, ويَقْرِي الضيف, ويفُكّ العاني, فهل ذلك نافعه شيئا؟ قال: «لا, إنّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْما: رَبّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدّينِ».

29163ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, عن عامر, عن علقمة, أن سلمة بن يزيد الجُعفيّ, قال: يا رسول الله, إن أمّنا هلَكت في الجاهلية, كانت تصِل الرحم, وتَقْرِي الضيف, وتفعل وتفعل, فهل ذلك نافعها شيئا؟ قال: «لا».

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: حدثنا داود, عن الشعبيّ, عن علقمة بن قيس, عن سلمة بن يزيد الجعفي, قال: ذهبت أنا وأخي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقلت: يا رسول الله, إن أمّنا كانت في الجاهلية تقري الضيف, وتصل الرحم, هل ينفعها عملها ذلك شيئا؟ قال: «لا».

حدثني محمد بن إبراهيم بن صَدْران وابن عبد الأعلى, قالا: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: حدثنا داود بن أبي هند, عن الشعبيّ, عن علقمة, عن سلمة بن يزيد, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, بنحوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, عن محمد بن كعب, أنه قال: أما المؤمن فيرى حسناته في الآخرة, وأما الكافر فيرى حسناته في الدنيا.

29164ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا أبو نعامة, قال: حدثنا عبد العزيز بن بشير الضبي جدّه سلمان بن عامر أن سلمان بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: إن أبي كان يصل الرحم, ويفي بالذمة, ويُكرم الضيف, قال: «ماتَ قَبْلَ الإسْلامِ»؟ قال: نعم, قال: «لَنْ يَنْفَعَهُ ذَلكَ», فوّلى, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَليّ بالشّيْخ», فجاء, فَقالَ رسُول اللّهَ صلى الله عليه وسلم: «إنّها لَنْ تَنْفَعُهُ, وَلَكِنّها تَكُونُ فِي عَقِبِهِ, فَلَنْ تَخْزَوْا أبَدا, وَلَنْ تَذِلّوا أبَدا, وَلَنْ تَفْتَقِرُوا أبَدا».

29165ـ حدثنا ابن المثنى وابن بشار, قالا: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا عمران, عن قتادة, عن أنس, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«إنّ اللّهَ لا يَظْلِمُ المُؤْمِنَ حَسَنَةً يُثابُ عَلَيْها الرّزْقَ فِي الدّنْيا, ويُجْزَى بِها فـي الآخِرَةِ وأمّا الكافِرُ فَيُعْطِيهِ بِها فِي الدّنْيا, فإذَا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ, لَـم تَكُـنْ لَـهُ حَسَنَةٌ».

29166ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا ليث, قال: ثني المعلّي, عن محمد بن كعب القُرَظيّ, قال: قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم: «ما أحْسَنَ مِنْ مُحْسِنٍ مُؤْمِنٍ أوْ كـافِرٍ إلاّ وَقَـعَ ثَـوَابُهُ عَلـى اللّهِ في عاجِلِ دُنْياهُ, أوْ آجِلِ آخِرَتِهِ».

29167ـ حدثني يونس بـن عبـد الأعلـى, قـال: أخبرنـا ابـن وهـب, قـال: أخبرني يحيى بن عبد الله, عن أبي عبد الرحمن الحُبُليّ, عـن عبـد اللـه بـن عمرو بن العاص أنه قال: أنزلت: إذَا زُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزَالَهَا وأبو بكر الصدّيق قاعد, فبكى حين أنزلت, فقال له رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم: «مـا يُبْكِيكَ يا أبا بَكْرٍ؟»قال: يُبكيني هذه السورة, فقال له رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم: «لَوْلا أنّكُمْ تُخْطِئونَ وَتُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ اللّـهُ لَكُـمْ, لَخَلَـقَ اللّـهُ أُمـةً يُخْطِئُونَ وَيُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

فهذه الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تُنبىء عـن أن المـؤمن إنما يَرَى عقوبة سيّئاته في الدنيا, وثـواب حسـناته فـي الآخـرة, وأن الكـافر يرى ثواب حسناته في الدنيا, وعقوبة سيئاته في الآخرة, وأن الكافر لا ينفعه في الآخرة ما سلف له من إحسان في الدنيا مع كُفره.

29168ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن عليّ, عن الأعمش, عن إبراهيم التيميّ, قال: أدركت سبعين من أصـحاب عبـد اللـه, أصـغرهم الحـارث بـن سُوَيد, فسمعته يقرأ: إذَا زُلْزِلَت الأرْضُ زِلْزَالَهَا حـتى بلـغ إلـى: فَمَـنْ يَعْمَـلْ مِثْقالَ ذَرّةٍ شَرّا يَرَه قال: إن هذا إحصاء شديد.

وقيل: إن الذّرّةَ دُودة حمراء ليس لها وزن. ذكر من قال ذلك:

29169ـ حدثني إسحاق بن وهب العلاف ومحمد بن سـنان القـزّاز, قـالا: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا شبيب بن بشر, عن عكرِمـة, عـن ابـن عبـاس, في قوله: مِثْقالَ ذَرّةٍ قال ابن سنان في حديثه: مثقالَ ذرّة حمراء. وقال ابن وهب في حديثه: نملة حمراء. قال إسحاق, قال يزيد بن هارون: وزعموا أن هذه الدودة الحمراء ليس لها وزن.

سورة العاديات

سورة العاديات مكية
وآياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-11

القول فـي تأويـل قـوله تعـالى:{وَالْعَادِيَـاتِ ضَـبْحاً * فَالمُورِيَـاتِ قَـدْحاً * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً * إِنّ الإِنسَانَ لِرَبّـهِ لَكَنُودٌ * وَإِنّهُ عَلَىَ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنّهُ لِحُـبّ الْخَيْـرِ لَشَـدِيدٌ * أَفَلاَ يَعْلَـمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصّلَ مَا فِي الصّدُورِ * إِنّ رَبّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لّخَبِيرٌ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: وَالْعادِياتِ ضَبْحا فقال بعضهم: عُنِي بالعاديات ضَبْحا: الخيل التي تعدوها, وهي تحمحم. ذكر من قال ذلك:

29170ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله وَالْعادِياتِ ضَبْحا قال: الخيل, وزعم غير ابن عباس أنها الإبل.
29171ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَالْعَادِياتِ ضَبْحا قال ابن عباس: هو في القتال.
29172ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن عكرِمة في قوله: وَالْعادِياتِ ضَبْحا قال الخيل.
29173ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا أبو رجاء, قال: سُئل عكرِمة, عن قوله: وَالْعادِياتِ ضَبْحا قال: ألم تر إلى الفرس إذا جرى كيف يَضْبَح.
29174ـ حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهريّ, قال: حدثنا سفيان, عن ابن جرَيج, عن عطاء, قال: ليس شيء من الدوابّ يضبح غير الكلب والفرس.
29175ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله الله: وَالْعادِياتِ ضَبْحا قال: الخيل تَضْبَح.
29176ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَالْعادِياتِ ضَبْحا قال: هي الخيل, عَدَتْ حَتى ضَبَحَتْ.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله وَالْعادِياتِ ضَبْحا قال: هي الخيل تعدو حتى تَضْبَح.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن سعيد, عن قتادة مثل حديث بشر, عن يزيد.
29177ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, قال: حدثنا سعيد, قال: سمعت سالما يقرأ: وَالْعادِياتِ ضَبْحا قال: هي الخيل عدت ضبحا.
29178ـ قال: ثنا وكيع, عن واصل, عن عطاء وَالْعادِياتِ ضَبْحا قال: الخيل.
29179ـ قال: ثنا وكيع, عن سفيان بن عيينة عن عمرو, عن عطاء, عن ابن عباس, قال: ما ضبحت دابة قطّ إلا كلب أو فرس.
29180ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَالْعادِياتِ ضَبْحا قال: هي الخيل.
حدثني سعيد بن الربيع الرازيّ. قال: حدثنا سفيان بن عيينة, عن عمرو, عن عطاء, عن ابن عباس, قال: هي الخيل.
وقال آخرون: هي الإبل. ذكر من قال ذلك:
29181ـ حدثني أبو السائب. قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن عبد الله وَالْعادِياتِ ضَبْحا قال: هي الإبل.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن عبد الله, مثله.
حدثني عيسى بن عثمان الرمليّ, قال: ثني عمي يحيى بن عيسى الرمليّ, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن عبد الله, مثله.
حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا جرير, عن مُغيرة, عن إبراهيم, عن عبد الله وَالْعادِياتِ ضَبْحا قال: هي الإبل إذا ضبحت تنفّست.

29182ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا أبو صخر, عن أبي معاوية البَجَليّ, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, حدثه قال: بينما أنا في الحِجْر جالس, أتاني رجل يسأل عن الْعادِياتِ ضَبْحا فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله, ثم تأوي إلى الليل, فيصنعون طعامهم, ويورون نارهم. فانفتل عني, فذهب إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهو تحت سقاية زمزم, فسأله عن الْعادِياتِ ضَبْحا فقال: سألت عنها أحدا قبلي؟ قال: نعم, سألت عنها ابن عباس, فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله, قال: اذهب فادعه لي فلما وقفت على رأسه قال: تُفتي الناس بما لا علم لك به, والله لكانت أوّل غزوة في الإسلام لِبدر, وما كان معنا إلا فرسان: فَرَس للزّبَير, وفرس للمقداد, فكيف تكون العادياتِ ضبحا إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى مزدلفة إلى منى قال ابن عباس: فنزعت عن قولي, ورجعت إلى الذي قال عليّ رضي الله عنه.

29183ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مِهْران, عن سفيان, عن منصور, عن إبراهيم وَالْعَادِياتِ ضَبْحا قال: الإبل.

29184ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَالْعَادِياتِ ضَبْحا قال: قال ابن مسعود: هو في الحجّ.

29185ـ حدثنا سعيد بن الربيع الرازيّ, قال: حدثنا سفيان, عن عمرو بن دينار, عن عبيد بن عمير, قال: هي الإبل, يعني وَالْعادِياتِ ضَبْحا.

حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيم وَالْعادِياتِ ضَبْحا قال: قال ابن مسعود: هي الإبل.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب: قول من قال: عني بالعاديات: الخيل, وذلك أن الإبل لا تضْبَح, وإنما تضبح الخيل, وقد أخبر الله تعالى أنها تعدو ضَبْحا, والضّبْح: هو ما قد ذكرنا قبل. وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29186ـ حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهريّ, قال: حدثنا أبو معاوية, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح, قال: قال عليّ رضي الله عنه: الضبح من الخيل: الحَمْحَمة, ومن الإبل: النفس.

29187ـ قال: ثنا سفيان, عن ابن جُرَيج, عن عطاء, قال: سمعت ابن عباس يصف الضبح: أَحْ أَحْ.

وقوله: فالمُورِيات قَدْحا اختلف أهل التأويل, في ذلك, فقال بعضهم: هي الخيل تُورِي النارَ بحوافرها. ذكر من قال ذلك:

29188ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا أبو رجاء, قال: سُئل عِكرِمة, عن قوله: فالمُورِياتِ قَدْحا قال: أوْرَتْ وقَدَحتْ.

29189ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فالمُورِياتِ قَدْحا قال: هي الخيل وقال الكلبيّ: تقدح بحوافرها حتى يخرج منها النار.

29190ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن واصل, عن عطاء فالمُورِياتِ قَدْحا قال: أورت النار بحوافرها.

29191ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فالمُورِياتِ قَدْحا تُوري الحجارةَ بحوافرها.
وقال آخرون: بل معنى ذلك أن الخيل هِجْنَ الحرب بين أصحابهنّ ورُكْبانهنّ. ذكر من قال ذلك:
29192ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فالمُورِياتِ قَدْحا قال: هِجْنَ الحرب بينهم وبين عدوّهم.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سعيد, عن قتادة فالمُورِياتِ قَدْحا قال: هجن الحرب بينهم وبين عدوّهم.
وقال آخرون: بل عُنِي بذلك: الذين يُورون النار بعد انصرافهم من الحرب. ذكر من قال ذلك:
29193ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني أبو صخر, عن أبي معاوية البَجَلِيّ, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: سألني عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه, عن الْعادِياتِ ضَبْحا فالمُورِياتِ قَدْحا فقلت له: الخيل تغير في سبيل الله, ثم تأوِي إلى الليل, فيصنعون طعامهم ويورون نارهم.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: مكر الرجال. ذكر من قال ذلك:
29194ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: فالمُورِياتِ قَدْحا قال: المكر.
29195ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح. عن مجاهد, في قول الله: فالمُورِياتِ قَدْحا قال: مكر الرجال.
وقال آخرون: هي الألسنة ذكر من قال ذلك:
29196ـ حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا يونس بن محمد, قال: حدثنا حماد بن سلمة, عن سِماك بن حرب, عن عكرِمة قال: يُقال في هذه الآية فالمُورِياتِ قَدْحا قال: هي الألسنة.
وقال آخرون: هي الإبل حين تسير تَنْسِفَ بمناسمها الحصى. ذكر من قال ذلك:
29197ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مُغيرة, عن إبراهيم, عن عبد الله: فالمُورِياتِ قَدْحا قال: إذا تَسَفت الحصى بمناسمها, فضربَ الحصَى بعضُه بعضا, فيخرج منه النار.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التي توري النيران قدحا فالخيل تُوري بحوافرها, والناس يورونها بالزّند, واللسان مثلاً يوري بالمنطق, والرجال يورون بالمكر مثلاً, وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها: إذا التقت في الحرب ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعضٌ دون بعض فكلّ, ما أوْرت النارَ قدْحا, فداخلة فيما أقسم به, لعموم ذلك بالظاهر.
وقوله: فالمُغِيرَاتِ صُبْحا اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: فالمغيرات صبحا على عدوّها علانية. ذكر من قال ذلك:
29198ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني أبو صخر, عن أبي معاوية البَجَليّ, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: سألني رجل عن المغيرات صبحا, فقال: الخيل تغير في سبيل الله.

29199ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: أخبرنا أبو رجاء, قال: سألت عكرِمة, عن قوله فـالمُغِيرَاتِ صُـبْحا قـال: أغـارت علـى العدوّ صبحا.
29200ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد فالمُغَيرَاتِ صُبْحا قال: هي الخيل.
29201ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة فالمُغيرَاتِ صُبْحا قال: هي الخيل.
29202ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة فالمُغِيرَاتِ صُبْحا قال: أغار القومُ بعدما أصبحوا على عدوّهم.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ثور, عن معمر, عن قتادة فـالمُغِيرَاتِ صُبْحا قال: أغارت حين أصبحت.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سـعيد, عـن قتـادة فـالمُغِيرَاتِ صُبْحا قال: أغار القوم حين أصبحوا.
وقال آخرون: عُنِي بذلك الإبل حين تدفع بركبانها من «جَمْـعٍ» يـوم النحـر إلى «مِنَى». ذكر من قال ذلك:
29203ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مُغيرة, عن إبراهيم, عن عبد الله فالمُغِيرَاتِ صُبْحا حين يفيضون من جَمْع.
وأولى الأقوال فـي ذلـك بالصـواب: أن يقـال: إن اللـه جـلّ ثنـاؤه أقسـم بالمُغيرات صبحا, ولم يخصـصْ مـن ذلـك مغيـرة دون مغيـرة, فكـلّ مغيـرة صُبحا, فداخلة فيمـا أقسـم بـه وقـد كـان زيـد بـن أسـلم يـذكر تفسـير هـذه الأحرف ويأباها, ويقول: إنما هو قسم أقسم الله به.
29204ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَالْعادِياتِ ضَبْحا فالمُورِياتِ قَدْحا قال: هذا قسم أقسم الله بـه. وفـي قوله: فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعا قال: كلّ هذا قسم, قال: ولم يكن أبي ينظر فيه إذا سُئل عنه, ولا يذكره, يريد به القسم.
وقوله: فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعا يقول تعالى ذكـره: فرفعـن بـالوادي غُبـارا والنقْـع: الغبار, ويقال: إنه التراب. والهاء قوله «به» كناية اسم الموضع, وكنى عنـه, ولم يجر له ذكر, لأنه معلوم أن الغبار لا يثار إلا من موضـع, فاسـتغنى بفهـم السامعين بمعناه من ذكره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويـل. ذكـر من قال ذلك:
29205ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعا قال: الخيل.
29206ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن واصل, عـن عطـاء وابـن زيد, قال: النقع: الغبار.
29207ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحـوص, عـن سـماك, عـن عكرِمـة فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعا قال: هي أثارت الغبار, يعني الخيل.
حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا أبو رجـاء, قـال: سُـئل عكرِمة, عن قوله فأَثَرْنَ بِهِ نَقْعا قال: أثارت الترابَ بحوافرها.
29208ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سعيد, عن قتادة فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعا قال: أثرن بحوافرها نقعَ التراب.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, مثله.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعا قال: أثرن به غبارا.
29209ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني أبو صخر, عن أبي معاوية البَجَلي, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس قال: قال لـي عليّ: إنما العاديات ضَبْحا من عرفةَ إلى المزدلفة, ومن المزدلفة إلى مِنَى فَـأَثَرْنَ به نَقْعا: الأرض حين تطؤها بأخفافها وحوافرها.
29210ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مُغيرة, عن إبراهيم, عن عبد الله فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعا قال: إذا سِرْن يُثِرن الترابَ.
وقوله: فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعا يقول تعالَى ذكره: فوسَطْن بركبانهنّ جمع القوم, يقال: وسطت القوم بالتخفيف, ووسّطته بالتشديد, وتوسّطته: بمعنى واحد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29211ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا أبو رجاء, قال: سُئل عكرِمة, عن قوله: فَوَسْطْنَ بِهِ جَمْعا قال: جمع الكفار.
حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن عكرِمة فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعا قال جمع القوم.
29212ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعا قال: هو جمع القوم.
29213ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن واصل, عن عطاء فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعا قال: جمع العدوّ.
29214ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعا قال: جمع هؤلاء وهؤلاء.
29215ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعا فوسطن جمع القوم.
29216ـ حدثنا ابن حميد قال: حدثنا مهران, عن سعيد, عن قتادة فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعا فوسطن بالقوم جمعَ العدوّ.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعا قال: وسطن جمع القوم.
29217ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعا الجمع: الكتيبة.
وقال آخرون: بل عُنِي بذلك فَوَسَطْنَ بِهِ مزدلفة. ذكر من قال ذلك:
29218ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مُغيرة, عن إبراهيم, عن عبد الله فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعا يعني: مزدلفة.
وقوله: إنّ الإنْسانَ لِرَبّهِ لَكَنُودٌ يقول: إن الإنسان لكفور لنِعم ربه. والأرض الكنود: التي لا تُنبت شيئا, قال الأعشى:
أحْدِثْ لَهَا نُحْدِثْ لِوَصْلِكَ إنّهاكَنُدٌ لِوَصْلِ الزّائِرِ المُعْتادِ
وقيل: إنما سُمّيت كِندة: لقطعها أباها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29219ـ حدثني عبيد الله بن يوسف الجُبَيْرِيّ, قال: حدثنا محمد بن كثير, قال: حدثنا مسلم, عن مجاهد, عن ابن عباس, قوله: إنّ الإنْسانَ لِرَبّهِ لَكَنُودٌ قال: لكفور.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: إنّ الإنْسانَ لِرَبّهِ لَكَنُودٌ قال: لربه لكفور.
29220ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد إنّ الإنْسانَ لِرَبّهِ لَكَنُودٌ قال: لكفور.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد, مثله.
حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد, مثله.
حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
29221ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن مهديّ بن ميمون, عن شعيب بن الحَبْحاب, عن الحسن البصريّ: إنّ الإنْسانَ لِرَبّهِ لَكَنُودٌ قال: هو الكفور الذي يَعُدّ المصائب, وينسى نِعَم ربه.
29222ـ حدثنا وكيع, عن أبي جعفر, عن الربيع, قال: الكنود: الكفور.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, قال: قال الحسن: إنّ الإنْسانَ لِرَبّهِ لَكَنُودٌ يقول: لوّام لربه يعدّ المصائب.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن لَكَنُودٌ قال: لكفور.
29223ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّ الإنْسانَ لِرَبّهِ لَكَنُودٌ قال: لكفور.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سعيد, عن قتادة, مثله.
29224ـ حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي, قال: حدثنا خالد بن الحارث, قال: حدثنا شعبة, عن سماك أنه قال: إنما سُمّيت كِندة: أنها قَطَعت أباها إنّ الإنْسانَ لِرَبّهِ لَكَنُودٌ قال: لكفور.
29225ـ حدثنا أبو كرَيب, قال: حدثنا عبيد الله, عن إسرائيل, عن جعفر بن الزّبير, عن القاسم, عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ الإنْسانَ لِرَبّهِ لَكَنُودٌ قال: «لَكَفُورٌ, الّذِي يأكُلُ وَحْدَهُ, وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ, ويَمْنَعُ رِفْدَهُ».
29226ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّ الإنْسانَ لِرَبّهِ لَكَنُودٌ قال: الكنود: الكفور, وقرأ: إنّ الإنْسانَ لَكَفُورٌ.
حدثنا الحسن بن عليّ بن عياش, قال: حدثنا أبو المُغيرة عبد القدّوس, قال: حدثنا حريز بن عثمان, قال: ثني حمزة بن هانىء, عن أبي أمامة أنه كان يقول: الكَنُود: الذي ينزل وحده, ويضرب عبده, ويمنع رفده.
حدثني محمد بن إسماعيل الصواريّ, قال: حدثنا محمد بن سوّار, قال: أخبرنا أبو اليقظان, عن سفيان عن هشام, عن الحسن, في قوله إنّ الإنْسانَ لِرَبّهِ لَكَنُودٌ قال: لوّام لربه, يعدّ المصائب, وينسى النّعَم.
وقوله: وَإنّهُ عَلى ذلكَ لَشَهِيدٌ يقول تعالى ذكره: إن الله على كنوده رَبّه لشهيد: يعني لشاهد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29227ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن قتادة وَإنّهُ عَلى ذَلكَ لَشَهِيدٌ قال: يقول: إن الله على ذلك لشهيد.

29228ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإنّهُ عَلى ذَلكَ لَشَهِيدٌ في بعض القراءات «إنّ اللّهَ عَلى ذلكَ لَشَهِيدٌ».
29229ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان وَإنّهُ عَلى ذَلكَ لَشَهِيدٌ يقول: وإن الله عليه شهيد.
وقوله: وَإنّهُ لِحُبّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ يقول تعالى ذكره: وإن الإنسان لحبّ المال لشديد.
واختلف أهل العربية في وجه وصفه بالشدّة لحبّ المال, فقال بعض البصريين: معنى ذلك: وإنه من أجل حبّ الخير لشديد: أي لبخيل قال: يقال للبخيل: شديد ومتشدّد. واستشهدوا لقوله ذلك ببيت طَرَفة بن العبد اليشكري:
أرَى المَوْتَ يَعْتامُ النّفُوسَ ويَصْطَفِيعَقِيلَةَ مالِ الباخِلِ المُتَشَدّدِ
وقال آخرون: معناه: وإنه لحبّ الخير لقويّ.
وقال بعض نحويّ الكوفة: كان موضع لحُبّ أن يكون بعد شديد, وأن يضاف شديد إليه, فيكون الكلام: وإنه لشديد حُبّ الخير فلما تقدّم الحبّ في الكلام, قيل: شديد, وحذف من آخره, لما جرى ذكره في أوّله ولرؤوس الآيات, قال: ومثله في سورة إبراهيم: كَرَمادٍ اشْتَدّتْ بهِ الرّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ والعَصوف لا يكون لليوم, إنما يكون للريح فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرحت من آخره, كأنه قال: في يوم عاصف الريح, والله أعلم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29230ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإنّهُ لِحُبّ الخَيْرِ لَشدِيدٌ قال: الخير: الدنيا وقرأ: إنْ تَرَكَ خَيْرا الوَصِيّةُ قال: فقلت له: إن ترك خيرا: المال؟ قال: نعم, وأيّ شيء هو إلا المال؟ قال: وعسى أن يكون حراما, ولكن الناس يعدّونه خيرا, فسماه الله خيرا, لأن الناس يسمونه خيرا في الدنيا, وعسى أن يكون خبيثا, وسُمّي القتال في سبيل الله سُوءا, وقرأ قول الله: فانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ قال: لم يمسهم قتال قال: وليس هو عند الله بسوء, ولكن يسمونه سوءا.
وتأويل الكلام: إن الإنسان لربه لكنود, وإنه لحبّ الخير لشديد, وإن الله على ذلك من أمره لشاهد. ولكن قوله: وَإنّهُ عَلى ذِلكَ لَشَهِيدٌ قدّم, ومعناه التأخير, فجعل معترضا بين قوله: إنّ الإنْسانَ لِرَبّهِ لَكَنُودٌ, وبين قوله: وَإنّهُ لِحُبّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29231ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سعيد, عن قتادة إنّ الإنْسانَ لِرَبّهِ لَكَنُودٌ وإنّهُ عَلى ذلكَ لَشَهِيدٌ قال: هذا في مقاديم الكلام, قال: يقول: إن الله لشهيد أن الإنسان لحبّ الخير لشديد.
وقوله: أفَلا يَعْلَمُ إذَا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ يقول: أفلا يعلم هذا الإنسان الذي هذه صفته, إذا أثير ما في القبر, وأخرج ما فيها من الموتى وبُحث.
وذُكر أنها في مصحف عبد الله: «إذا بُحث ما في القبور», وكذلك تأوّل ذلك أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29232ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ بُحث. وللعرب في بُعْثِرَ لغتان: تقول: بُعثر, وبُحثر, ومعناهما واحد.

وقوله: وَحُصّلَ ما فِي الصّدُورِ يقول: ومُيّز وبُيّن, فأبرز ما في صدور الناس من خير وشرّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29233ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَحُصّلَ ما في الصّدُورِ يقول: أُبرز.
29234ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان وَحُصّلَ ما فِي الصّدُورِ يقول: مُيّز.
وقوله: إنّ رَبّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ يقول: إن ربهم بأعمالهم, وما أسرّوا في صدورهم, وأضمروه فيها, وما أعلنوه بجوارحهم منها, عليم لا يخفى عليه منها شيء, وهو مجازيهم على جميع ذلك يومئذٍ.

سورة القارعة

سورة القارعة مكية
وآياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-11

القول في تأويل قوله تعالى: {الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ * فَأُمّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رّاضِيَةٍ * وَأُمّا مَنْ خَفّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ }.
يقول تعالى ذكره: الْقَارِعَةُ: الساعة التي يقرع قلوبَ الناس هو لُها, وعظيم ما ينزل بهم من البلاء عندها, وذلك صبيحة لا ليل بعدها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29235ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: الْقارِعَةُ من أسماء يوم القيامة, عظّمه الله وحذّره عباده.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله الْقارِعَةُ ما الْقارِعَةُ قال: هي الساعة.
29236ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: الْقارِعَةُ ما الْقارِعَةُ قال: هي الساعة.
29237ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, قال: سمعت أن القارعة والواقعة والحاقة: القيامة.
وقوله: ما الْقارِعَةُ يقول تعالى ذكره معظّما شأن القيامة والساعة التي يقرع العبادَ هولُها: أيّ شيء القارعة؟ يعني بذلك: أيّ شيء الساعة التي يقرع الخلقَ هولُها: أي ما أعظمها وأفظعها وأهولها.
وقوله: وَما أَدْرَاكَ ما الْقارِعَةُ؟ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أشعرك يا محمد أي شيء القارعة.
وقوله: يَوْمَ يَكُونُ النّاسُ كالْفَرَاشِ المَبْثُوثِ يقول تعالى ذكره: القارعة يوم يكون الناس كالفَراش, وهو الذي يتساقط في النار والسراج, ليس ببعوض ولا ذباب, ويعني بالمبثوث: المفرّق. وكالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29238ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يَوْمَ يَكُونُ النّاسُ كالفَرَاشِ المَبْثُوثِ هذا الفراش الذي رأيتم يتهافت في النار.
29239ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يَوْمَ يَكُونُ النّاسُ كالْفَرَاشِ المَبْثُوثِ قال: هذا شَبَه شبهه الله.
وكان بعض أهل العربية يقول: معنى ذلك: كغوغاء الجراد, يركب بعضه بعضا, كذلك الناس يومئذ, يجول بعضهم في بعض.
وقوله: وَتَكُونُ الجِبالُ كالْعِهْنِ المَنْفُوشِ يقول تعالى ذكره: ويوم تكون الجبال كالصوف المنفوش والعِهْن: هو الألوان من الصوف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29240ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: وَتَكُونُ الجِبالُ كالْعِهْنِ المَنْفُوشِ قال: الصوف المنفوش.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: هو الصوف.
وذُكر أن الجبال تسير على الأرض وهي في صورة الجبال كالهباء.
وقوله: فَأمّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ يقول: فأما من ثقُلَت موازين حسناته, يعني بالموازين: الوزن, والعرب تقول: لك عندي درهم بميزان درهمك, ووزن درهمك, ويقولون: داري بميزان دارك ووزن دارك, يراد: حذاء دارك. قال الشاعر:
قدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقائكُمْ ذَا مِرّةٍ عِنْدِي لِكُلَ مخاصِمٍ مِيزَانُه
يعني بقوله: «لكلّ مخاصم ميزانه»: كلامه, وما ينقض عليه حجته. وكان مجاهد يقول: ليس ميزان, إنما هو مثل ضرب.
29241ـ حدثنا بذلك أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد.
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ يقول: في عيشة قد رضيها في الجنة, كما:
29242ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ يعني: في الجنة.
وقوله: وَأمّا مَنْ خَفّتْ مَوَازِينُهُ فأُمّهُ هاوِيَةٌ يقول: وأما من خفّ وزن حسناته, فمأواه ومسكنه الهاوية, التي يهوي فيها على رأسه في جهنم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29243ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَأمّا مَنْ خَفّتْ مَوَازِينُهُ فأُمّهُ هاوِيَةٌ وهي النار, هي مأواهم.
29244ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فَأُمّهُ هاوِيَةٌ قال: مصيره إلى النار, هي الهاوية. قال قتادة: هي كلمة عربية, كان الرجل إذا وقع في أمر شديد, قال: هوت أمه.
29245ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الأشعث بن عبد الله الأعمى, قال: إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين, فيقولون: رَوّحوا أخاكم, فإنه كان في غمّ الدنيا قال: ويسألونه ما فعل فلان؟ فيقول: مات, أو مَا جاءكم؟ فيقولون: ذهبوا به إلى أمّه الهاوية.
29246ـ حدثني إسماعيل بن سيف العجليّ, قال: حدثنا عليّ بن مُسْهِر, قال: حدثنا إسماعيل, عن أبي صالح, في قوله فَأُمّهُ هاوِيَةٌ قال: يهوُون في النار على رؤوسهم.

29247ـ حدثنا ابن سيف, قال: حدثنا محمد بن سَـوّار, عـن سـعيد, عـن قتادة فَأُمّهُ هاوِيَةٌ قال: يهوى في النار على رأسه.
29248ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: فَأُمّهُ هاوِيَةٌ قال: الهاوية: النار هي أمّه ومأواه التي يرجع إليها, ويـأوي إليها, وقرأ: وَمأوَاهُمُ النّارُ.
29249ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس فَأُمّهُ هاوِيَةٌ وهو مثلها, وإنمـا جعـل النـار أمّـه, لأنها صارت مأواه, كما تؤوي المرأة ابنها, فجعلها إذ لم يكن له مأوى غيرهـا, بمنزلة أمّ له.
قوله: وَما أدْرَاكَ ماهِيَهْ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسـلم: وما أشعرك يا محمد ما الهاوية, ثم بَيّن ما هي, فقال: هَيَ نَارٌ حَامِيَـةٌ, يعنـي بالحامية: التي قد حميت من الوقود عليها.

سورة التكاثر

سورة التكاثر مكية
وآياتها ثمان

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-8

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {أَلْهَاكُمُ التّكَاثُرُ * حَتّىَ زُرْتُمُ الْمَقَـابِرَ * كَلاّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُـمّ كَلاّ سَـوْفَ تَعْلَمُـونَ * كَلاّ لَـوْ تَعْلَمُـونَ عِلْـمَ الْيَقِيـنِ * لَتَرَوُنّ الْجَحِيمَ * ثُمّ لَتَرَوُنّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمّ لَتُسْأَلُنّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النّعِيمِ }.
يقول تعالى ذكره: ألهاكم أيها الناس المباهاة بكـثرة المـال والعـدد عـن طاعة ربكم, وعما ينجيكم من سخطه عليكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قـال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29250ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ألهَاكُمُ التّكاثُرُ حتى زُرْتُمُ المَقابِرَ قال: كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان, ونحن أعدّ من بني فلان, وهم كلّ يوم يتساقطون إلى آخرهم, والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة ألهَـاكُمُ التّكاثُرُ قالوا: نحن أكثر من بني فلان, وبنو فلان أكثر مـن بنـي فلان, ألهـاهم ذلك حتى ماتوا ضلالاً.
وروى عن النبيّ صلى الله عليه وسـلم كلام يـدلّ علـى أن معنـاه التكـاثر بالمال. ذكر الخبر بذلك:
29251ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن هشـام الدّسـتَوائيّ, عـن قتادة, عن مطرّف بن عبد الله بن الشّخّير, عـن أبيـه أنـه انتهـى إلـى النـبيّ صلى الله عليه وسلم, وهو يقـرأ: ألهَ اكُمُ التّكـاثُرُ حَتّـى زُرْتُـمُ المَقـابرَ قـال: «ابنَ آدم, ليس لـك مـن مالـك إلا مـا أكلـت فـأفنيت, أو لبِسـت فـأبليت, أو تصدّقت فأمضيت».
29252ـ حدثنا محمد بن خلف العسقلاني, قال: حـدثنا آدم, قـال: حـدثنا حماد بن سلمة, عن ثابت البُنَاني, عن أنس بـن مالـك, عـن أُبـيّ بـن كعـب, قال: كنا نرى أن هذا الحديث من القرآن: «لو أن لابن آدم واديين مـن مـالٍ,

لتمنى واديا ثالثا, ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا التّراب, ثم يتـوب اللـه علـى مـن تاب» حتى نزلت هذه السورة: أَلْهَاكُمُ التّكاثُرُ إلى آخرها.

وقوله صلى الله عليه وسلم بعَقِب قراءته: «أَلْهاكُمُ»: ليس لك من مالك إلا كذا وكذا, ينبىء أن معنى ذلك عنده: ألهاكم التكاثر: المال.

وقوله: حَتّى زُرْتُمُ المَقابِرَ يعني: حتى صرتم إلى المقابر فدفنتم فيها وفي هذا دليل على صحة القول بعـذاب القـبر, لأن اللـه تعـالى ذكـره, أخـبر عـن هؤلاء القوم الذين ألهـاهم التكـاثر, أنهـم سـيعلمون مـا يلقـون إذا هـم زاروا القبور وعيدا منه لهم وتهدّدا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29253ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن عطية, عن قيـس, عـن حجـاج, عن المنهال, عن زِرّ, عن عليّ, قال: كنا نشكّ في عذاب القبر, حـتى نزلـت هذه الآية: أَلْهَاكُمُ التّكاثُرُ... إلى: كَلاّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ في عذاب القبر.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام بن سلم, عن عنبسة, عن ابن أبي ليلىَ, عن المنهال, عن زِرّ, عن عليّ, قال: نزلت أَلْهَاكُمُ التّكاثُرُ في عذاب القبر.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حَكّام, عن عمرو, عن الحجاج, عن المنهال بن عمرو, عن زِرّ, عن علـيّ, قـال: مـا زلنـا نشـكّ فـي عـذاب القـبر, حـتى نزلت: أَلْهَاكُمُ التّكاثُرُ حَتّى زُرْتُمُ المَقابِرَ.

وقوله: كَلاّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ يعني تعالى ذكره بقوله: كلا: ما هكذا ينبغي أن تفعلوا, أن يُلْهيكم التكاثر.

وقوله: سَوْفَ تَعْلَمُونَ يقول جلّ ثناؤه: سوف تعلمـون إذا زرتـم المقـابر, أيها الذين ألهاهم التكاثر, غِـبّ فعلكـم, واشـتغالكم بالتكـاثر فـي الـدنيا عـن طاعة الله ربكم.

وقوله: ثُمّ كَلاّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ يقول: ثم ما هكذا ينبغي أن تفعلوا أن يلهيكم التكاثر بالأموال, وكثرة العدد, سوف تعلمون إذا زرتم المقابر, ما تلقَـوْن إذا أنتم زرتموها, من مكروه اشتغالكم عن طاعة ربكـم بالتكـاثر. وكـرّر قـوله: كَلاّ سـوْفَ تَعْلَمُـونَ مرّتيـن, لأن العـرب إذا أرادت التغليـظ فـي التخويـف والتهديد, كرّروا الكلمة مرّتين. وروي عن الضحّاك في ذلك ما:

29254ـ حدثنا به ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي سنان, عن ثابت, عن الضحاك كَلاّ سَوْفَ تَعْلَمُـونَ قـال: الكفـار ثُـمّ كَلاّ سَـوْفَ تَعْلَمُـونَ قـال: المؤمنون. وكذلك كان يقرؤها.

وقوله: كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ يقول تعالى ذكـره: مـا هكـذا ينبغـي أن تفعلوا, أن يلهيكم التكاثر أيها الناس, لو تعلمون أيهـا النـاس علمـا يقينـا, أن الله باعثكم يوم القيامة من بعد مماتكم, من قبوركم, ما ألهاكم التكـاثر عـن طاعة الله ربكم, ولسارعتم إلى عبادته, والانتهاء إلـى أمـره ونهيـه, ورفـض الدنيا إشفاقا على أنفسكم من عقوبته. وبنحو الذي قلنا في ذلـك قـال أهـل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29255ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ كنا نحدّث أن علـم اليقيـن, أن يعلـم أنّ اللـه بـاعثه بعـد الموت.

وقـوله: لَتَـرُونّ الجَحِيـمَ اختلفـت القـرّاء فـي قـراءة ذلـك, فقرأتـه قـرّاء الأمصار: لَتَرَوُنّ الجَحيمَ بفتح التاء من لَتَرَوُنّ في الحرفين كليهما, وقرأ ذلـك الكسائي بضم التاء من الأولىَ, وفتحها من الثانية.

والصواب عندنا في ذلك الفتح فيهما كليهما, لإجماع الحجة عليه. وإذا كان ذلك كذلك, فتأويل الكلام: لـترونّ أيهـا المشـركون جهنـم يـوم القيامـة, ثـم لترونها عيانا لا تغيبون عنها.

29256ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابـن عبـاس قـوله: ثُـمّ لَتَرَوُنّهـا عَيْـنَ الْيَقِيـنِ يعنـي: أهـل الشرك.

وقوله: ثُمّ لَتُسْئَلُنّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النّعِيمِ يقول: ثم ليسألنكم الله عزّ وجلّ عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا: ماذا عملتم فيه, من أين وصلتم إليـه, وفيـم أصبتموه, وماذا عملتم به؟.

واختلف أهل التأويل في ذلـك النعيـم مـا هـو؟ فقـال بعضـهم: هـو الأمـن والصحة. ذكر من قال ذلك:

29257ـ حدثني عباد بن يعقوب, قال: حدثنا محمد بن سليمان, عن ابـن أبي ليلى, عن الشعبيّ, عن ابن مسعود, في قوله: ثُـمّ لَتُسْـئَلُنّ يَوْمَئِـذٍ عَـنِ النّعِيمِ قال: الأمن والصحة.

حدثَنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا حفص, عن ابن أبي ليلى, عن الشعبيّ, عن عبد الله, مثله.

29258ـ حدثني عليّ بن سعيد الكنديّ, قال: حدثنا محمد بن مروان, عن ليث, عن مجاهد ثُمّ لَتُسْئَلُنّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النّعِيمِ قال: الأمن والصحة.

29259ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثَنا أبو عَاصم, قال: حدثنا سفيان, قال: بلغني في قوله: لَتُسْئَلُنّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النّعِيمِ قال: الأمن والصحة.

29260ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن إسماعيل بن عياش, عن عبد العزيز بن عبد الله, قال: سمعت الشعبيّ يقول: النعيـم المسـئول عنـه يوم القيامة: الأمن والصحة.

قال: ثنا مهران, عن خالد الزيات, عن ابن أبي ليلى, عن عامر الشعبيّ, عن ابن مسعود, مثله.

قال: ثنا مهران, عن سفيان ثُمّ لَتُسْئَلُنّ يَوْمَئِـذٍ عَـنِ النّعِيـمِ قـال: الأمـن والصحة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم لَيُسْئَلُنّ يومئذٍ عما أنعم الله به عليهم مما وهب لهم من السمع والبصر وصحة البدن. ذكر من قال ذلك:

29261ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, في قوله: ثُمّ لَتُسْئَلُنّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النّعِيمِ قـال: النعيـم: صـحة الأبدان والأسماع والأبصار, قال: يسأل الله العباد فيم استعملوها, وهو أعلم بذلك منهـم, وهـو قـوله: إنّ السّـمْعَ والْبَصَـرَ والفُـؤَادَ كُـلّ أُولَئِـكَ كـانَ عَنْـهُ مَسْئُولاً.

29262ـ حدثني إسماعيل بن موسى الفَزاريّ, قال: أخبرنا عمر بن شاكر, عن الحسن قال: كان يقول في قوله: ثُمّ لَتُسْـئَلُنّ يَوْمَئِـذٍ عَـنِ النّعِيـمِ قـال: السمع والبصر, وصحة البدن.

وقال آخرون: هو العافية. ذكر من قال ذلك:

29263ـ حدثني عباد بن يعقوب, قال: حدثنا نوح بن درّاج, عن سـعد بـن طريف, عن أبي جعفر ثُمّ لَتُسْئَلُنّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النّعِيمِ قال: العافية.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك: بعض ما يطعَمه الإنسان, أو يشربه. ذكر من قال ذلك:

29264ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن بكير بن عتيق, قال: رأيت سعيد بن جُبَير أُتِيَ بشربة عسل, فشربها, وقال: هذا النعيم الذي تُسئلون عنه.

29265ـ حدثني عليّ بن سهل الرمليّ, قال: حدثنا الحسن بن بلال, قال: حدثنا حماد بن سلمة, عن عَمّار بن أبي عمار, قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: أتانا النبيّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما, فأطعمناهم رُطَبا, وسقيناهم ماء, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَذَا مِنَ النّعِيمِ الّذِي تُسْئَلُونَ عَنْهُ».

حدثنا جابر بن الكرديّ, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: حدثنا حماد بن سلمة, عن عمار بن أبي عمار, قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: أتانا النبيّ صلى الله عليه وسلم, فذكر نحوه.

29266ـ حدثني الحسن بن عليّ الصّدائي, قال: حدثنا الوليد بن القاسم, عن يزيد بن كيسان, عن أبي حازم, عن أبي هريرة, قال: بينما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان, إذ جاء النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: «ما أجْلَسَكُما ها هُنا؟» قالا: الجوع, قال: «وَالّذِي بَعَثَنِي بالْحَقّ ما أخْرَجَنِي غَيرُهُ», فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار, فاستقبلتهم المرأة, فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «أيْنَ فُلانُ؟» فقالت: ذهب يستعذب لنا ماء, فجاء صاحبهم يحمل قربته, فقالَ: مَرْحَبا, ما زار العِبادَ شَيءٌ أفضلَ من شيء زارني اليوم, فعلّق قربته بكَرَب نخلة, وانطلق فجاءهم بعِذْق, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ألا كُنْتَ اجْتَنَيْتَ؟» فقال: أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم, ثم أخذ الشّفرة, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إيّاكَ والْحَلُوبَ», فذبح لهم يومئذٍ, فأكلوا, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لَتُسْئَلُنّ عَنْ هَذَا يَوْمَ القِيامَةِ, أخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ, فَلَمْ تَرْجِعُوا حتّى أصَبْتُمْ هَذَا, فَهَذَا مِنَ النّعِيمِ».

29267ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير, قال: حدثنا شيبان بن عبد الرحمن, عن عبد الملك بن عُمَير, عن أبي سَلَمة, عن أبي هريرة, قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: «انْطَلِقُوا بِنا إلى أبي الهَيْثَمِ بن التّيّهانِ الأنْصَارِيّ,» فَأتَوهُ, فانطلق بهم إلى ظلّ حديقته, فبسط لهم بساطا, ثم انطلق إلى نخلة, فجاء بِقِنْوٍ, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَهَلا تَنَقّيْتَ لَنَا مِنْ رُطَبِهِ؟» فقال: أردت أن تَخَيّروا من رطبه وبُسره, فأكلوا وشربوا من الماء فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: «هَذَا وَالّذِي نَفْسِي بِيدِهِ مِنَ النّعِيمِ, الّذِي أنْتُمْ فِيهِ مَسْئُولُونَ عَنْهُ يَوْمَ القِيامَةِ, هَذَا الظّلّ البارِدُ, والرّطَبُ البارِدُ, عَلَيْهِ الماءُ البارِدُ».

حدثني صالح بن مسمار المروزي, قال: حدثنا آدم بن أبي إياس, قال: حدثنا شيبان, قال: حدثنا عبد الملك بن عمير, عن أبي سلمة بن عبد الرحمن, عن أبي هريرة, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه, إلا أنه قال في حديثه: «ظِلّ بارِدٌ, وَرُطَبٌ بارِدٌ, وَماءٌ بارِدٌ».

29268ـ حدثنا عليّ بن عيسى البزاز, قال: حدثنا سعيد بن سليمان, عن حشرج بن نباتة, قال: حدثنا أبو بصيرة عن أبي عسيب, مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: مرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى دخل حائطا لبعض الأنصار, فقال لصاحب الحائط: «أطْعِمْنا بُسْرا», فجاءه بِعِذْقٍ فَوَضَعَهُ فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه, ثم دعا بماء باردٍ

فشرب, فقال: «لتُسْئَلُنّ عَنْ هَذَا يَوْمَ القِيامَةِ», فأخذ عُمَـر العِـذْق, فضـرب به الأرض, حتى تناثر البسر, ثم قال: يا رسول الله, إنا لمسؤولون عن هذا؟ قال: «نَعَمْ, إلاّ مِنْ كِسْـرَةٍ يَسَـدّ بِهـا جَوْعَـةً, أوْ جُحْـرٍ يُـدْخَلُ فِيـهِ مِـنَ الحَـرّ والقَرّ».

حدثني سعيد بن عمرو السكونيّ, قال: حدثنا بقية, عن حشرج بن نباتة, قال: حدثني أبو بصيرة, عن أبي عسيب مولى رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم, قال: مرّ بي النبيّ صلى الله عليه وسلم, فدعاني وخرجت ومعه أبــو بكر وعمر رضي الله عنهما, فدخل حائطا لبعض الأنصار, فـأُتِيَ بِبُسْـرِ عِـذْق منه, فوضع بين يديه, فأكل هو وأصحابه, ثم دعا بما بارد, فشرب, ثـم قـال: «لَتُسْئَلُنّ عَنْ هَذَا يَوْمَ القِيامَةِ», فقال عمر: عـن هـذا يـوم القيامـة؟ فقـال: «نَعَمْ, إلاّ مِنْ ثَلاثَةٍ: خِرْقَةٍ كَفّ بِها عَوْرَتَهُ, أو كِسْرَةٍ سَدّ بِها جَوْعَتَهُ, أوْ جُحْــرِ يَدْخُلُ فِيهِ مِنَ الحَرّ والقَرّ».

29269ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلّيـة, عـن الجريـريّ, عـن أبـي بصيرة, قال: أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وناس من أصـحابه أكلـة من خبز شعير لم يُنْخَل, بلحم سمين, ثم شربوا من جدول, فقال: «هذا كله من النعيم الذي تُسئلون عنه يوم القيامة».

29270ـ حدثنا مجاهد بن موسى, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا محمد بـن عمرو, عن صفوان بن سليم, عن محمـد بـن محمـود بـن لبيـد, قـال: «لمـا نزلت ألهَاكُمُ التّكاثُرُ فقرأها حتى بلغ: لَتُسْـئَلُنّ يَوْمَئِـذٍ عـنِ النّعِيـمِ قـالوا: يـا رسول الله عن أيّ النعيم نُسْأل وإنما هو الأسودان: الماء, والتمر, وسـيوفنا على عواتقنا, والعدوّ حاضر, قال: «إنّ ذلكَ سَيَكُونُ».

29271ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم والحسـين بـن علـيّ الصّـدَائي, قـالا: حدثنا شَبَابة بن سوّار, قال: ثني عبد الله بن العلاء أبو رَزِين الشـامي, قـال: حدثنا الضحاك بن عَرْزَم, قال: سمعت أبـا هريـرة يقـول: قـال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم: «إنّ أوّلَ ما يُسْئَلُ عَنْهُ العَبْدُ يَوْمَ الْقِيامَـةِ مِـنَ النّعِيـمِ أنْ يُقالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحّ لَكَ جِسْمَكَ, وَنُرْوَ مِنَ الماءِ البارِدِ»؟.

29272ـ حدثني يعقوب, قال: حـدثنا ابـن عُلَيـة, قـال: حـدثنا ليـث, عـن مجاهد, قال: قال أبو معمر: عبد الله بن سخبرة: ما أصـبح أحـد بالكوفـة إلا ناعما وإن أهونهم عيشا الذي يأكل خبز البرّ, ويشرب ماء الفُرات, ويسـتظلّ من الظلّ, وذلك من النعيم.

29273ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن إسماعيل بن عياش, عن عبد الرحمن بن الحرث التميميّ, عن ثابت البُنَاني, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «النّعِيم: المَسْئُولُ عَنْهُ يَوْمَ القِيامَةِ: كِسْرَةٌ تُقَوّيهِ, وَمـاءٌ يُرْوِيـهِ, وَثَوْبٌ يُوَارِيهِ».

29274ـ قال: ثنا مهران, عن إسماعيل بن عياش, عن بشر بن عبد اللـه بن بشار, قال: سمعت بعض أهـل اليمـن يقـول: سـمعت أبـا أُمامـة يقـول: النعيم المسئول عنه يوم القيامة: خبز البُرّ, والماء العذب.

29275ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان, عن بكير بن عتيق العـامريّ, قـال: أُتِيَ سعيد بن جُبير بشربة عسل, فقال: أما إن هذا النعيم الـذي نُسْـأل عنـه يوم القيامة ثُمّ لَتُسْئَلُنّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النّعِيمِ.

29276ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن بكير بن عتيق, عن سعيد بن جُبير, أنه أُتِيَ بشربة عسل, فقال: هذا من النعيم الذي تُسألون عنه.

وقال آخرون: ذلك كلّ ما التذّه الإنسان في الدنيا من شيء. ذكر من قال ذلك:

29277ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: ثُمّ لَتُسْئَلَنّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النّعِيمِ قال: عن كلّ شيء من لذّة الدنيا.

29278ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ثُمّ لَتُسْئَلُنّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النّعِيمِ: إن الله عزّ وجلّ سائل كلّ عبد عما استودعه من نِعَمه وحقه.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن مَعْمر, عن قتادة لَتُسْئَلُنّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النّعِيمِ قال: إن الله تعالى ذكره سائل كلّ ذي نعمة فيما أنعم عليه.

وكان الحسن وقتادة يقولان: ثلاث لا يُسئل عنهنّ ابن آدم, وما خَلاهنّ فيه المسألة والحساب, إلا ما شاء الله: كُسوة يواري بها سَوْءَته, وكسرة يشدّ بها صُلْبه, وبيت يظلّه.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله أخبر أنه سائل هؤلاء القوم عن النعيم, ولم يخصص في خبره أنه سائلهم عن نوع من النعيم دون نوع, بل عمّ بالخبر في ذلك عن الجميع, فهو سائلهم كما قال عن جميع النعيم, لا عن بعض دون بعض.

سورة العصر

سورة العصر مكيّة
وآياتها ثلاث
بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1-3

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالْعَصْرِ * إِنّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ * إِلاّ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصّبْرِ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: وَالْعَصْرِ فقال بعضهم: هو قَسَم أقسم ربنا تعالى ذكره بالدهر, فقال: العصر: هو الدهر. ذكر من قال ذلك:

29279ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: وَالْعَصْرِ قال: العصر: ساعة من ساعات النهار.

29280ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن وَالْعَصْرِ قال: هو العشيّ.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر وَالْعَصْرِ اسم للدهر, وهو العشيّ والليل والنهار, ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى, فكلّ ما لزِمه هذا الاسم, فداخل فيما أقسم به جلّ ثناؤه.

وقوله: إنّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ يقول: إن ابن آدم لفي هلَكة ونقصان. وكان عليّ رضي الله عنه يقرأ ذلك: «إنّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ, وإنه فيه إلى آخر الدهر».

29281ـ حدثني ابن عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن عمر ذي مرّ, قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقرأ هذا الحرف: «وَالْعَصْرِ وَنَوَائِبِ الدّهْرِ, إن الإنْسانَ لفي خُسْرٍ, وإنه فيه إلى آخر الدهر».

29282ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ ففي بعض القراءات: «وإنه فيه إلى آخر الدهر».

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن عمرو ذي مرّ, أن عليا رضي الله عنه قرأها: «وَالْعَصْرِ وَنَوَائِبِ الدّهْرِ, إنّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ».

29283ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد إنّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إلاّ من آمن.

إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ يقول: إلاَّ الذين صدّقوا الله ووحّدوه, وأقرّوا له بالوحدانية والطاعة, وعملوا الصالحات, وأدّوا ما لزمهم من فرائضه, واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيه, واستثنى الذين آمنوا عن الإنسان, لأن الإنسان بمعنى الجمع, لا بمعنى الواحد.

وقوله: وَتَوَاصَوْا بالْحَقّ يقول: وأوصى بعضهم بعضا بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه, من أمره, واجتناب ما نهى عنه فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29284ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَتَوَاصَوْا بالْحَقّ والحقّ: كتاب الله.

29285ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن وَتَوَاصَوْا بالْحَقّ قال: الحقّ كتاب الله.

حدثني عمران بن بكّار الكُلاعِيّ, قال: حدثنا خطاب بن عثمان, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سنان أبو رَوْح السّكونيّ, حِمْصيّ لقيته بإرمينية, قال: سمعت الحسن يقول في وَتَوَاصَوْا بالْحَقّ قال: الحقّ: كتاب الله.

وقوله: وَتَوَاصَوْا بالصّبْرِ يقول: وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على العمل بطاعة الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29286ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَتَوَاصَوْا بالصّبْرِ قال: الصبر: طاعة الله.

29287ـ حدثني عمران بن بكار الكُلاعي, قال: حدثنا خطاب بن عثمان, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سنان أبو روح, قال: سمعت الحسن يقول في قوله وَتَوَاصَوْا بالصّبْرِ قال: الصبر: طاعة الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن وَتَوَاصَوْا بالصّبْرِ قال: الصبر: طاعة الله.

سورة الهمزة

سورة الهمزة مكيّة
وآياتها تسع

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-9

القول في تأويل قوله تعالى:{وَيْلٌ لّكُلّ هُمَزَةٍ لّمَزَةٍ * الّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدّدَهُ * يَحْسَبُ أَنّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلاّ لَيُنبَذَنّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللّهِ الْمُوقَدَةُ * الّتِي تَطّلِعُ عَلَى الأفْئِدَةِ * إِنّهَا عَلَيْهِم مّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مّمَدّدَةٍ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: وَيْلٌ لِكُلّ هُمَزَةٍ الوادي يسيل من صديد أهل النار وقيحهم, لكلّ همزة: يقول: لكلّ مغتاب للناس, يغتابهم ويغضهم, كما قال زياد الأعجم:

تُدْلي بوُدّي إذا لاقَيْتَنِي كَذِباوإنْ أُغَيّبْ فأنتَ الهامِزُ اللّمَزَهْ

ويعني باللّمَزة: الذي يعيب الناس, ويطعن فيهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29288ـ حدثنا مسروق بن أبان, قال: حدثنا وكيع, عن رجل لم يسمه, عن أبي الجوزاء, قال: قلت لابن عباس: مَنْ هؤلاء هم الذين بدأهم الله بالويل؟ قال: هم المَشّاءون بالنميمة, المفرّقون بين الأحبة, الباغون أكبر العيب.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن أبيه, عن رجل من أهل البصرة, عن أبي الجوزاء, قال: قلت: لابن عباس: من هؤلاء الذين ندبهم الله إلى الويل؟ ثم ذكر نحو حديث مسروق بن أبان.

29289ـ حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَيْلٌ لِكُلّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ قال: الهمزة يأكل لحوم الناس, واللمزة: الطعان.

وقد رُوي عن مجاهد خلاف هذا القول, وهو ما:

29290ـ حدثنا به أو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَيْلٌ لِكُلّ هُمَزَةٍ قال: الهمزة: الطّعّان, واللمزة: الذي يأكل لحوم الناس.

حدثنا مسروق بن أبان الحطاب, قال: حدثنا وكيع, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

ورُوي عنه أيضا خلاف هذين القولين, وهو ما:

29291ـ حدثنا به ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَيْلٌ لِكُلّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ قال: أحدهما الذي يأكل لحوم الناس, والآخر الطعان.

وهذا يدلّ على أن الذي حدّث بهذا الحديث قد كان أشكل عليه تأويل الكلمتين, فلذلك اختلف نقل الرواة عنه ما رووا على ما ذكرت.

29292ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَيْلٌ لِكُلّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ أما الهمزة: فآكل لحوم الناس, وأما اللمزة: فالطعان عليهم.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سعيد بن أبي عَروبة, عن قتادة, قال: الهمزة: آكل لحوم الناس: واللمزة: الطعان عليهم.

29293ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن خثيم, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس: وَيْلٌ لِكُلّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ قال: ويل لكلّ طعان مغتاب.

29294ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, قال: الهُمزة: يهمزه في وجهه, واللمزة: من خلفه.
29295ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه, ويأكل لحوم الناس, ويطعن عليهم.
29296ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: الهُمَزة باليد, واللّمَزة باللسان.
وقال آخرون في ذلك ما:
29297ـ حدثني به يونُس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: وَيْلٌ لِكُلّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ قال: الهمزة: الذي يهمز الناس بيده, ويضربهم بلسانه, واللمزة: الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم.
واختُلِف في المعنيّ بقوله: وَيْلٌ لِكُلّ هُمَزَةٍ فقال بعضهم: عُنِيَ بذلك: رجل من أهل الشرك بعينه, فقال بعض من قال هذا القول: هو جميل بن عامر الجُمَحيّ. وقال آخرون منهم: هو الأخنس بن شريق. ذكر من قال: عُنِي به مشرك بعينه:
29298ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَيْلٌ لِكُلّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ قال: مشرك كان يَلْمِزُ الناس ويَهْمِزُهُمْ.
29299ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن رجل من أهل الرّقّة قال: نزلتْ في جميل بن عامر الجُمَحيّ.
29300ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, في قوله هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ قال: ليست بخاصة لأحد, نزلتْ في جميل بن عامر قال ورقاء: زعم الرقاشيّ.
وقال بعض أهل العربية: هذا من نوع ما تذكر العرب اسم الشيء العام, وهي تقصد به الواحد, كما يقال في الكلام, إذا قال رجل لأحد: لا أزورك أبدا: كل من لم يزرني, فلست بزائره, وقائل ذلك يقصد جواب صاحبه القائل له: لا أزورك أبدا.
وقال آخرون: بل معنيّ به, كلّ من كانت هذه الصفة صفته, ولم يقصد به قصد آخر. ذكر من قال ذلك:
29301ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَيْلٌ لِكُلّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ قال: ليست بخاصة لأحد.
والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله عمّ بالقول كلّ همزة لمزة, كلّ من كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها, سبيله سبيله كائنا من كان من الناس.
وقوله: الّذِي جَمَعَ مالاً وَعَدّدَهُ يقول: الذي جمع مالاً وأحصى عدده, ولم ينفقه في سبيل الله, ولم يؤدّ حقّ الله فيه, ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه من قرّاء أهل المدينة أبو جعفر, وعامة قرّاء الكوفة سوى عاصم: «جَمّع» بالتشديد, وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والحجاز, سوى أبي جعفر وعامة قرّاء البصرة, ومن الكوفة عاصم, «جَمَع» بالتخفيف, وكلهم مجمعون على تشديد الدال من عَدّدَهُ, على الوجه

الذي ذكرت من تأويله. وقد ذُكر عن بعض المتقدّمين بإسنادٍ غير ثابت, أنه قرأه: «جَمَعَ مالاً وَعَدَدَهُ» بتخفيف الدال, بمعنى: جمع مالاً, وجمع عشيرته وعَدَدَه. هذه قراءة لا أستجيز القراءة بها, بخلافِها قراءة الأمصار, وخروجِها عما عليه الحجة مجمعة في ذلك.

وأما قوله: جَمَعَ مالاً فإن التشديد والتخفيف فيهما صوابان, لأنهما قراءتان معروفتان في قَرَأَة الأمصار, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: يَحْسَبُ أنّ مالَهُ أخْلَدَهُ يقول: يحسب أن ماله الذي جمعه وأحصاه, وبخل بإنفاقه, مُخلدُه في الدنيا, فمزيلٌ عنه الموت. وقيل: أخلده, والمعنى: يخلده, كما يقال للرجل الذي يأتي الأمر الذي يكون سببا لهلاكه: عَطِب والله فلان, وهلك والله فلان, بمعنى: أنه يَعْطَب من فعله ذلك, ولما يهلك بعد ولم يعطب وكالرجل يأتي المُوبِقة من الذنوب: دخل والله فلان النار.

وقوله: كَلاّ يقول تعالى ذكره: ما ذلك كما ظنّ, ليس مالُه مخلدَه, ثم أخبر جلّ ثناؤه أنه هالك ومعذّب على أفعاله ومعاصيه, التي كان يأتيها في الدنيا, فقال جلّ ثناؤه: لَيُنْبَذَنّ فِي الْحُطَمَةِ: يقول: ليُقذفنّ يوم القيامة في الحُطَمة, والحطمة: اسم من أسماء النار, كما قيل لها: جهنم وسَقَر ولَظَى, وأحسبها سميت بذلك لحَطْمِها كلّ ما ألقي فيها, كما يقال للرجل الأكول: الحُطَمَة.

وذُكر عن الحسن البصريّ أنه كان يقرأ ذلك: «لَيُنْبَذَانّ فِي الْحُطَمَةِ» يعني: هذا الهمزة اللمزة وماله, فثنّاه لذلك.

وقوله: وَما أدْرَاكَ ما الْحُطَمَةُ يقول: وأيّ شيء أشعرك يا محمد ما الحطمة, ثم أخبره عنها ما هي, فقال جلّ ثناؤه: هي نارُ اللّهِ المُوقَدَةُ الّتِي تَطّلِعُ عَلى الأفْئِدَةِ يقول: التي يطلع ألمها ووَهَجُها القلوب والإطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى. حُكي عن العرب سماعا: متى طَلَعْتَ أرْضَنا وطلعتُ أرضي: بلغت.

وقوله: إنّها عَلَيهِمْ مُؤْصَدَةٌ يقول تعالى ذكره: إن الحُطَمة التي وصفت صفتها عليهم, يعني: على هؤلاء الهمّازين اللمّازين مُؤْصَدةٌ: يعني: مطبقة وهي تُهْمَز ولا تُهْمَز وقد قُرئتا جميعا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29302ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا طَلْق, عن ابن ظهير, عن السديّ, عن أبي مالك, عن ابن عباس في مؤصدة: قال: مُطْبَقَة.

29303ـ حدثني عبيد بن أسباط, قال: ثني أبي, عن فضيل بن مرزوق, عن عطية, في قوله: إنّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ قال: مُطْبَقَة.

29304ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, قال: في النار رجل في شِعْب من شِعابها ينادي مقدار ألف عام: يا حنّان يا منّان, فيقول ربّ العزّة لجبريل: أخرج عبدي من النار, فيأتيها فيجدها مُطْبَقَة, فيرجع فيقول: يا ربّ إنّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فيقول: يا جبريل فُكّها, وأخرج عبدي من النار, فيفكها, ويخرج مثل الخيال, فيُطرح على ساحل الجنة حتى يُنبت الله له شعرا ولحما ودما.

29305ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: إنّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ قال: مطْبَقة.

29306ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن مضرس بن عبد الله, قال: سمعت الضحاك إنّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ قال: مطبقة.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: إنّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ قال: عليهم مغلقة.
29307ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّها علَيْهِمْ مُؤْصدَةٌ: أي مطبقة.
29308ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ قال: مطبقة.
والعرب تقول: أوصد الباب: أغلق. وقوله: فِي عَمَدٍ مُمَدّدَةٍ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: فِي عَمَدٍ بفتح العين والميم. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «فِي عُمُدٍ» بضم العين والميم. والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان, قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء, ولغتان صحيحتان. والعرب تجمع العمود: عُمُدا وعَمَدا, بضم الحرفين وفتحهما, وكذلك تفعل في جمع إهاب, تجمعه: أُهُبا, بضم الألف والهاء, وأَهَبا بفتحهما, وكذلك القضم, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.
واختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: إنها عليهم مُؤصدة بعمد ممدّدة: أي مغلقة مطبقة عليهم, وكذلك هو في قراءة عبد الله فيما بلغنا.
29309ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن قتادة, في قراءة عبد الله: «إنّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ بِعَمَدٍ مُمَدّدَةٍ».
وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنما دخلوا في عمد, ثم مدّت عليهم تلك العمد بعماد. ذكر من قال ذلك:
29310ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس فِي عَمَدٍ مُمَدّدَةٍ قال: أدخلهم في عمد, فمدّت عليهم بعماد, وفي أعناقهم السلاسل, فسُدّت بها الأبواب.
29311ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد فِي عَمَدٍ من حديد مغلولين فيها, وتلك العمد من نار قد احترقت من النار, فهي من نار مُمَدّدةٍ لهم.
وقال آخرون: هي عَمَد يعذّبون بها. ذكر من قال ذلك:
29312ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فِي عَمَدٍ مُمَدّدَةٍ كنا نحدّث أنها عمد يعذّبون بها في النار, قال بشر: قال يزيد: في قراءة قتادة: عَمَدٍ.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مِهْران, عن سعيد, عن قتادة فِي عَمَدٍ مُمَدّدَةٍ قال: عمود يعذّبون به في النار.
وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: معناه: أنهم يعذّبون بعمد في النار, والله أعلم كيف تعذيبه إياهم بها, ولم يأتنا خبر تقوم به الحجة بصفة تعذيبهم بها, ولا وُضِعَ لنا عليها دليل, فندرك به صفة ذلك, فلا قول فيه, غير الذي قلنا يصحّ عندنا, والله أعلم.

سورة الفيل

سورة الفيل مكية
وآياتها خمس

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-5

القول في تأويل قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مّن سِجّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مّأْكُولٍ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر يا محمد بعين قلبك, فترى بها كَيْفَ فَعَلَ رَبّكَ بأصحَابِ الْفِيلِ الذين قَدِموا من اليمن يريدون تخريب الكعبة من الحَبَشة ورئيسهم أبرهة الحبشيّ الأشرم أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ يقول: ألم يجعل سعي الحبشة أصحاب الفيل في تخريب الكعبة فِي تَضْلِيلٍ يعني: في تضليلهم عما أرادوا وحاولوا من تخريبها.

وقوله: وأرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرا أبابِيلَ يقول تعالى ذكره: وأرسل عليهم ربك طيرا متفرّقة, يتبع بعضها بعضا من نواح شتى وهي جماع لا واحد لها, مثل الشماطيط والعباديد ونحو ذلك. وزعم أبو عُبيدة معمر بن المثنى, أنه لم ير أحدا يجعل لها واحدا. وقال الفرّاء: لم أسمع من العرب في توحيدها شيئا. قال: وزعم أبو جعفر الرّؤَاسِيّ, وكان ثقة, أنه سمع أن واحدها: إبالة. وكان الكسائي يقول: سمعت النحويين يقولون: إبول, مثل العجول. قال: وقد سمعت بعض النحويين يقول: واحدها: أبيل.

وبنحو الذي قلنا في الأبابيل: قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29313ـ حدثنا سوّار بن عبد الله, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا حماد بن سلمة, عن عاصم بن بهدلة, عن زرّ, عن عبد الله, في قوله: طَيْرا أبابِيلَ قال: فرق.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن, قالا: حدثنا حماد بن سَلمَة, عن عاصم, عن زِرّ, عن عبد الله, قال: الفِرَق.

29314ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: طَيْرا أبابِيلَ قال: يتبع بعضُها بعضا.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَأرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرا أبابِيلَ قال: هي التي يتبع بعضُها بعضا.

29315ـ حدثنا ابن المثنى, قال: ثني عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل, أنه قال في: طَيْرا أبابِيلَ قال: هي الأقاطيع, كالإبل المؤَبّلة.

29316ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القُمّيّ, عن جعفر, عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى طَيْرا أبابِيلَ قال: متفرّقة.

29317ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, قال: حدثنا الفضل, عن الحسن طَيْرا أبابِيلَ قال: الكثيرة.

29318ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن جابر, عن ابن سابط, عن أبي سلمة, قالا: الأبابيل: الزّمَر.

29319ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن

ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: أبابِيلَ قال: هي شتى متتابعة مجتمعة.
29320ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قال: الأبابيل: الكثيرة.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة قال: الأبابيل: الكثيرة.
29321ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: طَيْرا أبابِيلَ يقول: متتابعة. بعضُها على أَثَرَ بعض.
29322ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: طَيْرا أبابِيلَ قال: الأبابيل: المختلفة, تأتي من ها هنا, وتأتي من ها هنا, أتتهم من كلّ مكان.
وذُكر أنها كانت طيرا أُخرجت من البحر. وقال بعضهم: جاءت من قِبَل البحر.
ثم اختلفوا في صفتها, فقال بعضهم: كانت بيضاء. وقال آخرون: كانت سوداء. وقال آخرون: كانت خضراء, لها خراطيم كخراطيم الطير, وأكفّ كأكفّ الكلاب.
29323ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن ابن عون, عن محمد بن سيرين, في قوله: طَيْرا أَبَابِيلَ قال: قال ابن عباس: هي طير, وكانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير, وأكفّ كأكفّ الكلاب.
حدثني الحسن بن خَلف الواسطيّ, قال: حدثنا وكيع ورَوْح بن عبادة, عن ابن عون, عن ابن سيرين عن ابن عباس, مثله.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن ابن عون, عن ابن عباس, نحوه.
29324ـ حدثنا يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حسين, عن عكرِمة, في قوله: طَيْرا أبابِيلَ قال: كانت طيرا خُضْرا, خرجت من البحر, لها رؤوس كرؤوس السباع.
29325ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي سفيان, عن عبيد بن عُمير طَيْرا أبابِيلَ قال: هي طير سُود بَحْرية, في مناقرها وأظفارها الحجارة.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الأعمش, عن أبي سفيان, عن عبيد بن عمير: طَيْرا أبابِيلَ قال: سُود بَحْرية, في أظافيرها ومناقيرها الحجارة.
قال: ثنا مهران, عن خارجة, عن عبد الله بن عون, عن ابن سيرين, عن ابن عباس قال: لها خراطيم كخراطيم الطير, وأكفّ كأكفّ الكلاب.
29326ـ حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعيّ, قال: حدثنا فضيل بن عياض, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبير, في قوله: طَيْرا أبابِيلَ قال: طير خُضْر, لها مناقير صُفْر, تختلف عليهم.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن الأعمش, عن أبي سفيان, عن عبيد بن عمير, قال: طيرا سودا تحمل الحجارة في أظافيرها ومناقيرها.
وقوله: تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجّيلٍ يقول تعالى ذكره: ترمي هذه الطير الأبابيل التي أرسلها الله على أصحاب الفيل, بحجارة من سجيل.

وقد بيّنا معنى سجيل في موضع غير هذا, غير أنا نذكر بعض ما قيل من ذلك في هذا الموضع, من أقوال مَنْ لم نذكره في ذلك الموضع. ذكر من قال ذلك:

29327ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن السديّ, عن عكرِمة, عن ابن عباس حِجارَةٍ مِنْ سَجّيلٍ قال: طين في حجارة.

29328ـ حدثني الحسين بن محمد الذارع, قال: حدثنا يزيد بن زُرَيع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن عكرِمة, عن ابن عباس تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سَجّيلٍ قال: من طين.

29329ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن السّدّي, عن عكرِمة, عن ابن عباس حِجَارَةٍ مِنْ سَجّيلٍ قال: سنك وكل.

29330ـ حدثني الحسين بن محمد الذارع, قال: حدثنا يزيد بن زُرَيع, عن عُمارة بن أبي حفصة, عن عكرِمة, في قوله: تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سَجّيلٍ قال: من طين.

29331ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن شَرْقِي, قال: سمعت عكرِمة يقول: تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سَجّيلٍ قال: سنك وكل.

29332ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن عكرِمة, قال: كانت ترميهم بحجارة معها, قال: فإذا أصاب أحدهم خرج به الجُدَريّ, قال: كان أوّل يوم رُؤي فيه الجدريّ قال: لم يُر قبل ذلك اليوم, ولا بعده.

29333ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن موسى بن أبي عائشة, قال: ذكر أبو الكُنود, قال: دون الحِمّصة وفوق العدسة.

29334ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن موسى بن أبي عائشة, قال: كانت الحجارة التي رُمُوا بها أكبرَ من العدَسة وأصغر من الحِمّصَةِ.

29335ـ قال: ثنا أبو أحمد الزّبيريّ, قال: حدثنا إسرائيل, عن موسى بن أبي عائشة, عن عمران, مثله.

29336ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن السديّ, عن عكرمة, عن ابن عباس: سجّيل بالفارسية: سنك وكل, حَجَر وطين.

29337ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن جابر بن سابط, قال: هي بالأعجمية: سنك وكل.

29338ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كانت مع كلّ طير ثلاثة أحجار: حجران في رجليه, وحجر في منقاره, فجعلت ترميهم بها.

29339ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة حِجَارَةٍ مِنْ سَجّيلٍ قال: هي من طين.

29340ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: هي طير بِيض, خرجت من قِبَل البحر, مع كلّ طير ثلاثة أحجار: حَجران في رجليه, وحجر في منقاره, ولا يصيب شيئا إلا هشَمه.

29341ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا عمرو بن الحارث بن يعقوب أن أباه أخبره أنه بلغه أن الطير التي رمت بالحجارة, كانت تحملها بأفواهها, ثم إذا ألقتها نَفِط لها الجلد.

وقال آخرون: معنى ذلك: ترميهم بحجارة من سماء الدنيا. ذكر من قال ذلك:

29342ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سَجّيلٍ قال: السماء الدنيا, قال: والسماء الدنيا اسمها سجّيل, وهي التي أنزل الله جلّ وعزّ على قوم لوط.

29343ـ قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا عمرو بن الحارث, عن سعيد بن أبي هلال, أنه بلغه أن الطير التي رمت بالحجارة, أنها طير تخرج من البحر, وأن سجيل: السماء الدنيا.

وهذا القول الذي قاله ابن زيد لا نعرف لصحته وجها في خبر ولا عقل, ولا لغة, وأسماء لا تُدرك إلا من لغة سائرة, أو خبر من الله تعالى ذكره.

وكان السبب الذي من أجله حلّت عقوبة الله تعالى بأصحاب الفيل, مسير أبرهة الحبشيّ بجنده معه الفيل, إلى بيت الله الحرام لتخريبه. وكان الذي دعاه إلى ذلك فيما:

29344ـ حدثنا به ابن حميد, قال: حدثنا سلمة بن الفضل, قال: حدثنا ابن إسحاق, أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء, وكان نصرانيا, فسماها القُلّيْس لم يُر مثلها في زمانها بشي من الأرض وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة: إن قد بنيت لك أيها الملك كنيسة, لم يُبن مثلها لملك كان قبلك, ولستُ بمُنته حتى أصرف إليها حاجّ العرب. فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك للنجاشيّ, غضب رجل من النّسَأة أحد بن فُقَيم, ثم أحد بني ملك, فخرج حتى أتى القُلَيس, فقعد فيها, ثم خرج فلحق بأرضه, فأخْبر أبرهة بذلك, فقال: من صنع هذا؟ فقيل: صنعه رجل من أهل هذا البيت, الذي تحجّ العرب إليه بمكة, لما سمع من قولك: أصرف إليه حاجّ العرب, فغضب, فجاء فقعد فيها, أي أنها ليست لذلك بأهل فغضب عند ذلك أبرهة, وحلف ليسيرنّ إلى البيت فيهدمه, وعند أبرهة رجال من العرب قد قَدِموا عليه يلتمسون فضله, منهم محمد بن خُزَاعي بن حِزَابة الذّكواني, ثم السّلَمي, في نفر من قومه, معه أخ له يقال له قيس بن خزاعي فبينما هم عنده, غَشِيهم عبد لأبرهة, فبعث إليهم فيه بغذائه, وكان يأكل الخُصَى فلما أتى القوم بغذائه, قالوا: والله لئن أكلنا هذا لا تزال تسبّنا به العرب ما بقينا, فقام محمد بن خزاعي, فجاء أبرهة فقال: أيها الملك, إن هذا يوم عيد لنا, لا نأكل فيه إلا الجُنوبَ والأيدي, فقال له أبرهة: فسنبعث إليكم ما أحببتم, فإنما أكرمتكم بغذائي, لمنزلتكم عندي.

ثم إن أبرهة توّج محمد بن خُزَاعِي, وأمّره على مضر, أن يسير في الناس, يدعوهم إلى حجّ القُلّيس, كنيسته التي بناها, فسار محمد بن خِزاعي, حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة, وقد بلغ أهل تهامة أمره, وما جاء له, بعثوا إليه رجلاً من هُذَيل يقال له عُرْوة بن حياض الملاصي, فرماه بسهم فقتله وكان مع محمد بن خزاعي أخوه قيس بن خزاعي, فهرب حين قُتل أخوه, فلحق بأبرهة فأخبره بقتله, فزاد ذلك أبرهة غضبا وحنقا, وحلف ليغزونّ بني كنانة, وليهدمنّ البيت.

ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت, أمر الحُبْشان فتهيأتْ وتجهّزتْ, وخرج معه بالفيل, وسمعت العرب بذلك, فأعظموه, وفُظِعوا به, ورأوا جهاده حقّا عليهم, حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة, بيت الله الحرام, فخرج رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم, يقال له ذو نَفْر, فدعا قومه ومن

أجابه من سائر العرب, إلى حرب أبرهة, وجهاده عن بيت الله, وما يريد من هدمه وإخرابه, فأجابه من أجابه إلى ذلك, وعَرَض له, وقاتله, فهُزم وتفـرّق أصحابه, وأُخِذَ له ذو نفر أسيرا فلما أراد قتله, قال ذو نفر: أيها الملك لا تقتلني, فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرا لك من قتلي فتركه من القتل, وحبسه عنده في وثاق. وكان أبرهة رجلاً حليما.

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له, حتى إذا كان بأرض خثعم, عرض له نُفَيل بن حبيب الخثعميّ في قبيلَي خثعم: شَهران, ونِاهس, ومن معه من قبائل العرب, فقاتله فهزمه أبرهة, وأَخِذ له أسيرا, فأَتِي به فلما همّ بقتله, قال له نفيل: أيها الملك لا تقتلني, فإني دليلك بأرض العرب, وهاتان يداي لك على قبيلي خثعم: شهران, وناهس, بالسمع والطاعة فأعفاه وخلّى سبيله, وخرج به معه, يدله على الطريق حتى إذا مرّ بالطائف, خرج إليه مسعود بن مُعَتّب في رجال ثقيف, فقال: أيها الملك, إنما نحن عبيدك, سامعون لك مطيعون, ليس لك عندنا خلاف, وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد يعنون اللاّت إنما تريد البيت الذي بمكة يعنون الكعبة ونحن نبعث معك من يدلك, فتجاوز عنهم, وبعثوا معهم أبا رِغال فخرج أبرهة ومعه أبو رِغال حتى أنزله المغمّس, فلما أنزله به مات أبو رِغال هناك, فَرَجمت العرب قبره, فهو القبر الذي ترجم الناس بالمغمّس.

ولما نزل أبرهة المغمّس, بعث رجلاً من الحبشة, يقال له الأسود بن مقصود, على خيل له حتى انتهى إلى مكة, فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم, وأصاب فيها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم, وهو يومئذٍ كبير قريش وسيّدها وهمّت قريش وكنانة وهُذَيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس بقتاله, ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به, فتركوا ذلك, وبعث أبرهة حُناطة الحميريّ إلى مكة, وقال له: سل عن سيد هذا البلد وشريفهم, ثم قل له: إن الملك يقول لكم: إني لم آت لحربكم, إنما جئت لهدم البيت, فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم, فإن لم يُرِد حربي فأتني به.

فلما دخل حناطة مكة, سأل عن سيد قريش وشريفها, فقيل: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قُصَيّ, فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة, فقال له عبد المطلب: واللّهِ ما نريد حربه, وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام, وبيت خليله إبراهيم عليه السلام أو كما قال فإن يمنعه فهو بيته وحَرَمه, وإن يُخْلِ بينه وبينه, فوالله ما عندنا له من دافع عنه, أو كما قال فقال له حناطة: فانطَلِقْ إلى الملك, فإنه قد أمرني أن آتيه بك. فانطلق معه عبد المطلب, ومعه بعض بنيه, حتى أتى العسكر, فسأل عن ذي نَفْر, وكان له صديقا, فَدُلّ عليه, فجاءه وهو في محبسه, فقال: يا ذا نَفْر, هل عندك غَناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر, وكان له صديقا: وما غَنَاءُ رجل أسير في يدي ملك, ينتظر أن يقتله غدوّا أو عشيا ما عندي غناء في شيء مما نزل بك, إلاّ أن أُنَيسا سائق الفيل لي صديق, فسأرسل إليه, فأوصيه بك, وأعظم عليه حقك, وأسأله أن يستأذن لك على الملك, فتكلمه بما تريد, ويشفع لك عنده بخير, إن قدر على ذلك. قال: حسبي, فبعث ذو نَفْر إلى أُنيس, فجاء به, فقال: يا أُنيس إن عبد المطلب سيّد قريش, وصاحب عِير مكة, يُطعم الناس بالسهل, والوحوش في رؤوس الجبال, وقد أصاب الملكُ له مئتي بعير, فاستأذنْ له عليه, وانفعْه عنده بما استطعت, فقال: أفعل.

فكلّم أُنيس أبرهة, فقال: أيها الملـك, هـذا سـيّد قريـش ببابـك, يسـتأذن عليك, وهو صاحب عِير مكة, يُطعم الناس بالسـهل, والوحـوش فـي رؤوس الجبال, فأَذَنْ له عليك, فليكلمك بحاجته, وأحسن إليه. قال: فأذِن له أبرهة, وكان عبد المطلب رجلاً عظيما وسيما جسيما فلما رآه أبرهة أجلّـه وأكرمـه أن يجلس تحته, وكرِه أن تراه الحبشة يُجلِسُه معه على سرير مُلكـه, فنـزل أبرهة عن سريره, فجلس على بساطه, فأجلسه معـه عليـه إلـى جنبـه, ثـم قال لترجمانه: قل له ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له ذلك الترجمـان, فقـال له عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يردّ عليّ مئتي بعير أصـابها لـي فلمـا قال له ذلك, قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتـك, ثـم زَهِدت فيك حين كلّمتَني, أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك, وتـترك بيتـا هـو دينك ودين آبائك, قد جئت لهدمه فلا تكلمني فيه؟ قال له عبدالمطلب: إنـي أنا ربّ الإبل, وإن للبيت ربا سيمنعه, قال: ما كان ليُمَنـع منـي, قـال: فـأنت وذاك, اردد إليّ إبلي.

وكان فيما زعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة, حين بعث إليه حناطة, يعمر بن نُفاثة بن عديّ بن الديل بن بكر بن عبد منـاف بـن كنانة, وهو يومئذٍ سيّد بني كنانة, وخويلِد بن واثلـة الهُـذَليّ وهـو يومئـذٍ سـيد هُذَيل, فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تِهامة, على أن يرجع عنهم, ولا يهـدم البيت, فأبي عليهم, والله أعلم.

وكان أبرهة, قد ردّ على عبد المطلب الإبل التي أصاب له, فلما انصـرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش, فأخبرهم الخبر, وأمرهم بالخروج من مكة, والتحرّز في شَعَف الجبال والشعاب, تخوّفا عليهم مـن مَعَـرّة الجيـش ثم قام عبد المطلب, فأخذ بحلّقة الباب, بـاب الكعبـة, وقـام معـه نفـر مـن قريش يدعون الله, ويستنصرونه على أبرهـة وجنـده, فقـال عبـد المطلـب, وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

يا رَبّ لا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكايا رَبّ فامْنَعْ مِنْهُمْ حِماكا
إنّ عَدُوّ البَيْتِ مَنْ عادَاكاامْنَعْهُمُ أنْ يُخَرّبُوا قُرَاكا

وقال أيضا:

لا هُمّ إنّ الْعَبْدَ يَمْنُعُ رَحْلَهُ فامْنَعْ حِلالكْ
لا يَغْلِبَنّ صَلِيبُهُمْومِحَالُهُمْ غَدْوا مِحَالكْ
فَلَئِنْ فَعَلْتَ فَرُبّمَاأَوْلى فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ
وَلَئِنَ فَعَلْتَ فإنّهُأمْرٌ تُتِمّ بِهِ فَعالَكْ

وقال أيضا:

وكُنْتُ إذَا أتى باغٍ بِسَلْمِنُرَجّي أن تَكُونَ لَنَا كَذَلِكْ
فَوَلّوْا لَمْ يَنالُوا غَيْرَ خِزْيِوكانَ الْحَيْنُ يُهْلِكُهُمْ هُنالكْ
ولَمْ أسْمَعْ بأرْجَسَ منْ رِجالٍأرَادُوا الْعِزّ فانْتَهَكُوا حَرامَكْ
جَرّوا جُمُوعَ بِلادِهِمْوالْفِيلَ كَيْ يَسْبُوا عِيالَكْ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة, وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال, فتحرّزوا فيها, ينتظرون ما أبرهـة فاعـل بمكـة إذا دخلهـا فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة, وهيأ فيله, وَعبّأ جيشه, وكان اسـم الفيـل محمودا, وأبرهة مُجْمِعٌ لهدم البيت, ثم الانصـراف إلـى اليمـن. فلمـا وجّهـوا الفيل, أقبل نُفَيل بن حبيب الخثعمـيّ, حـتى قـام إلـى جنبـه, ثـم أخـذ بـأذنه فقال: ابرك محمود, وارجع راشدا من حيث جئت, فإنك في بلد الله الحـرام

ثم أرسل أذنه, فَبرَك الفيلِ, وخرج نُفَيل بن حبيب يشتدّ حتى أصعد في الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبى, وضربوا في رأسه بالطَّبَرْزِين ليقوم, فأبى, فأدخلوا محَاجن لهم في مراقّه, فبزغوه بها ليقوم, فأبى, فوجّهوه راجعا إلى اليمن, فقام يُهَرْوِل, ووجّهوه إلى الشام, ففعل مثل ذلك, ووجّهوه إلى المشرق, ففعل مثل ذلك, ووجّهوه إلى مكة فبرك, وأرسل الله عليهم طيرا من البحر, أمثالَ الخطاطيف, مع كلّ طير ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره, وحجران في رجليه مثل الحِمّص والعَدَس, لا يصيب منهم أحدا إلاّ هلك, وليس كلّهم أصابت, وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاؤوا, ويسألون عن نُفَيل بن حبيب, ليدلهم على الطريق إلى اليمن, فقال نُفَيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته:

أيْنَ المَفَرّ والإلَهُ الطّالِبُوالأشْرَمُ المَغْلُوبُ غَيْرُ الْغالِبْ

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق, ويهلكون على كلّ مَنْهل, فأصيب أبرهة في جسده, وخرجوا به معهم, فسقطت أنامله أنملة أنملة, كلما سقطت أنملة أتبعتها مِدّة تَمُثّ قيحا ودما, حتى قَدِموا به صنعاء, وهو مثل فرخ الطير, فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون.

29345ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن يعقوب بن عتبة بن المُغيرة بن الأخنس, أنه حدّث, أن أوّل ما رُؤيت الحَصْبة والجُدَرِيّ بأرض العرب ذلك العام, وأنه أوّل ما رؤي بها مُرار الشجر: الحرملُ والحنظلُ والعُشَرُ ذلك العام.

29346ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ألَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبّكَ بأصحَابِ الْفِيلِ أقبل أبرهة الأشرم من الحبشة يوما ومن معه من عداد أهل اليمن, إلى بيت الله ليهدمه من أجل بِيعة لهم أصابها العرب بأرض اليمن, فأقبلوا بفيلهم, حتى إذا كانوا بالصّفَاح برك فكانوا إذا وجّهوه إلى بيت الله ألقى بجرانه الأرض, وإذا وجّهوه إلى بلدهم انطلق وله هَرْولة, حتى إذا كان بنخلةَ اليمانية بعث الله عليهم طيرا بيضا أبابيل. والأبابيل: الكثيرة, مع كلّ طير ثلاثة أحجار: حجران في رجليه, وحجر في منقاره, فجعلت ترميهم بها حتى جعلهم الله عزّ وجلّ كعصف مأكول قال: فنجا أبو يكسوم وهو أبرهة, فجعل كلما قدم أرضا تساقط بعض لحمه, حتى أتى قومه, فأخبرهم الخبر ثم هلك.

وقوله: فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأكولٍ يعني تعالى ذكره: فجعل الله أصحاب الفيل كزرع أكلته الدوابّ فراثته, فيبس وتفرّقت أجزاؤه شبّه تقطّع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم, وتفرّق آراب أبدانهم بها, بتفرّق أجزاء الروث, الذي حدث عن أكل الزرع.

وقد كان بعضهم يقول: العَصْف: هو القشر الخارج الذي يكون على حبّ الحنطة من خارج, كهيئة الغلاف لها. ذكر من قال: عُنِي بذلك ورق الزرع:

29347ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: كَعَصْفٍ مأكُولٍ قال: ورق الحنطة.

29348ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة كَعَصْفٍ مأكُولٍ قال: هو التّبن.

29349ـ وحُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, قال: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: كَعَصْفٍ مأكُولٍ: كزرع مأكول.

29350ـ حدثني محمد بن عُمارة الأسديّ, قال: حدثنا زريق بـن مـرزوق, قال: حدثنا هبيرة, عن سَـلَمة بـن نُبَيـط, عـن الضـحاك, فـي قـوله كَعَصْـفٍ مأْكُولٍ قال: هو الهَبُور بالنبطية, وفي رواية: المقهور.
29351ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأْكُولٍ قال: ورق الزرع وورق البقل, إذا أكلته البهائم فراثته, فصار رَوْثا. ذكر من قال: عُني به قشر الحبّ:
29352ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس كَعَصْفٍ مأْكُولٍ قال: البُرّ يؤكـل ويُلْقـى عَصْـفُه الريح. والعَصْف: الذي يكون فوق البرّ: هو لِحاء البرّ.
وقال آخرون في ذلك بما:
29353ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي سنان, عن حبيب بن أبي ثابت: كَعَصْفٍ مأْكُولٍ قال: كطعام مطعوم.

سورة قريش

سورة قريش مكيّة
وآياتها أربع

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1-4

القـول فــي تأويــل قـوله تعـالى:{لإِيلاَفِ قُرَيْـشٍ * إِيلاَفِهِـمْ رِحْلَـةَ الشِّـتَآءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـذَا الْبَيْتِ * الَّذِيَ أَطْعَمَهُم مِّن جُـوعٍ وَآمَنَهُـم مِّـنْ خَوْفٍ }.
اختلفت القراء في قراءة: لإيلافِ قُرَيْشٍ إيلافِهِمْ, فقرأ ذلك عامـة قـرّاء الأمصار بياء بعد همز لإيلاف وإيلافهم, سوى أبي جعفر, فإنه وافق غيره في قوله لإيلافِ فقرأه بياء بعد همزة, واختلف عنه في قوله إيلافِهِمْ فـروي عنـه أنه كان يقرؤه: «إلْفِهِمْ» على أنه مصدر من ألف يألف إلفا, بغير ياء. وحَكى بعضهم عنه أنه كان يقرؤه: «إلافِهِمْ» بغير ياء مقصورة الألف.
والصواب من القراءة في ذلك عندي: مـن قـرأه: لإيلافِ قُرَيْـشٍ إيلافِهِـمْ بإثبات الياء فيهما بعد الهمزة, من آلفت الشيء أولفه إيلافا, لإجمـاع الحجـة من القرّاء عليه. وللعرب في ذلك لغتان: آلفت, وألفت فمن قال: آلفت بمد الألف قال: فأنا أؤالف إيلافا ومن قال: ألفـت بقصـر الألـف قـال: فأنـا آلِـفُ إلْفا, وهو رجل آلِفٌ إلْفا. وحُكـي عـن عكرِمـة أنـه كـان يقـرأ ذلـك: «لتـألّفِ قُرَيْشٍ إلْفَهُمْ رِحْلَةَ الشّتاءِ والصّيْفِ».
29354ـ حدثني بذلك أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عـن أبـي مكيـن, عـن عكرِمة.
وقد رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في ذلك, ما:
29355ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مِهْران, عن سفيان, عن ليـث, عـن شهر بن حوشب, عن أسماء بنت يزيد, قالت: سمعت النبيّ صلى الله عليـه وسلم يقرأ: «إلْفَهُمْ رِحْلَةَ الشّتاءِ وَالصّيْفِ».
واختلف أهـل العربيـة فـي المعنـى الجـالب هـذه اللام فـي قـوله: لإيلافِ قُرَيْشٍ, فكان بعض نحويي البصرة يقول: الجالب لها قوله: فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأْكُولٍ فهي في قول هـذا القائـل صـلة لقـوله جعلهـم, فـالواجب علـى هـذا

القول, أن يكون معنى الكلام: ففعلنا بأصحاب الفيل هذا الفعل, نعمة منا على أهل هذا البيت, وإحسانا منا إليهم, إلى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف, فتكون اللام في قوله لإِيلافِ بمعنى إلى, كأنه قيل: نعمة لنعمة وإلى نعمة, لأن إلى موضع اللام, واللام موضع إلى. وقد قال معنى هذا القول بعض أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29356ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: إيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشّتاءِ وَالصّيْفِ قال: إيلافهم ذلك فلا يشقّ عليهم رحلة شتاء ولا صيف.

29357ـ حدثني إسماعيل بن موسى السديّ, قال: أخبرنا شريك, عن إبراهيم بن المهاجر, عن مجاهد لإيلافِ قُرَيْشٍ قال: نعمتي على قريش.

حدثني محمد بن عبد الله الهلاليّ, قال: حدثنا فَرْوة بن أبي المَغْراء الكِندّي, قال: حدثنا شريك, عن إبراهيم بن المهاجر, عن مجاهد, مثله.

29358ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا عامر بن إبراهيم الأصبهانيّ, قال: حدثنا خطاب بن جعفر بن أبي المغيرة, قال: ثني أبي, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, في قوله: لإيلافِ قُرَيْشٍ قال: نعمتي على قريش.

وكان بعض نحويي الكوفة يقول: قد قيل هذا القول, ويقال: إنه تبارك وتعالى عجّب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: اعجب يا محمد لنِعَم الله على قريش, في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. ثم قال: فلا يتشاغلوا بذلك عن الإيمان واتباعك يستدل بقوله: فَلْيَعْبُدُوا رَبّ هَذَا الْبَيْتِ.

وكان بعض أهل التأويل يوجّه تأويل قوله: لإيلافِ قُرَيْشٍ إلى أُلفة بعضهم بعضا. ذكر من قال ذلك:

29359ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: لإيلافِ قُرَيْشٍ فقرأ: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبّكَ بِأصحَابِ الْفِيلِ إلى آخر السورة, قال: هذا لإيلاف قريش, صنعت هذا بهم لألفة قريش, لئلا أفرّق ألفتهم وجماعتهم, إنما جاء صاحب الفيل ليستبيد حريمهم, فصنع الله ذلك.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن هذه اللام بمعنى التعجب. وأن معنى الكلام: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف, وتركهم عبادة ربّ هذا البيت, الذي أطعمهم من جوع, وآمنهم من خوف, فليعبدوا ربّ هذا البيت, الذي أطعمهم من جوع, وآمنهم من خوف. والعرب إذا جاءت بهذه اللام, فأدخلوها في الكلام للتعجب اكتفوا بها دليلاً على التعجب من إظهار الفعل الذي يجلبها, كما قال الشاعر:

أَغَرّكَ أَنْ قالُوا لِقُرّةَ شاعِرافيالأَباهُ مِنْ عَرِيفٍ وَشاعِرِ

فاكتفى باللام دليلاً على التعجب من إظهار الفعل وإنما الكلام: أغرّك أن قالوا: اعجبوا لقرّة شاعرا فكذلك قوله: لإيلافِ.

وأما القول الذي قاله من حَكينا قوله, أنه من صلة قوله: فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأكُولٍ فإن ذلك لو كان كذلك, لوجب أن يكون «لإيلاف» بعض «ألم تر», وأن لا تكون سورة منفصلة من «ألم تر» وفي إجماع جميع المسلمين على أنهما سورتان تامّتان كلّ واحدة منهما منفصلة عن الأخرى, ما يبين عن فساد القول الذي قاله من قال ذلك. ولو كان قوله: لإيلافِ قُرَيْشٍ من صلة قوله: فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأكُولٍ لم تكن «ألم تر» تامّة حتى توصَلَ بقوله:

لإيلافِ قُرَيْشٍ لأن الكلام لا يتمّ إلاّ بانقضاء الخبر الذي ذُكر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29360ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: «إلْفَهُمْ رِحْلَةَ الشّتاءِ وَالصّيْفِ» يقول: لزومهم.
29361ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: لإيلافِ قُرَيْشٍ قال: نهاهم عن الرحلة, وأمرهم أن يعبدوا ربّ هذا البيت, وكفاهم المؤنة وكانت رحلتهم في الشتاء والصيف, فلم يكن لهم راحة في شتاء ولا صيف, فأطعمهم بعد ذلك من جوع, وآمنهم من خوف, وألفوا الرحلة, فكانوا إذا شاءوا ارتحلوا, وإذا شاءوا أقاموا, فكان ذلك من نعمة الله عليهم.
29362ـ حدثني محمد بن المثنى, قال: ثني ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عكرمة قال: كانت قريش قد ألفوا بُصْرَى واليمن, يختلفون إلى هذه في الشتاء, وإلى هذه في الصيف فَلْيَعْبُدُوا رَبّ هَذا الْبَيْتِ فأمرهم أن يقيموا بمكة.
29363ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن إسماعيل, عن أبي صالح لإيلافِ قُرَيْشٍ إيلافِهِمْ قال: كانوا تجارا, فعلم الله حبهم للشام.
29364ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة لإيلافِ قُرَيْشٍ قال: عادة قريش عادتهم رحلة الشتاء والصيف.
29365ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لإيلافِ قُرَيْشٍ كانوا ألفوا الارتحال في القيظ والشتاء.
وقوله: إيلافِهِمْ مخفوضة على الإبدال, كأنه قال: لإيلاف قريش لإيلافهم, رحلة الشتاء والصيف. وأما الرحلة فنُصبت بقوله: إيلافِهِمْ, ووقوعه عليها.
وقوله: رِحْلَةَ الشّتاءِ وَالصّيْفِ يقول: رحلة قريش الرحلتين, إحداهما إلى الشام في الصيف, والأخرى إلى اليمن في الشتاء.
29366ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: رِحْلَةَ الشّتاءِ والصّيْفِ قال: كانت لهم رحلتان: الصيف إلى الشام, والشتاء إلى اليمن في التجارة, إذا كان الشتاء امتنع الشأم منهم لمكان البرد, وكانت رحلتهم في الشتاء إلى اليمن.
29367ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان رِحْلَةَ الشّتاءِ وَالصّيْفِ قال: كانوا تُجّارا.
29368ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الكلبيّ رِحْلَةَ الشّتاء وَالصّيْفِ قال: كانت لهم رحلتان: رحلة في الشتاء إلى اليمن, ورحلة في الصيف إلى الشأم.
29369ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا عامر بن إبراهيم الأصبهاني, قال: حدثنا خطاب بن جعفر بن أبي المغيرة قال: ثني أبي, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس إيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشّتاءِ وَالصّيْفِ قال: كانوا يَشْتُون بمكة, ويَصِيفون بالطائف.
وقوله: فَلْيَعْبُدُوا رَبّ هَذَا الْبَيْتِ يقول: فليقيموا بموضعهم ووطنهم من مكة, وليعبدوا ربّ هذا البيت, يعني بالبيت: الكعبة, كما:

29370ـ حدثني يعقوب بـن إبراهيـم, قـال: حـدثنا هشـيم, قـال: أخبرنـا مُغيرة, عن إبراهيم, أن عمر بن الخطـاب رضـي اللـه عنـه, صـلى المغـرب بمكة, فقرأ: لإيلافِ قُرَيْشٍ فلما انتهى إلـى قـوله: فَلْيَعْبُـدُوا رَبّ هَـذَا الْبَيْـتِ أشار بيده إلى البيت.

29371ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا عامر بـن إبراهيـم الأصـبهانيّ, قال: حدثنا خطاب بن جعفر بن أبي المغيرة, قال: ثني أبي, عـن سـعيد بـن جُبير, عن ابن عباس, في قوله فَلْيَعْبُدُوا رَبّ هَذَا الْبَيْتِ قال الكعبة.

وقال بعضهم: أُمِروا أن يألفوا عبادة ربّ مكة كإلفهم الرحلتين. ذكـر مـن قال ذلك:

29372ـ حدثنا عمرو بن عبـد الحميـد الآمُلِـيّ, قـال: حـدثنا مـروان, عـن عاصم الأحول, عن عكرِمة, عن ابن عباس, فـي قـول اللـه: لإيلافِ قُرَيْـشٍ قال: أُمروا أن يألفوا عبادة ربّ هذا البيت, كإلفهم رحلة الشتاء والصيف.

وقوله: الّذِي أطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ يقول: الذي أطعم قريشا من جوع, كما:

29373ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قـوله: الّـذِي أطْعَمَهُـمْ مِـنْ جُـوعٍ يعنـي: قريشـا أهـل مكـة, بدعوة إبراهيم صلى الله عليه وسلم حيث قال: وَارْزُقهُمْ مِنَ الثّمَرَاتِ.

وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ اختلف أهل التأويل في معنى قوله: وآمَنَهُـمْ مِـنْ خَـوْفٍ فقال بعضهم: معنى ذلك: أنه آمنهم مما يَخاف منـه مَـنْ لـم يكـن مـن أهـل الحرم, من الغارات والحروب والقتـال, والأمـور الـتي كـانت العـرب يخـاف بعضها من بعض. ذكر من قال ذلك:

29374ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ حيث قال إبراهيم عليه السـلام: رَبّ اجْعَـلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنا.

29375ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: وآمَنَهُمْ مِنْ خَـوْفٍ قـال: آمنهـم مـن كـلّ عـدوّ فـي حرمهم.

29376ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لإيلافِ قُرَيْشٍ إيلافِهِم قال: كان أهل مكة تجارا, يتعاورون ذلك شتاء وصيفا, آمنين في العرب, وكانت العرب يغيـر بعضـها علـى بعـض, لا يقـدرون علـى ذلك, ولا يستطيعونه من الخوف, حتى إن كان الرجل منهم ليُصاب في حـيّ من أحياء العرب, وإذا قيل حِرْمِيّ خُلّي عنه وعن مـاله, تعظيمـا لـذلك فيمـا أعطاهم الله من الأمن.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وآمَنَهُـمْ مِنْ خَوْفٍ قال: كانوا يقولون: نحن من حرم اللـه, فلا يعـرض لهـم أحـد فـي الجاهلية, يأمنون بذلك, وكان غيرهم من قبائل العرب إذا خرج أُغير عليه.

29377ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ قال: كانت العرب يغير بعضها علـى بعـض, ويَسْـبِي بعضها بعضا, فأمنوا من ذلك لمكان الحرم, وقرأ: أوَ لَمْ نُمَكّنْ لَهُمْ حَرَما آمِنا يُجْبَى إلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلّ شَيْءٍ.

وقال آخرون: عُنِي بذلك: وآمنهم من الجُذَام. ذكر من قال ذلك:

29378ـ حدثنا الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, قال: قال الضحاك: وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ قال: من خوفهم من الجُذام.
29379ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ قال: من الجذام وغيره.
29380ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: قال وكيع: سمعت أطعمهم من جوع, قال: الجوع وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ الخوف: الجذام.
29381ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا عامر بن إبراهيم الأَصبهانيّ, قال: حدثنا خطاب بن جعفر بن أبي المُغيرة, قال: ثني أبي, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ قال: الخوف: الجذام.
والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ والعدوّ مخوف منه, والجذام مخوف منه, ولم يخصُصِ الله الخبر عن أنه آمنهم من العدوّ دون الجذام, ولا من الجذام دون العدوّ, بل عمّ الخبر بذلك فالصواب أن يُعَمّ كما عمّ جلّ ثناؤه, فيقال: آمنهم من المعنيين كليهما.

سورة الماعون

سورة الماعون مكية
وآياتها سبع

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-7

القول في تأويل قوله تعالى:{أَرَأَيْتَ الّذِي يُكَذّبُ بِالدّينِ * فَذَلِكَ الّذِي يَدُعّ الْيَتِيمَ * وَلاَ يَحُضّ عَلَىَ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لّلْمُصَلّينَ * الّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ * الّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ }.
يعني تعالى ذكره بقوله: أرأيْتَ الّذِي يُكَذّبُ بِالدّينِ أرأيت يا محمد الذي يكذّب بثواب الله وعقابه, فلا يطيعه في أمره ونهيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29382ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: أرأَيْتَ الّذِي يُكَذّبُ بِالدّينِ قال: الذي يكذّب بحكم الله عزّ وجلّ.
29383ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن جُرَيج يُكَذّبُ بِالدّينِ قال: بالحساب.
وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «أرأَيْتَ الّذِي يُكَذّبُ الدّينَ» فالباء في قراءته صلة, دخولها في الكلام وخروجها واحد.
وقوله: فَذَلِكَ الّذِي يَدُعّ الْيَتِيمَ يقول: فهذا الذي يكذّب بالدين, هو الذي يدفع اليتيم عن حقه, ويظلمه. يقال منه: دَعَعْت فلانا عن حقه, فأنا أدعّه دعّا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29384ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, فَذَلِكَ الّذِي يَدُعّ الْيَتِيمَ قال: يدفع حق اليتيم.
29385ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: يَدُعّ الْيَتِيمَ قال: يدفع اليتيم فلا يُطعمه.

29386ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَذَلِكَ الّذِي يَدُعّ الْيَتِيمَ: أي يَقْهَره ويظلمه.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة يَدُعّ الْيَتِيمَ قال: يقهره ويظلمه.
29387ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَدُعّ الْيَتِيمَ قال: يقهره.
29388ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان في قوله: يَدُعّ الْيَتِيمَ قال: يدفعه.
وقوله: وَلا يَحُضّ على طَعامِ المِسْكِينِ يقول تعالى ذكره: ولا يحثّ غيره على إطعام المحتاج من الطعام.
وقوله: فَوَيْلٌ لِلْمُصَلّينَ الّذِين هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ يقول تعالى ذكره: فالوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم للمنافقين الذين يصلون, لا يريدون الله عزّ وجلّ بصلاتهم, وهم في صلاتهم ساهون إذا صلوها.
واختلف أهل التأويل في معنى قوله: عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ فقال بعضهم: عُنِي بذلك أنهم يؤخّرونها عن وقتها, فلا يصلونها إلا بعد خروج وقتها. ذكر من قال ذلك:
29389ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا سكن بن نافع الباهلي, قال: حدثنا شعبة, عن خلف بن حَوْشَبٍ, عن طلحة بن مُصَرّف, عن مصعب بن سعد, قال: قلت لأبي, أرأيت قول الله عزّ وجلّ: الّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ: أيه تركها؟ قال: لا, ولكن تأخيرها عن وقتها.
حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن هشام الدّسْتَوائي, قال: حدثنا عاصم بن بهدلة. عن مصعب بن سعد, قال: قلت لسعد: الّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ: أهو ما يحدّث به أحدنا نفسه في صلاته؟ قال: لا, ولكن السهو أن يؤخّرها عن وقتها.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن عاصم, عن مصعب بن سعد الّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ قال: السهو: الترك عن الوقت.
29390ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا عمران بن تمام البُنَانيّ, قال: حدثنا أبو جمرة الضّبَعِيّ نصر بن عمران, عن ابن عباس, في قوله: الّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ قال: الذين يؤخّرونها عن وقتها.
29391ـ وحدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن ابن أبزى: فويل للمصلين الّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ قال: الذين يُؤَخّرون الصلاة المكتوبة, حتى تخرج من الوقت أو عن وقتها.
29392ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق الّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ قال: الترك لوقتها.
حدثني أبو السائب, قال: ثني أبو معاوية, عن الأَعمش, عن مسلم, عن مسروق, في قوله: الّذِينَ هُم عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ قال: تضييع مِيقاتها.
29393ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الأعمش, عن أبي الضحى عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ قال: ترك المكتوبة لوقتها.
29394ـ حدثنا ابن البرقي, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: حدثنا يحيى بن أيوب, قال: أخبرني ابن زَحْر, عن الأعمش, عن مسلم بن صبيح عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ الذين يضيعونها عن وقتها.

وقال آخرون: بل عُني بذلك أنهم يتركونها فلا يصلونها. ذكر من قال ذلك:
29395ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: فَوَيْلٌ لِلْمُصَلّينَ الّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ فهم المنافقون كانوا يراؤون الناس بصلاتهم إذا حضروا, ويتركونها إذا غابوا, ويمنعونهم العارية بغضا لهم, وهو الماعون.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: الّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ قال: هم المنافقون يتركون الصلاة في السرّ, ويصلون في العلانية.
29396ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ قال: الترك لها.
وقال آخرون: بل عُني بذلك أنهم يتهاونون بها, ويتغافلون عنها ويَلْهُونَ. ذكر من قال ذلك:
29397ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ قال: لاهون.
29398ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة الّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ: غافلون.
29399ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ قال: ساهٍ عنها, لا يبالي صلّى أم لم يصلّ.
29400ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: الّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ يصلون, وليست الصلاة من شأنهم.
29401ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن ليث, عن مجاهد, في قوله: الّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ قال: يتهاونون.
وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب بقوله: ساهُونَ: لاهون يتغافلون عنها وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها, تضييعها أحيانا, وتضييع وقتها أخرى. وإذا كان ذلك كذلك صحّ بذلك قول من قال: عُنِي بذلك ترك وقتها, وقول من قال: عُنِي به تركها, لما ذكرت من أن في السهو عنها المعاني التي ذكرت.
وقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خبران يؤيدان صحة ما قلنا في ذلك: أحدهما ما:
29402ـ حدثني به زكريا بن أبان المصريّ, قال: حدثنا عمرو بن طارق, قال: حدثنا عكرِمة بن إبراهيم, قال: حدثنا عبد الملك بن عُمَير, عن مصعب بن سعد, عن سعد بن أبي وقاص, قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم, عن الّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ قال: «هم الذين يؤخّرون الصلاة عن وقتها». والآخر منهما ما:
29403ـ حدثني به أبو كُرَيب, قال: حدثنا معاوية بن هشام, عن شبيان النحويّ, عن جابر الجُعْفِيّ, قال: ثني رجل, عن أبي بَرْزة الأسلميّ, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم, لما نزلت هذه الآية: الّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ: «الله أكبرُ هذه خيرٌ لكم من أن لو أُعطيَ كلّ رجل منكم مثلَ جميع الدنيا هو الذي إن صلى لم يرجُ خير صلاته, وإن تركها لم يخف ربه».

29404ـ حدثني أبو عبد الرحيم البرقي, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, قال: سمعت عمر بن سليمان يحدّث عن عطاء بن دينار أنه قال: الحمد للـه الذي قال: الّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ.

وكلا المعنيين اللذين ذكرت فَي الخبرين اللذين روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محتمل عن معنى السهو عن الصلاة.

وقوله: الّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ يقول: الذين هم يراؤون الناس بصلاتهم إذا صَلّوْا, لأنهم لا يصلّون رغبةً في ثواب, ولا رهبةً من عقـاب, وإنمـا يصـلونها ليراهـم المؤمنون فيظنونهم منهم, فيكفون عن سفك دمائهم, وَسبْي ذراريهم, وهم المنـافقون الـذين كـانوا علـى عهـد رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم, يستبطنون الكفر, ويُظهرون الإسلامَ, كذلك قال أهل التأويل. ذكر مـن قـال ذلك:

29405ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر ومؤمل, قالا: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهـد: الّـذِينَ هُـمْ عَـنْ صَـلاتِهِمْ سـاهُونَ قـال: هـم المنافقون.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن أبـي نجيـح, عـن مجاهد, مثله.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مِهْران, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

29406ـ حدثني يونس, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فـي قـوله: يُـرَاءُونَ وَيمْنَعُـونَ المَـاعُونَ قال: يراؤون بصلاتهم.

29407ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: الّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سـاهُونَ الّـذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ يعني المنافقين.

29408ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عـن ابـن عبـاس, قـال: هـم المنـافقون كـانوا يـراؤون النـاس بصـلاتهم إذا حضروا, ويتركونها إذا غابوا.

29409ـ حـدثني يـونس, قـال: أخبرنـا ابـن وهـب, قـال: ثنـي ابـن زيـد: ويصلون, وليس الصلاة من شأنهم رياء.

وقوله: وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ يقول: ويمنعون الناس منافع ما عنـدهم وأصـل الماعون من كلّ شيء منفعته يقال للماء الذي ينزل مـن السـحاب: مـاعون ومنه قول أعشى بني ثعلبة.

بأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَاعُونِهِإذَا ما سَماؤُهُمُ لَمْ تَغِمْ

وقال آخر يصف سحابا:

يَمُجّ صَبِيرُهُ المَاعُونَ صَبّا

وقال عَبيد الراعي:

قَوْمٌ على الإسْلام لَمّا يَمْنَعواما عُونَهُمْ وَيُضَيّعوا التّهْليلا

يعني بالماعون: الطاعة والزكاة.

واختلف أهل التأويل في الذي عُنِي به من معاني الماعون في هذا الموضع, فقال بعضهم: عُنِيَ به الزكاة المفروضة. ذكر من قال ذلك:

29410ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: قال عليّ رضي الله عنه, في قوله: وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ قال: الزكاة.

حدثني ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن عبد الله بن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: قال عليّ رضي الله عنه: المَاعُونَ: الزكاة.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفيان وحدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن السديّ, عن أبي صالح, عن عليّ رضي الله عنه قال: المَاعُونَ: الزكاة.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, عن عليّ رضي الله عنه وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ قال: يمنعون زكاة أموالهم.

حدثني محمد بن عمارة وأحمد بن هشام قالا: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن السديّ عن أبي صالح, عن عليّ رضي الله عنه وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ قال: الزكاة.

29411ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: المَاعُونَ قال: الزكاة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, عن عليّ, مثله.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, أن عليا رضي الله عنه كان يقول المَاعُونَ: الصدقة المفروضة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَيَمنَعُونَ المَاعُونَ أن عليا رضي الله عنه قال: هي الزكاة.

29412ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن رجل, عن مجاهد, عن ابن عمر, قال: المَاعُونَ: الزكاة.

29413ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن سلمة بن كهيل, عن أبي المُغيرة, قال: سأل رجل ابن عمر عن الماعون, قال: هو المال الذي لا يؤدّى حقه قال: قلت: إن ابن أمّ عبد يقول: هو المتاع الذي يتعاطاه الناس بينهم, قال: هو ما أقول لك.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا وهب بن جرير, قال: حدثنا شعبة, عن سلمة, قال: سمعت أبا المُغيرة قال: سألت ابن عمر, عن الماعون, فقال: هو منع الحقّ.

29414ـ حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: أخبرنا محمد بن يزيد, عن إسماعيل, عن سلمة بن كهيل, قال: سُئل ابن عمر عن الماعون, فقال: هو الذي يُسأل حقّ ماله ويمنعه, فقال: إن ابن مسعود يقول: هو القدر والدلو والفأس, قال: هو ما أقول لكم.

حدثني هارون بن إدريس الأصمّ, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي, عن إسماعيل بن خالد, عن سلمة بن كهيل, أن ابن عمر سُئل عن قول الله: وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ قال: الذي يُسأل مال الله فيمنعه, فقال الذي سأله, فإن ابن مسعود يقول: هو الفأس والقدر, قال ابن عمر: هو ما أقول لك.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن إسماعيل بن خالد, عن سلمة بن كهيل, قال: سأل رجل ابن عمر عن الماعون, فذكر مثله.

حدثني سليمان بن محمد بن معدي كرب الرّعَيني, قال: حدثنا بقية بن الوليد, قال: حدثنا شعبة, قال: ثني سلمة بن كهيل, قال: سمعت أبا المغيرة: رجلاً من بني أسد, قال: سألت عبد الله بن عمر عن الماعون, قال: هو منع الحقّ, قلت: إن ابن مسعودٍ قال: هو منع الفأس والدلو قال: هو منع الحقّ.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن سلمة بن كهيل, عن أبي المغيرة, عن ابن عمر قال: هي الزكاة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن السّديّ, عن أبي صالح, عن عليّ, مثله.

29415ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا جابر بن زيد بن رفاعة, عن حسان بن مخارق, عن سعيد بن جُبير, قال: المَاعُونَ: الزكاة.

29416ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة والحسن: الماعون: الزكاة المفروضة.

29417ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن إسماعيل, عن أبي عمر, عن ابن الحنفية رضي الله عنه قال: هي الزكاة.

29418ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ قال: الزكاة.

29419ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ قال: هم المنافقون يمنعون زكاة أموالهم.

29420ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: المَاعُونَ: الزكاة المفروضة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن سعيد, عن قتادة, مثله.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا محمد بن عقبة, قال: سمعت الحسن يقول: وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ قال: منعوا صدقات أموالهم, فعاب الله عليهم.

29421ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن مبارك, عن الحسن الّذِينَ هُمْ يُراءُونَ وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ قال: هو المنافق الذي يمنع زكاة ماله, فإن صلى رأى, وإن فاتته لم يَأس عليها.

29422ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سلمة, عن الضحاك, قال: هي الزكاة.

وقال آخرون: هو ما يتعاوَرُهُ النّاس بينهم من مثل الدّلو والقِدر ونحو ذلك. ذكر من قال ذلك:

29423ـ حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا ابن أبي إدريس, عن الأعمش, عن الحكم بن يحيى بن الجزار, عن أبي العبيدين, أنه قال لعبد الله: أخبرني عن الماعون؟ قال: هو ما يتعاوره الناس بينهم.

29424ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, قال: سمعت يحيى بن الجزار يحدّث عن أبي العبيدين: رجل من بني تميم ضرير البصر, وكان يسأل عبد الله بن مسعود, وكان ابن مسعود يعرف له, فسأل عبد الله عن الماعون, فقال عبد الله: إن من الماعون منع

الفأس والقدر والدلو, خصلتان من هؤلاء الثلاث قال شعبة: الفأس ليس فيه شكّ.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا الوليد, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم بن عتيبة, عن يحيى بن الجزار, عن أبي العبيدين, عن عبد الله, مثله.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عليَة, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم بن عتيبة, عن يحيى بن الجزار, أن أبا العبيدين: رجلا من بني تميم, كان ضرير البصر, سأل ابن مسعود عن الماعون, فقال: هو منع الفأس والدلو, أو قال: منع الفأس والقدر.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن الأعمش, عن الحكم, عن يحيى بن الجزار, أن أبا العبيدين سأل ابن مسعود, عن الماعون, قال: هو ما يتعاوره الناس بينهم, الفأس والقدر والدلو.

حدثنا أحمد بن منصور الرمادي, قال: حدثنا أبو الجوّاب, عن عمار بن رزيق, عن أبي إسحاق, عن حارثة بن مضرب, عن أبي العبيدين, عن عبد الله, كنا أصحاب محمد نحدّث أن الماعون: القدر والفأس والدلو. قال أبو بكر: قال أبو الجوّاب, وخالفه زهير بن معاوية فيما:

حدثنا به الحسن الأشيب, قال: حدثنا زُهَير, قال: حدثنا أبو إسحاق, عن حارثة, عن أبي العبيدين, حدثني محمد بن عبيد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن أبي إسحاق, عن حارثة, عن أبي العبيدين وسعيد بن عياض, عن عبد الله, قال: كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدّث أن الماعون: الدلو والفأس والقدر, لا يستغنى عنهنّ.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن ابن أبي إسحاق, عن سعد بن عياض قال أبو موسى: هكذا قال غُنْدَر عن أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم, قالوا: إن من الماعون: الفأس والدلو والقدر.

29425ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان وحدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن سعيد بن عياض, يحدّث عن أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم بمثله.

قال: ثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, قال: سمعت سعد بن عياض, يحدّث عن أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم, مثله.

حدثنا خلاد, قال: أخبرنا النضر, قال: أخبرنا إسرائيل, قال: أخبرنا أبو إسحاق, عن حارثة بن مضرب, عن أبي العبيدين, قال: قال عبد الله: الماعون: القدر والفأس والدلو.

حدثنا خلاد, قال: أخبرنا النضر, قال: أخبرنا المسعوديّ, قال: أخبرنا سلمة بن كهيل, عن أبي العبيدين, وكانت به زمانة, وكان عبد الله يعرف له ذلك, فقال: يا أبا عبد الرحمن ما الماعون؟ قال: ما يتعاطى الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن سلمة بن كهيل, عن مسلم, عن أبي العبيدين, أنه سأل ابن مسعود, عن الماعون, فقال: ما يتعاطاه الناس بينهم.

قال: ثنا مهران, عن الحسن وسلمة بن كهيل, عن أبي العبيدين, عن ابن مسعود, قال: الفأس والدلو والقدر وأشباهه.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ, عن المسعوديّ, عن سلمة بن كهيل, عن أبي العبيدين, أنه سأل ابن مسعود, عن قوله: وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ فذكر نحوه.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الأعمش, عن إبراهيم التيمي, عن الحارث بن سويد, عن ابن مسعود, قال: الفأس والقدر والدلو.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن إبراهيم التيميّ, عن الحارث بن سويد, عن عبد الله قال: المَاعُونَ منع الفأس والقدر والدلو.

حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن الحرث بن سويد, عن عبد الله, أنه سُئل عن الماعون, قال: ما يتعاوره الناس بينهم: الفأس والدلو وشبهه.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الأعمش, عن مالك بن الحرث, عن ابن مسعود, قال: الدلو والفأس والقدر.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن سعيد بن عياض, عن أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: الماعون: الفأس والقدر والدلو.

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن إبراهيم, قال: سُئل عبد الله عن الماعون, قال: ما يتعاوره الناس بينهم, الفأس والقدر والدلو وشبهه.

29426ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيم أنه قال: هو عارية الناس: الفأس والقدر والدلو ونحو ذلك, يعني الماعون.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن عبد الله, بمثله.

29427ـ قال: ثنا وكيع, عن الأعمش, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس مثله, قال: الفأس والدلو.

29428ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت الأسديّ, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس قال: المَاعُونَ: العارية.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع وحدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: هو العارية.

29429ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, نحوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, عن ابن عباس, مثله.

29430ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله: الماعُونَ قال: متاع البيت.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا إسماعيل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, أراه عن ابن عباس «شكّ أبو كُرَيب» وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ قال: المتاع.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: أخبرنا ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: قال ابن عباس هو متاع البيت.
حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: يمنعونهم العارية, وهو الماعون.
29431ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ قال: اختلف الناس في ذلك, فمنهم من قال: يمنعون الزكاة, ومنهم من قال: يمنعون الطاعة, ومنهم من قال: يمنعون العارية.
29432ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن ليث, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله: وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ قال: لم يجىء أهلها بعد.
29433ـ حدثني ابن المثنى, قال: حدثنا محمد, قال: حدثنا شعبة, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: قال ابن عباس: المَاعُونَ ما يتعاطى الناس بينهم.
29434ـ حدثنا يعقوب بن إبراهيم, قال: أخبرنا ابن عُلَية, قال: حدثنا ليث, عن أبي إسحاق, عن الحرث, قال: قال عليّ رضي الله عنه: الماعون: منع الزكاة والفأس والدلو والقدر.
29435ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم النبيل, قال: حدثنا سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت, عن سعيد بن جُبير قال: الماعون: العارية.
29436ـ حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس, قال: حدثنا عبثر, قال: حدثنا حصين, عن أبي مالك, في قول الله: وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ قال: الدلو والقدر والفأس.
29437ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا أبو عوانة, عن عاصم بن بهدلة, عن أبي وائل, عن عبد الله, قال: كنا مع نبينا صلى الله عليه وسلم ونحن نقول: الماعون: منع الدلو وأشباه ذلك.
وقال آخرون: الماعون: المعروف. ذكر من قال ذلك:
29438ـ حدثنا محمد بن إبراهيم السلمي, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا محمد بن رفاعة, قال: سمعت محمد بن كعب يقول: الماعون: المعروف.
وقال آخرون: الماعون: هو المال. ذكر من قال ذلك:
29439ـ حدثني أحمد بن حرب, قال: حدثنا موسى بن إسماعيل, قال: حدثنا إبراهيم بن سعد, عن ابن شهاب, عن سعيد بن المسيب, قال: الماعون, بلسان قريش: المال.
29440ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن ابن أبي ذئب, عن الزهريّ, قال: الماعون: بلسان قريش: المال.
وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب, إذ كان الماعون هو ما وصفنا قبل, وكان الله قد أخبر عن هؤلاء القوم, وأنهم يمنعونه الناس, خبرا عاما, من غير أن يخصّ من ذلك شيئا, أن يقال: إن الله وصفهم بأنهم يمنعون الناس ما يتعاورونه بينهم, ويمنعون أهل الحاجة والمسكنة ما أوجب الله لهم في أموالهم من الحقوق, لأن كلّ ذلك من المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض.

سورة الكوثر

سورة الكوثر مكية
وآياتها ثلاث

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-3

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّآ أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ * إِنّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ }.

يقول تعالى ذكره: إنّا أعْطَيْناكَ يا محمد الْكَوْثَرَ.

واختلف أهل التأويل في معنى الكوثر, فقال بعضهم: هو نهر في الجنة أعطاه الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم.

29441ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا عطاء بن السائب, عن محارب بن دثار, عن ابن عمر: أنه قال: الكوثر: نهر في الجنة, حافتاه من ذهب وفضة, يجري على الدرّ والياقوت, ماؤه أشدّ بياضا من اللبن, وأحلى من العسل.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن محارب بن دثار الباهليّ, عن ابن عمر, في قوله: إنّا أعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ قال: نهر في الجنة حافتاه الذهب, ومجراه على الدرّ والياقوت, وماؤه أشدّ بياضا من الثلج, وأشدّ حلاوة من العسل, وتربته أطيب من ريح المسك.

29442ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا عمر بن عبيد, عن عطاء, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: الكوثر: نهر في الجنة حافتاه من ذهب وفضة يجري على الياقوت والدرّ, ماؤه أبيض من الثلج, وأحلى من العسل.

29443ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القمي, عن حفص بن حميد, عن شمر بن عطية, عن شقيق أو مسروق, قال: قلت لعائشة: يا أمّ المؤمنين, وما بُطْنان الجنة؟ قالت: وسط الجنة: حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت, ترابه المسك, وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت.

29444ـ حدثنا أحمد بن أبي سَريج الرازيّ, قال: حدثنا أبو النضر وشبابة, قالا: حدثنا أبو جعفر الرازيّ, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, عن رجل, عن عائشة قالت: الكوثر: نهر في الجنة ليس أحد يدخل أصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر.

29445ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن أبي جعفر وحدثنا ابن أبي سُرَيج, قال: حدثنا أبو نَعِيم, قال: أخبرنا أبو جعفر الرازيّ, عن ابن أبي نجيح, عن أنس, قال: الكوثر: نهر في الجنة.

29446ـ قال: ثنا وكيع, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, عن عائشة قالت: الكوثر نهر في الجنة, درّ مجوّف.

29447ـ حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, عن عائشة: الكوثر: نهر في الجنة, عليه من الآنية عدد نجوم السماء.

29448ـ قال: ثنا وكيع, عن أبي جعفر الرازيّ, عن ابن أبي نجيح, عن عائشة قالت: من أحبّ أن يسمع خرير الكوثر, فليجعل أصبعيه في أذنيه.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مِهْران, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, عن عائشة, قالت: نهر في الجنة, شاطئاه الدرّ المجوّف.

29449ـ قال: ثنا مهران, عن أبي معاذ عيسى بن يزيد, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, عن عائشة قالت: الكوثر: نهر في بُطْنان الجنة: وسط

الجنة, فيه نهر شاطئاه درّ مجوّف, فيه من الآنية لأهل الجنة, مثلُ عدد نجوم السماء.
29450ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: إنّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ قال: نهر أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم في الجنة.
29451ـ حدثنا أحمد بن أبي سريج, قال: حدثنا مسعدة, عن عبد الوهاب, عن مجاهد, قال: الكَوْثَر: نهر في الجنة, ترابه مسك أذفر, وماؤه الخمر.
29452ـ حدثنا ابن أبي سريج, قال: حدثنا عبيد الله, قال: أخبرنا أبو جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, في قوله: إنّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ قال: نهر في الجنة.
29453ـ حدثنا الربيع, قال: أخبرنا ابن وهب, عن سليمان بن بلال, عن شريك بن أبي نمر, قال: سمعت أنس بن مالك يحدّثنا, قال: لما أُسري برسول الله صلى الله عليه وسلم, مضى به جبريل في السماء الدنيا, فإذا هو بنهر, عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد, فذهب يشُمّ ترابه, فإذا هو مسك, فقال: «يا جبريل, ما هذا النهر؟» قال: هو الكوثر الذي خبأ لك ربّك.
وقال آخرون: عُنِي بالكوثر: الخير الكثير. ذكر من قال ذلك:
29454ـ حدثني يعقوب, قال: ثني هُشَيم, قال: أخبرنا أبو بشر وعطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس أنه قال في الكوثر: هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: فقلت لسعيد بن جُبير: فإن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة, قال: فقال سعيد: النهر الذي في الجنة, من الخير الذي أعطاه الله إياه.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم, عن عطاء بن السائب, قال: قال محارب بن دثار: ما قال سعيد بن جُبير في الكوثر؟ قال: قلت: قال: قال ابن عباس: هو الخير الكثير, فقال: صدق والله.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: الكوثر: الخير الكثير.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, قال: سألت سعيد بن جُبير, عن الكوثر, فقال: هو الخير الكثير الذي آتاه الله, فقلت لسعيد: إنا كنا نسمع أنه نهر في الجنة, فقال: هو الخير الذي أعطاه الله إياه.
حدثنا ابن المثنى, قال: ثني عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جُبير: إنّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ قال: الخير الكثير.
29455ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد, قال: حدثنا شعبة, عن عُمارة بن أبي حفصة, عن عكرِمة, قال: هو النبوّة, والخير الذي أعطاه الله إياه.
29456ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا حرمي بن عمارة, قال: حدثنا شعبة, قال: أخبرني عمارة, عن عكرِمة في قول الله: إنّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ قال: الخير الكثير, والقرآن والحكمة.
حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا عُمارة بن أبي حفصة, عن عكرِمة أنه قال: الكوثر: الخير الكثير.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس: إنّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ قال: الخير الكثير.

29457ـ قال: ثنا مِهْران, عن سفيان, عن هلال, قال: سألت سعيد بن جُبير إنّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ قال: أكثر الله له من الخير, قلت: نهر في الجنة؟ قال: نهر وغيره.
29458ـ حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى بن ميمون, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: الكوثر: الخير الكثير.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: الكوثر: الخير الكثير.
حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن مجاهد: الكوثر: قال: الخير كله.
29459ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: خير الدنيا والآخرة.
29460ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة في الكوثر, قال: هو الخير الكثير.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبير, قال: الكوثر: الخير الكثير.
29461ـ قال: ثنا وكيع, عن بدر بن عثمان, سمع عكرمة يقول في الكوثر: قال: ما أُعطي النبيّ صلى الله عليه وسلم من الخير والنبوّة والقرآن.
حدثنا أحمد بن أبي سريج الرازيّ, قال: حدثنا أبو داود, عن بدر, عن عكرِمة, قوله: إنّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ قال: الخير الذي أعطاه الله: النبوّة والإسلام.
وقال آخرون: هو حوض أُعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة. ذكر من قال ذلك:
29462ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن مطر, عن عطاء إنّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ قال: حوض في الجنة أعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.
حدثنا أحمد بن أبي سريج, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا مطر, قال: سألت عطاء ونحن نطوف بالبيت عن قوله: إنّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ قال: حوض أعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي, قول من قال: هو اسم النهر الذي أُعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة, وصفه الله بالكثرة, لعظَم قدره.
وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك, لتتابع الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك كذلك. ذكر الأخبار الواردة بذلك:
29463ـ حدثنا أحمد بن المِقدام العجليّ, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت أبي يحدّث عن قتادة, عن أنس قال: لما عُرج بنبيّ الله صلى الله عليه وسلم في الجنة, أو كما قال, عَرَض له نهر حافَتاه الياقوت المجوّف, أو قال: المجوّب, فضرب المَلك الذي معه بيده فيه, فاستخرج مسكا, فقال محمد للملك الذي معه: «ما هَذَا؟» قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله قال: ورُفِعت له سِدْرة المنتَهَى, فأبصر عندها أثرا عظيما, أو كما قال.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن أنس, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: «بَيْنَما أنا أسيرُ فِي الجَنّةِ, إذْ عَـرَضَ لي نَهْرٌ, حافَتاهُ قِبابُ اللّؤْلُؤِ المُجَوّفِ, فقالَ المَلكُ الّذِي مَعَهُ: أتَدْرِي ما هَذَا؟ هَذَا الْكَوْثَرُ الّذِي أعْطاكَ اللّهُ إيّاهُ, وَضَرَبَ بِيَدِهِ إلى أرْضِهِ, فأخْرَجَ مِـنْ طِينِـهِ المِسْكَ».

حدثني ابن عوف, قال: حدثنا آدم, قال: حدثنا شيبان, عن قتادة, عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمّـا عُـرِجَ بِـي إلـى السّـماءِ, أتَيْتُ عَلى نَهْرٍ حافَتاهُ قِبابُ اللّؤْلُؤِ المُجَوّفِ, قُلت: ما هَـذَا يـا جِبْرِيـلُ؟ قـال: هَذَا الْكَوْثَرُ الّذِي أعْطاكَ رَبّكَ, فأهْوَى المَلَـكُ بيَـدِهِ, فاسْـتَخْرَجَ طِينَـهُ مِسْـكا أذْفَرَ».

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن حميد, عن أنس بن مالك, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دَخَلْـتُ الجَنّـة, فَـإذَا أنـا بِنَهْـرٍ حافَتاهُ خِيامُ اللّؤْلُؤِ, فَضَرَبْتُ بِيَدِي إلى ما يَجْرِي فِيهِ, فإذَا مِسْـكٌ أذْفَـرُ قـال: قُلْتُ: ما هَذَا يا جِبْرِيلُ؟ قال: هَذَا الْكَوْثَرُ الّذِي أعْطاكَهُ اللّهُ».

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا همام, قال: حـدثنا قتادة, عن أنس, قال: قال رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم, فـذكر نحـو حديث يزيد, عن سعيد.

29464ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا أحمد بن أبي سريج, قال: حدثنا أبو أيوب العباس, قال: حدثنا إبراهيم بن سعد, قـال: حـدثنا محمـد بـن عبـد اللـه بـن مسلم ابن أخي ابن شهاب, عن أبيه, عن أنس, قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر, فقال: «هُوَ نَهْرٌ أعْطانِيهِ اللّـهُ فِـي الجَنّـةِ, تُرَابُـهُ مِسْكٌ أبْيَضُ مِنَ اللّبَنِ, وأحْلَى مِنَ العَسَـلِ, تَـرِدُهُ طَيـرٌ أعْناقُهـا مِثْـلُ أعْنـاقِ الجُزُرِ», قال أبو بكر: يا رسولَ الله, إنها لَناعمة؟ قال: «آكِلُها أنْعَمُ مِنْها».

29465ـ حدثنا خلاد بن أسلم, قال: أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة بـن أبي وقاص الليثي, عن كثير, عن أنس بن مالك,, قال: قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم: «دَخَلْتُ الجَنّةَ حِينَ عُرِجَ بي, فأُعْطِيتُ الْكَوْثَرَ, فإذَا هُوَ نَهْـرٌ فِي الجَنّةِ, عُضَادَتاهُ بُيُوتٌ مُجَوّفَةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ».

29466ـ حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا أبي وشعيب بن الليث, عن الليث, عن يزيد بن الهاد, عن عبد الله بن مسلم بـن شـهاب, عن أنس: أن رجلاً جاء إلى النبيّ صلى الله عليـه وسـلم, فقـال: يـا رسـول الله, ما الكوثر؟ قال: «نَهْرٌ أعْطـانِيهِ اللّـهُ فِـي الجَنّـةِ, لَهُـوَ أشَـدّ بَياضـا مِـنَ اللّبنِ, وأحْلَى مِنَ العَسَلِ, فِيهِ طُيُورٌ أعْناقُها كأعْناقِ الجُـزُرِ». قـال عمـر: يـا رسول الله إنها لناعمة, قال: «آكِلُها أنْعَمُ مِنْها».

حدثنا يونس, قال: حدثنا يحيى بن عبد الله, قال: ثنـي الليـث, عـن ابـن الهاد, عن عبد الوهاب عن عبد الله بن مسلم بن شهاب, عن أنس, أن رجلاً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فذكر مثله.

حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن الزهري أن أخاه عبد الله, أخبره أن أنس بن مالك صاحب النبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم أخـبره: أن رجلاً سـأل النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: ما الكوثر؟ فقال رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم: «هُوَ نَهْرٌ أعْطانِيْهِ اللّهُ فِي الجَنّةِ, ماؤُهُ أبْيَضُ مِنَ اللّبـنِ, وأحْلَـى مِنَ العَسَلِ, فِيهِ طُيُورٌ أعْناقُها كأعْناقِ الجُزُرِ», فقـال عمـر: إنهـا لَناعمـة يـا رسول الله, فقال: «آكِلُها أنْعَمُ مِنْها».

فقال: عمر بن عثمان: قال ابن أبي أُوَيس وحدثني أبي, عن ابن أخي الزهريّ, عن أبيه, عن أنس, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في الكوثر, مثله.

29467ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن فضيل, قال: حدثنا عطاء, عن محارب بن دثار, عن ابن عمر, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنّةِ, حافَتاهُ مِنْ ذَهَبٍ, ومَجْرَاهُ عَلى الْياقُوتِ والدّرّ, تُرْبَتُهُ أطْيَبُ مِنَ المِسْكِ, ماؤُهُ أحْلَى مِنَ العَسَلِ, وأشَدّ بَياضا مِنَ الثّلْجِ».

حدثنا يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: أخبرنا عطاء بن السائب, قال: قال لي محارب بن دِثار: ما قال سعيد بن جُبير في الكوثر؟ قلت: حَدّثنا عن ابن عباس, أنه قال: هو الخير الكثير, فقال: صدق والله, إنه للْخير الكثير, ولكن حَدّثنا ابن عمر, قال: لما نزلت: إنّا أعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنّةِ, حافَتاهُ منْ ذَهَبٍ, يَجْرِي عَلى الدّرّ والْياقُوت».

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, عن أنس بن مالك, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنّة», قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «رأيْتُ نَهْرا حَافتاهُ اللّؤْلُؤُ, فَقُلْتُ: يا جِبْرِيلُ ما هَذَا؟ قال: هَذا الْكَوْثَرُ الّذِي أعْطاكَهُ اللّهُ».

29468ـ حدثنا ابن البرقي, قال: حدثنا ابن أبي مَريم, قال: حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير, قال: أخبرنا حزام بن عثمان, عن عبد الرحمن الأعرج, عن أُسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى حمزة بن عبد المطلب يوما, فلم يجده, فسأل امرأته عنه, وكانت من بني النجّار, فقالت: خرج, بأبي أنت آنفا عامدا نحوك, فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجّار, أوَلاَ تدخل يا رسول الله؟ فدخل, فقدّمت إليه حَيْسا, فأكل منه, فقالت: يا رسول الله, هنيئا لك ومريئا, لقد جئت وإني لأريد أن آتيَك فأهنيَك وأمْرِيَك أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهرا في الجنة يُدعى الكوثر, فقال: «أجَلْ, وَعَرْضُهُ يعني أرضه ياقُوتٌ وَمَرْجانٌ وَزَبَرْجَدٌ وَلُؤْلُؤٌ».

وقوله: فَصَلّ لِرَبّكَ وانْحَرْ اختلف أهل التأويل في الصلاة التي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصليها بهذا الخطاب, ومعنى قوله: وانْحَرْ فقال بعضهم: حضّه على المواظبة على الصلاة المكتوبة, وعلى الحفظ عليها في أوقاتها بقوله: فَصَلّ لِرَبّكَ وانْحَرْ. ذكر من قال ذلك:

29469ـ حدثني عبد الرحمن بن الأسود الطّفاويّ, قال: حدثنا محمد بن ربيعة, قال: ثني يزيد بن أبي زياد بن أبي الجعد, عن عاصم الجحدريّ, عن عقبة بن ظهير, عن عليّ رضي الله عنه, في قوله: فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قال: وضع اليمين على الشمال في الصلاة.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا حماد بن سَلَمة, عن عاصم الجَحْدَريّ, عن عقبة بن ظبيان, عن أبيه, عن عليّ رضي الله عنه فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قال: وضع اليد على اليد في الصلاة.

29470ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن حماد بن سلمة, عن عاصم الجَحْدَريّ, عن عُقْبة بن ظَهير, عن أبيه, عن عليّ رضي الله عنه فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قال: وضع يده اليمنى على وسط ساعده اليسرى, ثم وضعهما على صدره.

29471ـ قال: ثنا مهران, عن حماد بن سلمة, عـن عاصـم الأحـول, عـن الشعبيّ, مثله.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن يزيـد بـن أبـي زيـاد, عـن عاصـم الجَحْدريّ, عن عقبة بن ظهير, عن عليّ رضي الله عنه: فَصَـلّ لِرَبّـكَ وَانْحَـرْ قال: وضع اليمين على الشمال في الصلاة.
29472ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, يقال: حدثنا عـوف, عـن أبي القَمُوص, في قوله: فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قـال: وضـع اليـد علـى اليـد فـي الصلاة.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا أبو صالح الخُراسانيّ, قال: حدثنا حماد, عن عاصم الجَحْدريّ, عن أبيه, عن عقبـة بـن ظبيـان, أن علـيّ بـن أبـي طـالب رضي الله عنه قال في قول الله: فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قال: وضـع يـده اليمنـى على وسط ساعده الأيسر, ثم وضعهما على صدره.
وقال آخرون: بل عُنِي بقوله: فَصَلّ لِرَبّكَ: الصلاة المكتوبة, وبقوله وَانْحَرْ أن يرفع يديه إلى النحر, عند افتتاح الصلاة والدخول فيها. ذكر من قال ذلك:
29473ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن جابر, عـن أبي جعفر فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَـرْ الصـلاة, وانحـر: يرفـع يـديه أوّل مـا يُكبّـر فـي الافتتاح.
وقال آخرون: عُنِي بقوله: فَصَلّ لِرَبّكَ المكتوبة, وبقوله وَانْحَرْ: نحر البُدْن. ذكر من قال ذلك:
29474ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام بن سلم وهارون بن المُغيـرة, عن عنبسة, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فَصَلّ لِرَبّـكَ وَانْحَـرْ قـال: الصـلاة المكتوبة, ونحر البُدْن.
29475ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن عطاء بن السـائب, عـن سعيد بن جُبير وحجّاج, أنهما قالا في قوله: فَصَـلّ لِرَبّـكَ وَانْحَـرْ قـال: صـلاة الغداة بجَمْع, ونحر البُدن بمِنَى.
29476ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن قطر, عن عطـاء: فَصَـلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قال: صلاة الفجر, وانحر البُدْن.
29477ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابـن عبـاس فَصَـلّ لِرَبّـكَ وَانْحَـرْ قـال: الصـلاة المكتوبـة, والنحر: النّسُك والذبح يوم الأضحى.
29478ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن الحكم, فـي قوله: فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قال: صلاة الفجر.
وقال آخرون: بل عُنِي بذلك: صلّ يوم النحر صلاة العيـد, وانحـر نُسُـكَك. ذكر من قال ذلك:
29479ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون بن المُغيرة, عن عنبسة, عن جابر, عن أنس بن مالك, قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم ينحَر قبل أن يصلي, فأمر أن يصليَ ثم ينحر.
29480ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سـفيان, عـن جـابر, عـن عكرِمة: فصلّ الصلاة, وانحر النّسُك.
29481ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن ثابت بن أبي صـفية, عـن أبي جعفر فَصَلّ لِرَبّكَ قال: الصلاة وقال عكرِمة: الصلاة ونحر النّسك.

29482ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن أبـي جعفـر, عـن الربيـع فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قال: إذا صليت يوم الأضحى فانحر.
29483ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حـدثنا قطـر, قال: سألت عطاء, عن قوله: فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قال: تصلي وتنحر.
29484ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حـدثنا عـوف, عـن الحسن فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قال: اذبح.
قال: ثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا أبان بن خالـد, ق ال: سـمعت الحسـن يقول فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قال: الذبح.
29485ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قال: نحر البُدن, والصلاة يوم النحر.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عـن قتـادة فَصَـلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قال: صلاة الأضحى, والنحر: نحر البُدن.
29486ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قال: مناحر البُدن بِمِنَى.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن جابر, ع ن عكرِمـة فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قال: نحر النسك.
29487ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, في قوله: فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ يقول: اذبح يوم النحر.
29488ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قال: نحر البُدْن.
وقال آخرون: قيل ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم, لأن قوما كانوا يصلون لغير الله, وينحرون لغيره فقيل له: اجعل صـلاتَك ونحـرَك للـه, إذ كـان مـن يكفر بالله يجعله لغيره. ذكر من قال ذلك:
29489ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني أبـو صـخر, عـن محمد بن كعب القرظي, أنه كان يقول في هذه الآيـة: إنّـا أَعْطَيْنـاكَ الْكَـوْثَرَ فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ يقول: إن ناسا كانوا يصلون لغير الله, وينحرون لغير الله, فإذا أعطيناك الكوثر يا محمد, فلا تكن صلاتك ونحرك إلاّ لي.
وقال آخرون: بل أنزلت هذه الآية يوم الحُدَيْبية, حين حُصِرَ النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه, وصُدّوا عن البيت, فأمره الله أن يصلي, وينحر البُدْن, وينصرف, ففعل. ذكر من قال ذلك:
29490ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخـبرني أبـو صـخر, قال: ثني أبو معاوية البَجَلِيّ, عن سعيد بن جُبير أنه قـال: كـانت هـذه الآيـة, يعني قوله: فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ يوم الحديبية, أتاه جبريل عليه السلام, فقـال: انحر وارجع, فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم, فخطب خطبـة الفطـر والنحر, ثم ركع ركعتين, ثم انصرف إلى البُدن فنحرهـا, فـذلك حيـن يقـول: فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: فصلّ وادع ربّك وَسَلْه. ذكر من قال ذلك:
29491ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي سنان, عن ثابت, عن الضحاك فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ قال: صلّ لربك وسَلْ.
وكان بعض أهل العربية يتأوّل قوله: وَانْحَرْ واستقبل القبلة بنحرك. وذُكـر أنه سمع بعض العرب يقول: منازلهم تتناحَر: أي هـذا بنحـر هـذا: أي قبـالته. وذُكر أن بعض بني أسد أنشده:

أبا حَكَمٍ هَلْ أنْتَ عَمّ مُجَالِدٍوَسَيّدُ أهْلِ الأَبْطَحِ المُتَناحِرِ؟
أي ينحر بعضه بعضا.
وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتَك كلّها لربك خالصا دون ما سواه من الأنداد والآلهة, وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان, شكرا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كُفْء له, وخصك به, من إعطائه إياك الكوثر.
وإنما قلت: ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك, لأن الله جلّ ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بما أكرمه به من عطيته وكرامته, وإنعامه عليه بالكوثر, ثم أتبع ذلك قوله: فَصَلّ لِرَبّكَ وَانْحَرْ, فكان معلوما بذلك أنه خصه بالصلاة له, والنحر على الشكر له, على ما أعلمه من النعمة التي أنعمها عليه, بإعطائه إياه الكوثَر, فلم يكن لخصوص بعض الصلاة بذلك دون بعض, وبعض النحر دون بعض, وجه, إذ كان حثا على الشكر على النّعم.
فتأويل الكلام إذن: إنا أعطيناك يا محمد الكوثر, إنعاما منا عليك به, وتكرمة منا لك, فأخلص لربك العبادة, وأفرد له صلاتك ونُسُكَك, خلافا لما يفعله من كفر به, وعبد غيره, ونحر للأوثان.
وقوله: إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ يعني بقوله جلّ ثناؤه: إنّ شانِئَكَ إن مُبغضَك يا محمد وعدوّك هُوَ الأبْتَرُ يعني بالأبتر: الأقلّ والأذلّ المنقطع دابره, الذي لا عَقِبَ له.
واختلف أهل التأويل في المعنيّ بذلك, فقال بعضهم: عُنِي به العاص بن وائل السهميّ. ذكر من قال ذلك:
29492ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ يقول: عدوّك.
29493ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ قال: هو العاص بن وائل.
29494ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن هلال بن خباب, قال: سمعت سعيد بن جُبير يقول: إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ قال: هو العاص بن وائل.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مِهْران, عن سفيان, عن هلال, قال: سألت سعيد بن جُبَير, عن قوله: إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ قال: عدوّك العاص بن وائل انبتر من قومه.
29495ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ قال: العاص بن وائل, قال: أنا شانىء محمد, ومن شنأه الناس فهو الأبتر.
29496ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ قال: هو العاص بن وائل, قال: أنا شانىءٌ محمدا, وهو أبتر, ليس له عَقِبٌ, قال الله: إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ قال قتادة: الأبتر: الحقير الدقيق الذليل.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ هذا العاص بن وائل, بلغنا أنه قال: أنا شانىء محمد.

29497ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ قال: الرجل يقول: إنما محمد أبتر, ليس له كما ترون عَقِبٌ, قال الله: إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ.
وقال آخرون: بل عُنِي بذلك: عُقْبة بن أبي مُعَيط. ذكر من قال ذلك:
29498ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القُميّ, عن حفص بن حميد, عن شمر بن عطية, قال: كان عقبة بن أبي معيط يقول: إنه لا يبقى للنبيّ صلى الله عليه وسلم ولد, وهو أبتر, فأنزل الله فيه هؤلاء الآيات: إنّ شانِئَكَ عُقبة بن أبي مُعَيط هُوَ الأبْتَرُ.
وقال آخرون: بل عُنِي بذلك جماعة من قريش. ذكر من قال ذلك:
29499ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عن عكرمة, في هذه الآية: أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ أُوتُوا نَصِيبا مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ وَالطّاغُوتِ ويَقُولُونَ لِلّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أهْدَى مِنَ الّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً قال: نزلت في كعب بن الأشرف, أتى مكة فقال لها أهلها: نحن خير أم هذا الصّنبور المنبتر من قومه, ونحن أهل الحجيج, وعندنا مَنْحَر البُدْنِ, قال: أنتم خير. فأنزل الله فيه هذه الآية, وأنزل في الذين قالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم ما قالوا: إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ.
29500ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن بدر بن عثمان, عن عكرمة إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ. قال: لمّا أوحي إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم قالت قريش: بَتِرَ محمد منا, فنزلت: إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ قال: الذي رماك بالبَتَرِ هو الأبتر.
29501ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, قال: أنبأنا داود بن أبي هند, عن عكرِمة, عن ابن عباس قال: لما قَدِم كعب بن الأشرف مكة أتوْه, فقالوا له: نحن أهل السّقاية والسّدانة, وأنت سيد أهل المدينة, فنحن خير أم هذا الصّنْبور المنبترِ من قومه, يزعم أنه خير منا؟ قال: بل أنتم خير منه, فنزلت عليه: إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ قال: وأنزلت عليه: أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ أُوتُوا نَصِيبا مِنَ الْكِتابِ... إلى قوله: نَصِيرا.
وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن مُبغض رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأقلّ الأذلّ, المنقطع عقبه, فذلك صفة كلّ من أبغضه من الناس, وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه.

سورة الكافرون

سورة الكافرون مكية
وآياتها ست

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-6

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ يَأَيّهَا الْكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَآ عَابِدٌ مّا عَبَدتّمْ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم, وكان المشركون من قومه فيما ذُكر عرضوا عليه أن يعبدوا الله سنة, على أن يعبد نبيّ الله صلى

الله عليه وسلم آلهتهم سنة, فأنزل اللـه مُعَرّفـه جـوابهم فـي ذلـك: قُـلْ يـا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألوك عبـادة آلهتهـم سـنة, علـى أن يعبـدوا إلهك سنة يا أيّها الكافِرُونَ بالله لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ من الآلهة والأوثان الآن وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ الآن وَلا أنا عابِدٌ فيما أستقبل ما عَبَـدْتُمْ فيمـا مضـى وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ فيما تستقبلون أبدا ما أَعْبُدُ أنا الآن, وفيما أسـتقبل. وإنمـا قيـل ذلك كذلك, لأن الخطاب من الله كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أشخاص بأعيانهم من المشركين, قد علم أنهم لا يؤمنـون أبـدا, وسـبق لهـم ذلك في السابق من علمه, فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُؤَيّسَـهم مـن الذي طمعوا فيه, وحدّثوا به أنفسهم, وأن ذلك غير كائن منه ولا منهـم, فـي وقت من الأوقات, وآيسَ نبيّ الله صـلى اللـه عليـه وسـلم مـن الطمـع فـي إيمانهم, ومن أن يفلحوا أبدا, فكانوا كذلك لم يفلحـوا ولـم ينجحـوا, إلـى أن قُتِل بعضُهم يوم بدر بالسيف, وهلك بعض قبل ذلك كافرا. وبنحو الـذي قلنـا في ذلك قال أهل التأويل, وجاءت به الآثار. ذكر من قال ذلك:

29502ـ حدثني محمد بن موسى الحَرَشِيّ, قال: حدثنا أبـو خلـف, قـال: حدثنا داود, عن عكرِمة, عن ابن عباس: إن قريشا وعدوا رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالاً, فيكون أغنى رجـل بمكـة, ويزوّجـوه مـا أراد من النساء, ويَطئوا عَقِبه, فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد, وكُفّ عـن شـتم آلهتنا, فلا تذكرها بسوء, فإن لم تفعل, فإنا نعرض عليك خَصْلة واحدة, فهي لك ولنا فيها صلاح, قال: «ما هي؟» قالوا: تعبد آلهتنـا سـنة: اللات والعـزّي, ونعبد إلهك سنة, قال: «حتى أنظُرَ ما يأتي مِنْ عِنْدَ رَبّي», فجاء الوحي مـن اللوح المحفوظ: قُلْ يا أيّها الْكافِرُونَ السورة, وأنـزل اللـه: قُـلْ أَفَغَيْـرَ اللّـهِ تَأْمُرونِي أَعْبُدُ أيّها الجاهِلُونَ... إلى قوله: فاعْبُدْ وكُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ.

29503ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن محمد بن إسحاق, قال: ثني سعيد بن ميناء مولى البَخْتَرِيّ, قال: لقي الوليد بن المُغيرة والعاص بـن وائل, والأسود بن المطلب, وأميّة بـن خلـف, رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم, فقالوا: يا محمد, هلمّ فلنعبدْ ما تعبد, وتعبدْ مـا نعبـد, ونُشـركَك فـي أمرنا كله, فإن كان الذي جئـت بـه خيـرا ممـا بأيـدينا كنـا قـد شَـركناك فيـه, وأخذنا بحظنا منه وإن كان الذي بأيدينا خيرا مما في يديك, كنت قـد شَـرِكتنا في أمرنا, وأخذت منه بحظك, فأنزل الله: قُلْ يا أيّها الْكافِرُونَ حتى انقضت السورة.

وقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ يقول تعالى ذكره: لكم دينكم فلا تتركونه أبدا, لأنه قد خُتِمَ عليكم, وقُضِي أن لا تنفكوا عنه, وأنكم تموتون عليه, ولـي ديـنِ الذي أنا عليه, لا أتركه أبدا, لأنه قد مَضى في سابق علـم اللـه أنـي لا أنتقـل عنه إلى غيره.

29504ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قول الله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ قال: للمشركين قال: واليهود لا يعبدون إلا الله ولا يشركون, إلا أنهـم يكفـرون ببعـض الأنبيـاء, وبمـا جـاءوا بـه مـن عنـد اللـه, ويكفرون برسول الله, وبما جاء به من عند الله, وقتلوا طوائف الأنبياء ظلما وعُدْوانا, قال: إلا العصابة التي بَقُوا, حتى خرج بختنصر, فقـالوا: عُزَيـرٌ ابـن الله, دعا الله ولم يعبدوه ولم يفعلوا كما فعلت النصارى, قالوا: المسيح ابن الله وعبدوه.

وكان بعض أهل العربية يقول: كرّر قوله: لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ وما بعده على وجه التوكيد, كما قال: فإنّ مَعَ العُسْرِ يُسْرا إنّ مَـعَ الْعُسْـرِ يُسْـرا, وكقـوله: لَتَروُنّ الجَحِيمَ ثُمّ لَتَرُوَنّها عَينَ الْيَقِينِ.

سورة النصر

سورة النصر مدينة
وآياتها ثلاث

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-3

القول فـي تأويـل قولِه تعالى: {إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْـحُ * وَرَأَيْـتَ النّـاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنّهُ كَانَ تَوّابَا }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إذا جاءك نصر الله يا محمد على قومك من قريش, والفتح: فتح مكة ورأَيْـتَ النّـاسَ مـن صـنوف العرب وقبائلها أهل اليمن منهم, وقبائل نزار يَدْخُلُونَ فِـي دِيـنِ اللّـهِ أَفْوَاجـا يقول: في دين الله الذي ابتعثك به, وطاعتك التي دعاهم إليها أفواجا, يعني: زُمَرا, فوجا فوجا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكـر مـن قـال ما قلنا في قوله: إِذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ:

29505ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: إِذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ: فتح مكة.

29506ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: إِذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ النصر حين فتح الله عليه ونصره.

29507ـ حدثني إسماعيل بن موسى, قال: أخبرنـا الحسـين بـن عيسـى الحنفيّ, عن مَعْمر, عن الزهريّ, عن أبي حازم, عن ابن عبـاس, قـال: بينـا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة, إذ قـال: «اللّـهُ أَكْبَـرُ, اللّـهُ أَكْبَـرُ, جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ, جاءَ أَهْلُ اليَمَنِ», قيل: يا رسول الله, وما أهل اليمن؟ قـال: «قَـوْمٌ رَقِيقَـةٌ قُلُـوبِهُمْ, لَيّنَـةٌ طَبِـاعُهُم, الإيمَـانُ يُمَـانٍ, والْفِقْـهُ يَمـانٍ, والْحِكْمَةُ يَمانِيَةٌ».

29508ـ حدثنا ابن المثنى, قال: ثني عبد الأعلى, قـال: حـدثنا داود, عـن عامر, عن مسروق, عن عائشة, قالت: كـان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم يُكثر من قول: سبحان الله وبحمده, وأستغفر الله وأتوب إليه قــالت: فقلت: يا رسول الله أراك تُكثر قول: سبحان اللـه وبحمـده, وأسـتغفر اللـه وأتوب إليه, فقال: «خَبّرَنِي رَبّي أنّـي سـأَرَى عَلامَـةً فِـي أُمّتِـي, فـإذَا رأيْتُهـا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ سُبْحانَ اللّهِ وبِحَمْدِهِ, وأَسْتَغْفِرُهُ وأتُوبُ إلَيْهِ, فَقَـدْ رأيْتُهـا إذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ فتْحُ مَكّة ورأَيْتُ النّـاسَ يَـدْخُلُونَ فِـي دِيـنِ اللّـهِ أَفْوَاجـا فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنّهُ كانَ تَوّابا».

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عـن الشـعبيّ, عن مسروق, عن عائشة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, بنحوه.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عـن عـامر, عن عائشة, قالت: كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يُكـثر قبـل مـوته مـن قول سبحان الله وبحمده ثم ذكر نحوه.

حدثني إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا خالد, عن داود, عن عامر, عن مسروق, عن عائشة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, بنحوه.

29509ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن عكرمة قال: لما نزلت: إِذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ, وَجَاءَ أَهْلُ اليَمَنِ», قالوا: يا نبيّ الله, وما أهل اليمن؟ قال: «رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ, لَيّنَةٌ طِباعُهُمْ, الإيمَانُ يمانٍ, والْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ».

وأمّا قوله أفْوَاجا فقد تقدّم ذكره في معنى أقوال أهل التأويل. وقد:

29510ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فِي دِينِ اللّهِ أفْواجا قال: زُمرا زُمرا.

وقوله: فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ يقول: فسبح ربّك وعظمه بحمده وشكره, على ما أنجز لك من وعده. فإنك حينئذٍ لاحق به, وذائق ما ذاق مَنْ قَبْلك من رُسله من الموت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29511ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن حبيب, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه, سألهم عن قول الله تعالى: إِذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ قالوا: فتح المدائن والقصور, قال: فأنت يا بن عباس ما تقول: قلت: مَثَلٌ ضرب لمحمد صلى الله عليه وسلم نُعِيتْ إليه نفسه.

29512ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يُدنيه, فقال له عبد الرحمن: إن لنا أبناءً مثله, فقال عمر: إنه من حيث تعلم, قال: فسأله عمر عن قول الله: إِذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ السورة, فقال ابن عباس: أجله, أعلمه الله إياه, فقال عمر: ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم.

حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عاصم, عن أبي رزين, عن ابن عباس, قال: قال عمر رضي الله عنه: ما هي؟ يعني إذا جاء نَصْرُ اللّهِ وَالفَتْحُ قال ابن عباس: إِذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ حتى بلغ: وَاسْتغْفِرْهُ إنك ميت إنّهُ كانَ تَوّابا فقال عمر: ما نعلم منها إلا ما قلت.

29513ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان عن عاصم, عن أبي رزين, عن ابن عباس قال: لما نزلت إِذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ علم النبيّ أنه نُعِيتْ إليه نفسه, فقيل له: إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخر السورة.

29514ـ حدثنا أبو كرَيب وابن وكيع, قالا: حدثنا ابن فضيل, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: لما نزلت إِذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نُعِيَتْ إليّ نَفْسِي, كأنّي مَقْبُوضٌ فِي تِلكَ السّنَةِ».

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: إِذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ قال: ذاك حين نَعَى له نفسه يقول: إذا رأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلونَ فِي دِينِ اللّهِ أفْوَاجا يعني إسلام الناس, يقول: فذاك حين حضر أجلُك فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنّهُ كانَ تَوّابا.

حدثني أبو السائب وسعيد بن يحيى الأموي, قالا: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن مسلم, عن مسروق, عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول قبل أن يموت: «سبحانك اللهمّ وبحمدك, أستغفرك وأتوب إليك» قالت: فقلت: يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك قد أحدثتها تقولها؟ قال: «قَدْ جُعِلَتْ لي عَلامَةٌ فِي أُمّتِي إذَا رَأيْتُها قُلْتُها إذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ والْفَتْحُ إلى آخر السورة».

29515ـ حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن جدّه, عن الأعمش, عن مسلم, عن مسروق, قال: قالت عائشة: ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أنزلت عليه هذه السورة إذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ لا يقول قبلها: سبحانك ربنا وبحمدك, اللهمّ اغفر لي.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن الأعمش, عن مسلم, عن مسروق, عن عائشة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, مثله.

29516ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن أبي الضحى, عن مسروق, عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهمّ وبحمدك, اللهمّ اغفر لي», يتأوّل القرآن.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن داود, عن الشعبيّ, قال داود: لا أعلمه إلا عن مسروق, وربما قال عن مسروق, عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول: «سبحان الله وبحمده, أستغفر الله وأتوب إليه», فقلت: إنك تُكثر من هذا, فقال: «إنّ رَبّي قَدْ أخْبَرَنِي أنّي سأرَى عَلامَةً فِي أُمّتِي, وأمَرَنِي إذَا رأيْتُ تِلكَ الْعَلامَةَ أنْ أسَبّحَ بحَمْدِهِ, وأسْتَغْفِرَهُ إنّهُ كانَ تَوّابا, فَقَدْ رأيْتُها إذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ».

29517ـ حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا حفص, قال: حدثنا عاصم, عن الشعبيّ, عن أمّ سلمة, قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد, ولا يذهب ولا يجيء إلا قال: «سبحان الله وبحمده», فقلت: يا رسول الله, إنك تُكثر من سبحان الله وبحمده, لا تذهب ولا تجيء, ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت: سبحان الله وبحمده, قال: «إنّي أُمِرْتُ بِها», فقال: إذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ إلى آخر السورة.

29518ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني ابن إسحاق, عن بعض أصحابه, عن عطاء بن يسار, قال: نزلت سورة إذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ كلها بالمدينة بعد فتح مكة, ودخولها الناس في الدين, يَنْعي إليه نفسه.

29519ـ قال: ثنا جرير, عن مُغيرة, عن زياد بن الحصين, عن أبي العالية, قال: لما نزلت: إذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ ونُعَيتْ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم نفسُه, كان لا يقوم من مجلس يجلس فيه حتى يقولَ: «سبحانك اللهمّ وبحمدك, أشهد أن لا إله إلا أنت, أستغفرك وأتوب إليك».

29520ـ قال: ثنا الحكم بن بشير, قال: ثنا عمرو, قال: لما نزلت: إذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ كان النبيّ صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول: «سبحانك اللهمّ وبحمدك, ربّ اغفر لي وتب عليّ, إنك أنت التوّاب الرحيم».

29521ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ قرأها كلها قال ابن عباس: هذه السورة عَلَم وحَدّ حدّه الله

لنبيه صلى الله عليه وسلم, ونَعَى له نفسَه. أي إنك لن تعيشَ بعدها إلا قليلاً. قال قتادة: والله ما عاش بعد ذلك إلا قليلاً, سنتين, ثم توفي صلى الله عليه وسلم.

29522ـ حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي معاذ عيسى بن أبي يزيد, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, عن ابن مسعود, قال: لما نزلت: إذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ كان يُكثر أن يقول: «سبحانك اللهمّ وبحمدك, اللهمّ اغفر لي, سبحانك ربنا وبحمدك, اللهمّ اغفر لي, إنك أنت التوّاب الغفور».

29523ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قول الله: إذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ: كانت هذه السورة آية لموت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

29524ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَاسْتَغْفِرْهُ إنّهُ كانَ تَوّابا قال: اعلم أنك ستموت عند ذلك.

وقوله: وَاسْتَغْفِرْهُ يقول: وسَلْه أن يغفر ذنوبَك. إنّهُ كانَ تَوّابا: يقول: إنه كان ذا رجوع لعبده, المطيع إلى ما يحبّ. والهاء من قوله «إنه» من ذكر الله عزّ وجلّ.

سورة المسد

سورة المسد مكية
وآياتها خمس

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-5

القول في تأويل قوله تعالى:{تَبّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبّ * مَآ أَغْنَىَ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىَ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مّن مّسَدٍ }.

يقول تعالى ذكره: خَسِرت يدا أبي لهب, وخَسِر هو. وإنما عُنِي بقوله: تَبّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ تبّ عمله. وكان بعض أهل العربية يقول: قوله: تَبّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ: دعاء عليه من الله.

وأما قوله: وَتَبّ فإنه خبر. ويُذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «تَبّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبّ». وفي دخول «قد» فيه دلالة على أنه خبر, ويمثّل ذلك بقول القائل لآخر: أهلَكك الله, وقد أهلكك, وجعلك صالحا وقد جعلك. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: تَبّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29525ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة تَبّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ: أي خسرت وتب.

29526ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: تَبّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبّ قال: التبّ: الخسران, قال: قال أبو لهب للنبيّ صلى الله عليه وسلم: ماذا أُعطَى يا محمد إن آمنت بك؟ قال: «كمّا يُعْطَى المُسْلِمُونَ», فقال: مالي عليهم فضل؟ قال: «وأيّ شَيْءٍ تَبْتَغِي؟» قال: تبا لهذا من دين تبا, أن أكون أنا وهؤلاء سواء, فأنزل الله: تَبّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ يقول: بما عملت أيديهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة تَبّتْ يَدَا أبِي لَهَبٍ قال: خَسِرت يدا أبي لهب وخَسِر.

وقيل: إن هذه السورة نزلت في أبي لهب, لأن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما خَصّ بالدعوة عشيرتَه, إذ نزل عليه: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ وجمعهم للدعاء, قال له أبو لهب: تبا لك سائرَ اليوم, ألهذا دعوتنا؟ ذكر الأخبار الواردة بذلك:

29527ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن عمرو, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا, فقال: «يا صَباحاهْ» فاجتمعت إليه قريش, فقالوا: مالك؟ قال: «أرأَيْتَكُمْ إنْ أخْبَرْتُكُمْ أنّ العَدُوّ مُصَبّحُكُمْ أوْ مُمَسّيكُمْ, أما كُنْتُمْ تُصَدَقُونِنَي؟» قالوا: بلى, قال: «فإني نَذِيرٌ لَكُمْ بَينَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ», فقال أبو لهب: تَبّا لك, ألهذا دعوتنا وجمعتنا؟ فأنزل الله: تَبّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ إلى آخرها.

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن عمرو, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, مثله.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن نُمير, عن الأعمش, عن عمرِو بن مُرّة, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, قال: لما نزلت وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصّفا ثم نادَى: «يا صَباحاهْ», فاجتمع الناس إليه, فبَيْنَ رجلٌ يجيء, وبين آخر يبعثُ رسولَه, فقال: «يا بَنِي هاشِم, يا بَنِي عَبْدَ المُطّلِبِ, يا بَنِي فِهْرٍ, يا بَنِي... يا بَنِي أرأَيْتَكُمْ لَوْ أخْبَرْتُكُمْ أنّ خَيْلاً بِسَفْحِ هَذَا الجَبَل» يريد تغير عليكم «صَدّقْتُمُونِي؟» قالوا: نعم, قال: «فإنّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَينَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ», فقال أبو لهب: تَبّا لك سائر اليوم, ألهذا دعوتنا؟ فنزلت: تَبّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ وَتَبّ».

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا أبو أسامة, عن الأعمش, عن عمرو بن مرّة, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ ورهطك منهم المخلصين, خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم, حتى صعد الصفا, فهتف: «يا صَباحاهْ», فقالوا: مَنْ هذا الذي يهتف؟ فقالوا: محمد, فاجتمعوا إليه, فقال: «يا بَنِي فُلانٍ, يا بَنِي فُلانٍ, يا بَنِي عَبْدَ المُطّلِبِ, يا بَنِي عَبْدَ مَنافٍ», فاجتمعوا إليه, فقال: «أرأَيْتَكُمْ لَوْ أخْبَرْتُكُمْ أنّ خَيْلاً تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الجَبَلِ أكُنْتُمْ مُصَدّقِي؟» قالوا: ما جرّبنا عليك كذبا, قال: «فإنّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَينَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ», فقال أبو لهب: تَبّا لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت هذه السورة: «تَبّتْ يَدَا أبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبّ» كذا قرأ الأعمش إلى آخر السورة.

29528ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, في قوله: تَبّتْ يَدَا أبِي لَهَبٍ قال: حين أرسل النبيّ صلى الله عليه وسلم إليه وإلى غيره, وكان أبو لهب عمّ النبيّ صلى الله عليه وسلم, وكان اسمه عبد العُزّى, فذكرهم, فقال أبو لهب: تَبا لك, في هذا أرسلت إلينا؟ فأنزل الله: تَبّتْ يَدَا أبِي لَهَبٍ.

وقوله: ما أغْنَى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ يقول تعالى ذكره: أيّ شيء أغنى عنه ماله, ودفع من سخط الله عليه وَما كَسَبَ وهم ولده. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأوي لذكر من قال ذلك:

29529ـ حدثنا الحسن بن داود بن محمد المنكدِر, قال: حدثنا عبد الرزاق, عن معمر, عن ابن خيثم, عن أبي الطفيل, قال: جاء بنو أبي لهب إلى ابن عباس, فقاموا يختصمون في البيت, فقام ابن عباس, فحجز بينهم, وقد كفّ بصره, فدفعه بعضهم حتى وقع على الفراش, فغضب وقال: أخرجوا عني الكسب الخبيث.

29530ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن أبي بكر الهُذَليّ, عن محمد بن سفيان, عن رجل من بني مخزوم, عن ابن عباس أنه رأى يوما ولد أبي لهب يقتتلون, فجعل يحجُز بينهم ويقول: هؤلاء مما كسب.

29531ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ليث, عن مجاهد ما أَغْنَى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ قال: ما كسب ولده.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَما كَسَبَ قال: ولده هم من كسبه.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله وَما كَسَبَ قال: ولده.

وقوله: سَيَصْلَى نارا ذَاتَ لَهَبٍ يقول: سيصلى أبو لهب نارا ذات لهب.

وقوله: وَامْرأتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ يقول: سيصلى أبو لهب وامرأته حمالة الحطب, نارا ذات لهب.

واختلفت القرّاء في قراءة حَمّالَةَ الْحَطَبِ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة: «حَمّالَةُ الْحَطَبِ» بالرفع, غير عبد الله بن أبي إسحاق, فإنه قرأ ذلك نصبا فيما ذُكر لنا عنه.

واختُلف فيه عن عاصم, فحكي عنه الرفع فيها والنصب, وكأنّ من رفع ذلك جعله من نعت المرأة, وجعل الرفع للمرأة ما تقدّم من الخبر, وهو «سيصلى», وقد يجوز أن يكون رافعها الصفة, وذلك قوله: فِي جِيدِها وتكون «حَمّالَة» نعتا للمرأة. وأما النصب فيه فعلى الذمّ, وقد يُحتمل أن يكون نصبها على القطع من المرأة, لأن المرأة معرفة, وحمالة الحطب نكرة.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: الرفع, لأنه أفصح الكلامين فيه, ولإجماع الحجة من القرّاء عليه.

واختلف أهل التأويل, في معنى قوله: حَمّالَةَ الْحَطَبِ فقال بعضهم: كانت تجيء بالشوك فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم, ليدخل في قَدمه إذا خرج إلى الصلاة. ذكر من قال ذلك:

29532ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: وَامْرأتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ قال: كانت تحمل الشوك, فتطرحه على طريق النبيّ صلى الله عليه وسلم, ليعقره وأصحابه, ويقال: حَمّالَةَ الْحَطَب: نقالة للحديث.

29533ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن رجل من هَمْدان يقال له يزيد بن زيد, أن امرأة أبي لهب كانت تلقي في طريق النبيّ صلى الله عليه وسلم الشّوْك, فنزلت: تَبّتْ يَدَا أَبِي لَهَب وامْرأتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَب.

29534ـ حدثني أبو هريرة الضّبَعي, محمد بن فِراس, قال: حدثنا أبو عامر, عن قُرّة بن خالد, عن عطية الجدليّ. في قوله: حمّالَةَ الْحَطَبِ قال:

كانت تضع العِضاه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم, فكأنما يطأ به كثيبا.

29535ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: وَامْرأتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ كانت تحمل الشوك, فتلقيه على طريق نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ليعقِره.

29536ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَامْرأتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ قال: كانت تأتي بأغصان الشوك, فتطرحُها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: قيل لها ذلك: حمالة الحطب, لأنها كانت تحطب الكلام, وتمشي بالنميمة, وتعيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر. ذكر من قال ذلك:

29537ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: قال أبو المعتمر: زعم محمد أن عكرِمة قال: حَمّالَةَ الْحَطَبِ: كانت تمشي بالنميمة.

29538ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَامْرأتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ قال: كانت تمشي بالنميمة.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا الأشجعيّ, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مِهْران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد, مثله.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد حَمّالَةَ الْحَطَبِ قال: النميمة.

29539ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وامْرأتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ: أي كانت تنقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وامْرأتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ قال: كانت تحطِب الكلام, وتمشي بالنميمة.

وقال بعضهم: كانت تُعَيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر, وكانت تَحْطِبُ فَعُيّرت بأنها كانت تحطب.

29540ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان وامْرأتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ قال: كانت تمشي بالنميمة.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي, قول من قال: كانت تحمل الشوك, فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم, لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك.

29541ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن عيسى بن يزيد, عن ابن إسحاق, عن يزيد بن زيد, وكان ألزم شيء لمسروق, قال: لما نزلت: تَبّتْ يَدَا أبَي لَهَبٍ بلغ امرأة أبي لهب أن النبيّ صلى الله عليه وسلم يهجوكِ, قالت: علام يهجوني؟ هل رأيتموني كما قال محمد أحمل حطبا «في جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ»؟ فمكثت, ثم أتته, فقالت: إن ربك قلاك وودّعك, فأنزل الله: وَالضّحَى وَاللّيْلِ إذَا سَجَى ما وَدّعَكَ رَبّكَ وَما قَلى.

وقوله: فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ يقول: في عنقها والعرب تسمى العنق جيدا ومنه قول ذي الرّمّة:
فَعَيْناكِ عَيْناها وَلَوْنُكِ لَوْنُهاوَجِيدُكِ إلاّ أنّها غَيرُ عاطِلِ
وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
29542ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: فِي جِيدِها حَبْلٌ قال: في رقبتها.
وقوله: حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ اختلف أهل التأويل في ذلك, فقال بعضهم: هي حبال تكون بمكة. ذكر من قال ذلك:
29543ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ قال: حبل من شجر, وهو الحبل الذي كانت تحتطب به.
29544ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ قال: هي حبال تكون بمكة ويقال: المَسَد: العصا التي تكون في البكرة, ويقال المَسَد: قلادة من وَدَع.
29545ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: في قوله: حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ قال: حبال من شجر تنبت في اليمن لها مسد, وكانت تفتل وقال حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ: حبل من نار في رقبتها.
وقال آخرون: المَسَد: الليف. ذكر من قال ذلك:
29546ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن السديّ, عن يزيد, عن عروة فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ قال: سلسلة من حديد, ذرعها سبعون ذراعا.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مِهْران, عن سفيان, عن السديّ, عن رجل يقال له يزيد, عن عروة بن الزّبير فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ قال: سلسلة ذرعها سبعون ذراعا.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن يزيد, عن عُرْوة بن الزبير فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ قال: سلسلة ذرعها سبعون ذراعا.
29547ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن أبيه, عن الأعمش, عن مجاهد مِنْ مَسَدٍ قال: من حديد.
29548ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ قال: حبل في عنقها في النار مثل طوق, طوله سبعون ذراعا.
وقال آخرون: المَسَد: الحديد الذي يكون في البَكْرة. ذكر من قال ذلك:
29549ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ قال: الحديدة تكون في البَكْرة.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ قال: عود البكرة من حديد.
حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ قال: الحديدة للبكرة.
29550ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: حدثنا المعمر بن سليمان, قال: قال أبو المعتمر: زعم محمد أن عكرِمة قال: فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ إنه الحديدة التي في وسط البكرة.

وقال آخرون: هو قِلادة من وَدَع في عنقها. ذكر من قال ذلك:
29551ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ قال: قلادة من وَدَع.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ قال: قلادة من وَدَع.
وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب, قول من قال: هو حبلٌ جُمع من أنواع مختلفة, ولذلك اختلف أهل التأويل في تأويله على النحو الذي ذكرنا, ومما يدلّ على صحة ما قلنا في ذلك قول الراجز:
وَمَسَدٍ أمِرّ مِنْ أيانِقَ صُهْبٍ عِتاقٍ ذاتِ مُخَ زَاهِقِ
فجعل إمراره من شتى, وكذلك المسد الذي في جيد امرأة أبي لهب, أُمِرّ من أشياء شتى, من ليف وحديد ولحاء, وجعل في عنقها طوقا كالقلادة من ودع ومنه قول الأعشى:
تُمْسِي فيَصْرِفُ بابُها مِنْ دُونِناغَلْقا صَرِيفَ مَحَالَةِ الأَمْسادِ
يعني بالأمساد: جمع مَسَد, وهي الجبال.

سورة الإخلاص

سورة الإخلاص مكيّة
وآياتها أربع

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-4

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ * اللّهُ الصّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لّهُ كُفُواً أَحَدٌ }.
ذُكر أن المشركين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسب ربّ العزة, فأنزل الله هذا السورة جوابا لهم. وقال بعضهم: بل نزلت من أجل أن اليهود سألوه, فقالوا له: هذا الله خلق الخلق, فمن خلق الله؟ فأنزلت جوابا لهم.
ذكر من قال: أُنزلت جوابا للمشركين الذين سألوه أن ينسُب لهم الربّ تبارك وتعالى.
29552ـ حدثنا أحمد بن منيع المَرْوزيّ ومحمود بن خِداش الطالَقَاني, قالا: حدثنا أبو سعيد الصنعاني, قال: حدثنا أبو جعفر الرازيّ, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب, قال: قال المشركون للنبيّ صلى الله عليه وسلم: انسُبْ لنا ربك, فأنزل الله: قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ اللّهُ الصّمَدُ.
29553ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن يزيد, عن عكرِمة, قال: إن المشركين قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن ربك, صف لنا ربكَ ما هو, ومن أيّ شيء هو؟ فأنزل الله: قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ إلى آخر السورة.
29554ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ اللّهُ الصّمَدُ قال: قال ذلك قادة الأحزاب: انسُب لنا ربك, فأتاه جبريل بهذه.
29555ـ حدثني محمد بن عوف, قال: حدثنا شريح, قال: حدثنا إسماعيل بن مجالد, عن مجالد, عن الشعبيّ, عن جابر قال: قال المشركون: انسُب

لنا ربك, فأنزل الله قُلْ هُوَ اللّهُ أحَدٌ. ذكر من قال: نزل ذلك من أجل مسألة اليهود:

29556ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني ابن إسحاق, عن محمد, عن سعيد, قال: أتى رهط من اليهود النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق, فمن خلقه؟ فغضب النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى انتُقِعَ لونه ثم ساوَرَهم غضبا لربه, فجاءه جبريل عليه السلام فسكنّه, وقال: اخفض عليك جناحك يا محمد, وجاءه من الله جواب ما سألوه عنه. قال: يقول الله: قُلْ هُوَ اللّهُ أحَدٌ اللّهُ الصّمَدُ لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أحَدٌ فلما تلا عليهم النبيّ صلى الله عليه وسلم, قالوا: صف لنا ربك كيف خَلْقُه, وكيف عضُدُه, وكيف ذراعُه, فغضب النبيّ صلى الله عليه وسلم أشدّ من غضبه الأوّل, وساوَرَهم غضبا, فأتاه جبريل فقال له مثل مقالته, وأتاه بجواب ما سألوه عنه: وَما قَدَرُوا اللّـهَ حَـقّ قَـدْرِهِ والأرْضُ جَمِيعا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ والسّمَوَاتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِـهِ سُـبْحانَهُ وَتَعـالى عَمّـا يُشْرِكُونَ.

29557ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مِهران, عن سعيد بن أبي عَرُوبة, عن قتادة, قال: جاء ناس من اليهود إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقالوا: انسب لنا ربك, فنزلت: قُلْ هُوَ اللّهُ أحَدٌ حتى ختم السورة.

فتأويل الكلام إذا كان الأمر على ما وصفنا: قل يا محمد لهؤلاء السائليك عن نسب ربك وصفته, ومن خلقه: الربّ الذي سألتموني عنه, هو الله الذي له عبادة كل شيء, لا تنبغي العبادة إلاّ له, ولا تصلح لشيء سواه.

واختلف أهل العربية في الرافع أحَدٌ فقال بعضهم: الرافع له «الله», و «هو» عمادا, بمنزلة الهاء في قوله: إنّهُ أنا اللّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وقال آخر منهم: بل «هو» مرفوع, وإن كان نكرة بالاستئناف, كقوله: هذا بعلي شيخ, وقال: هو الله جواب لكلام قوم قالوا له: ما الذي تعبد؟ فقال: هو الله, ثم قيل له: فما هو؟ قال: هو أحد.

وقال آخرون أحَدٌ بمعنى: واحد, وأنكر أن يكون العماد مستأنفا به, حتى يكون قبله حرف من حروف الشكّ, كظنّ وأخواتها, وكان وذواتها, أو إنّ وما أشبهها, وهذا القول الثاني هو أشبه بمذاهب العربية.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار أحَدٌ اللّهُ الصّمَدُ بتنوين «أحدٌ», سوى نصر بن عاصم, وعبد الله بن أبي إسحاق, فإنه رُوي عنهما ترك التنوين: «أحَدُ اللّهُ» وكأن من قرأ ذلك كذلك, قال: نون الإعراب إذا استقبلتها الألف واللام أو ساكن من الحروف حُذفت أحيانا, كما قال الشاعر:

كَيْفَ نَوْمي على الفرَاشِ ولمَاتَشْمَلِ الشّامَ غارَةٌ شَعْوَاءُ
تُذْهِلُ الشّيْخَ عَن بَنِيهِ وتُبْدِيعَنْ خِدَامِ العَقِيلَةُ العَذْراءُ

يريد: عن خِدام العقيلةُ.

والصواب في ذلك عندنا: التنوين, لمعنيين: أحدهما أفصح اللغتين, وأشهر الكلامين, وأجودهما عند العرب. والثاني: إجماع الحجة من قرّاء الأمصار على اختيار التنوين فيه, ففي ذلك مُكْتفًى عن الاستشهاد على صحته بغيره. وقد بيّنا معنى قوله «أحد» فيما مضى, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: اللّهُ الصّمَدُ يقول تعالى ذكره: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلاّ له الصمدُ.

واختلف أهل التأويل في معنى الصمد, فقال بعضهم: هو الذي ليس بأجوف, ولا يأكل ولا يشرب. ذكر من قال ذلك:

29558ـ حدثنا عبد الرحمن بن الأسود, قال: حدثنا محمد بن ربيعة, عن سلمة بن سابور, عن عطية, عن ابن عباس, قال: الصمد: الذي ليس بأجوف.

29559ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد, قال: الصمد: المُصْمَت الذي لا جوف له.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد, مثلَه سواء.

حدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: الصمد: المُصْمَت الذي ليس له جوف.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن ووكيع, قالا: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: الصمد: الذي لا جوف له.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع وحدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران جميعا, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثلَه.

29560ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا الربيع بن مسلم, عن الحسن, قال: الصّمَدُ: الذي لا جوف له.

29561ـ قال: ثنا الربيع بن مسلم, عن إبراهيم بن ميسرة, قال: أرسلني مجاهد إلى سعيد بن جُبير أسأله عن الصمد, فقال: الذي لا جوف له.

29562ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد, عن الشعبيّ, قال: الصمدُ الذي لا يَطْعَم الطعام.

حدثنا يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن الشعبيّ أنه قال: الصّمَدُ: الذي لا يأكل الطعام, ولا يشرب الشراب.

29563ـ حدثنا أبو كُرَيب وابن بشار, قالا: حدثنا وكيع, عن سلمة بن نُبَيط, عن الضحاك, قال: الصمدُ: الذي لا جوف له.

29564ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, عن إسماعيل, عن عامر, قال: الصمدُ: الذي لا يأكل الطعام.

29565ـ حدثنا ابن بشار وزيد بن أخزم, قالا: حدثنا ابن داود, عن المستقيم بن عبد الملك, عن سعيد بن المسيب قال: الصمدُ: الذي لا حِشوة له.

حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: الصمدُ: الذي لا جوف له.

29566ـ حدثني العباس بن أبي طالب, قال: حدثنا محمد بن رومي, عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش, قال: ثني صالح بن حيان, عن عبد الله بن بريدة, عن أبيه, قال: لا أعلمه إلاّ قد رَفَعه, قال: الصّمَد الذي لا جوف له.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا بشر بن المفضل, عن الربيع بن مسلم, قال: سمعت الحسن يقول: الصّمَدُ: الذي لا جوف له.

29567ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن عكرمة, قال: الصمدُ: الذي لا جوف له.

وقال آخرون: هو الذي لا يخرج منه شيء. ذكر من قال ذلك:

29568ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, قال: سمعت عِكْرِمة, قال في قوله: الصّمَدُ: الذي لـم يخـرج منـه شـيء, ولـم يَلِـد, ولـم يُولَد.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي رجاء محمد بن يوسف, عن عكرِمة قال: الصمدُ: الذي لا يخرج منه شيء.

وقال آخرون: هو الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ. ذكر من قال ذلك:

29569ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي جعفر, عن الربيـع, عن أبي العالية, قال: الصّمَدُ: الذي لم يلد ولم يولد, لأنه ليس شـيء يلـد إلاّ سيورث, ولا شيء يولد إلاّ سيموت, فأخبرهم تعـالى ذكـره أنـه لا يُـورث ولا يموت.

29570ـ حدثنا أحمد بن منيع ومحمود بن خِـداش قـالا: حـدثنا أبـو سـعيد الصّنْعانيّ, قال: قال المشركون للنبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم: أنسُـب لنـا ربك, فأنزل الله: قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ اللّهُ الصّمَدُ لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَـدْ ولَـمْ يَكُـنْ لَـهُ كُفُوا أَحَدٌ لأنه ليس شيء يولد إلاّ سيموت, وليس شيء يموت إلاّ سـيُورث, وإن الله جلّ ثناؤه لا يموت ولا يورث ولَمْ يَكُـنْ لَـهُ كُفُـوا أَحَـدٌ: ولـم يكـن لـه شبيه ولا عدل, وليس كمثله شيء.

29571ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن أبي معشر, عن محمد بن كعب: الصّمَد: الذي لم يلد ولم يولد, ولم يكن له كفوا أحد.

وقال آخرون: هو السيد الذي قد انتهى سُؤدَدُه. ذكر من قال ذلك:

29572ـ حدثني أبو السائب, قال: ثني أبـو معاويـة, عـن الأعمـش, عـن شقيق, قال: الصّمَدُ: هو السيد الذي قد انتهى سُؤدَدُه.

29573ـ حدثنا أبو كريب وابن بشار وابن عبد الأعلى, قالوا: حدثنا وكيـع, عن الأعمش, عن أبي وائل, قال: الصّمد: السيد الذي قد انتهى سُؤدَدُه ولم يقل أبو كُرَيب وابن عبد الأعلى سُؤدَدُه.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الأعمش, عن أبـي وائل مثله.

29574ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عباس, في قوله: الصّمَدُ يقول: السيد الذي قـد كمـل فـي سُـؤدَدِه, والشريف الذي قد كمُل في شرفه, والعظيم الـذي قـد عظُـم فـي عظمتـه, والحليم الذي قد كمل في حلمه, والغنيّ الذي قـد كمـل فـي غنـاه, والجبّـار الذي قد كمل في جبروته, والعالم الذي قد كمل في علمـه, والحكيـم الـذي قد كمل في حكمته, وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسّؤدَد, وهو الله سبحانه هذه صفته, لا تنبغي إلاّ له.

وقال آخرون: بل هو الباقي الذي لا يفنَى. ذكر من قال ذلك:

29575ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة, فـي قوله: قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ اللّهَ الصّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ قال: كان الحسن وقتــادة يقولان: الباقي بعد خلقه, قال: هذه سورة خالصة, ليس فيها ذكر شيء من أمر الدنيا والآخرة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتـادة, قـال: الصّمَدُ: الدائم.

قال أبو جعفر: الصّمَدُ عند العرب: هو السيد الذي يُصْمَدُ إليه, الذي لا أحد فوقه, وكذلك تسمي أشرافَها ومنه قول الشاعر:

ألا بَكَرَ النّاعي بِخَيْرَيْ بَنِي أسَدْبعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وبالسّيّدِ الصّمَدْ
وقال الزبرقان:
وَلا رَهِينَةَ إلاّ سَيّدٌ صَمَدُ
فإذا كان ذلك كذلك, فالذي هو أولى بتأويل الكلمة, المعنى المعروف من كلام من نزل القرآن بلسانه ولو كان حديث ابن بُريدة, عن أبيه صحيحا, كان أولى الأقوال بالصحة, لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما عَنى الله جلّ ثناؤه, وبما أنْزل عليه.
وقوله: لَمْ يَلِدْ يقول: ليس بفان, لأنه لا شيء يلد إلا هو فان بائد ولَمْ يُولَدْ يقول: وليس بمحدث لم يكن فكان, لأن كلّ مولود فإنما وُجد بعد أن لم يكن, وحدث بعد أن كان غير موجود, ولكنه تعالى ذكره قديم لم يزل, ودائم لم يَبِد, ولا يزول ولا يفني.
وقوله: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: ولم يكن له شبيه ولا مِثْل. ذكر من قال ذلك:
29576ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية قوله: ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أحَدٌ: لم يكن له شبيه, ولا عِدْل, وليس كمثله شيء.
29577ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن عمرو بن غَيلانَ الثقفيّ, وكان أميرَ البصرة, عن كعب, قال: إن الله تعالى ذكره أسّس السموات السبع, والأرضين السبع, على هذه السورة لَمْ يَلِدْ وَلمْ يُولَدْ ولمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أحَدٌ وإن الله لم يكافئه أحد من خلقه.
29578ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أحَدٌ قال: ليس كمثله شيء, فسبحان الله الواحد القهّار.
29579ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن جُرَيج ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا: مثل.
وقال آخرون: معنى ذلك, أنه لم يكن له صاحبة. ذكر من قال ذلك:
29580ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الملك بن أبجر, عن طلحة, عن مجاهد, قوله: ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ قال: صاحبة.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن ابن أبجر, عن طلحة, عن مجاهد, مثلَه.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن عبد الملك, عن طلحة, عن مجاهد, مثله.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن أبجر, عن رجل عن مجاهد ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أحَدٌ قال: صاحبة.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن عبد الملك بن أبجر, عن طلحة بن مصرّف, عن مجاهد ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ قال: صاحبة.
حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن عبد الملك, عن طلحة, عن مجاهد, مثله.
والكُفُؤ والكفىء والكِفاء في كلام العرب واحد, وهو المِثْل والشّبْه ومنه قول نابغة بني ذُبيان:
لا تَقْذِفَنّي برُكْنٍ لا كِفاءَ لَهُوَلَوْ تأَثّفَكَ الأعْدَاءُ بالرّفَدِ

يعني: لا كفاء له: لا مثل له.
واختلفت القرّاء في قراءة قوله: كُفُوًا. فقرأ ذلك عامة قرّاء البصرة: كُفُوًا بضم الكاف والفاء. وقرأه بعض قرّاء الكوفة بتسكين الفاء وهمزها «كُفْئا».
والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان, ولغتان مشهورتان, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

سورة الفلق

سورة الفلق مكية
وآياتها خمس

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-5

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبّ الْفَلَقِ * مِن شَرّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرّ النّفّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: أستجير بربّ الفلق من شرّ ما خلق من الخلق.
واختلف أهل التأويل في معنى الفلق, فقال بعضهم: هو سجن في جهنم يسمى هذا الاسم. ذكر من قال ذلك:
29581ـ حدثني الحسين بن يزيد الطحان, قال: حدثنا عبد السلام بن حرب, عن إسحاق بن عبد الله, عمن حدثه عن ابن عباس قال: الفلق: سجن في جهنم.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد الزبيريّ, قال: حدثنا عبد السلام بن حرب, عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة, عن رجل, عن ابن عباس, في قوله: الفَلَقِ: سجن في جهنم.
29582ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا العوّام بن عبد الجبار الجَوْلانيّ, قال: قَدِم رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الشأم, قال: فنظر إلى دُور أهل الذمة, وما هم فيه من العيش والنضارة, وما وُسّعَ عليهم في دنياهم, قال: فقال: لا أبالك, أليس من ورائهم الفلق؟ قال: قيل: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم, إذ فُتح هَرّ أهل النار.
29583ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, قال: سمعت السّدّيّ يقول: الفَلَق: جُبّ في جهنم.
حدثني عليّ بن حسن الأزدي, قال: حدثنا الأشجعيّ, عن سفيان, عن السديّ, مثله.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن السديّ, مثله.
29584ـ حدثني إسحاق بن وهب الواسطيّ, قال: حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطيّ, قال: حدثنا نصر بن خُزَيمة الخراسانيّ, عن شعيب بن صفوان, عن محمد بن كعب القُرَظِيّ, عن أبي هُريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «الفَلَق: جبّ في جهنم مغطًى».
29585ـ حدثنا ابن البرقي, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: حدثنا نافع بن يزيد, قال: حدثنا يحيى بن أبي أسيد, عن ابن عجلان, عن أبي عبيد, عن

كعب, أنه دخل كنيسة فأعجبه حُسنها, فقال: أحسن عمل وأضلّ قوم, رضيت لكم الفلق, قيل: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذا فُتح صاح جميع أهل النار من شدّة حرّه.

وقال آخرون: هو اسم من أسماء جهنم. ذكر من قال ذلك:

29586ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: سمعت خيثم بن عبد الله يقول: سألت أبا عبد الرحمن الحبلي, عن الفلق, قال: هي جهنم.

وقال آخرون: الفلق: الصبح. ذكر من قال ذلك:

29587ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه. عن ابن عباس: أعُوذُ برَبّ الْفَلَقِ قال: الفلق: الصّبْح.

29588ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, قال: أنبأنا عوف, عن الحسن, في هذه الآية: قُلْ أعُوذُ بِرَبّ الْفَلَقِ قال: الفلق: الصبح.

29589ـ قال: ثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن سالم الأفطس, عن سعيد بن جُبير, قال: الفلق الصبح.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع وحدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران جميعا, عن سفيان, عن سالم الأفطس, عن سعيد بن جُبير, مثله.

حدثني عليّ بن الحسن الأزدي, قال: حدثنا الأشجعيّ, عن سفيان, عن سالم, عن سعيد بن جُبير, مثله.

29590ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن الحسن بن صالح, عن عبد الله بن محمد بن عقيل, عن جابر, قال: الفَلَق: الصبح.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا الحسن بن صالح, عن عبد الله بن محمد بن عقيل, عن جابر بن عبد الله, مثله.

29591ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا أبو صخر, عن القُرَظِيّ, أنه كان يقول في هذه الآية: قُلْ أعُوذُ بِرَبّ الْفَلَقِ يقول: فالق الحبّ والنوى, قال: فالق الإصباح.

29592ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: قُلْ أعُوذُ بِرَبّ الْفَلَقِ قال: الصبح.

29593ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قُلْ أعُوذُ بِرَبّ الْفَلَقِ قال: الفَلَق: فَلقَ النهار.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: الفلق: فلق الصبح.

29594ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: قُلْ أعُوذُ بِرَبّ الْفَلَقِ قيل له: فَلَق الصبح, قال: نعم, وقرأ: فالِقُ الإصْباحِ وَجاعِلُ اللّيْلِ سَكَنا.

وقال آخرون: الفَلَق: الخلق, ومعنى الكلام: قل أعوذ برب الخلق. ذكر من قال ذلك:

29595ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: الفلق: يعني الخلق.

والصواب من القول في ذلك, أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول: أعُوذُ بِرَبّ الْفَلَقِ والفلق في كلام العرب: فَلق الصبح, تقول العرب: هو أبينُ من فَلَق الصّبح, ومن فَرَق الصّبح. وجائز أن يكون في جهنم سجن اسمه فَلَق. وإذا كان ذلك كذلك, ولم يكن جلّ

ثناؤه وضعَ دلالة على أنه عُنِي بقوله بِرَبّ الْفَلَقِ بعض ما يُدْعَى الفلق دون بعض, وكان الله تعالى ذكره ربّ كل ما خلق من شيء, وجب أن يكون معنيا به كل ما اسمه الفَلَق, إذ كان ربّ جميع ذلك.

وقال جلّ ثناؤه: مِنْ شَرّ ما خَلَقَ لأنه أمر نبيه أن يستعيذ من شرّ كل شيء, إذ كان كلّ ما سواه, فهو ما خَلق.

وقوله: وَمِنْ شَرّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ يقول: ومن شرّ مظلم إذا دخل, وهجم علينا بظلامه.

ثم اختلف أهل التأويل في المظلم الذي عُنِي في هذه الآية, وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة منه, فقال بعضهم: هو الليل إذا أظلم. ذكر من قال ذلك:

29596ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَمِنْ شَرّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ قال: الليل.

29597ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, قال: أنبأنا عوف, عن الحسن, في قوله: وَمِنْ شَرّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ قال: أوّل الليل إذا أظلم.

29598ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: حدثنا أبو صخر, عن القرظي أنه كان يقول في: غاسِقٍ أذَا وَقَبَ يقول: النهار إذا دخل في الليل.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن رجل من أهل المدينة, عن محمد بن كعب وَمِنْ شَرّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ قال: هو غروب الشمس إذا جاء الليل, إذا وقب.

29599ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: غاسِقٍ قال: الليل إذَا وَقَبَ قال: إذا دخل.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن وَمِنْ شَرّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ قال: الليل إذا أقبل.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن وَمِنْ شَرّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ قال: إذا جاء.

29600ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله إذَا وَقَبَ يقول: إذا أقبل.

وقال بعضهم: هو النهار إذا دخل في الليل, وقد ذكرناه قبلُ.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن رجل من أهل المدينة, عن محمد بن كعب القُرَظِيّ وَمِنْ شَرّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ قال: هو غروب الشمس إذا جاء الليل, إذا وجب.

وقال آخرون: هو كوكب. وكان بعضهم يقول: ذلك الكوكب هو الثّريا. ذكر من قال ذلك:

29601ـ حدثنا مجاهد بن موسى, قال: حدثنا يزيد, قال: أخبرنا سليمان بن حِبّان, عن أبي المُهَزّم, عن أبي هريرة في قوله: وَمِنْ شَرّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ قال: كوكب.

29602ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمِنْ شَرّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ قال: كانت العرب تقول: الغاسق: سقوط الثريا, وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها, وترتفع عند طلوعها.

ولقائلي هذا القول عِلّة من أثر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, وهو ما:

29603ـ حدثنا به نصر بن عليّ, قال: حدثنا بكـار بـن عبـد اللـه بـن أخـي هَمّام, قال: حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمـن بـن عـوف, عن أبيه, عن أبي سلمة, عن أبي هريرة, عن النبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم وَمِنْ شَرّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ قال: النجم الغاسق.

وقال آخرون: بل الغاسق إذا وقب: القمر, ورووا بذلك عن النبيّ صلى الله عليه وسلم خبرا.

29604ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع وحدثنا ابن سفيان, قال: حدثنا أبي ويزيد بن هارون به.

29605ـ وحدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب, عن خاله الحرث بن عبد الرحمن, عن أبي سـلمة بن عبد الرحمن, عن عائشة قالت: أخذ النبيّ صلى الله عليـه وسـلم بيـدي, ثم نظر إلى القمر, ثم قال: «يا عائِشَةُ تَعَوّذِي بِاللّهِ مِنْ شَرّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ, وَهَذَا غاسِقٌ إذَا وَقَبَ», وهذا لفظ حديث أبـي كُرَيـب وابـن وكيـع. وأمـا ابـن حُمَيد, فإنه قال في حديثه: قالت أخَذَ النبيّ صـلى اللـه عليـه وسلم بيـدي, فقال: «أتَدْرِينَ أيّ شَيْءٍ هَذَا؟ تَعَوّذِي باللّهِ مِنْ شَرّ هَذَا, فإنّ هَذَا الْغاسِقُ إذَا وَقَبَ».

حدثنا محمد بن سنان, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا ابن أبي ذئب, عن الحرث بن عبد الرحمن, عن عائشة, عن النبيّ صلى الله عليـه وسـلم نظـر إلى القمر. فقال: «يا عائِشَةُ اسْتَعِيذِي باللّهِ مِنْ شَرّ هَذَا, فإنّ هَـذَا الْغاسِـقُ إذَا وَقَبَ».

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب, أن يقال: إن الله أمر نـبيه صـلى الله عليه وسلم أن يستعيذ مِنْ شَرّ غاسِقٍ وهو الذي يُظْلم, يقال: قد غَسَـق الليل يَغْسُق غسوقا: إذا أظلم. إذَا وَقَبَ يعني: إذا دخل في ظلامه والليل إذا دخل في ظلامه غاسق, والنجم إذا أفل غاسق, والقمر غاسق إذا وقب, ولم يخصص بعض ذلك بل عمّ الأمر بذلك, فكـلّ غاسـق, فـإنه صـلى اللـه عليـه وسلم كان يُؤمر بالاستعاذة من شرّه إذا وقب. وكان قتادة يقول فـي معنـى وقب: ذهب.

29606ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة غاسِقٍ إذَا وَقَبَ قال: إذا ذهب.

ولست أعرف ما قال قتادة في ذلك في كلام العرب, بـل المعـروف مـن كلامها من معنى وقب: دخل.

وقوله: وَمِنْ شَرّ النّفّاثاتِ فِي الْعُقَدِ يقول: ومن شرّ السواحر اللاتي ينفُثن في عُقَد الخيط, حين يَرْقِيـن عليهـا. وبنحـو الـذي قلنـا فـي ذلـك قـال أهـل التأويل. ذكر من قال ذلك:

29607ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَمِنْ شَرّ النّفّاثاتِ فِي الْعُقَـدِ قـال: مـا خـالط السّحر من الرّقَى.

29608ـ حدثنا ابن بشار, قـال: حـدثنا ابـن أبـي عـديّ, عـن عـوف, عـن الحسن وَمِنْ شَرّ النّفّاثاتِ فِي الْعُقَدِ قال: السواحر والسّحَرة.

29609ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمـر, قـال: تلا قتادة: وَمِنْ شَرّ النّفّاثاتِ فِي الْعُقَدِ قال: إياكم وما خـالط السّـحر مـن هـذه الرّقَى.

29610ـ قال: ثنا ابن ثور, عن معمر, عن ابن طاوس, عن أبيه, قال: ما من شيء أقرب إلى الشرك من رُقْية المجانين.
29611ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان الحسن يقول إذا جاز وَمِنْ شَرّ النّفّاثاتِ فِي العُقَدِ قال: إياكم وما خالط السحر.
29612ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن جابر, عن مجاهد وعكرِمة النّفّاثاتِ فِي الْعُقَدِ قال: قال مجاهد: الرّقى في عُقَد الخيط وقال عكرِمة: الأخذ في عقد الخيط.
29613ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمِنْ شَرّ النّفّاثاتِ فِي الْعُقَدِ قال: النفاثات: السواحر في العقد.
وقوله: وَمِنْ شَرّ حاسِدٍ إذَا حَسَدَ: اختلف أهل التأويل في الحاسد الذي أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ من شرّ حسده به, فقال بعضهم: ذلك كلّ حاسد أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يستعيد من شرّ عينه ونفسه. ذكر من قال ذلك:
29614ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَمِنْ شَرّ حاسِدٍ إذَا حَسَدَ قال: من شرّ عينه ونفسه, وعن عطاء الخُراساني مثل ذلك. قال مَعْمر: وسمعت ابن طاوُس يحدّث عن أبيه, قال: العَينُ حَقّ, وَلَو كا 2شَيءٌ سابقٌ القَدرِ, سَبَقتْه العَينُ, وإذا اسْتُغْسِل أحدُكم فَلْيَغْتَسل.
وقال آخرون: بل أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بهذه الآية أن يستعيذ من شرّ اليهود الذين حسدوه. ذكر من قال ذلك:
29615ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمِنْ شَرّ حاسِدٍ إذَا حَسَدَ قال: يهود, لم يمنعم أن يؤمنوا به إلا حسدهم.
وأولى القولين بالصواب في ذلك, قول من قال: أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ من شرّ كلّ حاسد إذا حسد, فعابه أو سحره, أو بغاه سوءا.
وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب, لأن الله عزّ وجلّ لم يخصص من قوله وَمِنْ شَرّ حاسِدٍ إذَا حَسَدَ حاسدا دون حاسد, بل عمّ أمرُه إياه بالاستعاذة من شر كلّ حاسد, فذلك على عمومه.

سورة الناس

سورة الناس مكية
وآياتها ستٌ

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-6

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبّ النّاسِ * مَلِكِ النّاسِ * إِلَـهِ النّاسِ * مِن شَرّ الْوَسْوَاسِ الْخَنّاسِ * الّذِى يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النّاسِ * مِنَ الْجِنّةِ وَالنّاسِ}.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد أستجير بِرَبّ النّاسِ مَلِكِ النّاسِ وهو ملك جميع الخلق: إنسِهم وجنهم, وغير ذلك, إعلاما منه بذلك مَنْ كان يعظّم الناس تعظيم المؤمنين ربّهم, أنه مَلِكُ من

يعظمه, وأن ذلك في مُلكه وسلطانه, تجري عليه قُدرته, وأنه أولى بالتعظيم, وأحقّ بالتعبد له ممن يعظمه, ويتعبّد له, من غيره من الناس.

وقوله: إلَهِ النّاسِ يقول: معبود الناس, الذي له العبادة دون كلّ شيء سواه.

وقوله: مِنْ شَرّ الوَسْوَاسِ يعني: من شرّ الشيطان الخَنّاسِ الذي يخنِس مرّة ويوسوس أخرى, وإنما يخنِس فيما ذُكر عند ذكر العبد ربه. ذكر من قال ذلك:

29616ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا يحيى بن عيسى, عن سفيان, عن حكيم بن جُبير, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: ما من مولود إلا على قلبه الوَسواس, فإذا عقل فذكر الله خَنَس, وإذا غَفَل وسوس, قال: فذلك قوله: الْوَسْوَاسِ الخَنّاسِ.

29617ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن سفيان, عن ابن عباس, في قوله الوَسْوَاسِ الخَنّاسِ قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم, فإذا سها وغفل وسوس, وإذا ذكر الله خنس.

29618ـ قال: ثنا مهران, عن عثمان بن الأسود, عن مجاهد الْوَسْوَاسِ الخَنّاسِ قال: ينبسط, فإذا ذكر الله خَنَس وانقبض, فإذا غفل انبسط.

29619ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله الْوَسْوَاسِ الخَنّاسِ قال: الشيطان يكون على قلب الإنسان, فإذا ذكر الله خَنَس.

29620ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة الْوَسْوَاسِ قال: قال هو الشيطان, وهو الخَنّاس أيضا, إذا ذكر العبد ربه خنس, وهو يوسوس ويَخْنِس.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة مِنْ شَرّ الْوَسْوَاسِ الخَنّاسِ يعني: الشيطان, يوسوس في صدر ابن آدم, ويخنس إذا ذَكر الله.

29621ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن أبيه, ذُكر لي أن الشيطان, أو قال الوسواس, ينفث في قلب الإنسان عند الحزن وعند الفرح, وإذا ذَكر الله خنس.

29622ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: الخَنّاسِ قال: الخناس الذي يوسوس مرّة, ويخنس مرّة من الجنّ والإنس, وكان يقال: شيطان الإنس أشدّ على الناس من شيطان الجنّ, شيطان الجنّ يوسوس ولا تراه, وهذا يُعاينك معاينة.

ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يقول في ذلك مِنْ شَرّ الْوَسْوَاسِ الذي يوسوس بالدعاء إلى طاعته في صدور الناس, حتى يُستجاب له إلى ما دعا إليه من طاعته, فإذا استجيب له إلى ذلك خَنَس. ذكر من قال ذلك:

29623ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله الْوَسْواس قال: هو الشيطان يأمره, فإذا أطيع خنس.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ به من شرّ شيطان يوسوس مرّة ويخنس أخرى,

ولم يخصّ وسوسته على نوع من أنواعها, ولا خنوسه علـى وجـه دون وجـه, وقد يوسوس الدعاء إلى معصية الله, فإذا أطيع فيهـا خَنَـس, وقـد يوسـوس بالنّهْي عن طاعة الله فإذا ذكر العبدُ أمر به, فأطاعه فيه, وعصى الشـيطان خنس, فهو في كل حالتيه وَسْواس خَنّاس, وهذه الصفة صفته.

وقوله: الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النّاسِ يعني بذلك: الشيطان الوسواس, الذي يوسوس في صدور الناس: جنهم وإنسهم.

فإن قال قائل: فالجنّ ناس, فيقال: الذي يوسوس في صدور الناس: من الجنة والناس. قيل: قد سماهم الله في هذا الموضع ناسا, كما سـماهم فـي موضع آخر رجالاً, فقال: وَأنّهُ كَانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنّ, فجعل الجنّ رجالاً, وكذلك جعل منهم ناسا.

وقد ذكر عن بعض العرب أنـه قـال وهـو يحـدّث, إذ جـاء قـوم مـن الجـنّ فوقفوا, فقيل: من أنتم؟ فقالوا: ناس من الجنّ, فجعل منهم ناسا, فكـذلك ما في التنزيل من ذلك.